



www.  
www.  
www.  
www.

Ghaemiyeh

.com  
.org  
.net  
.ir

# منهاج البراعة

فتح درج البلاض

المقدمة

الطباطبائي الحنفي الملاوي

البراعي

الحضره الشافعى

من مشتريات

كتاب منهاج البراعة

كتاب منهاج البراعة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

# منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبيب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبة الاسلامیة

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

# فهرست

فهرست

٥	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربي - فارسي) جلد ١٨
١٢	مشخصات كتاب
١٢	تنمية باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين و رسائله إلى أعدائه وأمراء بلاده
١٣	اشارة
١٥	تنمية المختار التاسع من كتبه عليه السلام و رسائله
١٥	تنمية المعنى
١٥	إشارة
٢٠	خاتمة
٢٣	الترجمة
٢٤	ترجمة نامة معاویه
٢٦	ترجمة نامة امير المؤمنین علی علیه السلام در پاسخ نامة معاویه
٣١	و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا
٣١	إشارة
٣٣	سند الكتاب و نقل صورته الكاملة
٣٥	اللغة
٣٩	الاعراب
٤٠	المعنى
٤٠	إشارة
٤١	كلام هاشم بن عتبة له عليه السلام
٤١	كلام عمار بن ياسر له عليه السلام
٤١	كلام قيس بن سعد له عليه السلام
٤٢	كلام سهل بن حنيف له عليه السلام
٤٢	كلام اربد الفزارى له عليه السلام و قتله

- ٤٣----- كلام ابن المعتم و حنظلة العبسى المعروف بحنظلة الكاتب له عليه السلام
- ٤٣----- كلام عدى بن حاتم الطائى له عليه السلام
- ٤٥----- كلام زيد بن حصين الطائى له عليه السلام
- ٤٦----- كلام أبي زبيب بن عوف له عليه السلام
- ٤٧----- كلام يزيد بن قيس الارحى
- ٤٧----- كلام زياد بن النضر له عليه السلام
- ٤٧----- كلام عبد الله بن بديل له عليه السلام
- ٤٨----- سب أصحاب علي عليه السلام معاوية وأتباعه وبراءتهم عنهم
- ٤٩----- كتابه عليه السلام الى مخنف بن سليم وقد كان عامله عليه السلام
- ٥٠----- كتابه عليه السلام الى عبد الله بن عباس وقد كان عامله على البصرة
- ٥٠----- كتابه عليه السلام الى الاسود بن قطينة
- ٥١----- كتابه عليه السلام الى عبد الله بن عامر
- ٥٩----- رؤية النبي صلى الله عليه و آله بنى امية في المنام على صور قرود
- ٦٢----- جميع ملك بنى امية كان ألف شهر كاملة
- ٦٩----- الترجمة
- ٦٩----- اشارة
- ٦٩----- نامة أمير عليه السلام در پاسخ معاویه
- ٧٢----- پاسخ معاویه بأمير عليه السلام
- ٧٢----- و من وصيّة له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو
- ٧٢----- اشارة
- ٧٣----- سندها و نقلها على صورتها الكاملة على رواية نصرفي صفين،
- ٧٣----- اشارة
- ٧٤----- كتاب زياد بن النضر الى أمير المؤمنين علي عليه السلام
- ٧٤----- كتاب شريح بن هانى اليه عليه السلام
- ٧٥----- كتابه عليه السلام الى زياد بن النضر و شريح بن هانى في جواب

٧٦	صورة الكتاب على روایة ابن شعبه
٧٧	اللغة
٨٤	الاعراب
٨٤	المعنى
٨٩	الترجمة
٩١	و من وصيّة له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه
٩١	اشاره
٩١	ذكر سندها و الكلام في تلقيتها
٩٣	اللغة
٩٥	الاعراب
٩٦	المعنى
٩٦	اشاره
١٠٦	الكلام في حدوث الفجر و تعاكس الصبح و الشفق و البحث
١٠٦	اشاره
١٢٠	تذيل
١٢٧	الترجمة
١٢٧	و من كتاب له عليه السلام الى أميرين من امراء جيشه
١٢٧	اشاره
١٢٨	مصدر الكتاب و سنته
١٢٩	اللغة
١٣١	الاعراب
١٣٢	المعنى
١٣٦	الترجمة
١٣٧	و من وصيّته عليه السلام لعسكره بصفين
١٣٧	اشاره
١٣٧	بيان مصادر الوصيّة و استنادها بطرق كثيرة من الفريقيين و نقل نسخها

١٤٠	اللغة
١٤٥	الاعراب
١٤٦	المعنى
١٨١	الترجمة
١٨٢	و كان يقول عليه السلام اذا لقى العدو محاربا
١٨٢	اشارة
١٨٣	مصادره و اسناده بطرق عديدة و مدارك
١٨٥	اللغة
١٨٧	الاعراب
١٨٨	المعنى
٢٠٢	الترجمة
٢٠٣	و كان يقول عليه الصلاة و السلام لاصحابه عند الحرب
٢٠٣	اشارة
٢٠٣	المصدر
٢١٦	اللغة
٢٢١	الاعراب
٢٢٢	المعنى
٢٤٠	الترجمة
٢٤٠	و من كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا عن كتاب منه اليه
٢٤٠	اشارة
٢٤١	المأخذ
٢٤٧	صورة كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام على
٢٤٩	نسخة الكتابين على ما في كتاب سليم بن قيس
٢٥٢	اللغة
٢٥٣	الاعراب
٢٥٤	المعنى

٢٥٦	اشاره
٢٩٥	حديث فتح مكة و أن أهل مكة الطلقاء
٣٠٢	طائفة من احتجاجات و محاضرات وقعت بين معاویة و غيره يناسب نقلها
٣١٨	الترجمه
٣٢٢	و من كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصرة
٣٢٢	اشارة
٣٢٢	المصدر
٣٢٤	اللغة
٣٢٧	الاعراب
٣٢٨	المعنى
٣٣٤	الترجمه
٣٣٦	و من كتاب له عليه السلام الى بعض عماله
٣٣٦	اشارة
٣٣٦	المصدر
٣٣٨	اللغة
٣٤١	الاعراب
٣٤٢	المعنى
٣٤٣	الترجمه
٣٤٤	و من كتاب (كلام - خ ل) له عليه السلام الى زياد بن ابيه
٣٤٤	اشارة
٣٤٤	المصدر
٣٤٥	اللغة
٣٤٦	الاعراب
٣٤٧	المعنى
٣٤٩	الترجمه
٣٥٠	و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا

٣٥٠	..... اشارة
٣٥٠	..... المصدر
٣٥٢	..... اللغة
٣٥٥	..... الاعراب
٣٥٥	..... المعنى
٣٥٧	..... الترجمة
٣٥٨	..... و من كتاب له عليه السلام الى ابن عباس
٣٥٨	..... اشارة
٣٥٨	..... المصدر
٣٦٢	..... اللغة
٣٦٣	..... الاعراب
٣٦٣	..... المعنى
٣٦٩	..... الترجمة
٣٧٠	..... و من كلام له عليه الصلاة و السلام قبيل موته لما ضربه
٣٧٠	..... اشارة
٣٧١	..... المصدر
٣٧٣	..... المعنى
٣٧٧	..... الترجمة
٣٧٨	..... و من وصية له عليه الصلاة و السلام بما يعمل في
٣٧٨	..... اشارة
٣٧٩	..... المصدر و نقل الوصية على صورتها الكاملة
٣٨٢	..... اللغة
٣٨٣	..... الاعراب
٣٨٤	..... المعنى
٣٩٢	..... الترجمة
٣٩٣	..... و من وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

٣٩٣	-----	اشاره
٣٩٥	-----	اللغة
٣٩٩	-----	الاعراب
٤٠١	-----	درباره مركز

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئي، حبيب الله بن محمد هاشم، 1268 - 1324ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه / المؤلفه حبيب الله الهاشمي الخوئي؛ بتصحیحه و تهدییه ابراهیم میانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دارالعلم، 13 -

مشخصات ظاهری: 20 ج.

شابک: 150 ریال (ج. 8)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرستنويسي براساس جلد هشتم، 1386 ق. = 1344 ق.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوذه: میانجی، ابراهیم، 1292 - 1370، مصحح

شناسه افزوذه: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP38/02/9 خ 1300/9

رده بندی دیوی: 297/9515

شماره کتابشناسی ملی: 199206

ص: 1

اشارة

حمد لك يا من ألهمنا حقائق الإيمان، وهديتنا إلى جنابك بنور العلم والعرفان، ودعوتنا إلى مأدبتك القرآن الفرقان، وجعلتنا أهلا للإطلاع على درر مكنونة عند خزنة علمك، وأذنت لنا في الفحص عن أسرار مستترة عند عيبة وحيك وغيبك.

اللهم صل على نبيك الخاتم، المنزل عليه كتاب يهدى للتي هي أقوم؛ وعلى آله الكرام البررة، وأصحاب العصمة والمعرفة. وعلى جميع من اجتبيت من رسليك وأرسلتهم إلى عبادك. وعلى الذين احتذوا حذوهم، واقتفوا آثارهم، واقتدوا بهديهم.

وبعد: فيقول العبد المحتاج إلى مولاه الغني نجم الدين الحسن بن عبد الله الطبرى الاملى رحمهما الله تعالى وعفى عنهما: إن ما لفظه لسان ميزان القسط وباب مدينة العلم بحر لا تنفد لالي معانيه الغالية، وما أودعه في لطائف الفاظه كنوز لا يزيدها الإنفاق إلا كثرة وسعة، فقد تيسّر لنا بالكلد والجهد التامين استخراج قبضة من تلك اللئالي والكنوز فهذه بضاعتنا المزجاة نهديها إلى بغاة علم الدين في شرح كلمات على أمير المؤمنين عليه السلام، ونطلب من الله التوفيق لاتمام الشرح على النهج السديد، ونرجوه لكل خير ونستزيد.

وهذا هو المجلد الرابع من تكملة منهاج البراعة في شرحنا على نهج البلاغة فينتهي المنهاج به إلى ثمان عشر، فنقول مستعيناً بواعب المعانى والصور:

## اشارة

قوله عليه السلام: «وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دُفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ - إِلَى قَوْلِهِ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ» هذا الفصل جواب عن قوله معاوية له عليه السلام:  
فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَمْكَنْتَنِي قَتْلَتَهُمْ بِهِ.

وقد دريت من مباحثنا السالفة أن معاوية لم يجد شيئاً يستغوي به الناس ويستميل به أهواهم إلا أن قال لهم: قتل إمامكم مظلوماً فهلموا  
نطلب بدمه فاستجاب له جفاة طعام، عبيد قزام، جمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب.

وأن عمّار بن ياسر قال في بعض أيام صفين - كما رواه أبو جعفر الطبرى في التاريخ ونقلناه في ص 286 ج 15 -: أيها الناس اقصدوا بنا  
نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفان، ويزعمون أنه قتل مظلوماً، والله ما طلبتم بدمه ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوا واستمروا بها، و  
علموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمزّعون فيه من دنياهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون.

طاعة الناس والولاية عليهم، فخذعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قتل مظلوماً، ليكونوا بذلك جبيرة ملوكاً، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، ولو  
لا هي ماتبعهم من الناس رجالان؛ إلخ.

وأن معاوية لم يكن ولئن دم عثمان حتى يطلبه، بل كان ولده أولياء دمه وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه تلويعاً: فلم أره يسعني دفعهم  
إليك ولا إلى غيرك.

وأن معاوية لم يكن له ولاية شرعية على المسلمين، ثم لم يرافع إليه أحد في دم ابن عفان شيئاً، وما ترافع إليه الخصم فيه فائز له أن  
يطلب قتلة عثمان؟ وأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن شريكاً في دمه، بل كان في عزلة عن قتله ولم يحضر قتل عثمان يوم قتل.

ونصّ أبو جعفر الطبرى في التاريخ أنه لما حصر عثمان كان علىّ عليه السلام بخير فلو رأى معاوية أنّه عليه السلام كان من قاتليه فهو خطأ، وعلمت أنّ إسناد قتله إليه احتلاق بل في مروج الذهب للمسعودي أنه لما بلغ علياً عليه السلام أنّهم يريدون قتله بعث ببنيه الحسن والحسين ومواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته حتى أنّ القوم لما اشتبكوا جرح الحسن وشجّ قنبر.

وكذا قال المسعودي: لما حصر الناس عثمان في داره منعوه الماء فأشرف على الناس وقال: لا أحد يسكننا؟ بلغ علياً عليه السلام طلبه للماء فبعث إليه بثلاث قرب ماء - إلخ، فراجع إلى (ص 330 ج 16).

ولورآه ولّي المسلمين، وحاكم الشرع المبين طلب عنده حقّاً من غيره فقد كان واجباً عليه أن يرفع الدّعوى إليه عليه السلام مع الشروط المعتبرة في الترافق وما فعل معاوية ذلك.

على آئمّما قتله خلق كثير حتّى شهد قتله ثمانمائة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يرون أنّ عثمان كان يستحقّ القتل بأحداته ففي كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ص 176 الطبع الناصري) مذكور آئمّما جرى بين عمّار بن ياسر رضوان الله عليه وعمرو بن العاصي كلام طويل في بعض أيام صفين - إلى أن قال عمرو لعمّار: فعلى م تقائلنا؟ أو لسنا نعبد إليها واحداً، ونصلى قبلتكم، وندعو دعوتكم، ونقرأ كتابكم، ونؤمن برسولكم؟ قال عمّار: الحمد لله الذي أخرجها من فيك إنّها لى وأصحابي القبلة والدين وعبادة الرحمن والنبي صلّى الله عليه وآله والكتاب من دونك ودون أصحابك؛ الحمد لله الذي قررّك لنا بذلك دونك ودون أصحابك، وجعلك ضاللاً مضلاً لا تعلم هاد أنت أم ضالٌّ، وجعلك أعمى وساء خبرك على ما قاتلتكم عليه أنت وأصحابك، أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأينم هم وأماماً المارقين فما أدرى ادركهم أم لا؟<sup>(1)</sup> أيّها الأبتّر ألم تعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله

ص: 4

---

(1) لم يدركهم لأنّه رضوان الله عليه قتل في صفين قتله الفئة الباغية معاوية وأتباعه وقدمنا ترجمة عمار فراجع إلى ج 16 من ص 273 إلى 299 منه

قال لعلى عليه السلام: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده وأنا مولى الله ورسوله وعلى بعده وليس لك مولي.

قال عمرو: لم تشنمني يا أبا اليقطان ولست أشتمنك؟ قال عمّار: وبم تشنمني أستطيع أن تقول إنّي عصيت الله ورسوله يوماً قطّ؟.

قال له عمرو: إنّ فيك لمسبات سوى ذلك.

فقال عمّار: إنّ الظاهر من أكرمه الله: كنت وضيعاً فرفعنى الله، ومملوكاً فأعتقنى الله، وضعيفاً فقوّاني الله، وفقيراً فأغناني الله.

وقال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء قال عمرو: فعلى قتله، قال عمّار: بل الله ربّ على قتله وعلى معه، قال عمرو:

كنت فيمن قتله من هنا عند ابن عقبة، قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معهم، قال عمرو: فلم قاتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه، فقال عمرو:

ألا تسمعون قد اعترف بقتل عثمان؟ قال عمّار: وقد قالها فرعون قبلك لقومه:

ألا تسمعون.

وبالجملة إذا كان قتلة عثمان هذا الجمع العظيم وكان فيهم كبار الصحابة من الأنصار والمهاجرين ومثل عمّار بن ياسر على جلاله شأنه وعلو مقامه وثباته في الدين اعترف بالمشاركة في قتله فكيف يسع أمير المؤمنين عليه السلام دفعهم إلى معاوية أو إلى غيره أولاً، ومع فرض تمكّنه من ذلك كيف يسوغه الشّرع قتل جمع عظيم من الأنصار والمهاجرين وكبار التابعين برجل أحدث أحداثاً نعمها الناس منه وطعنوا عليه وقتلوا بها ثانياً.

و لعلّ قوله عليه السلام: «وَمَا ذُكِرَتْ مِنْ أَمْرٍ عَثْمَانَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَضَرَبْتُ أَنفَهُ وَعَيْنَيْهِ فَلَمْ أَرْ دَفْعَهُمْ إِلَيْكُ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ» يشير إلى الوجه الأخير خاصة.

وروى أنّ أبا هريرة وأبا الدرداء أتيا معاوية فقا له: على م تقاتل علينا

وهو أحق بالامر منك لفضله وسابقته؟ فقال: لست اقاتله لأنّي أفضل منه ولكن ليدفع إلى قتلة عثمان، فخرج من عنده وأتيا عليه السلام فقال له: إنّ معاوية يزعم أنّ قتلة عثمان عندك وفي عسرك فادفعهم إليه فإن قاتلك بعدها علمنا أنه ظالم لك.

فقال على عليه السلام: إني لم أحضر قتل عثمان يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله؟.

فقالا: بلغنا أنّ محمد بن أبي بكر وعمّارا والأستر وعدى بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلانا ممّن دخل عليه.

فقال على عليه السلام: فامضيا إليهم فخذلوهم، فأقبلوا إلى هؤلاء النفر وقال لهم:

أنتم من قتل عثمان وقد أمر أمير المؤمنين بأخذكم قال: فوّقت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر على أكثر من عشرة آلاف رجل في أيديهم السيف وهم يقولون: كلنا قتله، فبعث أبو هريرة وأبو الدرداء ثم رجعوا إلى معاوية وهم يقولون: لا يتم هذا الأمر أبدا فأخبراه بالخبر.

وقد مرّ قريب من هذه الرواية عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم في صدر هذا الشرح قول على عليه السلام لأبي مسلم الخولاني: اغد على غدا فخذ جواب كتابك - إلى قول نصر: فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملأوا المسجد وأخذوا ينادون:

كلنا قتل ابن عفان.

وفي رواية أخرى: لما سئل على عليه السلام تسليمهم قال وهو على المنبر: ليقم قتلة عثمان، فقام أكثر من عشرة آلاف رجل من المهاجرين والأنصار وغيرهم.

فكيف يمكن تسليم أكثر من عشرة آلاف رجل جلّهم من حماة الدين وقوعده إلى من يطلب بدم رجل واحد قتلوه بأحداثه التي تقوموها منه؟.

قوله عليه السلام: «وَلَعْمَرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزَعْ عَنْ غَيْكَ - إِلَى قَوْلِهِ: وَزُورْ لَا يُسْرِكْ لَقِيَانَه» هذا الفصل جواب عن قول معاوية حيث قال في كتابه مخاطبا له عليه السلام:

«وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَنْطَلْبِنَ قَتْلَةَ عَثْمَانَ فِي الْجَبَلِ وَالرِّمَالِ وَالبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى

يقتلهم الله أو لتلحقن أرواحنا بالله».

ولمّا كان معاوية شمخ بأنفه وتجاوز عن حدّه وجعل الله تعالى عرضة في يمينه وهدد الأمير وشيعته بقوله الشنيع أجابة الأمير عليه السلام وأخبره عن عاقبته السؤى بقوله ذلك: أى لعمري قسمى لئن لم تنته ولم تكف عن ضلالك وخلافك لتعلمن أن هؤلاء المسلمين الذين يجاهدون في سبيل الله يطلبونك بعد زمان قليل، ولا يشقون عليك أن تطلبهم في البر والبحر والجبال والرمال، يعني لا حاجة إلى أن تتكلّف نفسك في طلبهم، بل أنّهم يطلبونك، فلا يخفى لطف كلامه وعذوبته في تهديده عليه السلام معاوية قبل كلامه في تهديده أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم هدّده بعاقبة هذا الطلب بقوله: أنّ هذا الطلب يسوءك وجданه، وزور لا يسرّك لقيانه، والظاهر أن قوله عليه السلام: عن قليل يطلبونك، إشارة إلى ما سيوقع في وقعة صفين، وسيأتي نحو قوله هذا كلامه عليه السلام في آخر الكتاب الثامن والعشرين الذي كتبه إلى معاوية أيضاً جواباً: فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد - إلخ.

قوله عليه السلام: «وقد كان أبوك أتاني حين ولّى الناس أبا بكر، إلخ» قال اليعقوبي في التاريخ (ص 105 ج 2 طبع النجف) وكان فيمن تخلّف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب وقال: أرضيتكم يا بنى عبد مناف أن يلى هذا الأمر عليكم غيركم وقال لعلى بن أبي طالب: امدد يدك اباعك وعلى معه قصى فقال:

بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيّما تيم بن مرّة أو عدى

فما الأمر إلاّ فيكم وإليكم وليس لها إلاّ أبو حسن على

ابا حسن فأشدد بها كف حازم فاتك بالأمر الذي يرجى ملي

وإنّ امرأ يرمي قصيّاً وراءه عزيزاً الحمي والنّاس من غالب قصي

وقال المفيد في الجمل (ص 42 طبع النجف): في الفصل المترجم بقوله:

انكار جماعة بيعة أبي بكر، بعد عدّ عدّة من المنكرين بيته: وقال أبو سفيان بن حرب بن صخر بأعلى صوته: يا بنى هاشم أرضيتكم أن يلى عليكم بنو تيم بن مرّة حاكما على العرب ومتى طمعت أن تقدّم بنى هاشم في الأمر، انهضوا لدفع هؤلاء

القوم عَمَّا تَمَالَوْا إِلَيْهِ ظُلْمًا لَكُمْ، أَمَا وَاللَّهُ لَأَنْ شَتَمْ لِأَمْلَأْنَاهَا عَلَيْكُمْ خِيَالًا وَرِجَالًا ثُمَّ قَالَ: بَنِي هَاشِمٍ، الْأَيَّاتِ.

وقال في الإرشاد (ص 90 طبع طهران 1377): وقد كان جاء أبو سفيان (يعني بعد ما بدر اللقاء بالعقد للرجل) إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلیه السلام متوفراً على النظر في أمره فنادى: بنى هاشم لا تطمعوا، الأيات؛ ثم نادى بأعلى صوته: يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف أرضيتكم أن يلى عليكم أبو فضيل الرذل ابن الرذل أما و آله لو شتم لأملائنها عليهم خيلا ورجالا.

فنداده أمير المؤمنين عليه السلام: ارجع يا أبو سفيان فوالله ما تريده بما تقول وما زلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وآله وعلیه السلام كلّ امرئ ما اكتسب وهو ولی ما احتسب. فانصرف أبو سفيان إلى المسجد فوجد بنى امية مجتمعين فحرّضهم على الأمر ولم ينهضوا له. وكانت فتنة عمّت، وبلية شملت، وأسباب سوء اتفقت، تمكّن بها الشيطان، وتعاون فيها أهل الإفك والعدوان، فتخاذل في انكارها أهل الإيمان وكان ذلك تأويل قول الله عز وجل: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً».

## خاتمة

يذكر فيها مسئلة فقهية

وهي أنه قد تقدّم في شرح هذا الكتاب (ص 383 ج 17) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم أحد كانوا يدفنون الاثنين والثلاثة من القتلى في قبر واحد. وكذلك قد تظفرت الآثار في أن ابن سعد لعنة الله عليه لما رحل من كربلاء خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين وأصحابه روحى لهم الفداء فصلوا عليهم ودفعوا الحسين عليه السلام حيث قبره الان ودفنا ابنه على بن الحسين عند رجله وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله مما يلى رجلى الحسين عليه السلام وجمعاً لهم دفنتهم جميعاً ودفنا العباس بن على عليهم السلام في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الان.

ففيهما دلالة على جواز دفن ميتين أو أكثر في قبر واحد، أمّا الأول فلانه

كان في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله بل كان باذنه حيث قال صلى الله عليه وآله: انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر. وقال في الخبر الآخر: المروي عنه صلى الله عليه وآله كما في مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام: انه قال للأنصار يوم أحد:

احفروا وأوسعوا وعمقوا واجعلوا الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

وأما الثاني فلأنّ بنى أسد كانوا مسلمين بل لعلّهم كانوا مؤمنين ولو لا علمهم بجواز ذلك من الشرع لما فعلوه في المقام، على أنه لم ينكر عليهم أحد.

والجواز لا خلاف فيه وإنما الكلام في أنّ جواز ذلك فيما يتضمنه الضرورة كما هي ظاهر المقامين سيمًا الثاني، أو أنّ العمل جائز مطلقاً ثمّ لولاـ الضرورة أكان مكروهاً أو محرّماً. وهل يفصل في المقام بين ما كان الميتان رجلين أو امرأتين وبين ما كانوا رجلاً وامرأة، وعلى الثاني بين ما كانوا أجنبين وغير أجنبين وعلى التقادير كلّها هل يجوز دفن أكثر من واحد في قبر ابتداءً أو مطلقاً.

فالمنقول عن الشيخ قدس سرّه في المبسوط: الأولى أن يفرد لكلّ واحد منهم قبر لاما روى عنهم عليهم السلام أنه لا يدفن في قبر واحد اثنان. وقال فيه: فإن دعت الضرورة إلى ذلك جاز أن يجمع اثنان وثلاثة في قبر واحد كما فعل النبي صلى الله عليه وآله يوم أحد. قال: فإذا اجتمع هؤلاء جعل الرجل مما يلى القبلة والصبيان بعدهم ثم الخناثي ثم النساء، انتهى.

وفي التهذيب: محمد بن الحسن الصفار قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أن يجعل (نجعل - معا) الميتين على جنازة واحدة ويصلّى عليهما؟ فوقع عليه السلام: لا يحمل الرجل مع المرأة على سرير واحد.

ورواه في الوسائل هكذا: قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أن يجعل الميتين على جنازة واحدة في موضع الحاجة وقلّة الناس وإن كان الميتان رجلاً وامرأة يحملان على سرير واحد ويصلّى عليهما؟ فوقع عليه السلام: لا يحمل الرجل مع المرأة على سرير واحد.

فيستفاد من الخبر أمران: أحدهما جواز حمل الميتين الرجلين على جنازة

و ثانٍهما عدم جوازه إذا كان أحدهما رجلاً والآخر امرأة حتى حال الضرورة.

فيحكم على ذلك في دفنهما أيضاً على طريق الأولوية أعني الجواز في الصورة الأولى وعدمه في الثانية.

وقد ذهب بعض العلماء إلى حرمة دفن رجل أجنبي وامرأة أجنبية في قبر واحد ولعله افتى به من ظاهر هذا الخبر وإن كان الخبر أعم شمولاً فاته نهى عن حمل الرجل والمرأة الميتين في سرير مطلقاً.

كما أنّ الشيخ قدس سره حكم بجعل الرجل مما يلي القبلة - إلخ في الدفن من الروايات الواردة في الصلاة على الجنائز المتعددة المختلفة الجنس.

والأصل يقتضي عدم جواز دفن الميتين في قبر حال الإختيار كما هو المنقول عن ابن سعيد في الجامع والمرسل المذكور في المبسوط ظاهر في عدم الجواز.

اللهُمَّ إِنْ يَقُولَ إِنَّ ادْعَاءَ الضرُورَةِ فِي وَاقْعَةِ احْدَادِ غَيْرِ ثَابِتٍ فَاذْنُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجَوَازِ مَطْلَقاً مِنْ غَيْرِ كُراَهَةٍ. لَكُنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى القِولِ بِالْكُراَهَةِ فِي حَالِ عَدَمِ الضرُورَةِ وَبِعَدِمِهَا فِي الضرُورَةِ فَمَعَ الضرُورَةِ تَرُولُ الْكُراَهَةُ قُطْعَاهُ.

هذا إذا دفنا ابتداءً وأمّا إذا استلزم دفن ميت في قبر ميت آخر بعد دفنه نشهه فحرام لحرام النبش أولاً، ولأنّ الأول قد ملكه بالحيازة لكن قد يناقش على الأول بأنّ الكلام في إباحة الدفن نفسه لا النبش وأحدهما غير الآخر، وعلى الثاني بعدم ثبوت حقّ الأول وفي المسألة كلام بعد يطلب في الكتب الفقهية والذى حرى أن يقال في المقام: إنّ دفن الميتين في قبر واحد ابتداء مكروه إذا لم يقتضي الضرورة ومعها تزول الكراهة. وأمّا دفن ميت في قبر آخر قبل أن يصير رميمًا فحرام. وإذا كان الميتان رجلاً وامرأة أجنبين فلا يترك الاحتياط في أن يفرد لكل واحد منهمما قبر.

این کتاب نهم از باب کتب و رسائل امیر علیه السلام است که بمعاویه نوشته.

روزی ابو مسلم خولانی با گروهی از قاریان شام که از پیروان معاویه بودند بدو گفتند: تو که چون علی صحبت و قرابت با پیغمبر و سابقت در اسلام و هجرت نداری، از چه روی با وی سر کارزار داری؟.

معاویه گفت: من ادعا نمیکنم که در این صفات از وی برتر یا با وی برابرم و لکن نه این است که عثمان بستم کشته شد؟ گفتند: آری چنین است، گفت:

علی کشندگان عثمان را تسليم ما کند تا کار به کار زار نکشد، گفتند: در این باره بدو نامه ای نویس، معاویه نامه ای بامیر علیه السلام نوشت و خولانی را برای رساندن نامه بسویش گسیل داشت.

خولانی نامه را بامیر علیه السلام رسانید و بدو گفت: اکنون زمام تولیت امور مسلمانان در دست تو است، و بخدا سوگند اگر از خود داد حق بدھی دوست ندارم که أمر خلافت به دست دیگری جز تو باشد؛ همانا که عثمان مسلمان بود و خونش بستم ریخته شد تو امیر مائی کشندگانش را بما ده، چه اگر کسی بمخالفت با تو برخیزد دستهای ما بیاریت آمده، وزبانهای ما در حقّت گواه، و مر تو را نیز در نزد خدا و مردم عذر و حجّت خواهد بود.

امام علی علیه السلام فرمود: فردا بیا و پاسخ نامه را بستان، چون فردا بیامد دید که مردم از نامه معاویه آگاه شده همگی با سلاح در مسجد گرد آمده ندا در می دهنند:

ما همه کشندگان عثمانیم.

خولانی بیند امیر علیه السلام آمد، امیر بدو گفت: سوگند بخدا من نخواستم که بیک چشم بهم زدنی آنانرا بدست تو دهم چه این امر را نیک نگریstem و آنرا زیر و رو کردم، سزاوار ندیدم که ایشان را بدست تو یا جز تو دهم.

پس خولانی نامه بستاند و بسوی معاویه بازگشت و داستان را بدو باز نمود.

## ترجمه نامه معاویه

بسم الله الرحمن الرحيم، از معاویه پور بو سفیان به علی بن أبي طالب: درود بر تو، با تو خدا را ستایش میکنم و نعمتهاي او را سپاس مى گذارم، آنكه جز او خدائی نیست؛ أمّا بعد همانا که خداوند بدانش خود محمّد صلی الله عليه و اله را برگزید، و او را أمین بروحیش و رسول به خلقش گردانید و از مسلمانان یارانی برایش برگزید که بدستیاری آنان نیرویش داد و تأییدش فرمود، ورتبه آنان در نزد خدا و رسول باندازه فضلاشان در اسماں بود، پس در میانشان بعد از پیغمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیغمبر و جانشین جانشین او است، سپس جانشین سوم عثمان که بستم کشته شد.

و توأی علی بر همه شان حسد بردن، وبهمه آنان ستم کردنی، ما این معنی را از چپ چپ نگریستن، و بخشم و تند و تیز نگاه کردن، و از گفتار زشت، و از آه کشیدن و دم بر آوردن دراز، و از درنگ و کندی نمودن در یاری جانشینان پیغمبر پی بردیم.

تو آنی که چون شتر نر مهار کرده (چوب در بینی کشیده) [\(1\)](#) بسوی

ص:12

- (1) عبارت معاویه این است: «تقاد الى كل منهم كما يقاد الفحل المخشوش حتى تباع» و مخشوش یعنی شتر سرکش که در بینی او خشاش کرده باشند و خشاش بالكسر چوبکی است که در بینی حیوان سرکش گذارند و زمامش را بدان بندند تا رام و منقاد شود و بهتر اطاعت کند. و این عمل را در ولایت ما با گاو کاری سرکش میکنند تا رام شود و در شخم کردن سرکشی نکند؛ و گاهی بجای چوب و ریسمان باریک در بینی آن در می کشند و از دو طرف بشاخش می بندند و گویند گاورا مهار کرده است. و ابن أثیر در نهاية گوید: و في حديث الحديبية أنه أهدى في عمرتها جملًا كان لابي جهل في أنفه خشاش من ذهب. الخشاش: عويد يجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده، ومنه حديث جابر فانقادت معه الشجرة كالبعير المخشوش هو الذي جعل في أنفه الخشاش والخشash مشتق من خش في الشيء اذا دخل فيه لانه يدخل في أنف البعير.

هر یک از خلفای رسول برای بیعت برده اند سرباز زدی و از آن کاره بودی و بویژه بعثمان بیشتر از دیگران حسد ورزیده ای با این که از جهت رحامت و خویشاوندی و دامادی او به پیمبر از همه سزاوارتر بود که با وی چنان کاری نکنی پس قطع رحم کردی، و خوبیهای او را زشت گردانیدی، و مردم را برو شورانیدی، وزیر و روکرده ای تا از هر سوی مردم بدورو آوردند، و بر علیه او در حرم رسول خدا حمل سلاح کردند، تا اورا کشتن، و تو حاضر بودی و ناله و فریاد اورا می شنیدی و حرفی نزدی و کاری نکردی تا گمان بد در باره تو نبردن و تهمت بتونزند و بدانند که به قتل او راضی نبودی.

براستی سوگند یاد میکنم که اگر به یک سو می شدی و مردم را از کشتن عثمان باز می داشتی یک تن ما از تو برمی گشت، علاوه این که این عمل تو آنچه را که در باره تو راجع به عثمان می پنداشتند جبران میکرد و گمان بدشان را در باره تو محو میکرد.

و دیگر این که در نظر انصار عثمان، متهمی که کشنیدگانش را جا و پناه دادی که اکنون تو را بازوan و یاراند و همدستان و دوستان خاص. و با این همه شنیدم که خویشتن را از خون عثمان تبرئه می نمائی، اگر راست میگوئی ما را بآن دست ده تا ایشان را بقصاص خون عثمان بکشیم، آن گاه بسویت شتابیم، و گرنه تو و یارانت را طعمه شمشیر گردانیم.

سوگند به آن که جز او خدای نیست اگر قاتلان عثمان در کوهها و ریگستانها و دشت و دریا پراکنده شوند، هر آینه بر آنان دست یابیم تا این که خدا آنرا بکشد؛ یا این که آنان جانهای ما را بخدا بپیوندند.

بسم الله الرحمن الرحيم، از بندۀ خدا علی أمير مؤمنان به معاویه پور بو سفیان:

آماّ بعد همانا که بو مسلم خولانی نامه ای از شما آورده که در او رسول خدا، و نعمت هدایت و وحی را که خدا باو انعام فرموده ذکر کرد ای، پس حمد خدائی را که به وعده اش در باره پیمبرش وفا کرد، و نصرتش را بر او تمام گردانید، و مر او را در شهرها تمیکن داد، و بر قوم او - که دشمنی و کینه توزی با او داشتند، و بر او حمله ها کردند، و بعض او را در دل انباشتند، و به دروغ نسبتش دادند، و به قتال با او قیام کردند، و بر اخراج او و أصحابش از مگه هم پشت شدند، و عرب را بر او تحریک کردند، و آنانرا بر جنگ او گرد آوردند، و تمام کوشش در کار او نمودند، و کارها را بر او دگرگون کردند - پیروز گردانید، تا دین خدا - با این که آنان از آن بیزاری داشتند - آشکار شد و غالب گردید، و شدیدترین مردم بر او قوم او بویژه خویشان نزدیک او بودند؛ مگر کسانی که خداوند آنانرا حفظ کرد.

ای فرزند هند! روزگار أمر شگفتی از شما بر ما پوشیده داشت؛ پیش آمدی و بد نمودی و ناروا کردی که ما را از آزمایش خدا به پیمبرش محمد صلی الله علیه و اله و به ما، خبر می دهی چه در این کار چون آن کسی که خرما به هجر برد، یا آنکه بگستاخی استادش را که از او تیراندازی بیاموخت به تیراندازی بخواند.

در آن کتاب گفتی: «خداوند از مسلمانان یارانی برای پیمبرش برگزید که بدستیاری آنان نیرویش داد و تأییدش فرمود و رتبه آنان در نزد خدا و رسول باندازه فضلاشان در اسلام بود پس در میانشان بعد از پیمبر کسی که در اسلام برتر و در راه خدا و رسول مخلص تر است جانشین پیمبر و جانشین جانشین او است» بجانم (یا به دینم) سوگند که آن دورا در اسلام پایه ای بزرگ است، و از تیر مرگی که بدانها رسیده زخمی سخت در پیکر اسلام پدید آمده؛ خداوند رحمتشان کناد و نیکوترين پاداش دهداد<sup>(1)</sup>.

ص:14

- 1- (1) ترجمه عبارت مطابق نسخه بحار چنین است: و در آن کتاب گفتی: خداوند از مسلمانان یارانی.... جانشین پیمبر صدیق، و جانشین جانشین او فاروق است. بجانم سوگند آنچه در نامه ات در باره بوبکر و عمر آوردي اگر تمام باشد آن همه صفات از تو دور است (یعنی به آنها متصف نیستی و لیاقت مقام خلافت و در دست گرفتن زمام امور ملت رانداری) و اگر ناتمام است بتولمه و رخنه ای رو نخواهد کرد. تو را به صدیق چه رسد؟ صدیق آن کس است که حق ما را تصدیق کند، و تو را چه رسد به فاروق؟ فاروق آن کسی است که میان ما و دشمنان ما فرق گذارد

و در آن نامه آورده ای که عثمان در فضل و رتبه سوّمین آنها بود؛ اگر عثمان نیکوکار بود خداوند او را به نیکوکاریش پاداش می دهد و اگر بدکار بود دیدار می کند پروردگار آمرزنه ای را که گران و بزرگ نیاید او را گناهی که بیامرزدش.

بخدای لا یزال قسم که همانا امیدوارم و آرزو دارم که چون خداوند مردم را به پایه فضائل آنان در اسلام، و نصیحتشان در راه خدا و رسول پاداش عطا کند بهره ما در آن از دیگران زیادتر باشد؛ چه مَحْمَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مبعوث برسالت شد و به ایمان بخدا و توحید دعوت کرد ما اهل بیت او نخستین کسی بودیم که به او ایمان آوردیم، و به آن چه آورده تصدیق کردیم.

و چند سال تمام بود که در سرزمین عرب هیچ خانواده ای جز ما خدا را پرسش نمی کردند. و قوم ما خواستند که پیغمبر ما را بکشند، و بیخ و بن ما را براندازند، در باره ما چیزها اندیشیدند، و کارهایی بما روا داشتند، و آب و نان را بروی ما بستند، و توشه را از ما بریدند، و زندگی خوش را از ما بازداشتند، و ما را همنشین و همدلم ترس و بیم نمودند، و جاسوسان و دیده بانها بر ما گماشتند، و بکوهی سخت (شعب أبو طالب) ما را مضطرب گردانیدند، و برای ما آتش جنگ برافروختند، و با هم پیمان بستند و همدست شدند و نوشته بمیان آوردنده که کار را چنان بر ما تنگ گیرند حتی با مانخورند و نتوشنند و ازدواج نکنند، و از ایشان در تمام مدت سال جز در موسم حجّ این نبودیم تا این که پیغمبر را بدست آنها دهیم که او را بکشند و مثله اش کنند.

پس خداوند متعال ما را عزیمت آن داد که دست ستم آنانرا از سر رسول

بریدیم، و شرّشان را از ناحیه حضرتش بازداشتیم، و آنان را از حریم حرمتش دور کردیم، و در ساعات خوف، شب و روز با شمشیرها در حضور او ایستادگی نمودیم.

مؤمن ما باین حفظ و حراست پیمبر طلب پاداش میکرد، و امیدوار ثواب بود؛ و کافر ما حمایت از اصل و نسب و دودمان خود میکرد.  
(مراد این است از بنی هاشم و بنی مطلب آنکه ایمان بررسول آورد مثل أبو طالب پدر أمير المؤمنین علیه السلام و حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليهما در حمایت پیغمبر امیدوار ثواب از خدا بودند و در راه خدا دین و پیغمبر را حفظ می کردند؛ بخصوص أبو طالب رضوان الله عليه که خدمت بسیار بزرگ به اسلام کرده و رنج و خدمت او از همه بیشتر بود و دین خود را از کفار نهان می داشت تا بهتر بتواند خدمت باسلام کند و پیغمبر او را کافل الیتیم خوانده که فرمود: أنا و كافل الیتیم كھاتین فی الجنة؛ و آنکه از بنی هاشم ایمان نیاورده و کافر بود چون عباس عمومی پیغمبر و عقیل و طالب فرزندان ابی طالب و حارث و پدرش نوفل و عمویش أبو سفیان فرزندان حارث بن عبد المطلب که در شعب أبو طالب با پیغمبر و مؤمنین محصور بودند و حمایت از رسول می کردند نه بحساب دین و رسالت بلکه برای حفظ دودمان و اصل نسب و پس از خلاصی از شعب یکی پس از دیگری اسلام آوردنده. و از بنی هاشم أبو لهب و پسرش همدست با کفار بودند و آنان را کمک می کردند).

واز قریش کسانی که اسلام آورده بودند از خوفی که ما داشتیم و رنجی که در آن بودیم اینم بودند، یا بسبب هم قسمی که با مشرکان داشتند که آنان را از شرّ مشرکان باز می داشت، یا بسبب عشیره ای که پیش رویشان از آنها دفاع می کردند تا کسی بر آنان دست نیابد که از قتل در آمان بودند، تا روزگاری بدین منوال بگذشت.

سپس خداوند پیغمبرش را أمر بهجرت فرمود، و بعد از آتش بقتال مشرکین اذن داد. و هنگامی که جنگ سخت می شد و مردم از ترس عنان باز پس می کشیدند و رو می گردانیدند و دو طرف کارزار آماده جنگ می شدند، رسول خدا اهل بیت

خود را بپا میکرد و آنان را پیش می داشت که بایشان اصحاب خود را از گرمی و سوزش نیزه ها و شمشیرها حفظ میکرد، که عبیده بن حارث پسر عمّ آن حضرت در جنگ بدر کشته شد، و حمزه در روز احد، و جعفر طیار وزید بن حارثه در جنگ موته.

و کسی که اگر بخواهم اسمش را ببرم (مراد از این کس خود امیر المؤمنین علیه السلام است و آن جناب خبر از خودش می دهد) چندین بار در جنگها با پیغمبر صلی اللہ علیه و الہ شهادتی را که آن شهداء خواستند نیز خواسته و آرزوی آن را داشته است جز این که روزگارشان بسر آمد که بدرجۀ رفیعه شهادت رسیدند ولی عمر وی بسر نیامده که مرگش بتأخیر افتاد. خداوند بایشان در ازای آن کارهای شایسته که پیش فرستاده اند نیکو احسان کننده و نعمت دهنده است.

و کسی از حامیان پیغمبر را مخلص تر بخدا در طاعت رسولش، و مطیع تر بررسول در طاعت پروردگارش، و شکیباتر در محنتها و سختیها و هنگام ترس و مواطن مکروه با پیغمبر، از این چند تن که نام برده ام ندیدم و در مهاجرین خیر بسیار می شناسیم خداوند ایشان را نیکوترین پاداش دهاد.

و در آن نامه گفتی که «من بر خلفا حسد برده ام، و از بیعت بانان کندي و خودداری نمودم، و بر ایشان ستم کردم» أما ستم معاذ اللہ که چنین باشد و من باحدی ستم کرده باشم.

و أما در خودداری از بیعت و طاعت و در کراحت با مرشان؛ هیچ عذری پیش کسی نیاورم و پوزش نطلبم، زیرا خداوند چون قبض روح پیغمبر کرد قریش گفتند امیر باید از ما باشد و انصار گفتند از ما؛ پس قریش گفتند: محمد رسول الله صلی اللہ علیه و الہ از ما بود در نتیجه ما سزاواریم بأمر خلافت و امارت، و انصار تسليم شدند و امارت را بقریش تقویض کردند. پس سبب بر کنار شدن انصار از امارت و استحقاق قریش آنرا این بود که محمد صلی اللہ علیه و الہ از قریش بود. و بهمین بیان آنکه در میان قریش به پیغمبر أولی و أقرب است بخلافت نیز باید أحق و أولی باشد (مرادش از این گفتار خود آن بزرگوار است). و گرنه انصار در میان عرب از آن بهره بزرگ داشتند.

نمی دانم أصحاب بگرفتن حق تن در دادند، یا انصار بمن ظلم کردند؟ همین قدر دانم که حق من گرفته شد؛ واگذاشتم آنرا بر ایشان خدا از ایشان در گذرد.

اما آنچه در باره عثمان گفتی که «قطع رحم کرم، و مردم را بر او شورانیدم» تو خود دیده ای که عثمان در دین چه ها نمود، و با مردم چه ها کرد که سرانجام کارهای او سبب قتلش شده، و تو خود دانی که من در قتل او شریک نبودم و از آن کناره گرفتم و عزلت اختیار کدم؛ مگر این که بخواهی افtra بمن زنی و بدروغ نسبت به جنایتم دهی پس هر چه خواهی بکن، و هر چه دلت خواست بگو.

ای عجب از روزگار که با من قرین شد کسی (یعنی معاویه و خلفای گذشته) که در راه دین بپایه من قدم برندشت و سابقه اش در اسلام چون سابقه من نبود؛ سابقه ای که کسی نتواند بمثل آن توسل جوید و دعوی چنان سابقت نماید مگر کسی ادعا کند آنچه را که من نشناسمش، و گمان نکنم که خدای آن را بشناسد (کنایه از این که جز آن چه گفته ام وجود ندارد و صرف ادعا است اگر کسی ادعا کند دروغ گفته است) و حمد خدای را بر هر حال.

و امّا آنچه در باره قاتلان عثمان گفتی و از من طلب کردی که ایشان را تسلیم تو کنم؛ من در این امر نظر نمودم و نیک آن را زیر و رو کردم ندیدم که تسلیم‌شان بتتو و بغیر تو برایم گنجایش داشته و مقدور باشد.

بجانم - یا بدینم - سوگند اگر از گمرهیت باز نایستی و از دعوی خلافت دست بر نداری خواهی دید که کشندگان عثمان خودشان بطلب تو آیند و زحمت نمی دهند که در صحرا و دریا و کوه و دشت ایشان را طلب کنی؛ جز این که طلب کردنشان تورا طلبی است که از آن خوشت نیاید و دیدارشان دیداری است که خوشنویت ننماید (کنایه از این که چنان کار را بر تو سخت کنند که دمار از روزگارت در آورند و زندگی در کام تو تلخ گردد).

ای معاویه هنگامی که مردم ابو بکر را والی قرار دادند پدرت بو سفیان نزد

من آمد و بمن گفت: «تو بعد از محمد بخلافت و امارت سزاواری؛ برخیز و حق خود بستان و اگر کسی با تو مخالفت کند من کفالت و حمایت نمایم، اکنون دست دراز کن تا با تو بیعت کنم» ولی من نپذیرفتم.

و تو دانی که این سخن را پدرت بمن گفت و از من خواست؛ ولی من بودم که قبول نکردم از بیم این که مبادا تفرقه میان مسلمانان چون قریب العهد بکفر بودند رخ دهد. پس پدرت بحق من از تو آشناتر بود و تو اگر چون پدرت حق مرا شناسی راه راست را یافته ای و گرنه خداوند ما را کفایت کند و از تو بی نیاز گرداند. درود بر آنکه سزاوار آنست.

### و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا

#### اشارة

و هو الكتاب العاشر من باب المختار من كتبه و رسائله و كيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهّجت بزینتها، و خدعت بلدّتها، دعنك فأجبتها، وقادتك فاتّبعتها، وأمرتك فأطعتها. وإنّه يوشك أن يفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، وشمّر لما قد نزل بك، ولا تمكّن الغواة من سمعك؛ وإلاّ تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك، فإنك متوف قد أخذ الشّيطان منك مأخذـه، وبلغ فيك أملـه، وجرى منك مجرـى الرّوح والدّم.

ومتى كنت يا معاوية ساسة الرّعية وولاة أمر الّامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق. ونعود بالله من لزوم سوابق الشّقاء، وأحدرك أن تكون متمناديًا في غرّة الامنيّة مختلف العلانيّة والسريرية. وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً وأخرج إلىٰ وأعف الفريقين من القتال ليعلم أئمّنا المررين على قلبه، والمغطى على بصره فأنا أبو حسن قاتل جدّك وحالك وأخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوّي. ما استبدللت دينا، ولا استحدثت نبيّاً وإنّى لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين. وزعمت أنك جئت ثائراً بعثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً فكأني قد رأيتكم تضيّق من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال وكأني بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع إلى كتاب الله وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة.

ص: 20

هذا الكتاب نقله نصر بن مزاحم المتنقري في كتاب صفرين مسندا (ص 59، الطبع الناصري 1301هـ) والرجل توفي قبل الرضي بمائتي سنة تقريبا. وما في النهج بعض ما في كتاب نصر على ما هو عادة الرضي كما أشرنا غير مرّة إلى أنّ غرضه الأهم انتخاب كلامه الذي له براءة في الصدقة والبلاغة، دونك الكتاب على صورته الكاملة التي نقلها نصر:

كتب عليه السلام إلى معاوية: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على من اتبع الهدى فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإنك قد رأيت من الدنيا وتصريفها بأهلها وإلى ما مضى منها وخير ما بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى ومن نسى الدنيا نسيان الآخرة يجد بينهما بونا بعيدا.

واعلم يا معاوية أنك قد ادعيت أمرا لست من أهله لا في القدم ولا في الولاية ولست تقول فيه بأمر يَعْلَمُ تعرف لك به أثرة، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكيف أنت صانع إذا انقضت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد انتهت بزيتها، وركنت إلى لذتها، وخلّ فيها بينك وبين عدو جاهد ملتح مع ما عرض في نفسك من دنيا قد دعتك فأججتها، وقادتك فاتّعها، وأمرتك فأطعها، فليس من هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، فإنه يوشك أن يفك واقف على ما لا يحبنك منه مجن.

ومتي كنت يا معاوية ساسة للرّعية، أو ولاة لأمر هذه الامة بغير قدم حسن ولا شرف سابق على قومكم؛ فشمر لما قد نزل بك، ولا تمكّن الشيطان من بغيه فيك مع أنّي أعرف أنّ الله ورسوله صادقان فنعود بالله من لزوم سابق الشقا وإلا تفعل اعلمك ما أغفلك من نفسك فانك متوف قد أخذ منك الشيطان مأخذة فجري منك مجرى الدم في العروق.

واعلم أنّ هذا الأوّل لو كان إلى الناس أو بآيديهم لحسدونا، ولا-متّوا به علينا، ولكنّه قضاء ممّن امتنّ به علينا على لسان نبيّ الصادق المصدق. لا أفلح من شكّ بعد العرفان والبيّنة. اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوْنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

فكتب إليه عليه السلام معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن أبي سفيان إلى على بن أبي طالب أمّا بعد فدع الحسد فأنك طالما لم تنتفع به ولا تفسد سابقة قدّمك بشره نحوتك، فإنّ الأعمال بخواتيمها، ولا تتحقق سابقتك في حقّ من لا حقّ له في حقّه فأنك إن تفعل لا تضرّ بذلك إلا نفسك، ولا- تتحقّق إلا- عملك، ولا- تبطل إلا- حجّتك ولعمري ما مضى لك من السابقات لشيء أن يكون ممحوقاً لما اجترأت عليه من سفك الدّماء، وخلاف أهل الحقّ، فاقرأ سورة الفلق وتعوذ بالله من شرّ نفسك فأنك الحاسد إذا حسد.

واعلم أنّ بين صورة كتاب الأمير عليه السلام على نسخة كتاب صفين التي نقلناه عنها وبين صورته على نسخته التي نقله عنها الفاضل الشارح المعترلى في شرحه على النهج بونا بعيداً وتفاوتاً كثيراً ولستنا نعلم أنّ هذا الإختلاف الفاحش من أين تطرق إلى كتاب واحد ولم يحضرني نسخة مصححة من كتاب صفين ولا نسخ متعددة منه لتحكم بتأليه صحة نسخة ولا يبعد أن يقال أنه إذا دار الأمر إلى اختيار نسخة من بين النسخ وترجيحها على غيرها فالمحختار هو ما في النهج لمكانة الرضى في معرفة فنون الكلام وأساليبه كيف لا وقد كان عالماً بيلاً وشاعراً مفلقاً، وأديباً بارعاً، ومتسللاً قوياً ماهراً، وفي تميز فصيح الكلام من غيره إماماً خرىٰ يشهد على ذلك ديوان أشعاره وخطبته على النهج وسائر آثاره.

وأمّا الكتاب على نسخة الشارح المعترلى بهذه صورته: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام على من اتبّع الهدى فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد فأنك قد رأيت مرور الدنيا وانقضاءها ونصرّتها بأهلها

و خير ما اكتسب من الدّنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى و من يقس الدّنيا بالآخرة يجد بينهما بعيدا (بونا بعيدا - ظ).

و اعلم يا معاوية انك قد ادّعيت أمرا لست من أهله لا في القديم ولا في الحديث ولست تقول فيه بأمر يَنْ يُعرف له أثر و لا عليك منه شاهد و لست متعلّقا بآية من كتاب الله و لا عهد من رسول الله صلّى الله عليه و اله فكيف أنت صانع إذا تقشّعت عنك غيابة ما أنت فيه من دنيا قد فتنت بزینتها، و ركنت إلى لذاتها، و خلّي بينك وبين عدوّك فيها، و هو عدوّ كلب مضلّ جاهد مليح ملح مع ما قد ثبت في نفسك من حبّها دعتك فأجبتها، و قادتك فأطعتها، و أمرتك فأطعتها؛ فاقعس عن هذا الأمر، و خذ أهبة الحساب فإنه يوشك أن يفك واقف على ما يخبيك مجن.

ومتى كنت يا معاوية ساسة الرعية، أو ولاة لأمر هذه الامة بلا قدم حسن، و لا شرف تليد على قومكم؛ فاستيقظ من سنتك و ارجع إلى خالقك، و شمر لما سينزل بك؛ و لا تمكّن عدوّك الشيطان من بغية (بغيته - خ ل) فيك مع أنّي أعرف أنّ الله و رسوله صادقان نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء و إلاّ تفعل فانّي اعلمك ما أغفلت من نفسك أنك متوف قد أخذ منك الشيطان مأخذة فجري منك مجرى الدم في العروق، و لست من أئمة هذه الامة و لا من رعاتها.

و اعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدوناه، و لا - متّوا علينا به، و لكنّه قضاء ممّن منحناه و اختصّنا به على لسان نبيه الصادق المصدّق لا أفالح من شكّ بعد العرفان و البينة ربّ احکم بيننا و بين عدوّنا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

فكتب معاوية إليه الجواب من معاوية بن أبي سفيان.... و لا تفسد سابقة جهادك بشره.... و لا تمھض سابقتك بقتل من لا حقّ لك.... فاقرأ السورة التي يذكر فيها الفلق و تعوذ من نفسك فإنّك الحاسد إذا حسد.

## اللغة

«تكشّفت عنك» أي ارتفعت و زالت عنك و «انقشّعت» و «تقشّعت» بمعنى انكشفت و تكشفت يقال: انقشع السحاب و تقشّع أى زال و انكشف.

«جلاليب» جمع الجلباب بكسر الجيم وسكون اللام وتحقيق الباء وبكسر اللام وتشديد الباء أيضاً: الملحفة وهي الثوب الواسع فوق جميع الثياب. وتجلب الرجل جلبيه أى لبس الجلباب ولم تدغم لأنها ملحة بدحراً.

«تبهّجت» أى تحسنت. «يوشك» بالكسر أى يقرب ويدنو ويسرع، يقال:

أوشك يوشك إيشاكا فهو موشك، والوشيك السريع.

قال الجوهرى في الصحاح: وقد أوشك فلان إيشاكا أى أسرع السير؛ ومنه قولهم يوشك أن يكون كذا. قال جرير يهجو العباس بن يزيد الكندي:

إذا جهل الشقى فلم يقدر ببعض الأمر أوشك أن يصابا

والعلامة تقول: يوشك بفتح الشين وهي لغة رديئة، انتهى كلامه.

«يقفك واقف على ما لا ينجيك منه» أى يطلعك عليه. قال الجوهرى في الصحاح:

وقفته على ذنبه أى اطلعته عليه.

«مجن» الترس: وبعض النسخ «منج» اسم الفاعل من قوله عليه السلام ينجيك.

«اقعن عن هذا الأمر» أمر من قعس عنه قعوا من باب علم أى تأخر عنه كتقاعس واقعنسيس كما في صحاح الجوهرى؛ وعلى نسخة نصر أمر من أيس منه إياسا من باب علم أى قنط وقطع الرجاء منه. «الأهبة» في الصحاح: تأهب: استعد، وأهبة الحرب عدتها؛ والجمع اهبه، «شمّر» فقد مضى تفسيره وتحقيقه في شرح المختار 237 من باب الخطب (ص 190 ج 16) فراجع.

«الغواة» كالقضاء جمع غاوأى الضال. الإغفال: الإهمال والترك. «المترف» مفعول، وفي الصحاح: أترفته النعمة أى أطغته. وفي بعض النسخ مشكول على هيئة الفاعل والصواب ما قدمناه؛ قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أَرْسَلْنَاكُمْ بِهِ كَافِرُونَ» (سبا - 34). وقال تعالى: «وَأَرْجِعُوا إِلَيْهِ مَا أَرْتُقْتُمْ فِيهِ» (أنبياء - 14).

المأخذ: المنهج والمسلك، ويروى على هيئة الجمع أعني المأخذ أيضاً، وجاءت المأخذ بمعنى المصائد أيضاً.

«ساسة» جمع سائس كبطلة جمع باطل إلا أن حرف العدّة فيها أبدلت ألفاً وأصلها سيسة. «باسق» أى عالٌ رفيع، يقال: بستق فلان على أصحابه أى علاهم وبستق التخل بسوقاً أى طال وارتقت أغصانه ومنه قوله تعالى: «وَالتَّخلُّ بِاسْقَاتٍ» (ق - 12) قال هشام أخوه ذي الرّمة في أبيات يرثى بها أخيه ذي الرّمة وابن عمّه أوفى بن دلهم (الحمسة 264).

نعوا بasc الأفعال لا يخلفونه تقاد الجبال الصمّ منه تصدىع

«تممادياً» فاعل من التمادي وأصله المدى أى الغاية، يقال: تمادي فلان في غيه أى دام على فعله ولجّ وبلغ فيه المدى. «الغرّة»: الغفلة. «الامنية» بضم الهمزة ووحدة الأمانى: ما يتمناه الإنسان ويؤمل إدراكه وطمع الناس.

«أعف» أمر من الإعفاء، وفي بعض النسخ مشكول بضم الفاء وهمزة الوصل ولكنه وهم الصواب الأول يقال: أعفاه من الأمر أى برأه منه. وفي الصحاح:

يقال: أعنني من الخروج معك أى دعني منه؛ واستعفاه من الخروج معه أى سأله الإعفاء.

«المرین» اسم مفعول من ران كالمدین من دان، وفي النهاية الأثيرية: يقال:

رين بالرجل رينا إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، وأصل الرين: الطبع والتقطية ومنه قوله تعالى: «كَلَّا—بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» (المطففين - 15) أى طبع وختم، ومنه حديث على عليه السلام: لتعلم أيّا المرین على قلبه والمغطى على بصره؛ والمرین المفعول به الرين؛ ومنه حديث مجاهد في قوله تعالى: «وَاحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» (البقرة - 77) قال: هو الرّان، والرّان والرين سواء كالذام والذيم، والعاب والعيب. انتهى كلامه.

ولا يخفى عليك أنّ ابن الأثير أشار بقوله: «وَمِنْهُ حَدِيثٌ عَلَى عَلِيِّ السَّلَامِ لَتَعْلَمَ أَيْنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمَغْطَى عَلَى بَصَرِهِ» إلى هذه الفقرة من ذلك الكتاب الذي نحن بصدده شرحه وابن الأثير هذا هو مبارك بن أبي الكرام أثير الدين محمد الجزرى توفي بموصل سنة 606 من الهجرة.

وفي الصحاح للجوهري: الرّين الطبع والدنس، يقال: ران على قلبه ذنبه يرین رينا وريونا أى غالب. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى غالب. وقال الحسن، هو الذّنب على الذّنب حتى يسواه القلب. وقال أبو عبيدة: كلّ ما غالب فقد ران ورانك وران عليك. وقال أبو زيد:

يقال: رين بالرّجل إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا - قبل له به، وران النعاس في العين ورانت الخمر عليه غالبته. وقال الفقاني الأعرابي: رين به أى انقطع به ورانت نفسه ترين رينا أى خبث وغثّت. انتهى قول الجوهرى.

«شدخا» قال الجوهرى في الصحاح: الشدخ كسر الشيء الأجوف، تقول:

شدخت رأسه - من باب منع - فانشدخ، وشدخت الرّؤوس شدّد للكثرة. انتهى.

«المنهاج» كالمعراج: الطريق الواضح «ثائرا بعثمان» ثأر القتيل وبالقتيل ثأرا أو ثورة من باب منع: طلب دمه وقتل قاتله فهو ثائر، وقال الشاعر كما في الصحاح:

شفيت به نفسي وأدركت ثورتى بنى مالك هل كنت فى ثورتى نكسا

وقال الجوهرى: الثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره.

وقال المرزوقي في شرح الحماسة (607) عند قول منصور بن مسجاج:

ثارت ركاب العير منهم بهجمة صفايا ولا بقيا لمن هو ثائر

والثائر ليس من حقه أن يبقى، والأصل في الثائر القاتل، فوضعه موضع الواتر المنتقم، يقال: ثارت فلانا وثارت بفلان إذا قتلت قاتله.

«عضتك» عضه عضًا وغضيضا من باب منع أى أمسكه بأسنانه ويقال بالفارسية: كاز گرفت او را، يقال: عضه، وغض به وغض عليه وهم يتغضبان إذا غض كل واحد منهما صاحبه وكذلك المعاضة والعاضض. وأغضضته الشيء فغضه وفي الحديث فأغضضوه بهن أبيه ولا تكونوا، ويقال: أغغضضته سيفي أى ضربته به.

وعضه الزمان أى اشتد عليه. وغض الشيء أى لزمه واستمسك به.

«ضجيج» مصدر من قولك ضجيج يضج من باب ضرب أى جلب وصاحب وجزع

من شيء فالضجيج: الصياح.

«حائدة» أجوف يائى من حاد يحيد حيدا من باب باع يقال: حاد عن الطريق إذا مال عنه وعدل.

الاعراب

«من دنيا» كلمة من بيانية لكلمة ما، وضمير تبهّجت وأخواتها يرجع إلى الدنيا وضمائر الخطاب إلى من أجاب دعوتها.

«ليوشك» من أفعال المقاربة، هو وأخواه كاد وكرب من النوع الأول منها الذي وضع للدلالة على قرب الخبر للمسمي باسمها. وهي تعمل عمل كان إلا أن خبرها يجب كونه جملة ليتوجه الحكم إلى مضمونها وشدّ مجدها مفرداً فواقف اسم ليوشك. وأن يقف في موضع نصب خبر له قدّم على الاسم، وعلى صلة يقف.

«مأخذ» مفعول لقوله أخذ، وروي الماخذ بالجمع أيضاً. وكذا مجرى الروح والدم لقوله حري.

قوله: متى كتم - إلخ - استفهام على سبيل الانكار، قوله: بغير قدم سابق استفهام آخر أيضا على سبيل التعنيف والعتاب والانكار أي: أبغير قدم سابق وشرف باسق.

«مختلف العلانة» خير بعد خير لقوله أن تكون؛ والخير الأول متمادي.

وقد دعوت؛ المفعول محذوف أي وقد دعوته، أو دعوتنا.

«جانب» منصوب على الظرفية لقوله دع، و اللام في «ليعلم» جارة للتعليق و الفعل المدخل بها مأول بأن المصدرية مضمرة إلى المصدر المجرور باللام، و المعدل الأفعال الثلاثة أعني دع و أخويه التاليين له.

«قاتل جدّك» إما خبر بعد خبر للضمير أنا، أو صفة لأبي حسن نحو قوله تعالى: «مَالِكٌ يَوْمَ الدِّينِ» في كونه صفة لـ«لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«شدّخاً» تميّز ببيان النسبة في قوله عليه السلام أنا قاتل جدّك. «ما استبدل دينا» المبدل منه ممحض أي ما استبدل ديني بديني.

«ثائراً» حال لضمير جئت. و «جزعاً» تميّز للنسبة في تدعوه من الضرب متعلّق بقوله جزعنا، والقضاء عطف على الضرب وكذا المصادر الأولى معطوفة على الضرب مجرورة بالفتح لأنّها غير منصرفه والثانية مجرورة بالإضافة. و جملة «و هي كافرة» حالية والعامل في الحال تدعوه وضمير التأنيث يرجع إلى جماعة معاوية. وإلى كتاب الله متعلّق بتدعوه. وجاءة صفة للكافرة، و مبادعة معطوفة على الكافرة، و حائدة صفة للمبادعة.

## المعنى

### اشارة

كتب عليه السلام هذا الكتاب إلى معاوية لما أراد المسير إلى أهل الشام بعد ما شاور من كان معه في ذلك وأورد كلامه عليه السلام في المشاوره مع قومه و كلام عدّة من أنصاره وأعوانه في جوابه عليه السلام و كذا كلام بعض من المنافقين له عليه السلام و ما دار بينهم وبين أصحابه عليه السلام نصر في كتاب صفين ولا بأس بنقلهما لأنّ كلمات أنصاره في المقام تزيد القاري إيماناً.

نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن إسماعيل بن يزيد و الحارث بن حصيرة عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود قال: لما أراد على عليه السلام المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين و الانصار فحمد الله و أثنى عليه وقال: أما بعد فانكم ميامين الرأى مراجيح الحلم مقاوبل بالحق مباركو الفعل والأمر وقد أردنا المسير إلى عدونا وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم.

أقول: كلامه عليه السلام هذا مع وجازته وجودته و فصاحته و بلاغته ليس بمذكور في النهج.

## كلام هاشم بن عتبة له عليه السلام

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جدّ خبيرهم لك ولا شيء ينفعك أعداء وهم لمن يطلب حرث الدّنيا أولياء، وهم مقاتلك ومجاهدوك لا يبقون جهداً مشاجحة على الدّنيا وضناً بما في أيديهم منها وليس لهم إربة غيرها إلا ما يخدعون به الجّهال من الطلب بدم عثمان بن عفان، كذبوا ليسوا بدمه يثارون ولكن الدّنيا يطلبون فسر بنا إليهم فان أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال، وإن أبوا إلا الشقاق فذلك الطنّ بهم والله ما أرّاهم يباعون وفيهم أحد ممّن يطاع إذا نهى ويسمّع إذا أمر.

## كلام عمار بن ياسر له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكندوأنّ عمار بن ياسر قام فذكر الله بما هو أهله وحمده وقال: يا أمير المؤمنين إن استطعت أن لا تقيل يوماً واحداً فاشخص بنا قبل استعرار نار الفجارة واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادعهم إلى رشدتهم وحظّهم فان قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلا حربنا، فوالله إنّ سفك دمائهم والجدّ في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامته منه.

## كلام قيس بن سعد له عليه السلام

وفي هذا الحديث: ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلى عدوّنا ولا تعرّج فوالله لجهادهم أحب إلى من جهاد الترك والروم لادهانهم في دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار والتابعين بحسان إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه وفيتنا لهم في أنفسهم حلال ونحن لهم فيما يزعمون قطين، قال:

يعنى رقيق.

ص: 29

قال أشياخ الأنصار منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما: لم تقدّمت أشياخ قومك، وبدأتهم يا قيس بالكلام؟ فقال: أما إنى عارف بفضلكم، معظم لشأنكم ولكتنى وجدت فى نفسى الضغن الذى جاش فى صدوركم حين ذكرت الأحزاب.

قال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم فقالوا: قم يا سهل بن حنيف فقام سهل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك، ونحن كفّ يمينك. وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفة فتأمرهم بالشخصوص وتخبرهم بما صنع الله لهم فى ذلك من الفضل فانهم هم أهل البلد وهم الناس؛ فان استقاموا لك استقام لك الذى تريد و تطلب و أمّا نحن فليس عليك مثلاً خلاف؛ متى دعوتنا أجبناك، و متى أمرتنا أطعناك.

### **كلام اربد الفزارى له عليه السلام و قتله**

نصر عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن زكريا بن الحارث، عن أبي جيش عن معبد قال: قام على عليه السلام خطيباً على منبره فكانت تحت المنبر حين حرض الناس وأمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام فبدأ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سيروا إلى أعداء السنن والقرآن سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار فقام رجل من بنى فزاره يقال له أربد فقال: أتريد أن تسيرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلام الله (1) إذا لا نفعل ذلك.

قام الأشتر فقال: من لهذا أيها الناس؟ و هرب الفزارى و اشتدى الناس على أثره فلحق في مكان من السوق تباع فيه البرازين فوطئه بأرجلهم و ضربوه بأيديهم و نعال سيفهم حتى قتل، فأتى على عليه السلام فقيل: يا أمير المؤمنين قتل الرجل قال: و من قتله؟ قالوا: قتله همدان و فيهم شوبة من الناس، فقال: قتيل عميم.

ص: 30

---

1- (1) كلام الله مخفف كلام الله و معناها بالفارسية، نه چنین است سوگند بخدا. منه.

لا يدرى من قتله، ديته من بيت مال المسلمين. قال علاقة التميمى:

أعوذ بربي أن تكون مني كما مات فى سوق البرازين أربد

تعاونده همدان خفق نعالهم إذا رفعت عنه يد وضعتم يد

### كلام الأشتر له عليه السلام

قال: وقام الأشتر فحمد الله وأثنى عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يهدنك ما رأيت ولا يؤييستك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقى الخائن إنّ جميع من ترى من الناس شيعتك وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبونبقاء بعده فإن شئت فسر بنا إلى عدوكم والله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطي البقاء من أحبه وما يعيش بمال إلا شقى، وإنّ لعلى بيته من ربنا، إنّ نفساً لن تموت حتى يأتي أجلها؛ فكيف لا- تقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين وقد ثبت عصابة منهم على طائفه من المسلمين فأسخطوا الله وأظلمت بأعمالهم الأرض وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير.

فقال على عليه السلام: الطريق مشترك والناس في الحق سواء ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فله ما نوى وقد قضى ما عليه ثم نزل فدخل منزله.

### كلام ابن المعتم و حنظلة العبسى المعروف بحنظلة الكاتب له عليه السلام

وكانا كاتبين لمعاوية ومخالفين لأمير المؤمنين على عليه السلام، وما قال لهما قوم على عليه السلام وأمره بهدم دار حنظلة وما جرى في ذلك.

نصر عمر بن سعد قال: حدثني أبو زهير العبسي، عن النضر بن صالح: إن عبد الله بن المعتم العبسى، وحنظلة بن الريبع التميمى لما أمر على عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخلا في رجال كثير من غطفان وبني تميم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له التميمى: يا أمير المؤمنين إنا قدمشينا إليك بنصيحة فاقبلها منا ورأينا لك رأيا فلا تردد علينا: فإنّا نظرنا لك ولمن معك أقم وكاتب هذا الرجل ولا تعجل إلى قتال أهل الشام فإنّي والله ما أدرى ولا تدرى لمن تكون إذا لقيتم الغلبة وعلى

من تكون البدة؟ وقام ابن المعتم فتكلّم وتكلّم القوم الذين دخلوا معهمما بمثل ما تكلّم به.

فَهُوَ الْمَلِكُ مَن يشأ وينزعه ممّن يشاء ويُعِزُّ مَن يشاء ويذلّ مَن يشاء. أَمَّا الْبَرْةُ فَانهَا عَلَى الصَّالِحِينَ ظَفَرُوا أَوْ ظَفَرُوا بِهِمْ. وَأَيْمَ اللَّهُ إِنَّ  
لَا سَمْعَ كَلَامَ قَوْمٍ مَا أَرَاهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَعْرِفُوا مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكِرُوا مَنْكَرًا.

فقام إليه معقل بن قيس اليربوعي ثم الرياحى فقال: يا أمير المؤمنين إن هؤلاء والله ما أتوك بنصح ولا دخلوا عليك إلا بغضّ فاحذرهم فإنّهم أدنى العدو.

فقال له مالك بن حبيب: يا أمير المؤمنين ألم يبلغني أن حنظلة هذا يكاتب معاوية فادفعه إلينا نحبسه حتى تقضى غزاتك ثم تتصرف.

وَقَامَ إِلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِيَاشُ بْنُ رَبِيعَةَ وَقَاتِدُ بْنُ بَكِيرٍ الْعَبْسِيَّانُ فَقَالَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ صَاحِبَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُعْتَمِدَ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّهُ يَكَاتِبُ مَعَاوِيَةَ فَاحْسِبْهُ أَوْ أَمْكَنْنَا مِنْهُ نَجْسَهُ حَتَّى تَقْضِيَ غَرَاثَكَ وَتَنْصَرِفَ.

فأخذنا (يعني ابن المعتم و حنظلة الكاتب) يقولان: هذا جزء من نصركم وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوكم.

فقال لهما علىٰ عليه السلام: الله يبني وبينكم وإليه أكلكم وبه أستظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم.

ثم بعث علىٰ عليه السّلام إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب وهو من الصحابة فقال: يا حنظلة أعلیٰ أم لى؟ قال: لا عليك ولا لك. قال: فما تريد؟ قال: اشخص إلى الراها فإنه فرج من الفروج أصمده له حتى ينقضى هذا الأمر؛ فغضب من ذلك خيار بنى عمرو بن تميم وهم رهطه. فقال: إنكم و الله لا تغرونني من ديني دعوني فأنا أعلم منكم. فقالوا: والله لئن لم تخرج مع هذا الرجل لا ندع

فلانه يخرج معك لام ولده ولا ولدتها ولئن أردت ذلك لنقتلنك فأعانه ناس من قومه فانتزلوا سيفهم، فقال: أَجْلُونِي حَتَّى أَنْظُرَ فَدْخُلَ مَنْزِلَه  
وأغلق بابه حتى إذا أمسى هرب إلى معاوية وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثیر، ولحق ابن المعتم أيضا حتى أتى معاوية وخرج معه  
أحد عشر رجلا من قومه، وأمّا حنظلة فخرج بثلاثة وعشرين رجلا من قومه ولكنّهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقيين جميعا فقال  
حنظلة حين خرج إلى معاوية:

يسْلِّ عَوَّةً عِنْدَ بَابِي سَيِّفِهَا وَنَادَى مَنَادِي الْهَجَمِ لِأَقْبَلَ

سَأْتَرْكُكُمْ عَوْدًا لِأَصْعَبَ فِرْقَةً إِذَا قَلْتُمْ كَلَّا يَقُولُ لَكُمْ بِلَا

قال: فلما هرب حنظلة أمر على عليه السلام بداره فهدمت هدمها عريفهم بكر بن تميم وشبت بن رباعي.

### كلام عدي بن حاتم الطائى له عليه السلام

نصر: عمر بن سعد، عن سعد بن طريف، عن أبي المجاهد، عن المحمّل بن خليفة قال: قام عدي بن حاتم الطائى فبدأ فحمد الله بما هو أهل  
وأثنى عليه ثم قال:

يا أمير المؤمنين ما قلت إلا بعلم ولا دعوت إلا إلى حق ولا أمرت إلا برشد فان رأيت أن تستأنى هؤلاء القوم و تستديمهم حتى يأتيهم  
كتبك ويقدم عليهم رسلك فعلت فإن يقبلوا يصيروا ويرشدوا والعافية أوسع لناولهم وإن يتمادوا في الشقاق ولا ينزعوا عن الغي فسر  
إليهم وقد قدّمنا إليهم العذر ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق فوالله لهم من الله أبعد وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم بناحية البصرة  
أمس لما أجهدنا لهم الحق فتركوه ناوحناهم براءة القتال حتى بلغنا منهم ما نحب وبلغ الله منهم رضاه فيما يرى.

### كلام زيد بن حسين الطائى له عليه السلام

فقام زيد بن حسين الطائى و كان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال:

الحمد لله حتى يرضى ولا إله إلا الله ربنا و محمد رسول الله صلى الله عليه وآله نبيّنا أمّا بعد فوالله لئن كنّا في شكّ من قتال من خالقنا لا  
يصلح لنا النية في قتالهم حتى نستديمهم

ونستأنفهم ما الأفعال إلا في تباب ولا السعي إلا في ضلال والله يقول: «وَأَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثَ» إِنَّا وَاللَّهُ مَا ارْتَبَنَا طرفة عين فيمن يبتغون دمه فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم، القليل في الإسلام حظهم، أعون الظلم، و مسددي أساس الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين باحسان.

فقام رجل من طيء فقال: يا زيد بن حصين أكلام سيدنا عدى بن حاتم تهجن؟ قال: فقال: ما أنت بأعرف بحق عدى مني ولكن لا أدع القول بالحق وإن سخط الناس، قال: فقال عدى بن حاتم: الطريق مشترك والناس في الحق سواء فمن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فقد قضى الذي عليه.

### كلام أبي زبيب بن عوف له عليه السلام

نصر عمر بن سعد، عن الحراث بن حصيرة (حسين - خ ل) قال: دخل أبو زبيب بن عوف على علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين لن كننا على الحق لأنّا أهدانا سبيلا وأعظمنا في الخير نصيبا ولئن كنا في ضلاله انك لأنقذنا ظهرا وأعظمنا وزرا أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية وأظهرنا لهم العداوة نريد بذلك ما يعلم الله وفي أنفسنا من ذلك ما فيها؛ أليس الذي نحن عليه الحق المبين؛ والذى عليه عدونا الغى والحب الكبير؟ فقال علي: شهدت أنك إن مضيت معنا ناصرا للدعوتنا صحيح النية في نصرتنا قد قطعت عنهم الولاية وأظهرت لهم العداوة كما زعمت فأنك ولـى الله تسبح في رضوانه وتركض في طاعته فأبشر أبا زبيب.

قال له عمّار بن ياسر: اثبت أبا زبيب ولا تشک في الأحزاب عدو الله ورسوله قال: فقال أبو زبيب ما احب أن لي شاهدين من هذه الأمة فيشهدوا لي على ما سألت عنه من هذا الأمر الذي أهمّني مكانكم. قال: وخرج عمّار وهو يقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سيروا فخuir الناس أتباع على

هذا أوان طاب سلّ المشرفي وقودنا الخيل وهرّ السمهرى

عمر بن سعد، عن أبي روق قال: دخل يزيد بن قيس الأرجي على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نحن على جهاز وعدة وأكثر الناس أهل التقوى و من ليس بمضعف وليس به علة فمر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة فإن أخا الحرب ليس بالسوء ولا التّؤم ولا من إذا أمكنه الفرصة أجلّها واستشار فيها ولا من يؤخر الحرب في النوب إلى غد وبعد غد.

**كلام زياد بن النضر له عليه السلام**

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس وقال ما يعرف فتوّك على الله وثق به و اشخاص بنا إلى هذا العدوّ راشدا معانا فإن يرد الله بهم خيرا لا يدعوك رغبة عنك إلى من ليس مثلك في السابقة مع النبي صلّى الله عليه وآله و‌السلام و‌القرابة من محمد صلّى الله عليه و‌الله و‌إلينيبيوا و‌يقبلوا و‌يأبوا إلا حربنا نجد حربهم علينا هيئنا و‌رجونا أن يصرّعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

**كلام عبد الله بن بدّيل له عليه السلام**

ثم قام عبد الله بن بدّيل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين إنّ القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون ما خالفونا ولكنّ القوم إنما يقاتلون فرارا من الأسوة و‌حبا للأثرة و‌ضننا بسلطانهم و‌كرها لفرق دنياهم التي في أيديهم وعلى إحن في أنفسهم وعداؤه يجدونها في صدورهم لواقع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قدّيمة قتلت فيها آباءهم وإخوانهم.

ثم الفت إلى الناس فقال: فكيف يباعي معاوية علياً وقد قتل أخاه حنظلة و‌حاله الوليد و‌جده عتبة في موقف واحد و‌الله ما أظنّ أن يفعلوا ولا يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران و‌قطع على هامهم السيف و‌تنشر حواجبهم بعمد الحديد وتكون امور جمة بين الفريقين.

و منعه عليه السلام اياهم عن السب

نصر: عمر بن سعد، عن عبد الرحمن، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله ابن شريك قال: خرج حجر بن عدىٰ و عمرو بن الحمق يظاهر ان البراءة واللعن من أهل الشام فأرسل إليهما على عليه السلام أن كفّاعما يبلغنى عنكم فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا العانين شتامين تشتمن و تتبرّؤن و لكن لو وصفتم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كما و كذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر و قلت مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا و دماءهم و اصلاح ذات بیننا و بینهم و اهدّهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، و يرعي عن الغيّ و العدوان من لهج به كان هذا أحب إلى و خيرا لكم.

فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك ونتأدب بأدبك.

وقال عمرو بن الحمق: إنّي والله يا أمير المؤمنين ما أحببتك ولا بايعدتك على قرابة بيني وبينك ولا إرادة مال تؤتنيه ولا التماس سلطان بربع ذكرى به ولكن أحببتك لخصال خمس: إنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأول من آمن به، وزوج سيدة نساء الامة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وأبوذرية التي بقيت فينا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعظم رجالاً من المهاجرين سهماً في الجهاد، فلو أتيت كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامى حتى يأتي على يومى في أمر أقوى به وليك وأوهن به عدوك ما رأيت أنّي قد أديت فيه كلّ الذي يحقّ علىّ من حرق.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم نور قلبه بالتقى و اهده إلى صراط مستقيم ليت أنّ في جندي مائة مثلك.

فقال حجر: إذا والله يا أمير المؤمنين صح جندك، وقلّ فيهم من يغشّك ثمّ قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب وأهلها الذين...  
(١)

36:

1- (1) كلمة واحدة خرمت في الاصح منه..

و ننتجها قد ضارتنا و ضارسناها و لنا أعون ذو صلاح و عشيرة ذات عدد، و رأى مجرّب و بأس محمود، و أزّمتنا منقادة لك بالسمع و الطاعة، فان شرقت شرقنا، و إن غربت غربنا، و ما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال علىٰ عليه السلام: أكلَ قومك يرى مثل رأيك؟ قال: ما رأيت منهم إلا حسنا و هذه يدي عنهم بالسمع و الطاعة و بحسن الإجابة، فقال له علىٰ عليه السلام خيرا.

قال نصر: وفي حديث عمر بن سعد قال: و كتب علىٰ عليه السلام إلى عماله:

فكتب إلى مخنف بن سليم و كان عامله عليه السلام على اصفهان و همدان كتابا و هو قوله عليه السلام:

### كتابه عليه السلام الى مخنف بن سليم و قد كان عامله عليه السلام

على اصفهان و همدان

و هذا الكتاب لم يأت به الرضى رضوان الله عليه فى النهج سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن جهاد من صدف عن الحق رغبة عنه و هب فى نعاس العمى و الصلال اختيارا له فريضة على العارفين إن الله يرضى عمّن أرضاه و يسخط على من عصاه وإن قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا فى عباد الله بغير ما أنزل الله واستثروا بالفىء و عطلوا الحدود و أ Mataوا الحق و أظهروا فى الأرض الفساد و اتّخذوا الفاسقين و ليجنة من دون المؤمنين فإذا ولّى لله أعظم أحدهم بغضوه و اقصوه و حرّموه؛ و إذا ظالم ساعدتهم على ظلمهم أحبوه و أدنوه و بربوه فقد أصرّوا على الظلم و أجمعوا على الخلاف و قد يمما ماصدوا عن الحق، و تعاونوا على الإثم و كانوا ظالمين فإذا أتيت بكتابي هذا فاستختلف على عملك أو ثق أصحابك في نفسك و قبل إلينا لعلك تلقى هذا العدّ المحتل فتأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و تجامع الحق و تباين الباطل فإنه لاغناء بك ولا بك عن أجر الجهاد و حسبنا الله و نعم الوكيل و لا حول و لا قوّة إلا بالله العلي العظيم، و كتب عبد الله بن أبي رافع سنة سبع و ثلاثين.

قال نصر: فاستعمل مخنف على اصحابه الحرت بن أبي الحرت بن الريبع، واستعمل على همدان سعيد بن وهب وكلاهما من قومه وأقبل حتى شهد مع على عليه السلام صفين.

### كتابه عليه السلام الى عبد الله بن عباس و قد كان عامله على البصرة

و هذا الكتاب أيضا ليس في النهج قال نصر: و كان على عليه السلام قد استخلف ابن عباس على البصرة فكتب عبد الله بن عباس إلى على عليه السلام يذكر له اختلاف أهل البصرة فكتب إليه على عليه السلام:

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس أما بعد فالحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد عبده و رسوله أما بعد فقد قدم على رسولك و ذكرت ما رأيت و بلغك عن أهل البصرة بعد انصرافى و ساخبرك عن القوم هم من بين مقيم لرغبة يرجوها أو عقوبة يخشها فأرغب راغبهم بالعدل عليه و الانصاف له و الاحسان إليه، و حل عقدة الخوف عن قلوبهم فإنه ليس لامراء أهل البصرة في قلوبهم عظم إلاّ قليل منهم و انته إلى أمرى ولا تعدد، و أحسن إلى هذا الحى من ربيعة وكل من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله و السلام. و كتب عبد الله بن أبي رافع في ذي القعدة سنة سبع و ثلاثين.

### كتابه عليه السلام الى الاسود بن قطنة

و كتب إلى الأسود بن قطنة: أما بعد فإنه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ما هو غابر و من أعجبته الدنيا رضى بها و ليست بثقة فاعتبر بما مضى تحذر ما باقى و اطبح للمسلمين قبلك من الطلاء ما يذهب ثناه و أكثر لنا من لطف الجناد و اجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجناد فإن للولدان علينا حقا، وفي الذريّة من يخاف دعائهما و هو لهم صالح و السلام.

أقول: هذا الكتاب ليس بمذكور في النهج أيضا وقد يأتي كتاب آخر له عليه السلام إلى الأسود بن قطنة، وهو الكتاب 59. و جاء بعض النسخ قطبية، والآخر:

قطبة.

ص: 38

، وهذا الكتاب أيضا لا يوجد في النهج قال نصر: وكتب عليه السلام إلى عبد الله بن عامر: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر، أما بعد فإن خير الناس عند الله عز وجل أقوامهم لله بالطاعة فيما له وعليه وأقولهم بالحق ولو كان مرا فإن الحق به قامت السماوات والأرض ولتكن سريرتك كعلانيتك؛ وليكن حكمك واحدا، وطريقتك مستقيمة فان البصرة مهبط الشيطان فلا تفتحن على يد أحد منهم بابا لا نطيق سده نحن ولا أنت والسلام.

وكتب إلى عبد الله بن عباس - إلخ. هذا الكتاب هو الذي أتى به الرضي رضوان الله عليه في موضعين الأول هو الكتاب 22 أوله: أما بعد فإن المرأة قد يسره درك ما لم يكن ليفوته - إلخ. والثانى هو الكتاب 66 أوله: أما بعد فإن المرأة ليفرح بالشىء الذي لم يكن ليفوته وإنما ذكره مررتين لاختلاف الرواية في صورته وسيأتي شرحه في محله بعون الله تعالى.

قال نصر: وكتب عليه السلام إلى امراء الخراج: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى امراء الخراج: أما بعد فاته من لم يحذر ما هو صائر إليه - إلخ. وهو الكتاب 51 من النهج وسيأتي تفصيله وشرحه إنشاء الله تعالى.

قال نصر: وكتب إلى معاوية - إلخ. وهو الكتاب العاشر من النهج الذي نحن بصدد شرحه.

وكتب إلى عمرو بن العاص - إلخ. وهو الكتاب 49 من النهج أوله: فإن الدنيا مشغلة عن غيرها - إلخ. وسيأتي شرحه إنشاء الله تعالى فقد آن لنا أن نرجع إلى شرح جمل الكتاب:

قوله عليه السلام: «بسم الله - إلى قوله: بأهلها» وعظ عليه السلام معاوية بعد تسمية الله وتحميده بأن الدنيا منقضية متصرفة وبأهلها أنحاء التصرف فقد أشابت الصغير وأفنت الكبير وأبنائها فيها كأنما قد قضوا نحبهم وانصرمت آجالهم فإن

الموت قريب، والدّنيا دار مقرّ. وليس الناس للدّنيا خلقوا؛ وبالجملة أَنَّه عليه السَّلام وعظه وذِكْرِه بمرور الدّنيا وتصرّمها بأهلها لعلّ العضة والتذكرة تنفعانه، ولكن معاوية زَيْن له الحياة الدّنيا وصار قلبه أشدّ قسوة من الحجارة فاتّى له أَن يذَكّر، وينفعه نصّه عليه السّلام، قال عَزّ من قائل في سورة الأعلى: «فَذَكَرٌ إِنْ تَقَعِتِ الذِّكْرِي سَيَذَكَّرُ مَنْ يَحْسُنَ وَيَتَجَنَّبَهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيِي».

قوله عليه السَّلام: «وَخَيْرٌ مَا بَقِيَ مِنَ الدّنِيَا مَا أَصَابَ الْعِبَادَ الصَّادِقُونَ فِيمَا مَضَى» هذه عضة أخرى له. وكلمة من الجارة صلة بقى لا أنها بيانٍ تبيّن ما، وما الثانية خبر خير، والعباد فاعل أصحاب، والضمير العائد إلى ما الثانية ممحوص أي ما أصحابه العباد لأنّه يجوز حذف العائد المنصوب إذا كان متصلة منصوباً وناصبه فعل أو وصف غير صلة الألف واللام نحو يعلم ما يسرّون وما يعلّلون أي يسرّونه ويعلّلونه. ولم يبيّن ما الثانية ليذهب نفس السامع إلى كلّ مذهب خير ورأسه التقوى كما أتى بها في نسخة الشارح المعتزلي. وما الثالثة يمكن أن تفسّر إما بالرّمان أى في الرّمان الذي مضى من عمرهم، قال تعالى: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فَيَقُولُ هَاوْمُ افْرُوا كِتَابِيَهُ» - إلى قوله: «كُلُوا وَاْشْرُبُوا هَنِئُوا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ» (الحاقة 20-25) أو بالأمور والأفعال ونحوهما أى في بين الأمور التي مضت منهم وصدرت عنهم فلتذكر الفعل على هذا الوجه باعتبار ظاهرها.

قوله عليه السّلام: «وَمَنْ نَسِيَ الدّنِيَا نَسِيَ الْآخِرَةَ يَجِدُ بَيْنَهُمَا بُونًا بَعِيدًا» كانت نسخة الشارح المعتزلي: «من يقس الدّنيا بالآخرة يجد بينهما بونا بعيداً» ومعناها واضح و الغرض إنّ العاقل لا يبيع الدار الباقيه بالفانيه ولا يخرب الاولى لأجل الثانية قال عَزّ من قائل: «إِنَّ هُؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا تَقِيلًا» (الدّهر - 28).

وأمّا النسخة الأخرى فمعناه أَنَّ من زهد في الدّنيا مثل من زهد في الآخرة يجد بين الدّنيا والآخرة بونا بعيداً، أي يجد ذلك الذي ترك الدّنيا بينه وبين

من ترك الآخرة في الآخرة بونا بعيداً فإنّ الأول له درجات عند ربيه والثانية ينسى في الآخرة؛ قال تعالى: «الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوَا وَلَعِبًا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلِيْمٌ نَّسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِإِيمَانِنَا يَجْحَدُونَ» (الأعراف - 51).

أو يقال: من نسي حظوظ الدنيا وترك الشهوات النفسانية لأجل أن لا ينسى في الآخرة فيجد بينهما بونا بعيداً، ولعلّ غيري يفهم معنى آخر أدقّ وألطف مما تبادر إليه ذهني.

و معلوم أنّ غرضه عليه السّلام ترغيب معاوية في ما ينفعه؛ و تحذيره مما يجب نكال الآخرة. و نقل العبارة الشارح البحرياني هكذا: «و من نفس الدّنيا بشأن الآخرة - إلخ» و الظاهر أنّ نفس في نسخته تحريف يقس؛ لأنّ نفس ثلاثياً أو مزيداً لم يجيء لمعنى يناسب المقام، أو أنه تحريف ينسى.

قوله عليه السّلام: «و اعلم يا معاوية - إلى قوله: من رسول الله» يعني أنّ معاوية ادعى مقام الخلافة والإمامية وليس من أهله و ذلك لأنّ هذا المقام هو خلافة الله و خلافة الرّسول و لا بدّ لمن يدّعيه شاهد من كتاب الله و عهد من الرّسول وقد قدّمنا طائفة من البحث عن الخلافة وأوصاف الإمام في شرح المختار 237 من باب الخطب وقد حرّرنا هناك أنّ الإمام يجب أن يكون منصوباً من عند الله تعالى، و معصوماً من الذّنوب مطلقاً لما دريت أن ذلك المقام عهد الله و لا ينال عهده الظالمين فراجع.

وقوله عليه السّلام: ولا لك عليه شاهد من كتاب الله، و لا عهد تدّعيه من رسول الله؛ صريح بأنّ الخلافة ليست زعامة عادلة عامية تتبت بالشّورى؛ بل هي رئاسة عامة إلهيّة في أمور الدين والدنيا و الفائز بهذا المنصب الإلهي إنّما يفوز به بنصّ الله تعالى ورسوله.

ثمّ إنّ معنى العبارة على نسخة الفاضل الشارح أعني قوله عليه السّلام: «إنك قد ادعى أمراً لست من أهله لا في القديم ولا في الحديث» بين لا يحتاج إلى التفسير وأمّا على النسخة الأخرى أعني قوله عليه السّلام: «إنك قد ادعى أمراً لست من أهله

لَا فِي الْقَدْمِ وَلَا فِي الْوَلَايَةِ» فَلَعِلَّ مَعْنَاهُ: أَنَّكَ ادْعَيْتَ أَمْرَ الْخَلَافَةِ لِسَتْ مِنْ أَهْلِهِ لَا فِي الْقَدِيمِ عَلَى أَنْ يَقْرَأُ الْقَدْمَ بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِ الدَّالِ بِمَعْنَى مَقْبَلِ الْحَدَوْثِ، وَيَحْتَمِلُ بِعِيدِهِ أَنْ يَقْرَأُ بِفَتْحِهِمَا نَحْوَ قَوْلِهِ الْأَتِيِّ فِي هَذَا الْكِتَابِ: بِغَيْرِ قَدْمٍ سَابِقٍ، وَنَحْوَ مَا مَضَى مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ: إِذْ صَرَّتِ يَقْرَنُ بِي مِنْ لَمْ يَسْعِ بِقَدْمِي. وَلَا فِي الْوَلَايَةِ بِكَسْرِ الْوَاوِ أَيِّ الْإِمَارَةِ لَأَنَّ الْوَلَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَلْزِمُ التَّدْبِيرَ وَالْعِلْمَ بِالدِّينِ وَسَائِرَ مَا يَجْبُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ هَذِهِ الرَّتِبَةِ وَاجْدَهَا وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا لِالْعَهْدِ بِنَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَلَمْ تَكُنْ لِمَعاوِيَةِ الْوَلَايَةِ. وَلَعِلَّ حَرْفَ الْتَّعْرِيفِ فِيهَا يُشَيرُ إِلَى أَنَّ الْوَلَايَةَ الْمَعْهُودَةَ يَجْبُ أَنْ تَكُونَ لِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا فَسَرَّنَا قَوْلُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فِي صَفَيْنِ حِيثُ قَالَ: أَيَّهَا النَّاسُ اقْصَدُوا بِنَا نَحْوَ هُؤُلَاءِ الْأَذْدِينِ يَبْغُونَ دَمَ ابْنِ عَفَانَ - إِلَى قَوْلِهِ: وَلَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ (يَعْنِي بِهِمْ مَعاوِيَةُ وَأَتْبَاعُهُ) سَابِقَةً فِي الْإِسْلَامِ يَسْتَحْقُونَ بِهَا طَاعَةَ النَّاسِ وَالْوَلَايَةَ عَلَيْهِمْ فَخَذُلُوكُمْ أَتْبَاعُهُمْ، إِلَى آخِرِ مَا رَوَيْنَا عَنْ الطَّبَرِيِّ فِي صِ 286 جِ 15 وَرَوَاهُ نَصْرٌ أَيْضًا فِي كِتَابِ صَفَيْنِ صِ 165 مِنْ الطَّبِيعِ النَّاصِريِّ.

وأظنّ أنَّ الأصل في الموصعين هو النسخة التي نقلناها عن نصر و التي نقلها الشارح المذكور عنه مصحّفة و ذلك لأنَّ نسختنا لا تخلو من اعطال و غرابة و لما لم يكن الذهن يستأنس بها في جلّ النظر حرّفت إلى ما ترى كما هو دأب الناس في ماله غرابة.

قوله عليه السَّلَامُ: «فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا - إِلَى قَوْلِهِ: فَأَطْعَتْهَا» العِبَارَةُ فِي نُسُخِ النَّهْجِ مُذَكُورَةٌ بِالْوَao مَكَانِ الْفَاءِ أَيْ «وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ» وَالصَّوَابُ الْفَاءُ دُونَ الْوَao وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعِبَارَةَ مُتَفَرِّعَةٌ عَلَى مَا قَبْلَهَا وَالْفَاءُ هَذِهِ فَصِيحَةٌ تَبِعُهُ عَنْ مَحْذُوفٍ يَدْلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهَا أَيْ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي ادْعَائِكَ هَذَا الْأَمْرُ شَاهِدٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَا أَمْرٌ بَيْنَ تَعْرِفُ لَكَ بِهِ أَثْرَةً فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ - إِلَخ.

أي فما ذا تفعل إذا ارتفعت و زالت عنك ما كانت تغطيك و تواريك من جلايب ما أنت فيه من دنيا فبقيت مكسوفاً غير مستور منها.

و الغرض أن معاوية لم يكن له هذا الشأن العظيم الإلهي إلا أن الدين

فتنته بزيتها وغرتها وخدعه فتجاوز عن حدّه فادعى ما لم يكن له وكأنه عليه اللام أشار بقوله جلايب حيث أتى بلفظ الجمع إلى كثرة اغتراره من الدنيا وتوجّله فيها وإحاطتها به كأن خدعتها إياه في كل مرّة كانت ملحة غشيتها. وب قوله: فأجبتها فاتّبعتها، فأطعّتها؛ إلى أنه استغشى ثيابها أيضا.

ثم إنّ من تصدّى لخدعة الغير لا بدّ له من أن يلبس الباطل في ثياب الحقّ ويزيّن المنكر ويزخرفه حتى يزور عليه الأمر فيصطاده بتلك الشرك الممومة؛ ولذا قال عليه السلام: قد تبهّجت بزيتها وخدعت بذاتها.

قوله عليه السلام: «وإنّه يوشك أن يفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ» أجرى عليه السلام المخاطب مجرى الغافل عن شيء ثمّ أخبره بذلك الشيء كقول الشاعر:

جاء شقيق عارض رمحه إنّ بنى عّمك فيهم رماح

وذلك لأنّ أعمال معاوية تشبه عمل من لم يقر بالموت ولم يذعن بالحساب والجزاء فأخبره تذكيرا له بأنّ مطلعه عن قرب على ما لا - يتقى منه بترس ولا - ينجيه منه منج. ولم يبيّن كلمة ما ليغم الموت وما يتبعه من أحوال ما بعد الموت وأحواله. وما لزم معاوية مما اكتسبها من معاصي الله والتتجاوز عن حدوده فانه صارت رينا على قلبه فما له من محيس قال عزّ من قائل: «ثُمَّ تُوفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا - يُظْلَمُونَ» (البقرة - 280) وقال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» و الظاهر أنّ المراد من الواقع هو الله تعالى، أو ملك الموت؛ أو الموت، أو أنه عليه اللام أراد به نفسه ويخبره عن عواقبه النازلة عليه في صفين كقوله عليه السلام في ذيل هذا الكتاب: كأنّي قد رأيتك تضجّ من الحرب - إلخ. وإن كان الأخير لا يناسب سياق الكلام.

قوله عليه السلام: «فأقعس عن هذا الأمر» الفاء فصيحة وأخذ عليه السلام أن ينفره

ويحذّره من سوء أعماله أى إذا كان الموت آتيك عن قريب وأنت رهين ما اكتسبت فتأخّر عما تدعّيه واقطع الرجاء منه وأمسك عن أباطيلك، وتنحّ عن أضاليلك.

قوله عليه السّلام: «وَخَذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ» عطف على قوله اقتس، أى تأهّب واستعدّ لحسابك يوم يقوم النّاس لرب العالمين قال تعالى: «إِقْرَبُ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ» (الأنبياء - 2) وقال عزّ من قائل. «إِنَّ إِلَيْنَا يُبَأِهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ» (الغاشية: 25).

قوله عليه السّلام: «وَشَمَّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ» عبر ما يأتي بالفظ الماضي لتحقق وقوعه عن قريب حتّى كأنّه وقع. ثمّ إله عليه السّلام خزفه من سوء ماله ونكال مابه في الآخرة بقوله شمر لما قد نزل بك أى تهيّأ لأمر هائل وخطب عظيم لما قد دريت من مباحثنا السالفة انه يقال: فلان شدّ عقد إزاره، أو كشف عن ساقيه، أو شمر ذيله، أو نحوها إذا تهيّأ لأمر هائل وخطب عظيم وفظيع.

ويمكن أن يكون مراده عليه السّلام بقوله هذا تهديده وإنزاره من عواقبه وإخباره بما ينزل به ويفضحه في وقعة صفين كقوله عليه السلام له في ذيل كتابه هذا: فكأنّى قد رأيتكم تضجّ من الحرب - إلخ. ولكن المعنى الأول أوفق بسياق الكلام.

قوله عليه السّلام: «وَلَا - تَمْكِنُ الْغَوَاةُ مِنْ سَمْعِكَ» يقال مكّنه وأمكنه من الشّيء إذا جعل له عليه سلطاناً وقدرة. أى لا تسلطهم على سمعك ولا تسمع منهم ما يوحون إليك ولا تشاورهم فأنّهم يغونك فيرونك لأنّ اتباع الاراء الباطلة مردية وذلك لأنّ بعد الحق ليس إلا الضلال.

ومن هؤلاء الغواة عبيد الله بن عمر لما علمت في شرح المختار 236 من باب الخطب وشرح المختار الأول من باب الكتب أنّ عمر لما ضرب في غليس الصبح و Ashton the الأمر في ضاربه سمع ابنه عبيد الله قوماً يقولون قتل العلج فطرّتهم يعنيون الهرمزان فبادر عبيد الله إليه فقتله قبل أن يموت عمر؛ فسمع عمر بما فعل ابنه فقال: قد أخطأ عبيد الله إنّ الذي ضربني أبو لولوة وإن عشت لأقيمه به فانّ عليّاً لا يقبل منه الديمة وهو موليه. فلما مات عمر وتولى عثمان طالبه على عليه السلام

بقد عبید اللہ و قال: إِنَّهُ قُتِلَ مُولَىٰ - يعنى الهرمزان - ظلماً و أنا ولیّه، فقال عثمان:

قتل بالأمس عمر واليوم تقتل ابنه حسب آل عمر مصابهم به و امتنع من تسليمه إلى علىٰ. وقال علىٰ: لئن أمكننى الّدھر منه يوماً لأقتله به فلمّا ولی علىٰ عليه السّلام هرب عبید اللہ إلى الشام والتّجأ إلى معاوية و خرج معه إلى حرب صفين فقتله علىٰ عليه السّلام في حرب صفين.

و منهم ذو الكلاع، و منهم مروان بن الحكم طريد رسول اللہ صلی اللہ علیه و آله؛ و منهم عمرو بن العاصي و كثير ممّن أشرنا إليهم في الشرح السالفة قد استحبّوا الدّنيا و أسرّوا الكفر و جعلوا قتل عثمان عرضة لأغراضهم النفسية و أهوائهم الشيطانية فخذعوا أتباعهم بقولهم قتل امامنا مظلوماً.

قوله عليه السلام: «و إِلَّا تَقْعُلْ أَعْلَمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ» أي إن لا تردع نفسك عن الغيّ والضلال ولا تتأخر عن هذا الأمر الذي تدعوه ولا - تتعظ بما و عظتك به و لا تجعل ما أمرتك فاني اعلم نفسك التي أهملتها و تركتها. و إهمال النفس إرخاء عنانها و إرسالها فيما تشاء و عدم روضها في طاعة اللہ، و لا يخفى على عاقل أنّ النفس أية العنوان و لا تقاد لحكم العقل إلاّ أن ترّوض و تمنع مما تهويه و تشتهيه فلو اهملت و لم تلجم لسلكت طريقة عميماء فانّها أمارة بالسوء، فطوبى لامرئ الجم نفسها و أمسكها عن معاصي اللہ و قادها إلى طاعته تعالى.

ولم يبيّن عليه السّلام متعلق الإعلام أعني أنه لم يقل بماذا يعلمه ليعمّ جميع بعاتها. يعني أنك إن لم تنته عن أباطيلك ولم تمثل أمري لا ذيقنك حز السيف و شرارة الموت حتى تعلم نفسك ما كانت عليها من الأوزار التي اكتسبتها ياهمالك إليها.

و يمكن أن يكون من نفسك متعلق أغلقت فعلى متعلق الاعلام مذكور لكنه مبهم فيدرج في حكم الأول.

قوله عليه السلام: «فَإِنَّكَ مُتَرْفٌ - إِلَى قَوْلِهِ: وَ الدَّمْ» الظاهر من سياق العبارة

دال على أن الفاء تعليلاً لقوله عليه السلام: اعلمك؛ لا لقوله: أغفلت. أى اعلمك نفسك المهملة لأنك ممّن أطغته النعمة واستكنت في الشيطان وسلط عليه و فعل فيه ما شاء من الامال والأهواء، وجري فيه مجرى الروح والدم، و المراد أن معاوية تجاوز عن حدود الله بترفة فلا بد لللام المبسوط اليه من أن يسده عن التجاوز إما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أولاً، وإما بحر الأسنة والسيوف إن لم ينته عن التجاوز ثانياً ولذا قال عليه السلام: وإن تجعل اعلمك - إلخ.

وقوله عليه السلام: وجري منك مجرى الروح والدم إشارة إلى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الشيطان ليجري من بنى آدم مجرى الدم، وحمل الروح على معنى الروح البخاري أولى من حمله على النفس الناطقة المجردة لمكان مجرى وذلك لأن للنفس الناطقة تعلق تدبير وتصرف للبدن ولا يقال إنها جارية فيه بخلاف الروح البخاري فإنه ليس بمجرد بل جسم لطيف.

قوله عليه السلام: «و متى كنتم - إلى قوله: سوابق الشقاء» هذا استفهام انكار، وقد قدمنا في مباحثنا السالفة أن الفائز برتبة الخلافة يجب أن يكون في جميع الصفات الكمالية أفضل من غيره طول عمره، فلو كان لغيره سابقة الشرف والتقدم في الأمور لم يكن له أهلية ذلك المقام.

وقوله عليه السلام: «بغير قدم سابق ولا شرف باسبق» استفهام على سبيل التقرير والتعنيف والعتاب والانكار أى هل كنتم ساسة الرعية وولاة أمر الأمة بغير قدم سابق يعني أنّى يكون كذلك أن يلى أحد امور الامة بغير قدم سابق ولا شرف سابق؟.

وقوله عليه السلام: «ونعوذ بالله - إلخ» كأنّما يشير إلى ما جرى فيه القضاء الإلهي من لزوم سوابق الشقاء فإنه لا يبدل ولا يغيّر ونعم ما قال الخواجة عبد الله الأنصاري بالفارسية: إلهي همه از آخر ترسند وعبد الله از اول زира آنچه رفته در اول، در آخر نمی شود مبدّل.

قوله عليه السلام: «واحدّرك أن تكون متماديًا في غرابة الأمانة» أى اخوتك من

أن تدوم و تستمر في غفلة الامال الباطلة والأهواء المردية كاد عاشه الخلافة. أى انته عنه فان عاقبته وخيمة.

قوله عليه السلام: «مختلف العلانية والسرية» أى احذرك أن تكون منافقا، و معلوم أن المنافق أضر بالدين من الكافر فإن من كان معلوم الحال يتلقى منه؛ و المنافق يردد الناس عن صراط الله القهقرى يظهر الإيمان و يصير إلى الكفر. و كان لمعاوية فى ذلك النصيب الأوفر.

وفى الكافى بإسناده عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه أن يتفع به فى بعض بنائه فلم يستقم له فى الموضع الذى أراد فحوّله فى موضع آخر فلم يستقم له و كان آخر ذلك أن أحرقه بالنار.

### رؤيه النبي صلى الله عليه و آله بنى امية فى المنام على صور قروه

تصعد منبره و ترد الناس عن الاسلام القهقرى

قال الفيض فى تفسير الصافى عند قوله تعالى: «وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوَّفُهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» (الأسراء - 63):

العيشى عن الباقي عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: «وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ»؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله ارى أن رجالا من بنى تم و عدى على المنابر يردون الناس عن الصراط القهقرى؛ قيل: و الشجرة الملعونة؟ قال: هم بنو امية.

وعن الصادق عليه السلام مثله إلا أنه قال: رأى أن رجالا على المنابر يردون الناس ضلالا رزيق و زفر.

أقول: و هما كنياتان عن الأولين و تم و عدى جداهما.

قال: وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى رجالا من

نار على منابر من نار يرددون الناس على أعقابهم القهقري؛ قال: ولسنا نسمى أحدا، وفي أخرى: إنّا لا نسمى الرجال ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى قوماً على منبره يضليل الناس بعده على الصراط القهقري.

وفي رواية أخرى قال: رأيت الليلة صبيان بنى أمية يرقولون على منبرى هذا فقلت: يا رب معنى؟ فقال: لا ولكن بعدك.

وفي الكافي عن أحدهما عليهما السلام: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً كثيراً حزيناً؛ فقال له على عليه السلام: مالى أراك يا رسول الله كثيراً حزيناً؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أنّ بنى تميم وبنى عدّي وبنى أمية يصعدون منبرى هذا يرددون الناس عن الإسلام القهقري، فقلت، يا رب في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك.

أقول: معنى هذا الخبر مستفيض بين الخاصة والعامة إلا أنّ العامة رروا تارة أنه رأى قوماً من بنى أمية يرقولون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظّهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم:

وآخرى أنّ قروداً تصعد منبره وتنزل فساعه ذلك واغتمّ به.

والقمي قال: نزلت لما رأى النبي صلى الله عليه وآله في نومه لأنّ قروداً تصعد منبره فساعه ذلك وغمّه غمّاً شديداً فأنزل الله: وما جعلنا الرؤيا التي أریناك إلا فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة كذا نزلت وهم بنو أمية.

والعياشي عن الباقر عليه السلام وما جعلنا الرؤيا التي أریناك إلا فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة في القرآن يعني بنى أمية.

ومضمراً أله سئل عن هذه الآية فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نام فرأى أنّ بنى أمية يصعدون الناس كلّما صعد منهم رجل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الذلة والمسكنة فاستيقظ جروعاً من ذلك فكان الذين رأهم اثنتeen رجلاً من بنى أمية فأتاهم فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية، ثم قال جبرئيل: إنّ بنى أمية لا يملكون شيئاً إلا ملك أهل البيت ضعفه.

وفي الاحتياج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: أما إنّ معاوية وابنه سيليانها بعد عثمان ثم يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص واحداً بعد واحد يكمله اثنى عشر إماماً ضلالاً وهم الذين رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله علی منبره يرددون الأمة على أدبارهم القهقري، عشرة منهم من بنى أمية ورجلان أسسَا ذلك لهم وعليهما أوزار هذه الأمة إلى يوم القيمة.

وفي مقدمة الصحيفة السجادية عن الصادق، عن أبيه، عن جده إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره فرأى في منامه رجالاً ينزوون على منبره نزو القردة يرددون الناس على أعقابهم القهقري فاستوى رسول الله صلّى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه فأتاه جبرئيل بهذه الآية: «وَمَا جعلنا الرؤيا الَّتِي أرِينَاكَ» الآية يعني بنى أمية.

قال: يا جبرئيل أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتثبت بذلك عشراً ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين مرّة مهاجرك فتثبت بذلك خمساً ثم لا بدّ من رحى ضلاله في قائمة على قطبهما ثم ملك الفراعنة، قال: وأنزل الله في ذلك: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ» تملكتها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر فاطّلعت الله نبيه أنّ بنى أمية تملك سلطاناً لهذه الأمة وملكتها وطول هذه الأمة فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله بزوال ملوكهم وهم في ذلك مستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا أخبار الله نبيه بما يلقى أهل بيته محمد وأهل موته وشيعتهم منهم في أيامهم وملوكهم.

أقول: إنّما أرى صلّى الله عليه وآله ردّ الناس عن الإسلام القهقري لأنّ الناس كانوا يظهرون الإسلام وكانوا يصلّون إلى القبلة ومع هذا كانوا يخرجون عن الإسلام شيئاً فشيئاً كالذى يرتدّ عن الصراط السوي القهقري ويكون وجهه إلى الحق حتى إذا بلغ غاية سعيه رأى نفسه في الجحيم.

وفي الاحتياج عن الحسن بن عليّ عليهما السلام في حديث أنه قال لمروان بن الحكم:

أّمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببتك أباك ولكن الله عزّ وجلّ لعنك ولعن

أباك وأهل بيتك وذرّيتك وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيمة على لسان محمد صلى الله عليه وآله؛ يا مروان ما تذكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه الامة من رسول الله صلى الله عليه وآله لك ولا يأبيك من قبلك وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلا طغياناً كبيراً وصدق الله وصدق رسوله يقول الله تعالى: «وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوَّفُهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» وأنت يا مروان وذرّيتك الشجرة الملعونة في القرآن.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وجعل أهل الكتاب القائمين به والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها أى يظهر مثل هذا العلم لمحمتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل أعدائها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم وأيّاً الله إلا أن يتم نوره ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنت لك تأويلاً لأسقطوها مع ما أسقطوا منه.

أقول: وفي قوله سبحانه: «فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» لطافة لا يخفى.

انتهى ما أتي به الفيض قدس سره في هذا المقام من تفسيره.

### جميع ملك بنى امية كان ألف شهر كاملة

لما انجز الكلام إلى ذكر الحديث في أن ليلة القدر خير من ألف شهر تملكها بنو امية ليس فيها ليلة القدر يعجبني أن أذكر مقدار المدة من الزمان و ما ملكت فيه بنو امية من الأعوام على التفصيل ليزداد القاري بصيرة في ما أخبره الله تعالى ورسوله وآل الرسول وقد ذكر المسعودي المتوفى سنة 346هـ في مروج الذهب (ص 198 ج 2 طبع مصر 1346هـ): كان جميع ملك بنى امية إلى أن بويع أبو العباس السفّاح ألف شهر كاملة لا تزيد ولا تقصّ لأنّهم ملكوا تسعين سنة واحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً.

قال المسعودي: و النّاس متباينون في تواریخ ایامهم و المعوّل على ما نورده و هو الصحيح عند أهل البحث و من عنى بأخبار هذا العالم و هو أنّ معاوية بن أبي سفيان

ملك عشرين سنة، ويزيد بن معاوية ثلاط سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، و معاوية ابن يزيد شهرها وأحد عشر يوماً، و مروان بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام، و عبد الملك بن مروان إحدى وعشرين سنة وشهرها وعشرين يوماً، و الوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر و يومين، و سليمان بن عبد الملك سنتين وستة أشهر و خمسة عشر يوماً، و عمر بن عبد العزيز سنتين و خمسة أشهر و خمسة أيام، و يزيد بن عبد الملك أربع سنين و ثلاثة عشر يوماً، و هشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة و تسعة أشهر و تسعة أيام، و الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة و ثلاثة أشهر، و يزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين و عشرة أيام و أسلقنا أيام إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك كاسقاطنا أيام إبراهيم بن المهدى أن يعذ فى الخلفاء العباسين، و مروان بن محمد بن مروان خمس سنين وشهرين و عشرة أيام إلى أن بويع السفاح ف تكون الجملة تسعين سنة وأحد عشر شهراً و ثلاثة عشر يوماً، يضاف إلى ذلك الشمانية أشهر التي كان مروان يقاتل فيها بنى العباس إلى أن قتل فيصير ملكهم إحدى و تسعين سنة و تسعة أشهر و ثلاثة عشر يوماً يوضع من ذلك أيام الحسن بن عليٍّ وهى خمسة أشهر و عشرة أيام، و توضع أيام عبد الله بن الزبير إلى الوقت الذى قتل فيه وهى سبع سنين و عشرة أشهر و ثلاثة أيام فيصير الباقى بعد ذلك ثلاثة و ثمانين سنة و أربعة أشهر يكون ذلك ألف شهر سواء.

قال: وقد ذكر قوم إن تأويل قوله عز و جل: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» ما ذكرناه من أيامهم. وقد روى عن ابن عباس أنه قال: والله ليملكون بني العباس ضعف ما ملكته بني امية باليوم يومين وبالشهر شهرين وبالسنة سنتين وبالخليفة خليفتين انتهى ما أردنا من نقل كلام المسعودي في المروج.

قوله عليه السلام: «وقد دعوت إلى الحرب - إلى قوله: والمغطى على بصره» أي قد دعوتنا إلى الحرب؛ وقد قدمنا في شرح المختار 236 من باب الخطب أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام نادى يا معاوية علام يقتل الناس بيني وبينك؟ هل

احاكم إلى الله فائنا قتل صاحبه استقامت له الامور. وقد ذكرنا شعر المتّبّى و حكاية سيف الدولة مع الأخشيد المناسبة للمقام فراجع إلى ص 316 ج 15.

وأفاد الشارخ المعتزلي في المقام بقوله: وإنما قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه الكلمة - يعني: أينا المرین على قلبه و المغطى على بصره - لأنّ معاوية قالها في رساله كتبها و وقتها من كتاب أبي العباس يعقوب بن أبي أحمد الصميري الذي جمعه في كلام على عليه السلام و خطبه وأولها أمّا بعد فانتك المطبوع على قلبك المغطى على بصرك، الشرّ من شيمتك، والعتّ من خليفتك، فشمّر للحرب، واصبر للضرب فوالله ليرجعنّ الأمر إلى ما علمت و العاقبة للمرتين؛ هيئات هيئات إحظاءك ما تمنّى و هو قلبك فيما هو؛ فاربع على ظلوك وقس شبرك بفترك تعلم أين حالك من حال من تزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه و السلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أمّا بعد يا ابن صخر، يا ابن اللعّين؛ يزن الجبال فيما زعمت حلمك ويفصل بين أهل الشك علمك وأنّت الجاهل القليل الفقه، المتفاوت العقل، الشارد عن الدين، وقلت: فشمّر للحرب واصبر فإن كنت صادقا فيما تزعم ويعينك عليه ابن النابغة، فدع الناس جانبا واعف الغريقين من القتال وابرز إلى لتعلم أينا المرین على قلبه، المغطى على بصره. فأنا أبو الحسن حقا قاتل أخيك و خالك و جدّك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معى و بذلك القلب ألقى عدوّي.

قوله عليه السلام: «فأنا أبو حسن» كان يعرف ويكنى عليه السلام بأبي حسن و من الأمثال السائرة من صدر الاسلام إلى الان قولهم: قضية لا أبا حسن فيها. ولم يأت بالألف واللام في ابنه رعاية للتواضع. و هضم النفس لا استصغرًا لابنه عليه السلام نعوذ بالله لأنّ حرف التعريف يدلّ على التعظيم والتجليل بما كان يعجبه عليه السلام ادخله على اسم ابنته، وإن كان الأعداء يذكرونها بلا حرف التعريف احتقارا فقد قال الشيخ الأجل أبو الفتح الكراچکی المتوفی سنة 449 هـ في كتابه المترجم بكتاب التعجب (ص 44 طبع ایران هـ 1322):

و من عجيب أمرهم و ظاهر بغضهم لأهل البيت عليهم السلام أنّهم إذا ذكروا الإمام الحسن بن علي عليه السلام الذي هو ولد رسول الله و ريحانته و قرّة عينه و الذي نحله الإمامة و شهد له بالجنة حنف من اسمه الألف و اللام و يقال حسن بن علي و لأولاده أولاد حسن استصغروا و احتقاروا الذكر، ثم يقولون مع ذلك: الحسن البصري فيثبتون في اسمه الألف و اللام إجلالا له و إعظاما و تقخيمها لذكره و إكراما و ذلك أن هذا البصري كان متباوزا عن ولاية أهل البيت عليهم السلام و هو القائل في عثمان قتله الكفار و خذله المنافقون ولم يكن في المدينة يوم قتله إلا قاتل و خاذل فنسب جميع المهاجرين و الأنصار إلى الكفر و النفاق، و تخلّف عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ثم خرج مع قتيبة بن مسلم في جند الحجاج إلى خراسان.

قوله عليه السلام: «قاتل جدك و خالك وأخيك شدحا يوم بدر و ذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوى» وقد تكرر هذا الكلام منه عليه السلام في عدة كتبه إلى معاوية: فقد يأتي في آخر المختار 28 من هذا الباب قوله عليه السلام: قد صحبتهم ذرية بدريّة و سيف هاشمية قد عرفت موقع نصالها في أخيك و خالك و جدك و أهلك «و ما هي من الظالمين بعيده»؛ وفي المختار 64 من هذا الباب أيضاً قوله عليه السلام: وعندي السيف الذي أعضضته بجدك و خالك و أخيك في مقام واحد.

و جدّه هذا هو جدّه لامه هند عتبة بن ربيعة بن شمس فان عتبة كان أبا هند و خاله هو الوليد بن عتبة، و آخره هو حنظله بن أبي سفيان و قد مضى كلام عبد الله ابن بدبل رحمة الله تعالى في صدر شرح هذا الكتاب: فكيف يباعي معاوية علينا و قد قتل أخاه حنظلة و خاله الوليد و جدّه عتبة في موقف واحد.

قوله عليه السلام: «و دخلتم فيه مكرهين» قد مضى كلام أبي اليقظان عمّار رحمة الله في معاوية و أتباعه أنّهم ما أسلموا ولكن استسلموا و أسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا، وكذا كلام غير واحد من الصحابة و من ثنى عليهم الخناصر فيهم في شرح المختار 236 من باب الخطب فراجع إلى ص 370 ج 15.

أقول: كلام أبي اليقظان مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما يأتي في

المختار 16 من هذا الباب: فوالذى فلق الحبّة وبرا النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواضاً عليه أظهروه.

قوله عليه السلام: «وزعمت أنت - إلى قوله: إن كنت طالباً» قد أشرنا في الشرح السالف غير مرّة إلى أنَّ أمير المؤمنين على عليه السلام كان في عزلة عن دم عثمان وأبرا الناس منه وقد دريتك في شرح المختار الأول من باب كتبه عليه السلام أنَّ عمرو بن العاص كان شديد التحرير والتلبيض على عثمان، وأنَّ عثمان لما أبى أن يخلع نفسه تولى طلحه والزبير حصاره، وأنَّ عائشة كانت أول من طعن على عثمان وأطمع الناس فيه وكانت تقول: اقتلوا نعثلا فقد فجر، نقله الدينوري في الإمامة والسياسة وكانت تقول للناس: إنَّ فيكم فرعون هذه الأمة تعنى به عثمان.

ومراده عليه السلام من كلامه هذا أنَّ معاوية إنْ كان صادقاً في قوله الله يطلب بدم عثمان ولم يكن غرضه استغواه الناس ولم يجعل دمه عرضة لأهواء الرديئة المردية فليطلب من حيث وقع دمه يعني من قتله وألب الناس على قتله أى من طلحه والزبير وعائشة وعمرو بن العاصي وأمثالهم.

قوله عليه السلام: «فكان قد رأيتك - إخْ» إخبار بما يأتي على معاوية وأتباعه في غزوة صفين من الذلة والمسكينة والهوان أولاً بقوله جزعاً من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع.

وبحيلة عمرو بن العاص في رفع مصاحف لما ظهرت هزيمة أهل الشام ثانياً.

وقد أتينا بنبذة ما وقعت في صفين في شرح المختار 236 من باب الخطب وقال اليعقوبي في التاريخ ص 164 ج 2 طبع النجف: ثم وجّه على عليه السلام إلى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع أن لا يفرق الأمة بسفك الدماء فأبى إلا الحرب فكانت الحرب في صفين سنة سبع وثلاثين وأقامت بينهم أربعين صباحاً، وكان مع على يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل، ولم يكن مع معاوية من الأنصار إلا النعمان

ابن بشير و مسلمة بن مخلد.

قال: و صدقت نيات أصحاب علي عليه السلام في القتال و قام عمّار بن ياسر فصاح في الناس فاجتمع إليه خلق عظيم فقال: والله إنهم لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفatas هجر لعلمنا آنًا على الحق و أنهم على الباطل؛ ثم قال: ألا من رائح إلى الجنة فتبغه خلق فضرب حول سراقد معاوية فقاتل القوم قتالاً و قتل عمّار بن ياسر و اشتدت الحرب في تلك العشية و نادى الناس قتل صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله و قد قتل عمّارا الفئة الباغية.

قال: و زحف أصحاب علي عليه السلام و ظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى لصقوا به فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟ قال:

قد نزل ما ترى فما عندك؟ قال: لم يبق إلا حيلة واحدة أن ترفع المصاحف فتدعواهم إلى ما فيها فتسكتفهم و تكسر من خدهم و تقتل في أعضادهم.

قال معاوية: فشأنك فرفعوا المصاحف و دعواهم إلى التحكيم بما فيها و قالوا ندعوك إلى كتاب الله فقال علي عليه السلام: إنها مكيدة و ليسوا بأصحاب القرآن.

و إنما قال عليه السلام: فكأني قد رأيتك - إلخ، لأن الزمان و المكان و سائر الأجسام و الجسمانيات إنما هي حجب لنا و أمّا الحجج الالهية فإنهم يرون الواقع في متن العالم على ما هي عليه.

ثم لا يخفى لطافة كلامه عليه السلام في ذلك حيث أتي بلفظ الماضي وقال: قد رأيتك و ما قال فكأني أرى، لئلا يتوجه متوجه أنه عليه السلام لما رأى ما جرى بينه وبين معاوية و تمهد لهما تمرس فيما سيكون لمعاوية و جنده من هزيمة و ذلة و هوان.

على أن غاية ما يمكن أن يقال لمن كان له حزم له تمرس في نحو هذه الأمور أن يتعرّض في أمور كلية مثلاً أن له ظفراً على خصميه و أمّا أن يتعرّض في جزئيات الواقع التي لا يعلمها إلا الله و الراسخون في العلم ولا يتيسّر لغيرهم العلم بها عادة فلا؛ فانظر في قوله عليه السلام: و كأني بجماعتك تدعوني إلى كتاب الله نظر دراية و إنصاف هل يمكن أن يقال إنّه عليه السلام لما رأى مقدمات الأمور تمرس في رفعهم

المصاحف فيما يأتي من زمان طويل وأمد مديد. و ما أرى هذا الظنّ بمن له خبرة في الأمور و من جانب المرأة والتعصب و نظر عيني العقل والفهم.

و قد نقل اليعقوبي في التاريخ (ص 169 ج 2 طبع النجف) خطبة له عليه الله ملام لما قدم الكوفة بعضها قوله عليه السلام: سلونى قبل أن تفقدونى فانى عن قليل مقتول بما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها فلو الذى فلق الحبة وبرا النسمة لا تسألونى عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تضلّ مائة أو تهدى مائة إلاّ أنباتكم بناعقها وقادتها وساقتها إلى يوم القيمة - إلخ.

و قد مضى نحو كلامه هذا قوله عليه السلام في الخطبة 99 لكتابي انظر إلى ضليل قد نعى بالشام و فحص برائياته في ضواحي كوفان إلخ. و قوله عليه السلام في الخطبة 187 أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى فلأننا بطرق السماء أعلم من بطرق الأرض - إلخ.

قوله عليه الله ملام: «و هي كافرة جاحدة أو مبaitة حائدة» كان أتباع معاوية صنفين و قوله عليه السلام وهي كافرة جاحدة يشير إلى المنافقين من جماعته، و قوله: أو مبaitة حائدة إلى الذين بايعوه ثم نكثوا عهده يقال حاد عن الأمر أي مال و عدل عنه.

و قد روى الفريقيان في جوامعهم أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلى عليه السلام انه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والناكثون أصحاب الجمل، والقاسطون أصحاب معاوية والمارقون خوارج نهروان.

## اشارة

این نامه ایست که امیر علیه السلام در جواب نامه معاویه نوشت:

معاویه به أمير المؤمنين علی علیه السلام نوشته: تویی آنکه مهر غفلت و زنگ گناه بر دلش زده، و پرده هوى و هوس بر چشممش افکنده شد. بدی خوی تو، و گردنکشی و تجاوز سرشنست است. از این روی آماده جنگ باش، و برای ضرب و شکنجه دیدن شکیبا. قسم بخدا کار بجایی کشد که خود دانی؛ و عاقبت برای پرهیزکاران است. چه بسا دور است رسیدنت بارزویت و بخواسته دلت. پس از آنچه که از عهده ات خارج و از طاقت دور است دست بدار و خودداری کن. و وجبت را به درنه ات اندازه گیر<sup>(1)</sup> تا بدانی تفاوت حال تو و آنکه بردباریش همسنگ کوهها، و داشن او تمیز مردم گاه شک و شبھه میباشد؛ تا چه حد است، و السلام.

## نامه امیر علیه السلام در پاسخ معاویه

امیر علیه السلام در جواب وی نوشته: بسم الله الرحمن الرحيم از بنده خدا علی امیر مؤمنان به معاویه پور سفیان: أما بعد درود بر آنکه پیرو راه رشاد است ستایش میکنم آنکه را جز او خدایی نیست. ای معاویه می بینی که دنیا با اهلش چگونه بسر می برد، بهترین توشه در روزگار آنست که بندگان شایسته گرد آوردن؛ آنکه دنیا را با خرت بسنجد، و چشم از دنیا پوشد و کار آخرت نماید تفاوت این سرا و آن سرا را بسیار می یابد.

ای معاویه ادعای امری (مقام خلافت و امامت) میکنی که سزاوار آن نیستی

ص: 57

(1) یعنی چنانکه درنه بوجب نرسد تو بمن نرسی، و أصل عبارت این است: و قس شبرک بفترک. شبر بکسر شین و سکون با مسافت بین سرانگشت شصت دست تا سر انگشت کوچک دست است در صورتی که دست گشاده و انگشتها باز و کشیده باشد که بکلمه واحد سره آنرا وجب گویند. و فتر بر وزن شبر مسافت بین سر انگشت شصت تا سر انگشت شهادت در صورت نامبرده است که آن مسافت را در مازندران درنه گویند و آن بضم دال و سکون را وفتح نون است و چون لغت سره فارسی برای فتر نیافتم بجای آن درنه آوردم. منه.

نه در سابقگی، و نه در ولایت عهدی، و امر بین و حجّتی نداری که بدان در باره تو مکرمت و برگریدگی شناخته شود؛ و نه مر تورا برای این مقام از قرآن شاهدی است، و نه از رسول خدا عهدی؛ پس چه خواهی کرد آن گاه که پرده ها از تو برداشته شود و رسوا گردی، پرده های دنیا بی که خود را بزینتش آراسته و بلذتش فریفته است، و تو را خوانده و اجابت شد که ای، و افسارت را کشیده و پیرویش نموده ای و سر در پی او نهادی، و فرمان داد و فرمان بردی.

همانا بزودی کسی آگاهت کند بر آنچه که کسی نتواند از آن برهاند - و یا بهیچ دافعی از خود نتوانی دفع کرد - پس از این ادعای دست بدار و دور شو، و برای حساب آماده باش، و بر آنچه که بر تو فرود آید دامن بر میان زن، و بحرف گمراهان گوش مده.

و اگر چنین نکنی، جانت را که ترکش گفته ای و افسارش را رها کرده ای اعلام کنم بدانچه که خواهم اعلام کرد - یا بدانچه که خود را از آن غافل کرده ای اعلام خواهم کرد - که نعمت فراوان ترا سرکش کرده و در طغيان افکنده است و در تو شيطان راه یافته - یا این که دامهای خود را در تونهاده - و بارزوی خود رسیده، و در تو چون جان و خون در جريان است.

ای معاویه کی شما مدير امور رعیت، و والی امر این امّت بوده اید؟ آیا بی سابقه و اثر نیکو، و پایه بلند و ارجمند باید صاحب آن مقام باشید؟ بخدا پناه می برم از لزوم رقم بدینختی که از قلم قضای إلهی گذشته است. پیرهیز از این که پیوسته در غفلت آرزوها بسر بری و دور رو باشی.

ما را بجنگ خوانده ای؛ اگر راست گوئی مردم را به یک سوی نه و هر دو سپاه را از آن معاف دار و تنها با من در آیی تا دانسته شود کدام یک از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس بر چشممش افکنده شد، که منم آن أبو حسنی که در جنگ بدر نیا و خالوی و برادرت را سر کوفتم و هر یک را طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل بدشمن رو کنم. نه دینم را به دینی تبدیل کرده ام، و نه پیغمبری

از نوگرفته ام، و من بر همان راه روشنم که شما با اختیار ترکش گفته اید و باکره بدان در آمدید.

گوئی که بخونخواهی عثمان آمد، تو که خود دانی خونش را که ریخته است از آن کس بخواه.

هان ای معاویه بدھان اژدهای جنگ یینمت که دندانش را در تو چنان فروبرده که بسان شتران زیر بار گران ناله ات در گرفته است؛ و سپاهت را که یا کفر کیشند و یا پیمان شکن یینمی که از دیدن ضربتهای پی در پی و قضای بوقوع پیوسته یکی پس از دیگری بر خاک هلاک افتاده مرا بکتاب خدا خوانند.

بدان اگر مقام امامت و خلافت بدست مردم بودی و این کار بدیشان برگزار می شدی هر آینه بر ما رشك می بردن و منت می نهادند لکن این مشیّت‌اللهی و قضای آسمانی است که خداوند از زبان پیمبر راستگویش که خود براستیش تصدیق کرده است بما موهبت فرموده و ارزانی داشته است، آنکه پس از روشن شدن حق و إقامه یئنه و برهان بر حقانیت آن دو دل باشد و شک و شبهه نماید رستگار نخواهد شد. بار خدایا میان ما و دشمن ما بحق حکم بفرما که توبهترین حاکمی.

ترجمه نامه أمیر علیه السّلام در پاسخ نامه معاویه مطابق نسخه صمیری چنین است:

ای پسر صخر، ای فرزند لعین، پنداری که کوهها هموزن حلم تو و تمیز اهل شک علم تو است و حال این که نادانی کم فهم و پریشان عقل و رمیده از دینی.

بمن گفتی که آماده جنگ باش و صابر. اگر راستگویی و ابن نابغه (عمرو بن عاص) تو را کمک است مردم را ییک سوی نه و هر دو سپاه را از کار زار معاف دار و تنها با من در آی تا دانسته شود کدام یک از ما زنگ بر دلش زده و پرده هوس بر چشممش افکنده شد که منم همان أبوالحسن که در جنگ بدر برادر و خالو و نیایت را سر کوفتم و طعمه شمشیر کرده ام، همان شمشیر با من است و با همان دل بدشمن رو کنم.

معاویه در جواب امیر علیه السلام نوشت: بسم الله الرحمن الرحيم من الرّحمن الرّحيم از معاویه بن أبي سفیان به علی بن أبي طالب أمّا بعد؛ دست از حسد بردار که هیچگاه از آن سودی نبری، و گامی که در راه دین از پیش برگرفته ای به آز بزرگ منشی و خود خواهی تباہ مکن که کارها وابسته به پایان است، و سابقه ات را در حق کسی که بر او حقی نداری نابود مگردان که اگر چنان کنی جز خویشتن را آزار نکنی، و جز کارت را نابود نگردانی، و جز حجّت را باطل ننمائی.

بجانم سوگند آن همه سابقه خدمت در دین که داشته ای بخونهایی که ریخته ای و خلاف با مردم حق کرده ای شسته ای و فرا آب داده ای. پس سوره قل أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ را بخوان و از شرّ نفس خود بخدا پناه ببر، چه تویی آن حاسدی که خدا در فلق فرمود: «وَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ».

### و من وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو

#### اشارة

و كلامه هذا هو المختار الحادى عشر من باب الكتب والرسائل فإذا نزلتم بعده أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قبل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهر كيما يكون لكم رداء و دونكم مرذاً. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم رقباء فى صياصى الجبال، و مناكب الهضاب؛ لئلاً يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن.

واعلموا أنّ مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم. وإياكم والتفّرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتם فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرّماح كفة؛ ولا تذوقوا اللّوم إلّا غرارة أو مضمضة.

**سندها و نقلها على صورتها الكاملة على رواية نصرى صفين،**

### اشارة

والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول

قد روى كلامه هذا نصر بن مزاحم المنقري الكوفي في كتابه في صفين مستنداً (ص 66 من الطبع الناصري) وما أتى به الرضي في النهج فملتقط مما أتى به نصر في صفين وأشارنا غير مرّة إلى أنّ عادة الرضي التقاط الفصحى والبلغ من كلامه عليه السلام وإن كان هذا الكتاب على صورته الكاملة من محسن كتبه عليه السلام. وقد دريت في شروح الكتب السالفة أنّ نصراً في نفسه ثقة، وفي نقله ثبت؛ وأنّه كان يعيش قبل الرضي بمائتي سنة تقريباً؛ فدونك الوصيّة على ما رواها نصر:

نصر: عمر بن سعد، حدثني يزيد بن خالد بن قطن أنّ علياً عليه السلام حين أراد المسير إلى التخيّلة دعا زياد بن النضر وشريح بن هاني و كانوا على مذحج والأشعريين فقال: يا زياد اتق الله في كلّ ممسي ومصبح وخفف على نفسك الدنيا الغرور ولا تأمنها على حال من البلاء. وأعلم أنك إن لم ترع نفسك عن كثير مما يجب مخافته مكروهه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرّ فكن لنفسك مانعاً وادعاً من البغي والظلم والعدوان فإني قد ولستك هذا الجند فلا تستطيلن عليهم وإنّ خيركم عند الله أتقىكم، وتعلم من عاملهم [علم] جاهمهم واحلم عن سفيههم فإنك إنما تدرك الخير بالحلم وكفّ الأذى والجهد.

أقول: كلامه هذا مذكور في النهج المعنون بقول الرضي: ومن وصيّة

له عليه السّلام وصّى به شريح بن هانى لِمَّا جعله على مقدّمه إلى الشام: اتقّ اللّه فـى كلّ صبـاح ومسـاء وخفـ على نفسك الدّنيـا - إلخ. و هو المختار 56 من بـاب الكـتب والرسـائل و بين النـسختـين أعنـى بين ما فـى النـهج وكتـاب صـفـين لـنصر اختـلاف فـى الجـملـة و سـيـاتـى شـرـحـها و تـحـقـيقـها فـى محلـها إن شـاء اللـه تعـالـى، فـلنـرجـع إـلـى ما أـتـى بـه نـصـر فـى كـتاب صـفـين.

فقال زيد: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيتك مؤدبًا بأدبك، يرى الرشد في نفاذ أمرك، والغى في تصييع عهلك.

فأمرهما أن يأخذَا في طريق واحد ولا يختلفا. وبعثهما في اثنى عشر ألفاً، على مقدّمه شريح بن هانى على طائفة من الجنـد و زـيـاد عـلـى جـمـاعـة. فأخذـ شـريـح يـعـتـزـل بـمـن مـعـه مـن أـصـحـابـه عـلـى حـدـة و لا يـقـرـب بـزيـاد بـن النـصـر. فـكـتب زـيـاد مـع غـلام لـه أو مـولـى يـقـال لـه شـوـذـكـ.

### كتاب زياد بن النصر الى أمير المؤمنين على عليه السلام

لعبد الله على أمير المؤمنين من زياد بن النصر سلام عليك فاتى أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ أَمَّا بَعْد فَإِنَّكَ وَلَيْتَنِي أَمْرَ النَّاسِ وَأَنْ شَرِيكًا لَّا يَرَى لِي عَلَيْهِ طَاعَةً وَلَا حَقًا وَذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ بِمَا اسْتَخْفَافًا بِأَمْرِكَ وَتَرْكًا لِعَهْدِكَ.

### كتاب شريح بن هانى اليه عليه السلام

وكتب شريح بن هانى - إليه عليه السلام - سلام عليك فإنّى أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْد فَإِنَّ زَيَادَ بْنَ النَّصَرَ حِينَ أَشْرَكَتْهُ فِي أَمْرِكَ وَلَيْتَهُ جَنْدًا مِنْ جَنْدِكَ تَنْكِرُ وَاسْتَكْبَرُ وَمَالَ بِهِ الْعَجْبُ وَالْخِيلَاءُ وَالْزَّهْوُ إِلَى مَا لَا يَرْضَاهُ الرَّبُّ تَبارَكُ وَتَعَالَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْفَعْلِ فَإِنَّ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْزِلَهُ عَنَّا وَيَبْعَثَ مَكَانَهُ مِنْ يَحْبُّ فَلَيَفْعُلْ فَإِنَّا لَهُ كَارِهُونَ وَالسَّلَامُ.

وهذا الكتاب هو الذى أتى به الرضى فى النهج وعنونه بقوله و من وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه الى العدو أعنى تلك الوصية التي نحن بصدق شرحها الان على صورته الكاملة على رواية نصر فكتب إليهما على عليه السَّلام: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَوَافِرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى زَيْدِ بْنِ الْنَّضْرِ وَشَرِيحِ بْنِ هَانِيٍّ، سَلَامٌ عَلَيْكُمَا فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ مَقْدَمَتِي زَيْدَ بْنَ النَّضْرِ وَأَمْرَتُهُ عَلَيْهَا وَشَرِيحَ عَلَى طَافَةٍ مِّنْهَا أَمِيرٌ، فَإِنْ أَنْتُمَا جَمِيعَكُمَا بِأَسْفِ زَيْدِ بْنِ النَّضْرِ عَلَى النَّاسِ، وَإِنْ افْتَرَقْتُمَا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِّنْكُمَا أَمِيرٌ عَلَى الطَّافَةِ الَّتِي وَلَيْنَاهُ أَمْرُهَا.

فاعلما أنّ مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم. فإذا أنتما خرجتما من بلاد كما فلا تساما من توجيه الطّلائع، من نقض (نقض - ظ) الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كيلا يغترّ كما عدو، أو يكون لهم كمين.

ولا تسيرن الكتايب إلاّ من لدن الصباح إلى المساء إلاّ على تعبيه؛ فإن دهمكم دهم، أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبيه.

وإذا نزلتم بعدّ أو نزل بكم فليكن معسّركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهر كي ما يكون ذلك لكم رداء، و تكون مقاتلتكم من وجه أو اثنين.

واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال، وبأعلى الأشراف، ومناكب الأنهر يرون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن.

وإياكم والتفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا، وإذا رحلتم فارحلوا جميعا و إذا غشيكم ليل فنزلتم فحفّوا عسّركم بالرماح والأترسة (و الترسه)؛ ورماتكم يلون ترسكم و رماحكم وما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة، ولا تلفي لكم

غرة؛ فما قوم حفوا عس克راهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنهم في حصون.

واحرسا عسکر كما بنفسكم، وإياكم أن تذوقنوما حتى تصبحا إلا غرارا أو مضمضة، ثم ليكن ذلك شأنكم ودأبكم حتى تنتهيها إلى عدوكم، ول يكن عندي كل يوم خبر كما، ورسول من قبلكم؛ فائي ولا شيء إلا ما شاء الله حيث السير في آثاركم، عليكم في حربكم بالتزدة، وإياكم والعجلة إلا أن تمكّنكم فرصة بعد الإعذار والحجّة، وإياكم أن تقاتلا حتى أقدم عليكم إلا أن تبديا، أو يأتكم أمرى إن شاء الله والسلام.

### صورة الكتاب على روایة ابن شعبه

قد رواه أيضاً الشيخ العالم الجليل أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني المتوفى 332 هـ في تحف العقول عن آل الرسول (ص 44 طبع ايران 1303 هـ) لكنه رحمة الله نقل أن هذا الكتاب كتبه إلى زياد بن النضر فقط فإنه بعد ما أتى بالوصية التي وصي بها زياد بن النضر حين أفسده على مقدمته إلى صفين وهي قوله عليه السلام:

اتق الله في كل ممسي ومصبح - إلى قوله: وكف الأذى والجهد - كما رواها نصر قال: ثم أردفه بكتاب يوصيه فيه ويحذر.

اعلم أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك، ودنوت من عدوك فلا تسأم من توجيه الطلائع في كل ناحية وفي بعض الشعاب والشجر والخمر وفي كل جانب حتى لا يغريك عدوكم ويكون لكم كمين، ولا تسير الكتائب والقتالين من لدن الصباح إلى المساء إلا تعيبة، فإن دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعيبة، وإذا نزلتم بعدو فليكن عسکركم في اقبال الأشراف، أو في سفاح الجبال، أو أثناء الأنهر كي ما تكون لكم ردعاً ودونكم مرداً. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد وأثنين، واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال، وبأعلى الأشراف، وبمناكب الأنهر يرئون لكم لنلاً يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن، وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم

فارحلوا جمِيعاً. وإذا غشِيكم اللَّيل فنزلتم فحفَّوا عسكركم بالرماح والترس، واجعلوا رماتكم يلون ترسُتكم كيلا تصاب لكم غرَّة، ولا تلقى لكم غفلة. واحرس عسكرك بنفسك. وإياك أن ترقد أو تصبح إلَّا غراراً أو مضمضة، ثمَّ ليكن ذلك شأنك ودأبك حتى تنتهي إلى عدوِّك. وعليك بالتأني في حربك. وإياك والعجلة إلَّا أن تمكنك فرصة. وإياك أن تقاتل إلَّا أن يدعوك أو يأتيك أمرٍ وسلام عليك ورحمة الله.

ثمَّ إنَّ كتابه هذا على رواية تحف العقول منقول في أبواب الجهاد من البحار (ص 98 ج 21 من الطبع الكمبانى وفي ص 627 ج 8 منه أيضاً) وعلى رواية صفين لنصر منقول في باب بغي معاوية وامتناع أمير المؤمنين عليه السَّلام تأميره من البحار (ص 477 ج 8 من ذلك الطبع).

## اللغة

«أحمد إليكما الله» قال المرزوقي في شرح الحماسة 93: الحمد: الشاء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضاة، وبهذا المعنى فارق الشَّكر، لأنَّ الشَّكر لا يكون إلَّا على صنيعة، انتهى.

أقول: الظاهر من قوله وبهذا المعنى فارق الشَّكر أنه أراد أن يبيّن مورد افتراق معنى الحمد والشَّكر وإلَّا فالحمد أعمٌ من الشَّكر لأنَّه تحمد الإنسان على صفاتِه الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاتِه.

وأمّا معنى قوله: أحمد إليكما الله فقال: ابن الأثير في النهاية: وفي كتابه عليه السَّلام أمّا بعد فائيَّ أحمد إليك الله أى أحمده معك فأقام إلى مقام مع. وقيل: معناه أَحْمَدَ إِلَيْكَ نَعْمَةَ اللهِ بِتَحْدِيثِكِ إِيَّاهَا.

«ولَّيت» من التولية يقال: ولَّى الأَمِيرُ فلاناً الْأَمْرَ إِذَا جَعَلَهُ وَالْيَا عَلَيْهِ.

وفي صلاح الجوهرى: ولاهُ الأَمِيرُ عَمِلَ كَذَا، وَلَوْلَاهُ بَعَ الشَّيْءَ وَتَوَلَّى الْعَمَلُ أَى تَقَلَّدَ.

«مقدمة» في الصدح: مقدمة الجيش بكسر الدال: أولاً، وفي النهاية الأثيرية وفي كتاب معاوية إلى ملك الروم: لاكونن مقدمته إليك أى الجماعة التي يتقدم الجيش من قدم بمعنى تقدم؛ وقد استعيرت لكل شئ فقيل: مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام بكسر الدال وقد يفتح. «أمرته عليها» أى جعلته أميراً عليها يقال: أمره إذا ولأه الإمارة و حكمه.

«عيونهم» العيون واحد العين بفتح العين، و معناه هنا: الجاسوس والراصد ويقال بالفارسية ديدبان ففي الصدح: العين: الديدان والجاسوس. وفي النهاية الأثيرية:

وفي الحديث أى الله بعث بسبعة عيناً يوم بدر أى جاسوساً. واعتن له إذا أتاها بالخبر؛ و منه حديث الحديبية كان الله قد قطع عيناً من المشركين أى كفى الله منهم من كان يرصدنا و يتتجسس علينا أخبارنا.

«طلائعهم» جمع طليعة و طليعة الجيش هم القوم الذين يبعثون ليطلعوا طلع العدو كالجواسيس. «لا تساماً» أى لا تملأ، يقال ستم الشيء يسئم سامة من باب علم أى ملأه و ضجر منه؛ والسامة: الممل والضجر.

«نقض» النقض بالقاف: الهدم، ولكن أرى أن النقض مصحف والصواب النقض بالفاء ففي صدح الجوهرى: وقد نقضت المكان واستنفضته و تنفسته أى نظرت جميع ما فيه قال زهير:

و تنقض عنها غيب كل حميلا و تخشى رماة الغوث من كل مرصد

و استنفض القوم أى بعثوا النفيضة، ويقال: إذا تكلمت ليلاً فانقضت أى التفت هل ترى من تكره. و النفض بالتحرىك: الجماعة يبعثون في الأرض لينظروا هل فيها عدو أو خوف، وكذلك النفيضة نحو الطليعة.

وفي النهاية الأثيرية: وفي حديث أى بكر والغار: أنا أقض لك ما حولك أى أحرسك وأطوف هل ترى طلباً. يقال: قضت المكان واستنفضته و تنفسته إذا نظرت جميع ما فيه. و النفضة بفتح الفاء و سكونها، والنفيضة قوم يبعثون متحسسين هل يرون عدواً أو خوفاً.

«الشَّعَابُ» بكسر الشين جمع الشعب بكسرها أيضاً أى الطريق في الجبل.

وَمَا انْفَرَجَ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَمَسِيلُ الْمَاءِ فِي بَطْنِ أَرْضٍ.

«الخمر» بالتحريك كلما سترك وواراك من الشجر والجبال ونحوها؛ قال ابن الأثير في النهاية: ومنه حديث أبي قتادة فابغنا مكانا خمراً أى ساترا بتكافف شجره. وفي الصحاح: تقول: توارى الصيد مني في خمر الوادي. وفي البيان والتبيين للجاحظ ص 210 ج 3 قال الشاعر:

ثُمَّ أَرْمِيكُمْ بِوْجَهِ بَارِزٍ لَسْتُ أَمْشِي لِعَدْوِي بِخَمْرٍ

«كمين» الكمين: القوم يكمنون المعدو ويستخفون في مكمن لا يفطن له ثم ينتهزون غرة العدو فينهضون عليه، من قوله كمن كمونا من بابي نصر وعلم إذا احتفى وتوارى. ومنه قوله: هذا أمر فيه كمن؛ أى دغل لا يفطن له.

«الكتائب» جمع الكتبة من كتبة أى جمعت، تقول: فلان كتب الكتابات تكتيباً أى عبّي كتبة كتبة، و تكتبت الخيال أى تجمعت فالكتبية من الجيش ما جمع فلم يتشر؛ الحق الهاء بها لأنّه جعل اسمها. وفي النهاية الأثيرية: في حديث السقيفة نحن أنصار الله وكتبية الإسلام، الكتبية: القطعة العظيمة من الجيش، والجمع الكتابات.

قال الفرار السلمي (الحماسة 38):

وَكَتِيبَةَ لَبَسَتْهَا بِكَتِيبَةِ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي

فتركتهم تقصد الرّماح ظهورهم من بين منعف وآخر مستند

في شرح المرزوقي عليها: هذا يتبيّح بأئمه مهياج شرّ وأذى، و جمّاع بين كتاب شتى تقاتل من دونه، ثم يخرج هو من بينهم غير مبال بما يجرون إليه، ولا مفكّر فيما ينتج من الشر فيهم، فيقول: ربّ كتبية خلطتها بكتبية.

فلما اختلطت نفاضت يدي منهم ولهم وخلّيتهم وشأنهم.

«فَإِنْ دَهْمَكُمْ دَهْمٌ» دهمه أمر أى فاجأه وغشيه من بابي منع وعلم وفي الحماسة 71:

وكم دهمتى من خطوب ملّة صبرت عليها ثم لم أتخشّع

قال الجوهرى في الصحاح: الدّهم: العدد الكبير؛ والجمع الدّهوم وقال الشاعر:

جئنا بدهم يدهم الدّهوم ما مجر كأن فوقه النجوما

وفي النهاية الأنثيرية: في الحديث لما نزل قوله تعالى تسعه عشر (المدثر - 31) قال أبو جهل: أما تستطيعون يا معاشر قريش و أنتم الدّهم أن يغلب كلّ عشرة منكم واحداً؟ الدّهم: العدد الكبير. ومنه الحديث محمد في الدّهم بهذا القوز<sup>(1)</sup> وحديث بشير بن سعد فأدركه الدّهم عند الليل، والحديث الآخر من أراد أهل المدينة بدهم أي بأمر عظيم وغائلاً؛ من أمر يدهمهم أي يفجأهم.

«معسّر» على هيئة المفعول: موضع العسّر أي الجيش ويقال بالفارسية:

لشكراً.

«قبل» في الصحاح: القبل - بضم القاف وسكون الباء - و القبل - بضمّهما -:

تقىض الدّبر والدّبر - كذلك ويقال: أنزل بقبل هذا الجبل أي بسفحه. انتهى قوله. وفي النهاية: القبل: ما استقبلك من الشيء، فقبل الأشراف ما استقبلك منها.

و جاء في بعض النسخ قبيل مصغراً؛ وفي بعضها الآخر: قبل بكسر القاف وفتح الباء ولكن الأول هو الصواب.

«الأشراف» جمع الشرف محرّكة في الصحاح: الشرف: العلوّ والمكان العالى. وقال الشاعر:

آتى الندى فلا يقرب مجلسى وأقود للشرف الرفيع حمارى

يقول: إنّى خرفت فلا ينتفع برأيي، وكبرت فلا استطيع أن أركب من الأرض حمارى إلاّ من مكان عال و جبل مشرف عال.

«سفاح» بكسر أوله جمع السفح بالفتح. وفي الصحاح: سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء وهو مضطجعه، وقال المرزوقي في شرح الحماسة 33:

ص: 68

---

1- (1) القوز بالفتح: العالى من الرمل كأنه جبل. منه.

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقي طلحها وسياطها

دعوا لزار و انتينا لطيء كأسد الشري إقدامها و نزالها

ما هذل لفظه: والسفح أسفل الجبل ولا شهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل.

«أثناء الأنهر» منعطفاتها، جمع الثنى بكسر الأول و سكون الثاني.

وفي الصحاح: قال أبو عبيدة: الثنى من الوادى و الجبل منعطفه.

«ردا» بالكسر فالسكون: العون و الناصر، تقول: ردأت الرجل رداء من باب منع، وأرداته بمعنى أunte. وأرداته بنفسى: إذا كنت له رداء. وفي القرآن الكريم: «وَأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَزِيلُهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَحَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» (القصص - 36) و جمع الرداء أرداء.

«رقباء» جمع الرقيب، والرقيب الحافظ و الراصد و الحارس تقول رقبه رقوبا من باب نصر إذا رصده و حرسه، ورقيب الجيش طليعتهم و عينهم أيضا.

«صياصى» جمع الصيصة و الصيصة و في الصحاح: الصيصة: شوكة الحائـكـ الـتـى يـسـوـىـ بـهـاـ السـدـاـ وـ الـلـحـمـ؛ وـ مـنـهـ صـيـصـةـ الـدـيـكـ الـتـىـ فـىـ رـجـلـهـ، وـ صـيـاصـىـ الـبـقـرـ قـرـونـهـ، وـ رـبـماـ كـانـتـ تـرـكـبـ فـىـ الرـمـاحـ مـكـانـ الـأـسـنـةـ. وـ الصـيـاصـىـ: الـحـصـونـ. اـنـتـهـىـ.

وفي النهاية الأثيرية: فيه - يعني في الحديث - انه ذكر فتنة تكون في أقطار الأرض كأنها صياصى بقرأى قرونها، واحدتها صيصية بالتخفيض. وقيل:

شـبـهـ الرـمـاحـ الـتـىـ تـشـرـعـ فـىـ الـفـتـتـةـ وـ مـاـ يـشـبـهـهـاـ مـنـ سـائـرـ السـلـاحـ بـقـرـوـنـ بـقـرـ مجـتمـعـةـ وـ مـنـهـ حـدـيـثـ أـبـىـ هـرـيـرـةـ أـصـحـابـ الدـجـالـ شـوـارـبـهـ كـالـصـيـاصـىـ يـعـنـىـ أـنـهـاـ أـطـالـوـهـاـ وـ فـتـلـوـهـاـ حـتـىـ صـارـتـ كـانـهـاـ قـرـونـ بـقـرـ، وـ الصـيـاصـىـ أـيـضـاـ الـوـتـدـ الـذـىـ يـقـلـعـ بـهـ التـمـرـ، وـ الصـنـارـةـ الـتـىـ يـغـزـلـ بـهـاـ وـ يـسـجـ.ـ

أقول: فيما ذكرنا من معانى الصياصى يمكن أن يكون معنى صياصى الجبال رؤوسها لأن أحد معانيها القرون وأحد معانى القرون رءوس الجبال، كما يمكن

أن تكون الاضافة من قبيل لجين الماء أى الجبال التي كالحصون أو أنها حصون لأنها يمتنع بها كما أنّ ذا القرن يمتنع بقرينه.

«مناكب» جمع المنكب بفتح الميم وكسر الكاف، وفي الصحاح: المنكب من الأرض: الموضع المرتفع.

«الهضاب» بكسر الهاء جمع الهضبة بفتحها، وفي الصحاح: الهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض والجمع هضب وهضاب.

«الأترسة» الصواب الترسة، والأولى مصيحة. والترسة جمع الترس وهي صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه ويقال بالفارسية: سپر، وفي الصحاح: الترس جمعه ترسة وتراس وأتراس وتروس قال يعقوب: ولا تقل أترسة. انتهى.

«رماتكم» الرّماة جمع الرامي كالمشاة جمع الماشي. وأصلها الرمية كالطلبة أبدلت ياؤها ألفا.

«لا تلفي» أى لا توجد. تقول: أفيت الشيء إذا وجدته. قال تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبُؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَ لَا يَهْتَدُونَ» (البقرة - 167).

«كفة» بكسر الكاف أى مستديرة بحيث تحف العسكرية وتصير حصنًا لهم.

وفي الصحاح: كفة القميص بالضم: ما استدار حول الذيل. وكان الأصمعي يقول:

كلّ ما استطال فهو كفة بالضم نحو كفة الثوب وهي حاشيته، وكفة الرمل وجمعه كفاف؛ وكلّ ما استدار فهو كفة بالكسر نحو كفة الميزان، وكفة الصائد وهي حباليه، وكفة اللثة وهي ما انحدر منها. قال: ويقال: كفة الميزان أيضا بالفتح والجمع كفف. انتهى.

وقال المرزوقي في شرح الحماسة 56:

ملأت عليه الأرض حتى كأنها من الصّيق في عينيه كفة حابل

والكفة يجوز أن يريد به الحفيرة التي ينصب العابيل فيها الحالة، ويجوز أن يريد بها قترته، ويجوز أن يريد بها عين الحالة لأنها تجعل كالطوق وهذا أقرب لأن الخليل فسر الكفة على ذلك.

أقول: المراد منها هنا أن يحفّوا العسكر بالرماح والترسة حتى تكون حصناً لهم كما بين في نسخة نصر وسيوضح في المعنى أيضاً. وقد غلط بعض الشرح حيث قوله عليه السلام فاجعلوا الرماح كفة بقوله: ليكون الرماح حولكم ككة الميزان أي مجموعه.

«غراً» الغرار بالكسر، أحد معانيه: النوم القليل، تقول العرب: ما نومه إلا غرار. وقال تأبّط شرّاً كما في ديوان الحماسة من اختيار أبي تمام (حماسة 165):

و قالوا لها لا تتكحّيه فإنه لأول نصل أن تلقي مجمعاً

قليل غرار النوم أكبر همه دم الثار أو يلقى كميّاً مسفعاً

«مضمضة» هنا كنایة عن قلة النوم، والأصل في المضمضة: تحريك الماء في الفم والمضمضة في النوم أن تنام خفيفاً ثم تستيقظ ثم تنام خفيفاً وهكذا تشبّهها بمضمضة الماء في الفم، وفي الصحاح: يقال: ما مضمضت عيني بنوم أي ما نمت، وتمضمض النعاس في عينه، قال الراجز:

وصاحب تبتهه لينهضا إذا الكرى في عينه تمضمضًا

«حيث» أي سرع، يقال: ولّى حديثاً مسرعاً، وفي القرآن الكريم «يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثِيَاً» (الأعراف - 54) (التودة) بضم التاء وفتح الهمزة والدال: الرزامة والتائني والرفق مقابل العجلة، وأصلها من وأد كالتواد على وزن التكرار. وفي الصحاح: إتّاد في مشيه وتوأد في مشيه وهو افتتعل وتعلّق من التوادة وأصل التاء في إتّاد واو يقال: إتّند في أمرك أي ثبتت وفي الحماسة 74:

إنّي أمرؤ مكرم نفسي و متّد من أن أقادعها حتّى اجازيها

مقدّمتى وزياد مفعولان لقوله ولّيت فإذا أنتما خرجتما، الفاء فصيحة، وفى كلّ جانب متعلق بكلّ واحد من التوجيه والتفضى فإن دھمكم؛ الفاء تعليلية لقوله إلّا على تعبية وضمير يرون يرجع إلى الرقباء والفاء في فإذا نزلتم فصيحة، فحّفوا جواب إذا الثالثة، والفاء في فنزلتم تفريع على غشيمكم فما قوم حفّوا؛ الفاء تعليلية لقوله: فحّفوا عسکر كم بالرماح إلخ. قوله عليه السّلام: كيلا تصاب - إلى قوله: غرة، يمكن أن يكون تعليلاً - قوله حفّوا كما يمكن أن يكون تعليلاً لقوله: و ما أقمتم وإن كان بالأول أوفق، حيث السير خبر إنّ، و قوله عليه السّلام ولا شيء إلّا ما شاء الله جملة معترضة وقعت بين اسم إنّ و خبرها.

### المعنى

كتابه هذا من محسن كتبه عليه السّلام لفظاً و معنى و يا ليت الشريف الرضي رضوان الله عليه أتى بصورته الكاملة في النهج من دون التقاط بعضه و رفض بعضه الآخر.

ثم إنّ الكتاب مشتمل على قوانين كليلة أصلية لا بدّ لمن تولّى إمارة جيش أن يستعملها في الحرب كي يظفر على الخصم. ولا تختصّ تلك القوانين بعصر دون عصر بل تعمّ الأعصار والدهور؛ فلا مجال لأحد في أن يقول: إنّ الكتاب يتضمّن على قوانين الحرب في تلك الأعصار السالفة دون هذه الأزمان غاية الأمر أنّ أدوات الحرب تغيّرت، ولو تأمل في الكتاب من تدرّب في فنون المحاربة يجد قائله بطلاً محامياً و محارباً خريّتاً في فنون الحرب، وأميرًا لم يكن له في طول ذهره إلّا تعبية العساكر و تهيئه سلاح الحرب و تعليم فنون القتال، و اعمال الروية في كيفية مقابلة المقاتل في المعارك؛ مع أنه عليه السّلام كان في جميع الصفات الكمالية إماماً و قدوة، فدونك بما يتضمّن الكتاب:

قوله عليه السّلام: «و إن افترقتما فكلّ واحد منكم أمير على الطائفة التي وليتها أمرها» وقد دريت أنه عليه السّلام كتب إليهما هذا الكتاب بعد اعتزال شريح بن زياد و تنحّى زياد عنه، ثم إنّ الشركة في أمثال هذه الأمور قلّما تتّفق؛ على أنّ

الاجتماع على راية واحدة وأمير واحد أقرب إلى الظفر على الخصم من التساند في الحرب وقد أجمعوا على أن الشركة ردية في ثلاثة أشياء: في الملك، وال الحرب والرّوجة.

قوله عليه السلام: «فاعلما أن مقدمة القوم عيونهم - إلخ» قد أتى عليه السلام في هذا الكتاب بأحد وعشرين دستوراً ممّا لا بدّ أن يراعيها أمير الجيش طلباً للظفر على الخصم وهي ما يلى:

الاول: أنّ القوم لا بدّ لهم من مقدمة.

الثاني: أن المقدمة لا بدّ من أن يكونوا أكياساً حذّاقاً بصراء لأنّهم عيون القوم فالmeldung من القوم بمنزلة العين من الجسد وكما أنّ العين جاسوس للبدن تحفظه من المهالك وترافقه عن المهاوى كذلك المقدمة للقوم، ففي كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ص 117 ج 1 طبع مصر): ذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أنّ خالد بن برمك حين فصل مع قحطبة من خراسان، بينما هو على سطح بيت في قرية قد نزلها وهم يتغدون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قد أقبلت من جهة الصحاري حتى كادت تختلط العسكر، فقال لقحطبة: أيّها الأمير ناد في الناس: يا خيل الله اركبي، فإن العدو قد نهد إليك وحثّ، وغاية أصحابك أن يسرجوا ويلجموا قبل أن يروا سرعان الخيل، فقام قحطبة مذعوراً فلم ير شيئاً يروعه ولم يعاين غباراً، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيّها الأمير لا تشغل بي وناد في الناس، أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس! إن وراءها لجمعاً كثيفاً، قال: فوالله ما أسرجوا ولا أجموا حتى رأوا ساطع الغبار فسلموا، ولو لا ذلك لكان الجيش قد اصطلم.

الثالث: أن المقدمة لا بدّ من طلائع.

الرابع: أنّ الطلائع عيون المقدمة فالكلام في المقدمة كالكلام في الطلائع يجب أن يكونوا أكياس من المقدمة لأنّهم عيون العيون.

الخامس: أن يوجهوا الطلائع في كلّ جانب يظنّ فيه كمين مرة بعدمرة

كما يستفاد من قوله عليه السلام فلا تساماً أى لا تملأً من كثرة توجيهه الطلائع.

السادس: أن يبعثوا النفيضة كة بعد كة كما يستفاد من قوله عليه الله لام فلا تساماً أيضاً في كل جانب يظن فيه عدو في مكمن واغترار لينظروا في الشعاب وفي وراء الشجر والخمر. وعلل هذين القسمين بقوله كيلا يغترر كما عدو، أو يكون لهم كمين وهذان القسمان في الحقيقة متفرّغان على ما قبلهما ولذا أتى بفاء الفصيحة بعد قوله فاعلما أن مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم.

السابع: أن لا- تسير الكتائب في الليل لما في الليل من خوف الوقوع إلى التهلكة فحصر السير في النهار بقوله إلا من لدن الصباح إلى المساء.

الثامن: أن سير الكتائب إذا كان في الليل فلا بد من أن يكونوا على تعبية أى على تهيئة وتجهيز من قبل أن تسير الكتائب وعلل ذلك بقوله: فإن دهمكم دهم أو غشيمكم مكروه كتم قد تقدمتم في التعبية.

التاسع: إذا نزلوا بعدهم أو نزل العدو بهم فليكن المعسّر في قبل الأماكن العالية أو أسفل الجبال، أو منعطفات الأنهر وعلل ذلك بقوله كيما يكون لكم رداء دونكم مرداً.

العاشر: أن تكون المقاتلة من وجه واحد أو اثنين وذلك لأن المقاتلة إذ كانت من وجوه شتى تشتيت القوى فيتطرق الوهن والضعف في الجندي فيستلزم ظفر الخصم عليهم. والغرض من هذا الكلام أن الجيش ينبغي لهم أن يجعلوا معسّرهم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أنساء الأنهر كي لا يحمل عليهم الخصم من كل جانب بل من جانب واحد أو من جانبيين والجوانب الآخر تكون مصونة بالجبال والأنهر. وإن لم توجد الجبال والأنهر فيحفر الخندق حول العسكرية كما فعله الإمام سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في كربلاء.

الحادي عشر: لا بد للقوم من رقباء.

الثاني عشر: أن يجعل الرقباء في رءوس الجبال والتلال ونحوهما من موضع

مرتفع بحيث يرون للقوم؛ والسرّ في ذلك أنّهم إذا كانوا في موضع مرتفعة على مرئي قومهم يرون الخصم عن بعيد فيخبرون قومهم فلا ينزل الخصم عليهم بعثة كما صرّح عليه السّلام بذلك لثلاً يأتيكم عدو من مكان مخافة أو أمن.

الثالث عشر: أن يحذروا من التفرق لأنّ الاجتماع يوجب الهيبة والعظمة تجاه الخصم فيستلزم ونهه وانكساره. وفي القرآن الكريم: «وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَأَسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» (آخر الفتح). وفرع على التحذير من التفرق قوله: فإذا نزلتم وأتي بالفاء الفصيحة أى إذا كان التفرق محذورا منه فانزلوا جميعا وارحلوا جميعا.

الرابع عشر: أن يحفّ العسّكر بالرماح والترسّة كى تصير الرماح والترسّة حصنا لهم وعلّ ذلك بقوله فما قوم حفوا عسّكرهم برمّاحهم وترسّتهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنّهم في حصنون.

الخامس عشر: أن الرّماة يلون الترسّة والرّماح. والمراد أن كلّ من تدرّب في فنّ من فنون الحرب يلى أمره ولما أمرهم بأن يحفّوا العسّكر بالرماح والترسّة وأشار إلى أن الرّماة يلون الترسّة والرّماح لأن ذلك أربط للجاش وأنّهن وآكد في الحراسة.

السادس عشر: إذا أقام الجيش في منزل وإن كانت الإقامة في النهار فكذلك عليهم أن يحفّوا العسّكر بالترسّة والرّماح ويجعلوا شأن الترسّة والرّماح على الرّماة وأشار إلى هذا الدستور بقوله وما أقمتم فكذلك فافعلوا، وإنما قيدنا الإقامة بالنهار لأنّه عليه السّلام بعد ما أمر بعمله في الليل بقوله: وإذا غشيكم ليل - إلخ أتى بقوله: هذا و ما أقمتم - إلخ. ثم إنّه عليه السّلام بعد ذلك يقول: فما قوم حفوا عسّckerهم برمّاح وترسّتهم من ليل أو نهار إلا كانوا كأنّهم في حصنون فأتى بالليل والنهار على سبيل اللفّ والنشر المرتّبين بقوله: من ليل يشير إلى قوله: وإذا غشيكم ليل، وقوله عليه السّلام: أو نهار يشير إلى قوله: بما أقمتم فكذلك فافعلوا غاية الأمر أن يقال بما أقمتم يعمّ الجديدين. فلا ضير أيضا، ثم عللّه بقوله كيلا تصاب لكم غفلة ولا تلفي

لكم غرّة، وذلـك لأنـهم إذا اعتقدـوا أنـ يحفـّوا العـسـكر بالـرـماـح وـالـترـسـة مـهـمـا أـقـامـوا لـا تـقوـتـهمـ الـكـفـةـ فـى الـلـيـلـ ولـذـا قـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ: كـيـلاـ تصـابـ بـكـمـ غـفـلـةـ وـلـا تـلـفـيـ لـكـمـ غـرـّةـ، وـاـنـ جـعـلـ قـوـلـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ: كـيـلاـ تصـابـ دـلـيـلاـ لـقـوـلـهـ فـحـفـّـوا عـسـكـرـكـمـ فـالـأـمـرـ أـوـضـحـ.

السابـعـ عـشـرـ: أـنـ يـحـفـظـ الـأـمـيرـ قـوـمـهـ بـنـفـسـهـ وـلـا يـحـمـلـهـ عـلـىـ غـيـرـهـ لـأـنـهـ إـذـا جـانـبـ الـعـسـكـرـ لـا يـرـاقـبـهـمـ غـيـرـهـ مـنـ أـفـرـادـ الـجـنـدـ كـمـاـ يـنـبـغـىـ فـرـبـمـاـ يـنـجـرـ إـلـىـ فـرـارـ بـعـضـ أـوـ اـسـتـيـلـاءـ الـخـصـمـ عـلـىـ غـفـلـةـ وـغـيـرـهـمـاـ مـنـ الـمـفـاسـدـ.

وـفـىـ نـوـادـرـ الرـاوـنـدـىـ يـاـسـنـادـهـ عـنـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ، عـنـ آـبـائـهـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ قـالـ:

قـالـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـىـ عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ: كـانـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ يـاـشـرـ القـتـالـ بـنـفـسـهـ وـلـا يـأـخـذـ السـلـبـ (الـبـحـارـ الـكـمـبـانـىـ صـ 100ـ جـ 21ـ).

الـثـامـنـ عـشـرـ: أـنـ يـجـتـبـواـ مـنـ النـومـ الطـوـيلـ بـلـ مـنـ الـقـلـيلـ أـيـضـاـ إـلـاـ غـرـارـاـ أوـ مـضـمـضـةـ لـنـلـاـ يـدـهـمـهـمـ الـخـصـمـ وـهـمـ نـيـامـ.

الـتـاسـعـ عـشـرـ: أـنـ عـلـيـهـمـ التـائـىـ وـالـرـفـقـ فـىـ الـحـربـ وـالـتـحـدـرـ مـنـ الـعـجلـةـ.

ثـمـ اـسـتـشـنـىـ الـحـكـمـ بـالـتـائـىـ بـقـوـلـهـ إـلـاـ أـنـ تـمـكـنـكـمـ فـرـصـةـ بـعـدـ الـاعـذـارـ وـالـحـجـةـ.

الـعـشـرـونـ: أـنـ يـقـدـمـواـ الـإـعـذـارـ وـالـحـجـةـ وـالـنـصـحـ قـبـلـ الـحـربـ.

الـواـحـدـ وـالـعـشـرـونـ: أـنـ لـاـ يـقـدـمـواـ فـىـ الـحـربـ وـلـاـ يـبـتـدـءـواـ فـيـهـ وـسـيـجـىـءـ الـكـلـامـ فـىـ هـذـيـنـ الـوـجـهـيـنـ فـىـ الـمـخـتـارـيـنـ 14ـ وـ15ـ مـنـ هـذـاـ الـبـابـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ.

ثـمـ إـنـ فـىـ الـفـصـلـ السـابـعـ وـالـثـلـاثـيـنـ مـنـ الـبـابـ الـثـالـثـ مـنـ مـقـدـمـةـ اـبـنـ خـلـدونـ مـطـالـبـ مـفـيـدـةـ فـىـ الـحـرـوـبـ وـسـيـاسـتـهـاـ وـمـاـ يـتـعـلـقـ بـهـاـ وـمـذاـهـبـ الـأـمـمـ فـيـهـاـ وـأـقـاسـمـهـاـ، وـقـالـ فـيـهـ: وـاـنـظـرـ وـصـيـةـ عـلـىـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ وـتـحـرـيـصـهـ لـأـصـحـابـهـ يـوـمـ صـفـيـنـ تـجـدـ كـثـيـراـ مـنـ عـلـمـ الـحـرـبـ وـلـمـ يـكـنـ أـحـدـ أـصـرـ بـهـاـ مـنـهـ قـالـ فـىـ كـلـامـ لـهـ: فـسـوـّـواـ صـفـوـفـكـمـ كـالـبـنـيـانـ الـمـرـصـوصـ - إـلـخـ. فـمـنـ شـاءـ فـلـيـطـلـبـهـاـ (صـ 270ـ طـبـ مـصـرـ).

این کتاب یازدهم از باب مختار کتب و رسائل امیر علیه السلام است که در آن لشکری را که بسوی دشمنی گسیل داشت بدستورهایی وصیت کرده است.

امیر علیه السلام این نامه را به شریح بن هانی و زیاد بن نصر نوشت گاهی که آن دوراً بر لشکری امارت داد و در اثنای راه بمخالفت یکدیگر اقدام کردند و هر یک نامه‌ای بامیر المؤمنین علیه السلام نوشته و از مخالفت دیگری حضرتش را اعلام کرد. و زیاد نامه نوشته که شریح از طاعت من سر باز زد و برای من حقی روانمی دارد و امر امیر را سبک شمرده و پیمانش را ترک گفت، و شریح نامه نوشته که زیاد تکبّر نمود و بدخوبی کرد و عجب و خوبی و فخر او را به گفتار و کرداری که خداوند از آن خرسند نیست کشانید، و از امیر علیه السلام عزلش را درخواست کرد. چون نامه آن دو بان بزرگوار رسید در جوابشان مرقوم فرمود:

بسم الله الرحمن الرحيم از بنده خدا علىي امير المؤمنين به زياد بن نصر و شريح بن هاني؛ درود بر شما، من با شما حمد ميکنم خدائي را که نیست جز او خدائي آما بعد همانا که تولیت مقدمه لشکر را به زياد برگزار کرده ام و او را امير بر آنان گردانيد. و شريح بر طافه اى از ايشان امير است. پس اگر کار شما به وفاق کشيد زياد بر مردم امير است، و اگر به خلاف انجاميد هر يكى بر طافه اى که شما را بر آنها والى گردانيد امير خواهد بود.

بدانيد که مقدمه لشکر ديد باشانت و طليعه ديدبان مقدمه اند (مقدمه گروهي هستند که پيشاپيش لشکرند و جاسوسشان، و طليعه نفری چند که جاسوس مقدمه اند) از اين روی چون از شهر خود بدر رفتيد از فرستادن طليعه ها بگوشه و کنار و اين سوي و آن سوي خودداری نکنيد و از تفتيش و تجسس در دره ها و پشت درختها و کوهها و مانند آنها از هر سوي کوتاهی نکنيد و از کثرت اين کار ملال نگيريد که مبادا دشمن در کمين باشد و ناگهان شما را بفربيشد و غفلت گير کند.

و باید که سپاه از شبروی بر حذر باشند و فقط از بامداد تا شامگاه راه بپیمایند

مگر این که اگر بخواهند شبروی کنند از پیش آمادگی داشته و خود را مجّهز کرده باشند که اگر دشمن نابهنجام روی آورد شما نیز آماده و از پیش برای دفاع در تعییه بوده و تهیّه دیده باشید.

پس هر گاه بر سر دشمن فرود آید یا دشمن بر شما فرود آید باید لشکرگاه شما در پیش جاهای بلند یا دامنه کوهها یا در خم جویها باشد تا شما را از شر دشمنان مددی و در پیش رویتان از آنان سد و مانعی بود، و باید که کارزارتان از یک روی یا دور روی باشد (یعنی جهات دیگر باید بکوه یا به نهر محفوظ باشد که دشمن از هر طرف دست نیابد و حمله نکند).

و دیده بانها و پاسبانهای لشکر را بر سر کوهها و بر بلندی پشته ها قرار دهید تا دشمن از رهگذر خوف یا أمن بر سر شما ناگهان فرود نیاید.

و باید که از پراکندگی بپرهیزید از این روی هر گاه فرود می آید همگی یک بار فرود آید، و اگر کوچ می کنید همگی یک بار کوچ کنید.

و هر گاه شب فراسد و فرود آمدید نیزه ها و سپرها را در گردآگرد لشکر دیوار لشکر کنید، و کار نیزه ها و سپرها را به تیراندازان واگذارید. و اگر روز هم در جایی فرود آمدید همین کار کنید تا مبادا که در غفلت باشید و ناگهان دشمن بر شما بتازد چه هیچ لشکری خواه در شب جایی فرود آیند و خواه در روز گردآگرد خود را به نیزه ها و سپرها نگرفتند مگر این که گویی در دیواری قرار گرفتند.

و باید خودتان لشکر را پایید، و بپرهیزید از خواب تا بیداری شب بروز آورید مگر این که خواب اندکی مضمضه کنید. و باید بدینسان که گفته ام خوی کنید و پایدار باشید تا با دشمن روی روی شوید. و باید هر روز از شما خبر داشته باشم. و من بخواست خدا بسرعت از پی شما خواهم آمد و باید در جنگ تائی کنید و از شتاب دوری جویید مگر این که گاهی فرصت شما را بشتاب در جنگ پس از آنکه حجّت را بر خصم به پند و اندرز تمام کرده باشید دست دهد. و مبادا تا من نیامدم اقدام بجنگ کنید. مگر این که دشمن افتتاح و ابتدای به جنگ کند، یا این که دستور من بخواست خدا برسد. والسلام.

## اشارة

إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له

و كلامه هذا هو المختار الثاني عشر من باب كتبه و رسائله و عهوده و صاياته عليه السلام إنّ اللَّهُ الَّذِي لَا يَدْلِكُ مِنْ لِقَانِهِ، لَا يَمْتَهِي لِكَ دُونَهِ، وَ لَا يَقْاتِلُ إِلَّا مِنْ قَاتِلِكَ، وَ سُرُّ الْبَرَدِيْنِ، وَ غُورُ النَّاسِ، وَ رُوفَّهُ فِي السَّيْرِ، وَ لَا تَسْرُ أَوْلَى اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، وَ قَدْرُهُ مَقَامًا لَا يَظْعَنُ، فَأَرْحَ فِيهِ بَدْنَكَ، وَ رُوحُ ظَهُورِكَ، فَإِذَا وَقَتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحْرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسَرُّ عَلَى بَرْكَةِ اللَّهِ، فَإِذَا لَقِيْتَ الْعَدُوَّ فَقَفِّفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسْطًا، وَ لَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنْوًّا مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَنْشَبَ الْحَرْبُ، وَ لَا تَبَاعِدْ مِنْهُمْ تَبَاعِدْ مِنْ يَهَابُ الْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي، وَ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَانَهُمْ عَلَى قَتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ إِلَاعِذَارِ إِلَيْهِمْ.

## ذكر سنداتها و الكلام في تلقيتها

رواه نصر بن مزاحم المنقري التميمي الكوفي الملقب بالعطّار من معاصرى محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام باقر علوم الأولين والآخرين فى كتاب صفين (ص 78

ص: 79

من الطبع الناصري) عن عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن نمير بن وعلة، عن أبي الودّاك أَنَّ عَلِيًّا بَعْثَ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعْقُلَ بْنَ قَيْسَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ وَقَالَ لَهُ:

خذ عَلَى الْمَوْصِلِ ثُمَّ نَصِيبِينَ ثُمَّ الْقُنْيَى بِالرَّقَّةِ فَإِنِّي مَوْافِيهَا وَسَكَنُ النَّاسِ وَآمِنُهُمْ، وَلَا تَقَاتِلْ إِلَّا مِنْ قَاتِلِكَ، وَسَرُّ الْبَرْدِينِ، وَغُورُ النَّاسِ، وَأَقْمَ اللَّيلِ، وَرَفْهُ فِي السَّيْرِ، وَلَا تَسْرُ أَوْلَى اللَّيلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، أَرْحَ فِيهِ بَدْنَكَ وَجَنْدَكَ وَظَهَرَكَ فَإِذَا كَانَ السَّحْرُ وَحِينَ يَنْبَطِحُ الْفَجْرُ فَسَرُ.

فخرج - يعني معقل بن قيس - حتّى أتى الحديثة - وهى إذ ذاك منزل الناس إنّما بني مدينة الموصل بعد ذلك محمد بن مروان - فإذا هم بكبشين ينتظحان ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة قتل بعد ذلك مع الحرورية فأخذ يقول: إيه إيه فقال معقل: ما تقول؟ قال: فجاء رجالان نحو الكبشين فأخذ كلّ واحد منها كبشا ثم انصرف، فقال الخثعمي لمعقل: لا تغلبون ولا تغلبون.

قال له: من أين علمت ذلك؟ قال: أما أبصرت الكبشين أحدهما مشرق والآخر مغرب التقى فاقتلا وانتظحا فلم يزل كلّ واحد منها من صاحبه منتصفا حتّى أتى كلّ واحد منها صاحبه فانطلق به، فقال له معقل: أو يكون خيرا مما تقول يا أخي خثعم؟ ثم مضوا حتّى أتوا علينا بالرقّة. انتهى كلام نصر.

أقول: وصيّته عليه السلام لمعقل على نسخة نصر لا تتجاوز عن قوله حين ينبطح الفجر فسر كما نقلناها عنه وذيلها كان من وصيّته عليه السلام لمالك الأشتر وقد رواها نصر في صفين أيضا (ص 81) وسيأتي تمام وصيّته لمالك في شرح المختار الثالث عشر من هذا الباب أعني المختار التالى لهذه الوصيّة وقدمنا صورة وصيّته عليه السلام لمالك المتضمنة لما في ذيل هذه الوصيّة لمعقل عن أبي جعفر الطبرى في شرح المختار 236 من باب الخطب أيضا فراجع إلى ص 221 من ج 1 من تكميلة المنهاج.

فيما روينا عن الطبرى وما يأتي عن نصر في صفين المتأخدين في صورة تلك الوصيّة لمالك المتضمنة لذيل هذه الوصيّة، علم أنّ هذه الوصيّة لمعقل ملفقة

من وصيّتين صدرها من وصيّته عليه السلام لمعقل وذيلها لمالك. والشريف الرضي قدس سره مال إلى أنّها وصيّة واحدة قالها لمعقل وقد علمت ما فيه. على أنّ إسقاط بعض عباراته عليه السلام وتلفيق بعض آخر إلى خطبة أو كتاب غير عزيز في النهج وقد دريت أنه من عادة الرضي رحمة الله لأنّ ما كان يهمه التقاط الفصيح من كلامه عليه السلام اللهم إلا أن يقال انه ظفر برواية أخرى لا توافق ما في تاريخ أبي جعفر الطبرى وما في صفين لنصر وعد فيها جميع هذه الوصيّة وصيّة واحدة لمعقل ولم نظر بها.

والذى يسهل الخطاب أن يقال إنّ الأمير عليه السلام كتب مضمونا واحدا ودستورا فاردا إلى أكثر من واحد من امراء جيشه فإنّ ما يجب أن يراعيها هذا من قوانين الحرب يجب أن يراعيها ذاك أيضا غایة الأمر أن نصرالله ينقل وصيّته عليه السلام لمعقل كاملة وذلك لأنّ ظاهر كلام الشريف الرضي رحمة الله يأى عن أن يقال إنّ هذه الوصيّة ملقة من وصيّتين وهو رحمة الله أجلّ شأننا من أن يسند وصيّته عليه السلام لمالك إلى أنه وصيّته لمعقل، والمواضع التي اسقط بعض كلامه عليه السلام ولقق بعضه الآخر يغاير المقام فتأمل.

## اللغة

«دونه» قد مضى ذكر معانى دون فى شرح المختار السادس من كتبه عليه السلام ورسائله، وهنـا بمعنى سوى أى ليس لك سواه منتهى.

«سر» أمر من السير كما أنّ قوله لا تسر نهـى عنه ومشتق منه.

«البردان»: الغـدة و العـشـى، قال الجوهرى في الصحاح: البردان:

العصـران، و كذلك الأـبرـدان و هـما الغـدة و العـشـى، ويـقال: ظـلاـلـهـما و قال - يعني الشاعـر - :

إذا الأـرـطـى توـسـدـ أـبـرـديـه خـدـودـ جـوـازـيـ بالـرـمـلـ عـيـنـ

أقول: البيت للشـمـاخـ بن ضـرـارـ نـقـلـهـ الجـاحـظـ فـىـ الـبـيـانـ وـ التـبـيـنـ أـيـضاـ (صـ 251 جـ 2) وـ الـجـوـازـ بـقـرـ الـوـحـشـ، وـ الـعـيـنـ جـمـعـ الـعـيـنـاءـ، وـ الـعـصـرانـ ثـنـىـ عـلـىـ التـغـلـيبـ أـيـ الصـبـحـ وـ الـعـصـرـ كـقـولـكـ صـلـاتـ الـظـهـرـيـنـ وـ فـسـرـهـماـ ثـانـيـاـ بـقـولـهـ: وـ هـماـ الغـدةـ وـ العـشـىـ.

قال ابن الأثير في النهاية: فيه - يعني في الحديث -: من صلى البردين دخل الجنة، البردان والأبردان: الغداة والعشى وقيل: ظلاّهما، ومنه حديث ابن الزبير: كان يسير بنا الأبردين؛ وحديثه الآخر مع فضالة بن أبي شريك: وسربها البردين.

أقول: وسيأتي روایة هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

سيروا البردين.

«غور» أمر من التغوير مأخذ من الغائرة أي الظهيرة، وفي الصحاح:

التغوير: القيلولة، يقال: غوروا أي انزلوا للقائلة. قال أبو عبيدة: يقال للقائلة:

الغائرة. وفي النهاية الأثيرية: وفي حديث السائب لما ورد على عمر بفتح نهاوند قال: ويحك ما وراءك؟ فوالله ما بت هذه الليلة إلا تغويرا؛ يريد بقدر النومة القليلة التي تكون عند القائلة. يقال غور القوم إذا قالوا.

«رفه» أمر من الترفيه أي الإراحة والتفحيف والتخفيف والتنفيس والتوسيع، أو من رفه الراعي الإبل إذا أوردها متى شاء، وفي الصحاح: رفهت الإبل بالفتح ترفة رفها ورفوها إذا وردت الماء كل يوم متى شاءت والاسم الرفة بالكسر.

وأرفتها أنا. ورفه ترفيها ورفاهية على فعالية ورفهنية وهو ملحق بالخماسى بالألف فى آخره وإنما صارت ياء لكسرة ما قبلها، ويقال بيني وبينك ليلة رافهة وثلاث ليال رواه إذا كان يسار فيهن سيرا لينا، ورفه عن غريمك أي نفس عنه، والأول أوسع وأعم وبأسلوب الكلام وسياقه أدل وأصدق، وسيأتي تقرير كل واحد منهمما في المعنى.

«سكننا» السكن بالتحريك: ما سكتت إليه.

«طعنا» الطعن: الارتحال، يقال: طعن علينا وظعننا من باب منع أي سار ورحل. وفي القرآن الكريم: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ يُؤْتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ يُبُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ طَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ» (النحل - 28).

«أرح» على وزن أقم أمر من الأراحة. «روح» أمر من الترويح. والظهر

هنا بمعنى الركاب، لا بمعنى خلاف البطن. قال الجوهرى في الصحاح: الظاهر:

الركاب. وبنو فلان مظهرون إذا كان لهم ظهر ينقولون عليه كما يقال منجبون إذا كانوا أصحاب نجائب. انتهى كلامه.

والركاب: الإبل التي يسار عليها؛ الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها والجمع الركب مثال الكتب. فيكون معنى الترويح من قولهم روح فلان إبله ترويحاً إذا ردّها إلى المراح. قال الجوهرى: أراح إبله أى ردّها إلى المراح وكذلك الترويح. ولا يكون ذلك إلاّ بعد الزوال انتهى.

«ينبسط» يقال: إنبطح الرجل إذا اسْبَطَرَ على وجهه ممتداً على وجه الأرض و ههنا كناية عن الانبساط والإتساع فينبسط أي ينبع و منه البطحاء والأبطح أي مسيل واسع فيه دقيق الحصى. و تبّطح السيل أي اتسع في البطحاء.

«ينشب الحرب» ينشب مضارع من باب الإفعال. في الصحاح: نشب الشيء في الشيء بالكسر - من باب علم - نشوباً أي علق. وأنشتبه أنا فيه أي أعلقته فانتشّب وأنشب الصائد: أعلق، ويقال: نشب الحرب بينهم.

«يَهَابُ» أَجْوَفِ يَائِي تَقُولُ: هَابَهُ يَهَابُهُ هِبَا وَهِبَّةً وَمَهَابَةً إِذَا خَافَهُ وَحَذْرَهُ فَهُوَ هَابِّ وَهِيَوبُ، وَرَجُلٌ مَهِيبٌ أَيْ يَهَا بِهِ النَّاسُ «الْبَأْسُ»: الْحَرْبُ. «الشَّنَانُ»:

البغض والعداوة.

## الاعراب

فى بعض النسخ «بالسير» الباء بمعنى فى. و مذكور فى نسختنا العتيقة فى السير مكان بالسير «فان الله» الفاء للتعليل. و الّتى بعدها فصيحة للتفریع و النتیجة.

«فَسِر» الفاء جواب إذا كالّتى بعدها. «دَتَّو» مفعول مطلق لقوله لا تدن. وكذلك تباعد لقوله ولا تباعد، وفي نسخة الطبرى كما أشرنا إليها آنفاً مذكور: بعد من يهاب، وهو بضم الباء مفعول مطلق أيضاً إلا أنه ليس من باب عامله أعني لا تباعد على وزان قوله تعالى: «وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا». «حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمْرِي» غاية

لكلّ النهيين المقدّمين و متعلق بكلّ الفعلين أعني لا تدن، ولا تباعد «قبل» ظرف لقوله: ولا يحملنكم.

## المعنى

## اشارة

قد أتى عليه السّلام في هذه الوصيّة بامر يدلّ بعضها على كمال رأفته بالنّاس، والآخر على نهاية بصارته في البُلْس. وقد جمع عليه السّلام فيها بين الأضداد وألف بين الأشتات.

وإذا ضمّت هذه الوصيّة إلى التي قبلها واللاتي بعدها تزيد المجاهد بصيرة في فنون الحرب، ومع ذلك تذكّره بتقوى الله وتحذره عن اتّباع الهوى وتشطّه وتشجّعه في الجهاد في سبيل الله تعالى. ولو تأمّل فيها متأنّ وفكّر فيها متفكّر علم أنّ عليها مسحة من العلم الإلهي وفيها عبقة من الكلام النبوّي. وأنّ قائلها كان على بيّنة من ربّه وبصيرة في الدين ولم يكن في قلبه زيف عن سوء الطريق. وما كان همّه إلا إطفاء نار الفتنة وإنقاذ الناس مما فيه الهملة وإنفاذهم إلى ما فيه سعادة جمّة. فانظر في فقرات هذه الوصيّة، افتحها بتقوى الله واحتتمها بالكفّ عن القتال قبل الإعذار والدّعاء، ووسّط فيها قوله: فسر على بركة الله، وصدر فيها بالأوامر، وأردفها بالنواهي ولعمري إنّ محاسنها فوق أن يحوم حولها العبارة وإنّما هي تدرك ولا توصف وستقف على بعضها في أثناء الشرح فلتتعرّض لشرح فقراتها وجملتها على قدر الوسع والاستطاعة.

قوله عليه السّلام: «اتق الله - إلى قوله: دونه» أمره بتقوى الله أولاً لأنّها خير زاد و كان عليه السّلام كثيراً ما يوصى أصحابه بتقوى الله ففي الكافي بإسناده عن أبي الحسن موسى عليه السّلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يوصى أصحابه ويقول:

أوصيكم بتقوى الله فإنّها غبطة الطالب الراجح و ثقة الها رب الراجح واستشعروا التقوى شعراً باطننا و اذكروا الله ذكرًا خالصاً تحبوا به أفضل الحياة وتسلكوا به طريق النجاة - إلخ (ص 62 ج 14 من الواقى).

وفي الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصيّة أمير المؤمنين عليه السّلام حين أوصى إلى ابنه الحسن - يعني حين ضربه ابن مليجم - وأشهد على وصيّته الحسين

ومحمدًا وجميع ولده ورؤسائه شيعته - إلى أن قال: قال عليه السلام: ثم إنّي أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي و من بلغه كتابي من المؤمنين بتقوى الله ربكم (ص 79 ج 2 من الوافي).

ثم وصف الله تعالى بما فيه تخييف و تشجيع وذلك أنه عليه السلام لما أنفق ذمتعقل بن قيس في ثلاثة آلاف مقدمة له إلى الشام توجه إلى معقل أمران: الأول إمارة ثلاثة آلاف رجل، الثاني الجهاد في سبيل الله. والإمارة سلطان قد توجب البغى والطغيان إلا من عصمه الله عن اتّباع الشيطان؛ والجهاد بذل النفس دونه تعالى و الجود بالنفس أقصى غاية الجود. فعلى الأول خوفه بقوله: الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه؛ أي خف الله تعالى و اتقه فانتك لو عصيته و ظلمت من دونك من الجيش و عدلتك عن العدل فيهم فاعلم أنّما لا بد لك من لقاء الله تعالى و ليس منتهي لك غيره فإذا يجازيك و يعاقبك بما أسلفت من سوء أعمالك فكن على حذر من طوع الهوى.

وعلى الثاني شجّعه بذلك القول أيضاً على الجهاد أي لا تخاف من الجهاد فإنك لو تجود بنفسك فقتلت في سبيل الله فاعلم أنّما تلقى الله تعالى و ليس لك سواه منتهي فإذا كان منتهي أمرك إليه و لا بد لك من لقائه فهو تعالى يجزيك بما قدمت. قال عز من قائل: «وَ لَا تُقُولُوا لِمَنْ يُفْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاهُ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» (البقرة - 151) وقال تعالى: «وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُ أَعْنَدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحَّيْنَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ ...» (يُسَيْرُّ بِرُّوْنَ بِنْعَمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» (آل عمران - 167).

وقال تعالى: «فَإِنَّمَا قاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشَّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَ مَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُورِتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء 77).

قوله عليه السلام: «وَ لَا تَقَاتِلْ إِلَّا مَنْ قاتَلَك» في الكافي وفي حديث عبد الله بن جنبد عن أبيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا تقاتلا القوم حتى يدعوكم فإنكم بحمد الله على حجّة و ترككم

إِنَّا هُمْ حَتَّىٰ يَبْدُؤُوكُمْ حَجَّةً لَكُمْ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُزِمْتُمُوهُمْ فَلَا تُقْتَلُوْهُمْ مُدْبِرًا وَلَا تُجِيزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ وَلَا تَكْشِفُوا عُورَةً وَلَا تَمْثِلُوْهُمْ بُقْتَلِهِمْ .

وأقول: سيأتي تمام الكلام في سيرته عليه السلام في الحروب في شرح المختار الرابع عشر من هذا الباب.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أُولَيَاءَ اللَّهِ شَائِئُهُمْ أَجْلٌ وَقَدْرُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُقَاتِلُوْهُ النَّاسُ لَغَيْرِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَىٰ فَإِنَّهُمْ مَأْمُورُونَ أَوْلَا لِإِحْيَاءِ النُّفُوسِ وَإِنَّرَةِ  
الْعُقُولِ وَالْهُدَايَةِ إِلَى جَنَابِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا إِلَّا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ لَمَّا اسْتَحْوَذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ طَغَوْا وَنَهَضُوا إِلَى هَدْمِ بَنَاءِ الدِّينِ، أَوْ صَارُوا  
جَرَاثِيمَ مُؤْذِيَةً رَاسِخَةً فِي أَصْوَلِ شَجَرَةِ الْفَضْيَلَةِ الَّتِي غَرَسَهَا النَّبِيُّ يَازِنُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ  
وَاجِبٍ عَلَى النَّبِيِّ أَوِ الْوَلِيِّ أَنْ يَجْتَاهُوا أَصْوَلَ الْجَرَاثِيمِ لَنَلَّا تُطْرَقَ الْمُفَاسِدُ وَالْفَوَاحِشُ فِي الْإِجْتِمَاعِ الإِنْسَانِيِّ وَلَذَا تَرَى أَنَّ الْافْتَاحَ فِي كُلِّ  
غَزَوَةٍ إِنَّمَا كَانَ مِنْ مَعَانِدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُولَيَاءِ . وَأَمَّا  
الْأَنْبِيَاءُ وَالْأُولَيَاءُ فَكَانُوا يَأْمُرُونَ جَيُوشَهُمْ قَبْلَ  
الغَزَواتِ بِدُعَاءِ الْكُفَّارِ إِلَى مَا فِيهِ حَيَاتِهِمُ الدَّائِمَةُ وَسَعَادَتِهِمُ الْبَاقِيَةُ، وَالْاعْذَارُ إِلَيْهِمْ، وَإِتَامُ  
الْحَجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَبَأْنَ لَا يُقَاتِلُوْهُمْ إِلَّا مِنْ قَاتَلُوْهُمْ لَأَنَّ قَتَالَ غَيْرِ الْمُقَاتَلِ ظَلْمٌ وَهُمْ مُبَرَّؤُونَ عَنْهُ .

وَبِمَا ذَكَرْنَا يَعْلَمُ فَضْيَلَةُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدَرْجَةُ سَيفِهِ بِهِ يَنْتَظِمُ امْرُورُ النَّاسِ وَيُؤْمِنُ الْخَائِفُونَ وَيَعْدِدُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَسَرِّ بَعْضِ  
الْآيَاتِ الْقَائِلَةِ بِأَنَّهُ لَوْلَمْ يَكُنْ السَّيْفُ لِفَسْدِتِ الْأَرْضِ كَوْلُهُ تَعَالَىٰ: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِيَعْصِي لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:  
«وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِيَعْصِي لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» وَكَذَا سَرِّ بَعْضِ الْأَخْبَارِ الَّذِي  
يَنَادِي بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا أَبْوَا أَنْ يَقْبِلُوا أَمْرَ اللَّهِ رَسُولَهُ بِالْقَتَالِ: فَقِي الْكَافِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: خَيْوَلُ الْغَزَّةِ فِي الدُّنْيَا خَيْوَلُهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَّ أَرْدِيَةَ الْغَزَّةِ لَسِيَوفِهِمْ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَخْبَرْنِي جَبَرِيلُ بِأَمْرِ قَرْتَ بِهِ  
عَيْنِي وَفَرَحَ بِهِ قَلْبِي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ غَزَا مِنْ امْتِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَصَابَهُ قَطْرَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ صَدَاعٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ شَهَادَةً .

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الخير كُلُّهُ فِي السِّيفِ وَتَحْتَ ظَلِّ السِّيفِ، وَلَا يَقِيمُ النَّاسُ إلَّا السِّيفُ، وَالسِّيوفُ مَقَالِيدُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

أقول: يعني أنَّ السِّيفَ الَّذِي يُشَهِّرُهُ الْمُسْلِمُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ مَقْلَادُ الْجَنَّةِ أَيْ مَفْتَاحُهَا لَهُ، وَأَنَّ الَّذِي يُشَهِّرُهُ الْكَافِرُ مَفْتَاحُ النَّارِ لَهُ.

وَفِيهِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي السِّيفِ وَتَحْتَ السِّيفِ وَفِي ظَلِّ السِّيفِ.

وَفِيهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي عبدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولَهُ بِالإِسْلَامِ إِلَى النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ فَأَبْوَا أَنْ يَقْبِلُوا حَتَّى أَمْرَهُ بِالْقِتَالِ فَالْخَيْرُ فِي السِّيفِ وَتَحْتَ السِّيفِ وَالْأَمْرُ يَعُودُ كَمَا بَدَا.

أقول: وَقُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَالْأَمْرُ يَعُودُ كَمَا بَدَا إِشارةً إِلَى دُولَةِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالرِّوَايَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جَدًا تُشَيرُ إِلَى سُرُّ فَارِدِ وَحْقِيقَةِ وَاحِدَةٍ.

قُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَسَرُّ الْبَرِّدِيْنِ» أَمْرَهُ أَنْ يَسِيرَ فِي الْغَدَةِ وَالْعَشَى لِأَنَّ السِّيرَ فِي طَرْفِ النَّهَارِ يَكُونُ أَهُونَ، وَطَرِيقُهُ فِيهِمَا يَكُونُ أَكْثَرُ، وَالتَّعْبُ يَكُونُ أَقْلَى لِبَرْدِ الْهَوَاءِ وَطَبِيعَتِهَا فِي هَاتِيْنِ السَّاعَتَيْنِ. وَفِي الْبَابِ التَّاسِعِ مِنْ أَبْوَابِ آدَابِ السَّفَرِ مِنْ حَجَّ الْوَسَائِلِ عَنْ هَشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ:

سَمِعْتُ أَبَا عبدَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَقُولُ:

سِيرُوا الْبَرِّدِيْنَ، قُلْتُ: إِنَّا نَتَحْوِفُ الْهَوَاءَ، قَالَ: إِنَّ أَصَابَكُمْ شَيْءٌ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ثُمَّ إِنْكُمْ مَضْمُونُونَ.

قُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَغُورُ الْمَاءِ» أَيْ أَنْزَلَ بِهِمِ الْقَائِلَةَ أَيْ مَنْتَصِفَ النَّهَارِ وَذَلِكَ لِأَنَّ السِّيرَ فِي الْغَائِرَةِ يَسْتَلِمُ شَدَّةُ الْحَرَّ الْمُوجِبةُ لِلتَّعْبِ وَالْكَلَالِ. وَالْقَائِلَةُ هِيَ وَقْتُ الْقِيلَوَةِ وَالْإِسْتِرَاحَةِ. قَالَ تَعَالَى: «وَجِئْنَ تَصَعُّونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ» (النُّورُ - 58).

قُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَرَقَّهُ بِالسَّيْرِ» سِيَاقُ الْكَلَامِ يَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرَهُ أَنْ يَرْفَهُ جَيْشَهُ فِي السِّيرِ أَيْ يُوَسِّعَ عَهْمَ فِيهِ وَيُرْفَقَ بِسِيرِهِمْ وَلَا يَوْجِفُهُمْ لَكِي لَا يَتَعَبُ الرَّكَابُ وَالرَّكَبَانُ، وَلَا يَتَأَخَّرُ بَعْضُ الْجَيْشِ عَنْ بَعْضٍ فَلَوْلَا التَّأْنِي وَالرِّفْقُ فِي السِّيرِ

لأنجز الأمر إلى التفرقة والكلال وغيرهما من المضار في الجنود والدواب فكانه عليه السلام قال له: هون بالسير ولا تتعب نفسك ولا دابتكم بالوجيف.

وإن أخذناه من قولهم: رفق الراعي الإبل متى شاء فمتعلق رفق يكون خاصاً أى رفق الركاب بالسير. فيكون توصية له في أن يراعي حالها في السير ولا يمنعها من الماء والكلاء ويوسّع في الانفاق عليها، ومن وصيّة لقمان لابنه:

وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتكم وابداً بعلفها فإنّها نفسك - إلخ.

رواهما الكليني في الكافي والصادق في الفقيه وأتى بها الفيض في الواقفي (ص 66 ج 8).

وفي الباب التاسع من أبواب أحكام الدواب من حجّ الوسائل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للدابة على صاحبها سترة حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، ولا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدث إليها، ويبدأ بعلفها إذا نزل، ولا يسمّها، ولا يضرّ بها في وجهها فانها تسبّح، ويعرض عليها الماء إذا مرت به.

قوله عليه السلام: «و لا تسرك أول الليل - إلى قوله: ظعنا» نهى عن السير في أول الليل نهى كراهة لا نهى تحريم وكلامه هذا مما يستدلّ به في الفقه على كراهة السير أول الليل كما استدلّ به العاملى رحمة الله عليها في الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل. ثم علل النهى بقوله: فإن الله جعله سكناً أى موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم. وهذا إشارة إلى قوله تعالى: «وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا» (الأنعام - 97). ثم أكدّه بقوله: وقدره مقاماً لا- ظعنا. أطلق لفظ الظعن على الليل مجازاً لأنّ الليل ليس بزمان الظعن لا أنه ليس بظعن إطلاق اسم المظروف الذي هو الظعن على الطرف الذي هو الليل، بخلاف إطلاق المقام عليه لأنّ المقام بضمّ الميم اسم زمان من الإقامة فأطلق عليه حقيقة.

على أنّ أول الليل يكون حين تنشر الشياطين كما وردت به روايات عن أمّتنا المعصومين عليهم السلام: ففي الكافي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ إبليس عليه لعائن الله إنّما يبيت جنوده من حين تغيب الشمس و حين تطلع فأكثروا

ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين و تعوذوا بالله من شر إبليس و جنوده و عوذوا صغاركم هاتين الساعتين فانهما ساعتا غفلة.

وفي الفقيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن إبليس إنما يبيت جنود الليل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق ويبيت جنود النهار من حين بطلع الفجر إلى مطلع الشمس. و ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: أكثروا ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين - إلى آخر الحديث المروي عن الكافي و رواهما الفيض في الوافي (ص 232 ج 5).

إن قلت: هل يدل الخبران على كراهة السير أول الليل؟ قلت: لا كلام في كراهة السير أول الليل وقد دلت عليهما أخبار اخر أيضا كما دلت على استحباب اختيار آخر الليل للسير ففي الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالسفر بالليل فإن الأرض تطوى بالليل. وفيه عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال لقمان لابنه: يا بني إياك و السير في أول الليل و سر في آخره. وعلى رواية الكليني:

إياك و السير في أول الليل و عليك بالتعريض والدّلّجة وقد أتى بهما الطباطبائي قدس سره في أول الحجّ من العروة الوثقى وأفتى بهما كذلك، وسيأتي نقل روایات اخرى دالة على كراهة السير أول الليل و استحبابه في آخره وفي البردين عن قریب.

وأما دلالة الخبرين على ذلك فغير معلومة لأنهما يأمران باكتثار ذكر الله تعالى في هاتين الساعتين و التعوذ بالله فيهما من شر إبليس و جنوده فلا بأس أن يسير السائر فيهما ذاكرا متعوذًا، اللهم إلا أن يقال: إن دلالة تلك الأخبار على تحذير السير في أول الليل و كراحته فيه وعلى أنه ساعة غفلة إنما تكون من حيث إنه وقت تنشر الشياطين فإذا كانت هذه الساعة في الحضر ساعة غفلة ففي السفر أولى لأن اضطراب البال في السفر أكثر وإنما كانت الساعة ساعة غفلة لأنها وقت اختتام الأعمال فالناس يعرضون ساعتيئذ عمما كانوا فيها من الأشغال و ينسرون

في

الإقبال إلى بيوتهم من كل جانب فيشتغلون بالاكتنان فترى الناس فيها أشتاتا فطائفه أسرعت إلى تغليق الدّكاكين، و أخرى إلى التأهّب للّيل، و أخرى كذا وكذا؛ وبعكسها في الساعة الأخرى أعنى حين تطلع الشمس فالناس في هاتين الساعتين في امور دنياهم متوجّلون، وإلى كل جانب ينسرون فسمّيتا لما ذكرنا ساعتي غفلة.

قوله عليه السلام: «فأرّح فيه بدنك» أي إذا كان الله تعالى قدّر اللّيل سكنا و مقاما فأرّح فيه بدنك و ليرح الجيش أبدانهم.

قوله عليه السلام: «ورّوح ظهرك» بين الظهر والبدن إيهام التتناسب نحو بيت السقط:

و حرف كنون تحت راء و لم يكن بدال يؤمّ الرسم غيره النقط

ففي الجمع بين الحرف وراء و الدال و النقط إيهام أن المراد منها معانيها، وليس كذلك؛ إلا أن النون في البيت كان على معناه المتبادر من حروف المعجم و المراد من الحرف الناقلة المهزولة، وراء اسم فاعل من رأيته، و دال اسم فاعل من دلأ الركائب إذا رفق بسوقها. و النقط ما تقاطر على الرسوم من المطر، شبّه الناقلة في الدقة و الانحناء بنون و مدح حبيبته بأنّها تجلّ عن أن تربّك من التوق ما هي في الضمر و الانحناء كالنون يركبها الأعرابي لزيارة الأطلال فيضرب ريتها إذ لا حرّاك بها من شدّة الهازل بل مراكب الحبيبة سمان ذات أسنمة.

وكذلك في المقام أن الجمع بين البدن و الظهر يوهم أن المراد من الظهر هو خلاف البطن وليس كذلك بل المراد منه الركاب أي روح ركابك في اللّيل بمعنى ردها إلى المراح. فأراد عليه السلام بالفظ الظهر معناه بعيد كقول القاضي أبي الفضل بن عياض يصف ربيعا باردا:

أو الغزاله من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي و الحمل

يعنى كان الشمس من كبرها و طول مدتها صارت خرفة قليلة العقل فنزلت في برج الجدي في أوان الحلول ببرج الحمل، إذ الجدي من البروج الشتوية، و الحمل

من الريعيّة، والمراد من الغزالة معناها بعيد أى الشمس، ومعناها القريب: الرّشاً و كذلك الكلام في قوله عليه السّلام: ظهرك؛ إلا أن القاضي قد قرّن بها ما يلائم المعنى القريب الذي ليس بمراد كالجدى والحمل؛ وهو عليه السّلام أتى بما يلائم كلاً معنى القريب والبعيد أعني روح وإن كان المراد ما يلائم بعيد كما دريت في اللغة، وما يلائم القريب إنما كان من قولهم روح فلان الرجل إذا أراحه ولكنه ليس بمراد.

قوله عليه السّلام: فإذا وقفت - إلى قوله: بركة الله» يمكن أن يفسّر هذه الفقرة على ثلاثة أوجه:

الأول أنّ الأمير عليه السّلام أمر معلق بن قيس بأن يكون وقت انبساط السحر أو انفجار الفجر يقطاً و ذلك أنه لما تولى من قبله عليه السّلام امارة الجيش و صار قائدهم فلا بدّ له من أن يكون قبل ظعن القوم يقطان ليهياً أصحابه للسير و يستعدّهم للارتفاع و يكون ناظر أعمالهم و قائماً عليهم يراقبهم حتى لا يفوته بعض ما يصلح لهم.

الثاني أن تكون صلة وقف الكلمة إلى المحدّوفة فمعناه إذا وقفت الليل إلى حين ينبطح السحر فسر على بركة الله؛ فكانه عليه السّلام أمره بأن يريح بدنه و يروح ظهره في الليل و نهاه عن السير فيه إلى أن ينبطح السحر.

الثالث أن تكون صلة الفعل الكلمة على أي إذا وقفت على حين ينبطح السحر بمعنى إذا اطّلعت على انباطاحه فسر على بركة الله لأنّ وقف مع على يفيد معنى الاطلاع يقال: وقفه على ذنبه إذا اطّلعت عليه؛ فكانه عليه السّلام أمره أن لا ينام هو ولا عساكه على حدّ يفوتهم السحر نظير قوله عليه السّلام في الوصية السابقة: ولا تذوقوا النّوم إلا غراراً أو مضمضة، فكانَ الوجه الأول أنسّب بسياق الكلام من الآخرين.

ثمّ اعلم أنّ السحر يكون قبيل الصبح وهو على قسمين: السحر الأعلى وهو ما قبل انصداع الفجر، والسحر الآخر وهو عند انصداعه و الظاهر من قوله عليه السّلام: ينبطح السحر لأنّ المراد منه السحر الثاني فيؤول معنى كلامه إلى أنه عليه السّلام أمر ابن قيس بأن يسّير إماماً في السحر الثاني أو حين انشقَّ الفجر أى

الفجر الصادق، فعلى هذا كأنما السحر خارج عن الليل حقيقة لأنّ الليل يتمّ حين اندفاع الفجر وأماماً على نسخة نصر في صفين أعني: فإذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر؛ فالسحر خارج عن الليل حكماً لأنّ الظاهر من قوله عليه السلام: ولا تسر أول الليل فإنّ الله جعله ساكناً أنّ الدليل أعني قوله: فإنّ الله جعله ساكناً راجع إلى قوله أول الليل فالكراءة تختصّ بأول الليل فيستثنى آخر الليل عن حكم الكراهة فكلامه عليه السلام هذا كغيره من روایات آخر مخصوص لقوله تعالى: «وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا» الآية المتقدمة، والأخبار يأمر بعضها بالسير في الليل مطلقاً وينهى الآخر عن السير فيه كذلك فقد تقرر في اصول الفقه صحة تخصيص الكتاب بالسنة، والسنة بالسنة أيضاً، فعليك بطائفة من أخبار وردت في المقام رواها العاملی قدس سره في الباب التاسع من أبواب آداب السفر من حجّ الوسائل.

بإسناده عن جميل بن دراج وحمّاد بن عثمان جميعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

الأرض تطوى في (عن - خ ل) آخر الليل.

و عن هشام بن سالم قال: سمعت أبي عبد الله عليه السلام يقول: سيروا البردين، قلت: إن أصابكم شيء فهو خير لكم ثم إنكم مضمونون.

و عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالسفر بالليل فإن الأرض تطوى بالليل.

و عن حمran بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يقول الناس: تطوى لنا الأرض بالليل كيف تطوى؟ قال: هكذا ثم عطف ثوبه.

و عن يعقوب بن سالم رفعه إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا نزلتم فسطاطاً أو خباءً فلا تخرجوا فإنكم على غرة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: اتقوا الخروج بعد نومة فان لله دواراً بينها يفعلون ما يؤمرون.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله على اليمين فقال لي وهو يوصيني ما حار من استخار ولا ندم من استشار، يا عليّ عليك بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، يا عليّ اغد على اسم الله فإن الله تعالى بارك لامتي في بكورها.

وعن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بني إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك - إلى أن قال: واياك والسير في أول الليل وسر في آخره. قال: ورواه الكليني - إلا أنه قال: وياك والسير في أول الليل وعليك بالدلجة والتعريس والدلجة من لدن نصف الليل إلى آخره.

أقول: قد ذكر طائفة من وصيّة لقمان لابنه و منها هذه النبذة التي رواها حمّاد عن الصادق عليه السلام ابن قتيبة الدينوري في كتاب الحرب من عيون الأخبار ص 135 ج 1 طبع مصر 1383 هـ.

بيان: قال الجوهرى في الصحاح: أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل؛ والاسم الدلنج بالتحريك والدلجة وأيضاً مثل برهة من الدهر وبرهة فإن ساروا من آخر الليل فقد أدوا بالتشديد (يعنى بتشديد الدال) والاسم الدلجة والدلجة.

انتهى كلامه. والتعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة من قولهم عرس القوم إذا نزلوا في السفر في آخر الليل للاستراحة كما في مجمع البحرين وأقرب الموارد، وربما استعمل الإدلنج بالتحفيف لسير آخر الليل كقول الشاعر:

اصبر على السير والإدلنج في السحر. كما أن الإدلنج بالتشديد قد يستعمل لسير الليل كلّه.

وأقول: فيما قدّمنا دريت وجه الجمع بين تلك الأخبار. ثم إنّ مقتضى الجمع أن تكون الدلجة اسمًا من أدلج القوم بتشديد الدال لأنّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله عليه: يا عليّ عليك بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل، ما لا تطوى بالنهار وإن كان لم يفرق بين أول الليل وآخره إلا أنّ رواية الصادق عليه السلام حكاية عن لقمان

وإياك والسير في أول الليل وعليك بالتعريض والدلجة من لدن نصف الليل إلى آخره تبيّن بأنّ المراد من الدلجة في قول الرسول عليه السلام هو اسم من الأدلة المشدد أي السير في آخر الليل.

وبما حققنا دريت أنّ ما ذهب إليه الطريحي في مادة دلنج من المجمع حيث قال: «في الحديث عليكم بالدلجة وهو سير الليل يقال أدلج بالتحفيف إذا سار من أول الليل وبالتشديد إذا سار من آخره والاسم منها الدلجة بالضمّ والفتح، ومنهم من يجعل الإدلاج لليل كله وعنه المراد هنا لما في آخر الحديث فإن الأرض تطوى ولم يفرق بين أول الليل وآخره» ليس بصواب.

## الكلام في حدوث الفجر و تعاكس الصبح و الشفق و البحث

### اشارات

عن مسائل شتى متنوعة

واعلم أنّ الشمس أعظم جرما من الأرض بكثير وهي على الحساب الذي أورده غياث الدين جمشيد الكاشي في رسالته المفيدة الأنثقة المترجمة بسلام السماء ثلاثة وستّ وعشرون مثلاً للأرض.

وقد بيّن اسطر خمس في الشكل الثاني من كتابه في جرمي النيران أنّ الكرة إذا أقبلت الضوء من كرة أخرى أعظم منها كان المستضنى منها أعظم من نصفها فلما كانت الشمس والأرض كرتين والشمس أعظم منها بكثير فالأرض تستضيء أكثر من نصفها من الشمس دائماً. وتحدث بين المستضني والمظلوم من الأرض دائرة صغيرة إذا الجزء المضيء من الأرض أعظم من النصف كما علمنا فهى لا تنصف كرة الأرض وقد بيّن في محله أنّ الدائرة العظيمة هي التي تنصّف الكرة التي فرضت عليها.

ثمّ اعلم أنّ ما يقبل الضوء يجب أن يكون كثيفاً مانعاً من نفوذ الضوء فيه فلو لم يكن مانعاً كالهواء والزجاج المشفيّن لم يقبل الضوء بالأرض لكتافتها المانعة من نفوذ الضوء قابلة له وكذا كرة البخار المحيطة بها وأمّا ما فوق كرة البخار

من الهواء لا- يستضيء بضياء الشمس أصلاً لكونها مشففة في الغاية وينفذ النور فيها ولا ينعكس فإذا وقع ضوء الشمس على الأرض يستضيء وجهها المواجه لها بها ولما كانت الأرض كثيرة الشكل تقريباً والشمس أعظم منها يكون ظلّها على شكل مخروط مستدير فان الكثرة المنيرة لو كانت متساوية للمستبرة يكون الظل على شكل الأسطوانة المستديرة لا المخروط المستدير، ثم قاعدة المخروط المستدير من ظلّ الأرض هي تلك الدائرة الصغيرة يحيط به هذه القاعدة وسطح مستدير يرتفع منها ويستدق شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي في أفلام الرزهرة ويكون لا محالة قاعدة مخروط الظل نحو جرم الشمس وسدهمه في مقابلة جرمها أبداً ففي منتصف الليل يكون السّهـم على دائرة نصف النهار فوق الأرض إنما قائمًا على سطح الأفق الحسـى إن كانت الشمس على سمت القدم، أو مائلًا إلى جهة القطب الظاهر إن كانت عن سمت القدم في جهة القطب الخـى، أو إلى جهة القطب الخـى إن كانت عن سمت القدم في جهة القطب الظاهر؛ ولكن يتساوى بعده عن الشرق والغرب في جميع الصـور.

ولا يخفى على ذي درية في الفـن أن هذا مخصوص بما إذا لم يتصل الصبح بالشفق إذ حينئذ قبل أن يميل المخروط إلى جانب الغرب يصير الشعاع المحيط به مرئياً كما سنزيدك فيه بياناً.

ثم إن كثرة البخار هواء متكافف بسبب مخالطة الأجزاء الأرضية والمائية المتصادعين من كرتיהםا بحرارة الشمس أو غيرها على شكل كرة محيطة بالأرض على مركزها وسطح مواز لسطحها وهي مختلفة القوم فما هو أقرب منها إلى الأرض أكثر مما هو أبعد لأنّ تصاعد الألطاف أكثر بالطبع من الأكثاف وقد يبيّن في الأبعاد والأجرام أنّ بعد سطحها الأعلى عن سطح الأرض اثنان وخمسون ميلاً تقريباً.

ومخروط الظل يثقب كرة البخار ولا- يحيط بها وذلك لأنّ قاعدة المخروط سطح دائرة محيطها هو الفصل المشترك بين المضيء والمظلم من كرة الأرض وتلك

الدائرة صغيرة أعني أنّ القاعدة أصغر من عظيمة مفروضة على كرة الأرض كما دريت فنكون أصغر كثيراً من عظيمة كرة البحار لأنّها محاطة بالأرض. فما وقع من كرة البحار داخل هذا المخروط لا يستضيء بضياء الشمس وما سواه من كرة البحار مستديرة أبداً لكثافتها واحتاطة الشمس بها لكنّها لا ترى في الليل لبعدها عن البصر.

إذا كانت الشمس تحت الأرض قريبة من الأفق فما يرى من القطعة المستديرة من كرة البحار فوق الأفق إن كان في الجانب الشرقي يسمى صباحاً، وإن كان في الجانب الغربي يسمى شفقاً وهما متعاكسان أي متشابهان شكلاً ومتقابلان وضعافاً فإنّ أول الصّبح بياض مستدقٌ مستطيل منتصب، ثمّ بياض عريض منبسط في عرض الأفق مستدير كنصف دائرة يضيء به العالم، ثمّ حمرة. وأول الشفق حمرة، ثمّ بياض عريض منبسط مستدير، ثمّ بياض مستدقٌ مستطيل منتصب.

وهما مختلفان لوناً أيضاً لاختلاف ما يستضيء من الجوّ بضياء الشمس بسبب اختلاف لون البحار فإنه يكون في أواخر الليل مائلاً إلى الصّفاء والبياض لرطوبة المكتسبة من برودة الليل؛ وإلى الصفرة في أوائله لغلبة الحرّ الدخاني المكتسب من حرارة النهار مع أنّ الكثيف كلّما كان أكثر صفاء وبياضاً كان أضواء وشعاع المنعكس عنه أقوى.

واعلم أنّ النوع الأول من الفجر أعني ذلك البياض المستدقٌ المستطيل المنتصب يعرف بالصبح الأول. والصبح الكاذب، ويلقب بذنب السرحان. أمّا بالأول فلسبيه لأنّه أول ما يرى فوق الأفق من نور الشمس.

وأمّا بالكاذب فلكون ما يقرب من الأفق بعد مظلماً لو كان يصدق أنّ نور الشمس لكان المنير ما يلي الشمس دون ما يبعد منها.

وقيل: سمي بالكاذب لأنّه تعقبه ظلمة تکذّبه فإنه إذا طلع الصبح الثاني انعدم ضوء الصبح الأول.

وفيه أنّ ضوء الصبح الأول لا يعدم بظهوره الضوء الثاني بل يخفى عن البصر لضعفه وغلبة الضوء الشديد الطارى أعنى ضوء الصبح الثاني عليه كما هو حكم النور الضعيف في قبال القوى منه ولذا يخفى ضياء الكواكب في ضوء الشمس فلا يصح أن يقال إنّ ظلمة تعقبه وتكتبه أيضا لأنّه لا تعقبه ظلمة بل يكون وقتها ما قرب من الأفق مظلما وإنّما يعقبه ضوء قوى عليه.

وأما بذنب السرحان فلدقته واستطالته تشبيها له به إذا شاله واستطالته يسمى بالفجر المستطيل أيضا.

قال المسعود بن السعد بن السلمان:

وليل كأنّ الشمس زلت ممّا و ليس لها نحو المشارق مرجع

نظرت إليه والظلام كأنّه من الجوّ غربان على الأرض وقع

فقلت لنفسي طال ليلى و ليس لى من الهمّ منجاة وفي الصبر مفعز

أرى ذنب السرحان في الجوّ طالعاً و هل ممكناً قرن الغزالة تطلع؟

و مراده من الغزالة معناها بعيد أعنى الشمس، قال الحافظ:

شود غزاله خورشيد صيد لاغر من گر آهوبی جو تو اندر کنار من باشی

وقال الخاقاني الشروانی في قصيدة مدح بها منوجهر شروانشاه (ص 379 طبع طهران 1336 هـ):

صيحدم آب خضر نوش از لب جام گوهری کز ظلمات بحر جست آینه سکندری

شاهد طارم فلك رست ز دیو هفت سر ریخت بهر دریچه ای آغچه زرّ شش سری

غالیه سای آسمان سود بر آتشین صدف از پی مغز خاکیان لخلخه های عنبری

یوسف روز جلوه کرد از دم گرگ و میکند یوسف گرگ مست ما دعوی روز پیکری

والنوع الثاني من الفجر أعنى ذلك البياض العريض المنبسط في عرض الأفق المستدير كنصف دائرة يضيء به العالم يسمى بالصبح الثاني، والصبح الصادق، والفجر المستطير، والصادق.

أما بالثانى فلكونه فى مقابل الأول؛ وأما بالصادق لأنّ ضياءه أصدق من

الضياء الأول، ولا تأته في إزاء الكاذب؛ وأمّا بالمستطير فمن قولهم استطار الفجر إذا انتشر وتبين، وسيأتي قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا وشربوا حتى يطلع الفجر المستطيع؛ وأمّا بالصدّيغ لأنه انصاع ظلمة عن نور و الصدوع: الشقّ والفرق والفصل كما مضى تفصيله في شرح المختار 229 من باب الخطب (ص 9 ج 15). وقد وردت في التعبير عن الصّدّيغ رواية عن الصادق عليه السلام رواها شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في التهذيب بإسناده عن الحضرمي قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: متى أصلّى ركعتي الفجر؟ قال: حين يعترض الفجر وهو الذي تسميه العرب الصّدّيغ (ص 53 ج 5 من الواقي).

ولا يتعلّق بالنّوع الأول شيء من الأحكام الشرعية، ولا من العادات الرسمية غالباً، بل يتعلّق بالنّوع الثاني منه كما يدلّ عليه بعض الآيات القرآنية وأخبار مستفيضة إن لم تكن متواترة وردت في هذا المعنى وسيجيئ نقل طائفة منها إن شاء الله تعالى.

وإنّما قيّدنا الحكم بقولنا غالباً لأنّ نبذة من عبادات نقلية تتعلّق بظهور الفجر الأول: منها دخول وقت فضيلة الوتر فإنّ أفضل أوقاتها ما بين الفجرين كما رواه شيخ الطائفة قدس سره في التهذيب (وفي الواقي ص 53 ج 5) بإسناده عن إسماعيل بن سعد الأشعري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن ساعات الوتر فقال: أحّبّها إلى الفجر الأول - الحديث.

فإنّ قوله عليه السلام: أحّبّها إلى، يدلّ على أنّ وقت فضيلته الفجر الأول.

وفي الكافي والتهذيب بإسنادهما عن ابن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ساعات الوتر فقال: الفجر الأول (ص 53 ج 5 من الواقي).

وفي أوائل مفتاح الفلاح للشيخ الأجل العلام البهائي قدس سره أنّه روى أنّ رجلاً سأله أمير المؤمنين عليه السلام عن الوتر أول الليل فلم يجبه فلما كان بين الصّبحين خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد فنادى أين السائل عن الوتر؟ ثلث مرات، نعم ساعة الوتر هذه؛ ثمّ قام عليه السلام فأوتر.

فإن المراد من قوله: بين الصّيحيْن هو بين الفجرين أى الكاذب والصادق كما لا يخفى.

و منها وقت نافلتي الصّيْح ففى التهذيب بإسناده عن البزنطى قال: قلت لأبى الحسن عليه السلام: ركعتى الفجر أصلّيهما قبل الفجر، وبعد الفجر؟ فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: احش بهما صلاة الليل وصَلَّهُمَا قبل الفجر. (ص 53 ج 5 من الواقى).

وفى الكافى والتهذيب بإسنادهما عن زراره قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام:

الركعتان اللتان قبل الغداة أين موضعهما؟ فقال: قبل طلوع الفجر فإذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغداة. (ص 53 ج 5 من الواقى).

وفى التهذيب بإسناده عن زراره، عن أبى جعفر عليه السلام قال: سأله عن ركعتى الفجر قبل الفجر أو بعد الفجر؟ فقال: قبل الفجر إنّهما من صلاة الليل ثلاث عشرة ركعة صلاة الليل - الحديث. (ص 53 ج 5 من الواقى).

وفيه بإسناده عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت: ركعتا الفجر من صلاة الليل هى؟ قال: نعم. (ص 53 ج 5 من الواقى).

وكذا غيرها من الروايات الواردة فى ذلك عن أصحاب العصمة عليهم السلام. وإنما تدلّ على ما أشرنا إليه؟ لأنّ المراد من الفجر إذا اطلق هو الفجر الثانى، على أنّ قوله عليه السلام: «إذا طلعت الشمس فقد دخل وقت الغداة» قرينة دالة على ذلك.

وأنّ قوله عليه السلام: احش بهما صلاة الليل، وإنّهما من صلاة الليل وغيرهما ترشدنا إلى أنّ وقت النافتين بين الفجرين، وقد علمت أنّ الوتر الذى هى من صلاة الليل كان أفضل أوقاتها بين الفجرين فنافت الصّيْح وقتها بعد صلاة الوتر وقبل الفجر الثانى أى بين الفجرين فيتم المطلوب.

نعم إن طلعت الشمس قبل صلاة الليل ولم يكن قد صلّى صلاة الليل إلى أن يحرّر الافق فإن أحمرّ ولم يكن قد صلّى آخرها إلى بعد الفريضة، كما ورد بها روايات عنهم عليهم السلام.

وبما قدّمنا علمت أن ما جنح إليه العلامة البيروني في القانون المسعودي (ج 2) من أنه لا يتعلّق بالفجر الأول شيء من الأحكام الشرعية ولا من العادات الرسمية، ليس باطلاقه صحيحًا.

فالأحكام الشرعية أكثرها متعلقة بالثاني فالمرور عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا و اشربوا حتى يطلع الفجر المستطير، فأول النهار طلوع الفجر الثاني، ويدل عليه القرآن الكريم: «كُلُوا وَاشْرُبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَيْضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» (البقرة - 186) فالخيط الأبيض بياض الفجر المعترض الممدود المستطيل أي الفجر الثاني لأنّه أوسع ضياء ويناسب قوله تعالى حتى يتبيّن، والخيط الأسود سواد الليل، قال أبو داود الأيادي في الخيط الأبيض:

ولما أضاءت لنا غدوة و لاح من الصبح خيط أنارا

(1) وقال آخر في الخيط الأسود:

قد كاد يبدو و بدت تباشره و سدف الخيط البهيم ساتره

ففي الآية استعارة عجيبة و المراد حتى يتبيّن بياض الصبح من سواد الليل و عبرهما بالخيطين مجازاً.

والظاهر أنّ وجه تشبيههما بالخيط لدقّتهما كالخيط لأنّ بياض الصبح في أول طلوعه يكون مشرقاً خافياً فيزداد انتشاراً، و سواد الليل وقتهذ يكون منقضياً مولياً فيزداد استثاراً فهما جميعاً ضعيفان دقيقان كالخيط.

وتحقيقه أنّ الفصل المشترك بين ما انفجر أي انشق من الضياء وبين ما هو مظلم بعد يشبه خيطين اتصلاً عرضاً فالذى انتهى إليه الضياء الخيط الأبيض و الذى ابتدأ منه الظلام الخيط الأسود.

ص: 100

---

-1 (1) المصراع الاول قد يروى هكذا: و لما تبدت لنا سدفة، وقد يروى: و لما أضاءت لنا سدفة، وفي بعض النسخ ظلمة مكان غدوة، و السدفة: الضياء المخلوط بالظلم. منه.

وكلمة من بياتي أى الخيط الأبيض من الفجر؛ واستغنى به عن بيان الخيط الأسود لأنّه يعلم بالتبّع، وقد مال بعض إلى أنها للتبعيض وقد علمت بما حققناه وهم.

وروى أنّ عدّي بن حاتم قال: لما نزلت: و كلوا و اشربوا حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض الاية قلت للنبيّ صلّى الله عليه و اله إلّي وضعت خيطين من شعر أبيض و أسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبيّن لى فضحك رسول الله صلّى الله عليه و اله حتّى رؤيت نواجده ثمّ قال: يا ابن حاتم إنّما ذلك بياض النهار و سواد الليل، وقد نقله المفسرون بالفاظ مختلفة تؤل إلى ما نقلناه، فالآية تدلّ على أنّ أول النهار طلوع الفجر الثاني.

وفى الكافى بإسناده عن حمّاد، عن الحلبى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخيط الأبيض من الفجر فقال: بياض النهار من سواد الليل - إلخ. (ص 34 ج 7 من الوافى).

واعلم أنّ البياض المستدق المستطيل المنتصب الموازى لذنب السرحان آخر الشفق قلّماً أن يتبّعه له الناس و يدركوه و السرّ فى ذلك أنّ الهواء حينئذ يكون كدراً جدّاً بسبب ما يكون الناس فيه من الأشغال وبغلبة الحرّ الدخانى المكتسبة من حرارة النهار؛ بخلاف الصبح فانّ الهواء فيه يكون مائلاً إلى الصفاء و البياض لرطوبة المكتسبة من بروادة الليل و لعدم أشغال معتدلة تكدره فبتلك العوائق الطارئة أنّ ذنب السرحان لا يرى في الشفق، لا كما ذهب إليه العلامّة أبو ريحان البيروني في القانون المسعودي (ص 949 ج 2 طبع حيدر آباد الـدكـن 1374هـ) و تبعه المحقق الشريف و الفاضل الفخرى و غيرهما حيث قال: وإنّما لا يتبّعه الناس له لأنّ وقته عند اختتام الأعمال و استغالـهم بالاكتـنان وأمّا وقت الصبح فالعادة فيه جارية باستكمال الرّاحـة و التـهيـؤ للتـصرـف فـهم فيـه منـتظـرون طـليـعة النـهـار ليـأخذـوا فيـ الـانتـشار فـلـذـكـ ظـهـرـ لـهـمـ هـذـاـ وـ خـفـيـ ذـلـكـ. اـنـتـهـيـ كـلـامـهـ.

كيف لم يكن هذا الدليل علياً ولو ينتظر أحد غروب الشفق لا يدرك

ذلك الخيط الشبيه بذنب السرحان غالباً كما يدركه أول طلوع الصبح.

وجملة الأمر أنّ هذا الحكم رياضي لا يخصّص ولا يعتريه ريب ولا يشوبه عيب إلاّ أنّ الطوارى تمنعنا عن إدراكه.

فبما حققناه في المقام دريت وهن ما ذهب إليه المؤلّى أحمد النراقي رحمة الله في الخزائن حيث قال: إشكال رياضي وهو أنّ الرياضيين علّلوا الفجر الكاذب ونسبوه إلى الشمس وضئلها ولو كان كذلك ينبغي أن يكون في المغرب أيضاً كذلك يعني إذا غاب الشمس يظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب السرحان وليس كذلك انتهى كلامه. فراجع إلى (ص 165 من كتاب الخزائن الذي طبع في طهران عاصمة ايران سنة 1380 هـ) على تصحیحنا وتعليقنا عليه.

وإن شئنا ثنياً البيان على تحرير أدقّ وبرهناً ببرهان هندسيّ أتمّ فنقول:

إنّ ظلّ الأرض مخروط مستدير والمخروط المستدير كما عرّفه أقليدس في صدر المقالة الحادية عشر من الأصول ما يحوزه مثلث قائم الزاوية أثبت أحد ضلعى الزاوية القائمة محوراً لا يزول وأدبر المثلث إلى أن يعود إلى موضعه، وسهمه الضلع الثابت وقاعدته دائرة وسهم المخروط ما ز بمراكز القاعدة عمود عليها أبداً، وقد يّن في محله أنّ مركز الشمس والأرض أبداً على سهم مخروط ظلّ الأرض فليمّر سطح بمراكز الشمس والأرض وسهم المخروط وهذا السطح قائم على قاعدة المخروط على زوايا قوائم كما برهن في الشكل الثامن عشر من المقالة الحادية عشر من الأصول. ثمّ ليحدث من ذلك السطح مثلث حادّ الزوايا قاعدته على الأفق وضلعاه على سطح مخروط الظلّ.

أما كون المثلث حادّ الزوايا فنقول إنّ زاويتى قاعدته حادّتان لأنّ سهم المخروط قائم على القاعدة وما ز بمراكزها وقطر قاعدة المخروط قاعدة المثلث فمتصف القطر موقع عمود السهم فينقسم المثلث بمتلذين يكون سهم المخروط ضلعهما المشترك، ونصف قطر قاعدة المخروط قاعدة كلّ واحد منها والزاويتان

اللّتان بين السهم ونصف القطر قائمتان لأنّ السهم عمود على القطر، فالزاویتان الآخريات أعني زاويتي قاعدة المثلث الأعظم حادّتان لأنّ المثلث على البسيط المستوى تعديل زوايـاه الثلاـث قائمـتين فإذا كانت إحدـى زوايـاه قائمـة فلا بدّ من أن تكون كلـ واحدة من زاويـتيه الآخـرين أقلـ من قائمـة أعني حادـة، والمـثلثان متساوـيان زوايـاهـما كلـ لنـظـيرـهـ متسـاوـيةـ كما بـرهـنـ فـيـ الـرـابـعـ، وـفـيـ الثـانـىـ وـالـثـالـثـينـ منـ أـولـىـ الـأـصـولـ.

وإنـماـ قـيـدـنـاـ المـثـلـثـ عـلـىـ الـبـسـيـطـ الـمـسـتـوـيـ لـأـنـهـ إـذـ كـانـ عـلـىـ كـرـةـ أـمـكـنـ أـنـ يـلـغـ جـمـيعـ زـوـاـيـاهـ الـثـلـاثـ إـلـىـ أـعـظـمـ مـنـ قـائـمـتـيـنـ كـمـاـ بـرـهـنـ فـيـ الشـكـلـ الـحـادـىـ عـشـرـ مـنـ أـولـىـ أـكـرـمانـاـ لـأـؤـوسـ.

وإنـماـ كـانـتـ زـاوـيـةـ رـأـسـهـ حـادـةـ لـأـنـهـ لـوـ لمـ تـكـنـ حـادـةـ لـكـانـتـ إـمـاـ قـائـمـةـ أـوـ مـنـفـرـجـةـ فـكـانـ وـتـرـهـ أـعـظـمـ مـنـ كـلـ مـنـ ضـلـعـيـ المـخـرـوـطـ لـأـنـهـماـ وـتـرـاـ حـادـدـيـنـ وـقـدـ يـبـيـنـ فـيـ التـاسـعـ عـشـرـ مـنـ أـولـىـ الـأـصـولـ أـنـ زـاوـيـةـ الـعـظـمـيـ مـنـ المـثـلـثـ يـوـتـرـهـ الـضـلـعـ الـأـطـوـلـ وـكـانـ وـتـرـهـ قـطـرـ قـاعـدـةـ المـخـرـوـطـ الـذـيـ هـوـ أـصـغـرـ مـنـ قـطـرـ الـأـرـضـ وـقـدـ يـبـيـنـ فـيـ الـأـبـعـادـ وـالـأـجـرـامـ أـنـ رـأـسـ المـخـرـوـطـ فـيـ أـفـلـاكـ الـزـهـرـةـ وـأـنـ بـعـدـ مـقـعـرـ فـلـكـ الـزـهـرـةـ أـعـظـمـ مـنـ قـطـرـ الـأـرـضـ بـكـثـيرـ.

وـإـنـماـ كـانـ قـطـرـ قـاعـدـةـ المـخـرـوـطـ أـصـغـرـ مـنـ قـطـرـ الـأـرـضـ لـأـنـ الـأـرـضـ أـصـغـرـ مـنـ الشـمـسـ بـكـثـيرـ فـتـقـبـلـ مـنـهـاـ الضـوءـ وـقـدـ عـلـمـتـ أـنـ الـكـرـةـ إـذـ قـبـلـتـ الضـوءـ مـنـ كـرـةـ اـخـرىـ أـعـظـمـ مـنـهـاـ كـانـ مـسـتـضـيـءـ مـنـهـاـ أـعـظـمـ مـنـ نـصـفـهـاـ وـلـذـاـ تـحـدـثـ بـيـنـ الـمـسـتـضـيـءـ وـالـمـظـلـمـ مـنـ الـأـرـضـ دـائـرـةـ صـغـيرـةـ هـيـ قـاعـدـةـ مـخـرـوـطـ الـظـلـلـ فـيـكـونـ قـطـرـهـ أـصـغـرـ مـنـ قـطـرـ الـأـرـضـ.

وـأـمـاـ كـونـ قـاعـدـةـ المـثـلـثـ عـلـىـ الـأـفـقـ فـلـأـنـ قـطـرـ قـاعـدـةـ المـخـرـوـطـ يـكـونـ دـائـمـاـ مـوـازـيـاـ لـأـفـقـ مـوـضـعـ مـاـ قـرـيبـاـ مـنـ الـحـسـتـىـ، وـفـيـ الـمـقـامـ خـاصـةـ إـذـ كـانـ نـصـفـ الـلـيـلـ كـانـ قـطـرـ قـاعـدـةـ المـخـرـوـطـ مـوـازـيـاـ لـأـفـقـ النـاطـرـ قـرـيبـاـ مـنـ الـأـفـقـ الـحـسـتـىـ.

فـإـذـ درـيـتـ مـاـ قـدـمـنـاـ لـكـ فـنـقـولـ: وـلـيـفـرـضـ هـذـاـ المـثـلـثـ فـيـ سـطـحـ مـمـتـّـدـ فـيـمـاـ بـيـنـ

المشرق والمغرب فوق الأرض إن كان المطلوب تميز الصبح، وبينهما تحتها إن كان المقصود تميز الشفق، بحيث إن أحد الضلعين على القاعدة يلى الشمس، ولا شك أن الأقرب من الضلع الذى يلى الشمس إلى الناظر يكون موقع العمود الخارج من البصر الواقع على ذلك الضلع ثم الأقرب فالأقرب منه، لا موضع اتصال الضلع بالافق؛ فإذاً أول ما يرى نور الشمس يرى فوق الأفق خط مستقيم منطبق على الظل المذكور، ويكون ما يقرب من الأفق بعد مظلماً، ولذلك يسمى ذلك النور المرئي في المشرق بالصبح الأول والصبح الكاذب.

وإن شئت قلت إن أول ما يرى من الشعاع المحيط بالمحروط أعني أقربه إلى موضع الناظر هو موضع خط يخرج من بصره إليه في سطح دائرة سميتة أعني دائرة ارتفاع تمر بمركز الشمس حال كون ذلك الخط عموداً على الخط المماس للشمس والأرض جميعاً الذي هو في سطح الفصل المشترك بين الشعاع والظل فيرى الضوء مرتفعاً عن الأفق مستطيلاً و ما بينه وبين الأفق مظلماً وهو الصبح الكاذب؛ فتبصّر.

ثم إذا قربت الشمس من الأفق الشرقي جداً ينبعض النور فصار الأفق منيراً يصير الصبح صادقاً ثم يزداد نوره لحظة فلحظة إلى أن تظهر الحمرة. وقد علمت أن الشفق يكون بعكس الصبح.

والحمرة التي ترى فوق الأفق في الصبح والشفق إنما تكون من اختلاط النور القوى والظلمة، ول يكن ذلك في ذكر حين تسير بك قطار في نفق السكة الحديدية، أو سيارة في نفق؛ سيما إذا كنت مواجهها للشمس وكان النفق ذا طول فإذا ظهر مخرج النفق من بعيد ترى حمرة الصبح والشفق قد تكونت من اختلاط شعاع الشمس من خارج النفق والظلمة في داخله.

ولنمثل لك مثلاً توضيحاً للمراد فليفرض اب ح مثلث المخروط واح الضلع الذي يلى الشمس وب ح سطح الافق المرئى و د موضع الناظر و ه موضع عمود البصر و نخرج من موضع الناظر عمود د على اح و هذا العمود لا يمكن أن يقع على ح لأن زاوية د ح ه الداخلة في المثلث حادة كما دريت. وزاويته قائمتان لأن د ه عمود فيلزم إذن تساوى الحادة و القائمة هف.

وكذلك لا- يمكن أن يقع خارجاً عن جانب ح. مثلاً أن يقع على رلأنه يلزم أن يجتمع في مثلث در ح قائمة و منفرجة وقد بين امتناع اجتماعهما في مثلث مستو. أما الزاوية القائمة فلأن در عمود بالفرض على ضلع اح.

وأما المنفرجة فلأن زاوية د ح ه كانت حادة فد ح ر منفرجة لا محالة لأنه برهن في الثالث عشر من أولى الأصول إذا قام خط على خط كيف كان حدثت عن جنبيه زاويتان إما قائمتان أو متساويتان معا لقائمتين فإذا كانت إحداهما حادة بقيت الأخرى منفرجة.

وأما امتناع اجتماعهما في مثلث مستو فلأنه إذا كان إحدى زواياه قائمة فلا بد من أن تعادل الآخريان قائمة فلو كانت أحدهما منفرجة تعادل زواياه الثالث أكثر من قائمتين هف.

وبمثل هذا البيان نقول: إن هذا العمود لا يمكن أن يقع على اعنى رأس

المخروط ولا خارجا من جانبه فيقع موقع العمود فيما بين نقطتين اح، ثم نقول:

إنَّ ده وتر حادة ودح - وتر قائمة فالأول أقصر من الثاني بالتساس عشر من أولى الأصول بل أقصر من كل خط يخرج من موضع الناظر إلى اح لكونه وتر قائمة فيكون نقطة ه موقع العمود أقرب النقاط إلى البصر فيكون خط ده من بين الخطوط الخارجية من البصر إلى ضلع اح أقل مسافة منها فيرى أولاً موقع العمود أعني نقطة ه لقربه من البصر ثم بعض ما كان من الضلع المذكور فوق موقع العمود وتحته القريبين منه دون البعض الآخر لبعده عنه فلذلك يرى بعض الأجزاء المرئي من الضلع المذكور كخط مستقيم شبيه بذنب السرحان إذا شال ذنبه.

وأمّا ما يقرب من الأفق فيكون بعد مظلما ولا يرى نور الشمس الذي وراء الظل لبعدة عن البصر لأنَّ لكلَّ مبصر غاية من البعد والقرب إذا جاوزهما لم يبصر كما حقق في محله وأشارنا إلى شرایط الرؤية في شرحنا على الكتاب الثامن فراجع.

على أنَّ الهواء الذي عند الأفق يكون أكثـف وأغلـظ بخلاف الهواء الذي ارتفـع عنه ولا يخفـى عليك أنَّ للطاـفة الهـواء وكتافـته دخـلـاـ في ظهـور الصـوـء وعـدـمه.

فإن قلت: ما قدمت إنـما يتمـ لو كان خط ده العمود الواقع على اح شعاع البصر فتكون نقطة د بمنزلة عين الناظر مرتفـعة عن الأفق على حدـ قـامتـهـ،ـ وـالـاشـكـالـ فـيـهـ أـنـ صـورـةـ مـثـلـ دـحـ هـ اـنـماـ تـسـحقـقـ لـوـ كـانـتـ نـقـطـةـ دـ عـلـىـ سـطـحـ الأـفـقـ الحـسـيـ لاـ مـرـتـقـعـةـ عـنـهـ،ـ وـلـوـ اـعـتـبـرـ كـونـهـاـ عـلـيـهـ فـأـيـنـ قـامـةـ النـاظـرـ؟ـ قـلـتـ:ـ قـامـةـ النـاظـرـ فـيـ أـمـثـالـ هـذـهـ اـلـمـوـرـ كـنـقـطـةـ لـاـ تـخـلـ بـالـمـقـصـودـ فـلـاـ يـضـرـنـاـ فـيـ المـقـامـ اـعـتـبـارـ قـامـتـهـ وـعـدـمهـ.

وأمـاـ مـاـ وـعـدـنـاـ مـنـ زـيـادـةـ بـيـانـ فـيـ اـتـصالـ الصـبـحـ بـالـشـفـقـ فـيـ بـعـضـ الـأـفـقـ فـنـقـولـ:ـ قـدـ عـلـمـ بـالـتـجـربـةـ أـنـ انـحـاطـاطـ الشـمـسـ عـنـدـ أـوـلـ طـلـوعـ الصـبـحـ الكـاذـبـ وـآخـرـ الشـفـقـ ثـمـانـيـةـ عـشـرـ درـجـةـ فـفـيـ الـأـفـقـ الـتـيـ يـكـونـ عـرـوـضـهـاـ ثـمـانـيـ وـأـرـبـعـينـ درـجـةـ

وثلاث وثلاثين دقيقة شمالية كانت أو جنوبية يتصل آخر الشفق وهو عند غاية انحطاط الشمس عن الافق بأول الصبح الكاذب إذا كانت الشمس في المنقلب الصيفي أعني أول السرطان في الافق الشمالية وأول الجدي في الافق الجنوبية.

وذلك لأنّ افقاً كان عرضه 33° يكون تمام عرضه 41° فإذا نقص منه الميل الكلّي أعني الميل المنقلب الصيفي وهو في سنتنا هذه وهي سنة 1385هـ بلغ 27° تقريباً بقي 18° درجة؛ وتكون غاية انحطاط المنقلب الصيفي في هذا الافق 18° درجة لا محالة ولا يخفى عليك أنّ غاية انحطاطه حينئذ قوس من نصف النهار بين المنقلب عند كونه تحت الأرض وبين قطب أول السموات من الجانب الأقرب ولهما كانت الشمس بلا عرض أعني أنها في سطح دائرة منطقة البروج دائماً فإذا بلغت إلى هذا المنقلب تكون غاية انحطاطها عن ذلك الافق 18° درجة فيكون آخر الشفق أى غاية انحطاطها مبدء الصبح الأول.

وهذا أول عرض يتفق فيه اتصال الصبح بالشفق وفي الافق التي جاوزت عروضها ذلك المقدار إلى أن بلغ عرضها مثل تمام الميل الأعظم أعني 33° يتناقص انحطاط الشمس عن الافق عند كونها في المنقلب الصيفي عن ذلك المقدار أي يكون انحطاط أقلّ من 18° درجة فلا محالة تكون عن جنبي المنقلب نقطتان غاية انحطاطهما تكون 18° درجة فما دامت الشمس في القوس التي بين النقطتين يتصل الشفق بالصبح وطلع الصبح يكون قبل تمام غروب الشفق فيتداخل الصبح والشفق فيكون زمان ما من ساعاتهما ويكثر هذا الزمان كلّما ازداد العرض لأنّ العرض كلّما كان الأكثر كانت تلك القوس الواقعة بين النقطتين أعظم.

وإذا بلغ العرض مثل تمام الميل الكلّي بما فوقها فلا يكون للشمس في المنقلب الصيفي انحطاط أصلاً لأنّ مدار المنقلب على الأول يكون أعظم المدارات الأبدية الظهور وعلى الثاني يدور فوق الافق.

وبما حررنا دريت أنّ قول الفاضل البرجندى في شرح التذكرة في المقام حيث فسر نهاية المقدار في كلام الخواجة: «وفيما جاوزت عروضها ذلك المقدار»

بقوله: إلى أن بلغ عرض تسعين، ليس بصواب. والحق في التفصيل.

ثم إن في المقام مباحث أئمة و مطالب دقيقة حررناها في رسالتنا المدونة في الوقت والقبلة فليرجع الطالب إليها. ولعلنا نشير إلى طائفة منها في شرح كتابه عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة إنشاء الله تعالى و الله تعالى نحمد و نستزيد.

## تذليل

قد ذكرنا أن قوله تعالى: «**حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**» يدل على أن المراد من الفجر هو الثاني وقد رویت أخبار عديدة من أئمتنا المعصومين عليهم السلام فيه: ففي الكافي عن علي بن مهزيار قال: كتب أبو الحسن بن الحسين إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام معى جعلت فداك قد اختلف مواليك في صلاة الفجر فمنهم من يصلى إذا طلع الفجر الأول المستطيل في السماء، ومنهم من يصلى إذا اعترض في أسفل الأفق واستبان؛ ولست أعرف أفضل الوقتين فاصلى فيه فان رأيت أن تعلمى أفضل الوقتين وتحده لى وكيف أصنع مع القمر والفجر لا يتبيّن معه حتى يحرّر ويصبح؟ وكيف أصنع مع الغيم؟ وما حد ذلك في السفر والحضر؟ فعلت إن شاء الله تعالى.

فكتب بخطه وقراءته: الفجر يرحمك الله هو الخيط الأبيض المعترض ليس هو الأبيض صعداء؛ فلا تصل في سفر ولا حضر حتى تبيّنه فإن الله تعالى لم يجعل خلقه في شبهة من هذا فقال: «وكروا وشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» و الخيط الأبيض هو المعترض الذي يحرم به الأكل والشرب في الصوم وكذلك هو الذي يجب به الصلاة. أتي به الفيض في الواقفي في ص 51 ج 5. والعامل في باب أن أول وقت الصبح طلوع الفجر الثاني المعترض في الأفق دون الفجر الأول المستطيل من صلاة الوسائل، و رواه في التهذيب بأدنى تفاوت في الفاظه.

وفى التهذيب عن زرار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى ركعتي الصبح وهي الفجر إذا اعترض الفجر وأضاء حسنا. وفي الفقيه: وروى أن وقت الغداة إذا اعترض الفجر فأضاء حسنا. رواه في ذلك الباب من الوسائل أيضا.

وفي الكافي والتهذيب والفقية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبح هو الذي إذا رأيته (كان - نسخة الفقيه) معتبراً كأنه نباش سوري.

أقول: النباش بتقديم النون على الباء من نبض الماء إذا سال وربما قرئ بالباء فالباء والمراد منه نهرى سورى على وزن بشرى موضع بالعراق وقد دلّ عليه ما في التهذيب عن هشام بن الهذيل، عن أبي الحسن الماضى عليه السلام قال: سألت عن وقت صلاة الفجر فقال: حين يعترض الفجر فتراه. مثل نهر سورى. رواه في ذلك الباب من الوسائل أيضاً.

وفي التهذيب عن أبي بصير المكفوف قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصائم متى يحرم عليه الطعام، فقال: إذا كان الفجر القبطية البيضاء، الخبر.

أقول: القبطية بضم القاف: الثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء منسوب إلى القبط وهم أهل مصر هذا في الثياب وأما في الناس فقبطي بالكسر كما في النهاية الأثيرية.

وفي الباب التالي من ذلك الباب المقدم من الوسائل: عن زريق، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يصلّى الغداة بغلس عند طلوع الفجر الصادق أول ما يبدو قبل أن يستعرض.

أقول: والأخبار بهذا المضمون المروية عن أمتنا عليهم السلام كثيرة رويت أكثرها في الكتب الأربع وكتابي الصلاة والصوم من الوسائل وغيرها من الجواجم تدل على ما قدمنا من أن قوله تعالى «حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمْ» يدل على أن المراد من الفجر الفجر الصادق وأن الأحكام الشرعية والعادات الرسمية إنما تتعلق به لا بالكاذب.

قوله عليه السلام: «إذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً» أمره عليه السلام أن يقف عند لقاء العدو في وسط الجيش وذلك لأنّ أمير الجيش إذا كان حينئذ في وسط الجيش يكون نسبته إلى كل جوانب على السواء فكان أقدر على ابلاغ أوامره ونواهيه إلى الجميع، وعلى الإحاطة بهم والسلط عليهم.

على أنّ أمير الجيش بمنزلة القطب فيهم فينبغى لهم أن يكونوا حوله على نسبة سواء، ويقوه بأنفسهم وينتظروا أمره ولا يبعدوا عنه بعداً رِيماً يوجب احتلال نظامهم.

وأنّه بمنزلة القلب من جسد العسكر فيجب عليه وعليهم العناية التامة في حفظه وحراسته وذلك لأنّ موت واحد من أفراد الجيش لا يوجب اضمحلالهم بخلاف الأمير لأنّه من الأعضاء الرئيسة التي ينتفي الكلّ بانتفائه فهلاك رئيس القوم يوجب انهدامهم وانهزامهم فنعم ما قاله الشاعر:

لَكَ الْعَزَّ إِنْ مُولَاكَ عَزَّ فَإِنْ يَهْنَ فَأَنْتَ لَدِي بِحْبُوْحَةِ الْهُونِ كَائِنٌ

فإذا كان في وسط القوم فكانه في حصن حصين يمنع الخصم عن الظفر عليه.

قوله عليه السلام: «وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمَ دُنْوًّا مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَنْشِبَ الْحَرْبَ - إِلَخ» بعد ما أمره عليه السلام بما دريت أخذ أن ينهيه عن عدّة امور فمنها أن لا يدنو من القوم دنوًّا من يريد أن يوقع الفتنة ويقيم الحرب وذلك لما قدّمنا من أن أولياء الله ما أمروا بسفك الدماء وقتل النفوس إلاّ بعد أن أبى الناس إلا نوراً وطغياناً فعند ذلك كان أمر ربّهم حتماً مقتضياً في اجتياحهم لثلاً يختلّ بهم انتظام الاجتماع البشري وقد قيل: إنّ ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن وما يلائم بالسنان لا يتنظم بالبرهان. وقد تقدم في ص 39 ج 2 من التكملة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الخير كله في السيف وتحت ظلّ السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار. رواه الكليني في الكافي وقد تقدم وبيانه آنفاً. وفي القرآن الكريم: «وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (البقرة - 254). «وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُ دَمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» (الحج - 42) والآياتان مسوقتان إلى الجهاد في سيف الله بالسيف كما يدلّ عليه سياق الآيات التي قبلهما فراجع.

ثم انظر فى سيرة قائد الغرّ المحجلين أمير المؤمنين علىٰ عليه السلام فى حروبه، لا يأذن القوم أن يواجهوا الخصم إلى حد يشعر بارادة ايقاع الفتنة فتبصر أنّ الحجج الإلهية و الذين تولوا امور الدين بعدهم ياذنهم شأنهم أجل ممّا توهمه الجاهلون و عزّوهم إلى كثير مما ليس إلا فرية و اختلاق.

و منها أن يتبعونهم تباعد من يؤذن بخوفه من البأس أى الحرب لأن ذلك يشعر بالوهن والضعف والخوف من العدو فيوجب أن يطبع العدو فيه. ثم ضرب له في هذين النهيين غاية فقال: حتى يأتيك أمرى.

و منها أن لا - يحملنّ معلق بن قيس وأصحابه بغض القوم وعداوتهم إياهم على أن يقاتلوهم قبل أن يعذروا إليهم الدّعاء و يمنحوهم النصح و يتمّوا الحجّة عليهم و يدعوهم إلى الإمام الحق. وفي الكافي (الوافي ص 16 ج 9) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لَمَا وَجَّهْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى اليمَنِ فَقَالَ: يَا عَلَىٰ لَا تَقْاتِلْ أَحَدًا حَتَّىٰ تَدْعُوهُ إِلَى إِلَيْسَامٍ وَأَيْمَانَ لَئِنْ يَهْدِي اللَّهُ عَلَىٰ يَدِيكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مَمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ وَلَكَ وَلَأْوَهُ.

ويستحب أن يكون الدّعوة بما في النص كما يأتي تفصيله في شرح المختار الخامس عشر من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

فلو كان القتال بمجرد عداوة الخصم يخرج كونه طاعة بل قتال في سبيل هوى النفس و تشفيها فلا أقل من أن يكون مشوبا بغريب طاعة الله وقد قال تعالى و تقدس:

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لَا يُشَرِّكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (آخر الكهف) و الجهاد عبادة فلا بد فيه من خلوص النية. و تأبى نفسي إلاّ نقل جملة ما أجاد العارف الرومي في المثنوي من أبيات تناسب المقام جداً:

از على آموز اخلاص عمل شیر حق را دان منزه از دغل

در غزا بر پهلواني دست یافت زود شمشيری بر آورد و شتافت

او خدو انداخت بر روی على افتخار هر نبی و هر ولی

او خدو انداخت بر روی که ماه سجده آرد پیش او در سجده گاه

در زمان انداخت شمشیر آن علی کرد او اندر غزایش کاهله

گشت حیران آن مبارز زین عمل از نمودن عفو و رحم بی محل

گفت بر من تیغ تیز افراستی از چه افکنده مرا بگذاشتی

آن چه دیدی بهتر از پیکار من تا شدی تو سست در آشکار من

آن چه دیدی که چنین خشم نشست تا چنین برقی نمود و باز جست

آن چه دیدی که مرا زان عکس دید در دل و جان شعله ای آمد پدید

آن چه دیدی بهتر از کون و مکان که به از جان بود و بخشیدیم جان

در شجاعت شیر ربانیستی در مروقت خود ندانم کیستی

در مروقت ابر موسایی به تیه کامد از وی خوان و نان بی شبیه

ای علی که جمله عقل و دیده ای شمه ای واگو از آن چه دیده ای

تیغ علمت جان مارا چاک کرد آب علمت خاک مارا پاک کرد

باز گو دانم که این اسرار هوست زان که بی شمشیر کشتن کار اوست

باز گو ای باز عرش خوش شکار تا چه دیدی این زمان از کردگار

چشم تو ادراک غیب آموخته چشمها حاضران بر دوخته

راز بگشا ای علی مرتضی ای پس از سوء القضا حسن القضا

یا تو واگو آنچه عقلت یافته است یا بگوییم آنچه بر من تافته است

از تو بر من تافت چون داری نهان می فشانی نور چون مه بی زبان

لیک اگر در گفت آید قرص ماه شب روان را زودتر آرد براه

از غلط ایمن شوند و از ذهول بانگ مه غالب شود بر بانگ غول

ماه بی گفتن چو باشد رهنما چون بگوید شد ضیا اندر ضیا

چون تو بابی آن مدینه علم را چون شعاعی آفتاب حلم را

باز باش ای باب بر جویای باب تا رسند از تو قشور اندر لباب

باز باش ای باب رحمت تا ابد بارگاه ماله کفوأ أحد

ص:112

پس بگفت آن نو مسلمان ولی از سر مستی و لذت با علی

که بفرما یا أمیر المؤمنین تا بجنبد جان بتن همچون جنین

باز گوای باز پر افروخته با شه و با ساعدهش آموخته

باز گوای باز عنقا گیر شاه ای سپاه اشکن بخود نی با سپاه

امت وحدی یکی و صد هزار باز گوای بنده باز راشکار

در محل قهر این رحمت ز چیست اژدها را دست دادن کار کیست

گفت من تیغ از پی حق می زنم بنده حقم نه مأمور تنم

شیر حقم نیستم شیر هوا فعل من بر دین من باشد گوا

من چوتیغم و آن زننده آفتاب ما رمیت إذ رمیت در حراب

رخت خود را من زره برداشتمن غیر حق را من عدم انگاشتم

گفت أمیر المؤمنین با آن جوان که بهنگام نبرد ای پهلوان

چون خدو انداختی بر روی من نفس جنبید و تبه شد خوی من

نیم بهر حق شد و نیمی هوا شرکت اندر کار حق نبود روا

گفت من تخم جفا می کاشتم من ترا نوعی دگر پنداشتم

تو ترازوی أحد خود بوده ای بل زبانه هر ترازو بوده ای

من غلام آن چراغ شمع خو که چراغت روشنی پذیرفت ازو

عرضه کن بر من شهادت را که من مر تو را دیدم سرافراز ز من

قرب پنجه کس ز خویش و قوم او عاشقانه سوی دین کردند رو

او بتیغ حلم چندین خلق را وا خرید از تیغ چندین حلق را

تیغ حلم از تیغ آهن تیز تر بل ز صد لشکر ظفر انگیزتر

این وصیتی است که امیر علیه السلام بمعقل بن قیس ریاحی - هنگامی که وی را با لشکری سه هزار نفری مقدمه خود کرده بوده، و بسوی شام گسیل داشت - فرمود:

بترس از خدائی که ناچار بازگشت بدرو است، و سرانجام تنها او است، جنگ مکن مگر با کسی که با تو سر جنگ دارد، و در دو طرف روز (صبح و عصر که هوا خنک است) راه میرو، و در نیم روز لشکر را فرود آرتا بیاسایند، و سبک و آسان راه میرو. و در أول شب سیر مکن که خدا آنرا برای آرمیدن قرار داده و برای اقامت تقدير فرموده نه کوچ کردن، پس در آن تنت و ستورانت را آسایش ده تا به پهن شدن آثار سحر، و پیدایش سپیده صبح آگاه شدی، با درخواست برکت از خدائی سیر میکن، و چون دشمن را دیدی در میان لشکر قرار گیر، و بدشمن چندان نزدیک مشو چون نزدیک شدن کسی که آهنگ در گرفتن آتش جنگ دارد، و چندان از آنان دور مشو چون دور شدن کسی که از جنگ هراس دارد، تا فرمان من در رسد، و مبادا که دشمنی آنان، شما را پیش از آنکه با آنان اتمام حجت کنید، و مر ایشان را براه حق بخوانید، و عذر خود را بدیشان تمام گردانید بجنگ وا دارد.

### و من كتاب له عليه السلام الى أميرين من أمراء جيشه

### اشارة

و هو المختار الثالث عشر من باب كتبه و رسائله عليه السلام وقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعوا له وأطعوه واجعلوه درعا و محنّا فإنه ممن لا يخالف و هذه

(وهيـه - نسخة) ولا سقطـته، ولا بـطـؤه عـمـا الإـسـاعـ إـلـيـهـ أـحـزـمـ، ولا إـسـرـاعـهـ إـلـىـ ماـ الـبـطـؤـ عـنـهـ أـمـثـلـ.

## مصدر الكتاب و سند

نقل الكتاب مسندـاً أبو جـعـفرـ الطـبـرـيـ المتـوفـيـ (310 هـ) فـيـ التـارـيـخـ بـأـدـنـيـ اـخـتـلـافـ وـقـدـ مـضـىـ نـقـلـهـ فـيـ شـرـحـ الخـطـبـةـ 236 فـوـاجـعـ إـلـىـ صـ 221 منـ جـ 1 منـ تـكـمـلـةـ الـمـنـهـاجـ.

ورواه مسندـاً نـصـرـ بـنـ مـزـاحـمـ الـمنـقـرـيـ فـيـ كـتـابـ صـفـينـ (صـ 81 منـ الطـبـعـ النـاصـرـيـ)، وـأـتـىـ بـهـ المـجـلـسـيـ فـيـ المـجـلـدـ الثـامـنـ مـنـ الـبـحـارـ (صـ 478 منـ الطـبـعـ الـكـمـبـانـيـ). وـمـاـ أـتـىـ بـهـ الرـضـيـ فـيـ النـهـجـ فـهـوـ بـعـضـ هـذـاـ الـكـتـابـ وـقـدـ أـسـقـطـ مـنـهـ قـرـيبـاـ مـنـ سـطـرـ فـدـونـكـ الـكـتـابـ بـصـورـتـهـ الـكـامـلـةـ عـلـىـ مـاـ رـوـاهـ نـصـرـ وـإـنـ كـانـ يـوـافـقـ مـاـ نـقـلـهـ الطـبـرـيـ تـقـرـيـباـ وـقـدـ نـقـلـ قـبـلـ.

قال نـصـرـ: وـقـالـ خـالـدـ بـنـ قـطـنـ: فـلـمـاـ قـطـعـ عـلـىـ عـلـىـ دـعـاـ زـيـادـ بـنـ النـضـرـ وـشـرـيـعـ بـنـ هـانـيـ فـسـرـحـهـمـاـ أـمـامـهـ نـحـوـ مـعـاوـيـةـ عـلـىـ حـالـهـمـاـ الـذـيـ كـانـاـ عـلـيـهـ حـيـنـ خـرـجـاـ مـنـ الـكـوـفـةـ فـيـ اـثـنـيـ عـشـرـ أـلـفـاـ وـقـدـ كـانـاـ حـيـثـ سـرـحـهـمـاـ مـنـ الـكـوـفـةـ أـخـذـاـ عـلـىـ شـاطـئـ الـفـرـاتـ مـنـ قـبـلـ الـبـرـ مـمـاـ يـلـىـ الـكـوـفـةـ حـتـىـ بـلـغـاعـانـاتـ فـبـلـغـهـمـ أـخـذـ عـلـىـ عـلـىـ السـلـامـ عـلـىـ طـرـيقـ الـجـزـيرـةـ، وـبـلـغـهـمـاـ أـنـ مـعـاوـيـةـ أـقـبـلـ فـيـ جـنـودـ الشـامـ مـنـ دـمـشـقـ لـاستـقـبـالـ عـلـىـ عـلـىـ السـلـامـ فـقـالـ: لـاـ وـالـلـهـ مـاـ هـذـاـ لـنـاـ بـرـأـيـ أـنـ نـسـيرـ وـبـيـنـاـ وـبـيـنـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ هـذـاـ الـبـحـرـ، وـمـاـ لـنـاـ خـيـرـ أـنـ نـلـقـيـ جـمـوعـ أـهـلـ الشـامـ بـقـلـةـ مـنـ عـدـدـنـاـ مـنـقـطـعـيـنـ مـنـ الـعـدـدـ وـالـمـدـدـ فـذـهـبـوـاـ لـيـعـبـرـوـاـ مـنـ عـانـاتـ فـمـنـعـهـمـ أـهـلـ عـانـاتـ وـحـبـسـوـاـ عـنـدـهـمـ السـفـنـ فـأـقـبـلـوـاـ رـاجـعـيـنـ حـتـىـ عـبـرـوـاـ مـنـ هـيـتـ، ثـمـ لـحـقـوـاـ عـلـىـ بـقـرـيـةـ دـوـنـ قـرـقـيسـيـاءـ وـقـدـ أـرـادـوـاـ أـهـلـ عـانـاتـ فـتـحـصـنـوـاـ مـنـهـمـ فـلـمـاـ لـحـقـتـ الـمـقـدـمـةـ عـلـىـاـ قـالـ: مـقـدـمـتـيـ تـأـتـىـ وـرـائـيـ.

صـ 115

---

(1) قد مـضـىـ تـقـصـيـلـهـ فـيـ جـ 15 صـ 220 منهـ.

فتقدّم إليه زياد وشريح فأخبراه الّذى رأيَا؛ فقال: قد أصبتما رشدكمَا، فلّمَا عَبَرُوا الفرات قدّمْهُمَا أَمَامَهُ نَحْوَ معاوِيَةَ، فلّمَا انتَهُوا إِلَى معاوِيَةَ لقيهِمْ أَبُو الأَعْوَرِ فِي جنْدِ أَهْلِ الشَّامِ فَدَعَوهُمْ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَبْوَا؛ فَبَعْثَتُمُوا إِلَى عَلَىٰ أَنَا قَدْ لَقَيْنَا أَبَا الْأَعْوَرِ السَّلْمَى بِسُورِ الرُّومِ فِي جنْدِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَدَعَوْنَا هُمْ وَأَصْحَابَهِ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَتِكَ فَأَبْوَا عَلَيْنَا فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ. فَارْسَلْتُ عَلَىٰ عَلِيهِ السَّلَامَ إِلَى الأَشْتَرِ فَقَالَ:

يَا مَالِ إِنْ زِيَادًا وَشَرِيحًا أَرْسَلَا إِلَى يَعْلَمَانِي أَنَّهُمَا لَقَيَا أَبَا الْأَعْوَرِ السَّلْمَى فِي جنْدِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِسُورِ الرُّومِ فَنَبَأْنِي الرَّسُولُ أَنَّهُ تَرَكَهُمْ مُتَوَاقِفِينَ فَالْجَاءَ إِلَى أَصْحَابِكَ النَّجَاءَ، فَإِذَا أَتَيْتَهُمْ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْدِأَ الْقَوْمَ بِقَتَالِ إِلَّا أَنْ يَبْدُءُوكَ حَتَّى تَلْقَاهُمْ وَتَسْمَعُ مِنْهُمْ وَلَا يَجْرِي مِنْكُمْ شَنَآنَهُمْ عَلَى قَتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةً وَاجْعَلْ عَلَى مِيمَنْتَكَ زِيَادًا، وَعَلَى مِيسَرِكَ شَرِيحًا، وَقَفْ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَسَطَ، وَلَا تَدْنِ مِنْهُمْ دُنْوًّا مِنْ يَرِيدُ أَنْ يَنْشَبَ الْحَرْبَ، وَلَا تَبَعَّدْ مِنْهُمْ تَبَاعِدَ مِنْ يَهَابُ الْبَاسَ حَتَّى أَقْدِمَ إِلَيْكَ فَإِنِّي حَشِيثُ السَّيرِ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفري. وكتب إليهم: أما بعد فإني قد أمرت عليكم مالكا فاسمعوا له وأطعوا أمره فإنه من لا يخاف رهقه ولا سقطه ولا بطوه عمما الإسراع إليه أحزم ولا الإسراع إلى ما البطون عنه أمثل. وقد أمرته بمثل الذي أمرتكم ألا يبدأ القوم بقتل حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر لهم [\(1\)](#).

## اللغة

الحيز: أصله من الواو. وقد يقال: **الحيز مخفقاً** مثل هين وهين، ولئن ولين. قال الجوهرى: **الحيز** ما انضم إلى الدار من مراقبها وكل ناحية حيز، قال تعالى: «وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّقاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيَّزاً إِلَى فِتَّةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَصَبٍ مِنَ اللَّهِ»، الآية (17)، انقال) أى صائرًا إلى حيز.

«درعا» الدرع بكسر الدال وسكون الراء مصنوع من حديد يلبس في

ص: 116

---

-1) كان الاصل من نسخة صفين: ألا تبدعوا القوم حتى تلقاءهم فتدعواهم وتعذر اليهم.

الحروب للوقاية من الضرب والطعن، يقال بالفارسية: زره. مؤثثة وقد يذكر جمعه القليل أدرع وأدراع فإذا كثرت فهى الدروع. رجل دارع أى لا بس الدرع أى عليه درع كائنه ذو درع مثل تامر، قال السموأل بن عاديا اليهودي:

وأسيافنا فى كلّ شرق و مغرب بها من قراع الدّارعين فلول

فى أبيات له أتى بها الجاحظ فى البيان والتبيين (ص 185 ج 3 طبع مصر) و درع المرأة قميصها و هو مذكّر و الجمع أدراع قاله الجوهرى.

«المجنّ» بالكسر: الترس وهو اسم آلة من الجنّ و الجمع مجانّ بالفتح.

وكذا المجنة والجنة. وأصل الجنّ ستر الشيء عن الحاسة والترس يجنّ صاحبه والجنة: السترة يقال: استجنّ بجنته أى استر بسترة. قال عزّ من قائل: اتّخذوا أيمانهم جنة، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: الصوم جنة، وفي التهذيب والفقير عن رسول الله صلى الله عليه وآله: الصوم جنة من التمار، والولد ما دام في بطنه أمّه جنين جمعه أجنة، قال تعالى: «وَإِذْ أَنْتُمْ أَحِنَّهُ فِي بُطُونِ أُمَّهَا تُكْمُ»، و الجنان بالفتح القلب لكونه مستوراً عن الحاسة وكذا سمى الجنّ جنّا لاستثارهم و اختفائهم عن الأ بصار وعلى هذا القياس ما اشتقت من الجنّ فانه لا يخلو فيه معنى الاستثار.

«الوهن»: الضعف و «السقطة»: الغلطة والخطاء، وفي نسخة الطبرى ونصر:

فإنّه ممّن لا يخاف رهقه ولا سقطاته، «الرهق» محرّكة: السفة، والنوك والخفّة وركوب الشرّ والظلم وغشيان المحارم، وفي نهاية الأثيرية: وفي حديث على عليه السلام انه وعظ رجلا في صحبة رجل رهق، أى فيه خفة و حدّة، يقال: رجل فيه رهق إذا كان يخف إلى الشرّ و يغشاه، والرهق السفة، وغشيان المحارم و منه حديث أبي وائل انه صلى على امرأة كانت ترهق أى تهّم بشرّ، و منه الحديث سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق، انتهى. وفي القرآن الكريم: «فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخْافُ بَخْسًا وَ لَا رَهْقًا» (الجن - 14). وروى: ولا وهيه، وهو قريب من الوهن معنى.

«السقاط» كتاب قال الجوهرى في الصلاح: السقطة العثرة والزللة

وكذلك السقاط. قال سعيد بن أبي كاہل:

كيف يرجون سقاطي بعد ما جلّ الرأس، مشيب وصلع

وقال المرزوقي في شرح الحماسة 769: يقال لمن لم يأت مأتم الكرام: هو يساقط. قال الشاعر: كيف يرجون. البيت.

«أحزم» الحزم: ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة والحدن من فواته من قولهم حزمت الشيء أى شدته، وهذا الرأى أحزم من هذا أى دخل في باب الحزم والاحتياط.

«أمثل» قال ابن الأثير في النهاية: وفيه - يعني في الحديث - أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأشد أى الأشرف والأعلى فال أعلى في الرتبة والمنزلة.

يقال هذا أمثل من هذا أى أفضل وأدنى إلى الخير، وأمثال الناس خيارهم، ومنه حديث التراویح قال عمر: لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل أى أولى وأصوب.

## الاعراب

من في حيز كما: معطوف على الضمير المجرور المقدم ولذا أعاد الجار لأن الضمير المتصل بالجار لشدة اتصاله به صار كالجزء له ولا يجوز العطف على جزء الكلمة، مالك منصوب بأمرت ومفعول له، والأشرى صفة له، والفاء الأولى للتسبيب لأن المعطوف بها متسبّب عن المعطوف عليه، ولكن أن تجعلها فصيحة والثانية للتعليق، وكلماتا من موصولتان اسميتان ولا يخاف فعل مجهول وضمير ونه وسقطته راجعون إليه وافردا مراعاة للفظ نحو قوله تعالى: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ» (الأنعام - 26) ويسمى هذا الضمير في النحو بالعائد.

ولا بطء عطف على ونه أى لا يخاف بطءه، وعمما صلة للبطوء وما موصولة وضمير إليه عائدها باعتبار اللفظ وأحزم خبر للإسراع وكذا القياس في الجملة التالية لها.

قد علمت بما قدّمنا ههنا عن نصر وفي ص 221 ج 1 من التكملة عن الطبرى أنّ الأُمّيرين هما زياد بن نصر وشريح بن هانى وقد مضى نقل كتابهما إلى الأُمّير عليه السَّلام وكتابه عليه السَّلام إليهما فى شرح الكتاب الحادى عشر وسيأتى أيضاً وصيّة له عليه السَّلام وصيّ بها شريح بن هانى لما جعله على مقدّمته إلى الشام وهو الكتاب السادس والخمسون أوله: أتقَ اللَّهُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَ مَسَاءً - إلخ.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: شريح بن هانى بن يزيد بن الحارث الحارثى بن كعب، جاهلى إسلامى، يكُنّى أبا المقدام وأبواه هانىء بن يزيد، له صحبة قد ذكرناه في بابه. وشريح هذا من أجيال أصحاب علي رضي الله عنه.

وقال في باب هانى في ترجمة أبيه: هانى بن يزيد بن نهيك، ويقال هانىء ابن كعب المذحجى، ويقال: الحارثى، ويقال: الضبي، وهو هانىء بن يزيد بن نهيك ابن دريد بن سفيان بن الصباب، وهو سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الصبابى المذحجى الحارثى. وهو والد شريح بن هانىء، كان يكُنّى في الجاهلية أبا الحكم لأنّه كان يحكم بينهم فكانته رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي شريح، إذ وفد عليه، وهو مشهور بكنيته، شهد المشاهد كلها، روى عنه ابنه شريح بن هانىء حديثه عن ابن ابنته المقدام بن شريح بن هانىء عن أبيه، عن جده، وكان ابنه شريح من أجيال التابعين ومن كبار أصحاب علي رضي الله عنه وممن شهد معه مشاهده كلها. انتهى.

قوله عليه السَّلام: «وقد أمرت عليكم وعلى من في حِيزِكما مالك بن الحارث الأستر» أى جعلت مالكا أميراً عليكم وعلى من كان في كنفكم وتحت أمركم وفي ناحيتكم وقد دريت بما قدّمنا أنّ الأُمّير عليه السَّلام سرّح زياداً وشريحاً نحو معاوية في اثنى عشر ألفاً.

قوله عليه السَّلام: «فاسمعوا له وأطيعاه» تفريع على تأميره مالكا عليهمما وعلى من في حِيزِهما فأمرهما أن يسمعوا له ويطيعاه أى أن لا يخالفاه ما أمرهما فإنّ مخالفة

الأمير فيما أمر توجب التفرق الموجب للهزيمة وقلماً غلب قوم اجتمعت كلمتهم.

وقد استشار قوم أكثم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال:

أقلوا الخالف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصياغ من الفشل والمرء يعجز لا - محالة، تتّبوا فان أحزم الفريقين الركين، ورّيت عجلة نعقب ريثا، واتّرروا للحرب، وادّرعوا الليل فانه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه نقله ابن قتيبة الدينوري في كتاب الحرب من عيون الأخبار.

ثم إن النسخ المطبوعة من النهج وبعض النسخ الخطية أيضا تختلف ما اخترنا من قوله عليه السلام في كلمة «أطیعاه» فانها موافقة في عدم الضمير المنصوب فيها وما أتينا به هو ما اختاره السيد الرضي رحمه الله أعني انها من نسخة قوبلت بنسخته رضوان الله عليه.

قوله عليه السلام: «واجعله درعا ومجنا» عطف على قوله عليه السلام اسماعا له، أمرهما بعد الأمر بالسمع والإطاعة بأن، لا يفارقاه قط فانه لحسن تدبيره وطول باعه في فنون الحرب درع و مجن أى واق و حافظ عن الخصم فحذّرهما بأبلغ وجه وأحسن طور عن التأي لأمره والمفارقة عنه حتى انهم لا يقتربا في الحرب بدونه كأنهما دخلاها بلا درع ولا مجن.

ومن كلامه عليه السلام هذا يعلم جاللة قدر الأشتراك وعظم أمره كيف لا وقد جعله لذلك الجيش الكثيف درعا ومجنا ولا يليق بهذا الوصف عن مثل أمير المؤمنين عليه السلام إلا من كان بطلا محاما و مجاهدا شديدا بليسا و رابطا الجأش. وقال الباحث في البيان والتبيين (ص 257 ج 3 طبع القاهرة): يعقوب بن داود قال: ذمّ رجل الأشتراك، فقال له رجل من النخع: اسكت فان حياته هزمت أهل الشام، وموته هزم أهل العراق.

قوله عليه السلام: «فانه ممن لا يخاف - إلخ» الظاهر أن هذا التعليق بقوله عليه السلام أمرت عليكمما أى انما أمرت مالكا عليكمما وعلى من في حيزكمما لأنه ممن لا يخاف ونهنـ إلخ. فدلـ كلامه عليه السلام على أن هذا الأمر لا يصلح

إلاً من اجتمعت فيه تلك الأوصاف.

ويمكن أن يتعلّق بقوله عليه السّلام فاسمعوا له وتألّيه و كان الأول أولى وأجدر يعني أنّ مالكا ممّن لا يخاف أحد ضعفه وعثرته في المعارك لثبات قدمه في المهالك ثمّ وصفه بأنه حازم في الأمور وبصیر فيها بحيث لا يبطئ فيما الارساع إليه أقرب إلى الحزم، وكذلك لا يسرع فيما الإبطاء عنه أولى وأنسب بل يبطئ عن ما ينبغي الإبطاء عنه، ويسرع إلى ما يليق الارساع إليه.

ثمّ إنّ وصفه عليه السّلام مالكا بها يدلّ على ثباته عند الهرائر، وشجاعته قبل الأبطال وكثرة حذاته في الأمور حيث عرّفه أولاً بأنه ممّن لا يخاف ونهه ولا سقطته وثانياً بأنه يبطئ في محله ويسرع كذلك ولا ريب أنه إذا كان قوم أميرهم جباناً فمحال أن يرتفعوا إلى المدارج العالية وينالوا المراتب السامية فإنّ الجنب بوجب الوهن الموجب للسقوطة في الأمور كلّها فأمير الجيش إذا أدركه الجنب أدركته الهزيمة بلا تراخ، والخطيب إذا أدركه الجنب كلّ عن التكلّم بلا كلام بل ربّما لم يقدر على التفرّه أو إن تقوه فكثيراً ممّا يهجره وكذا الحكم في غير الخطيب أيضاً وقد مضى طائفة من كلامنا في ذلك في شرح المختار 231 من باب الخطب ص 34 ج 1 من التكميلة.

قال ابن قتيبة الدينوري في كتاب الحرب من عيون الأخبار في أخبار الجنباء (ص 165 ج 1 طبع مصر): كان خالد بن عبد الله من الجنباء خرج عليه المغيرة ابن سعيد صاحب المغيرة [من الرافضة] وهو من بجيلة فقال من الدّهش: أطعمونى ماء فذّكره بعضهم فقال:

عاد الظلوم ظليماً حين جدّ به واستطعم الماء لـمـا جدّ في الهرب.

وقال (ص 164 منه): أبو منذر قال: حدّثنا زيد بن وهب، قال: قال لـى عـلى بن أـبي طـالب رـضـى اللـهـ عـنـهـ: عـجـباً لـابـنـ النـابـغـةـ! يـزـعـمـ أـنـيـ تـلـعـابـةـ أـعـفـسـ وـأـمـارـسـ! أـمـاـ وـشـرـ القـولـ أـكـذـبـهـ، إـنـهـ يـسـأـلـ فـيـلـحـفـ وـيـسـأـلـ فـيـخـلـ فـإـذـاـ كـانـ عـنـدـ

البلس فإنه امرؤ زاجر مالم تأخذ السيف مأخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همه أن ييرقط و يمنح الناس استه. قبّه الله و ترّحه.

أقول: وقد أتى الرضي رحمة الله في النهج بكلامه عليه السلام هذا لابن النابغة إلا أن بين النسختين تقاوتا في الجملة كما و كيفا، والرضي توفي 406هـ و ابن قتيبة 276هـ.

قال: وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد:

إذا صوت العصفور طار ففواهه وليت حديد الناب عند الثرائد

قال: قال ابن المقنع: الجبن مقتلة، والحرص محنة فانظر فيما رأيت و سمعت: من قتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً؟ و انظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرّم أحق أن تسخونفسك له بالعطية أم من يطلب إليك بالشره والحرص؟ قال: المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إيدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب أما والله لقد وافته منانا كريما، ولو شاء أن يقتلوك لقتلوك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك وربا سحرك وبدامنك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أودع.

أقول: وقد مضى كلامنا على التفصيل في دعوة أمير المؤمنين على عليه السلام معاوية إلى البراز و الحيلة الشنيعة التي احتال بها ابن النابغة في شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 316 إلى 319 ج 1).

قال الشاعر:

يفرّ الجبان عن أبيه و أمّه و يحمي شجاع القوم من لا يناسبه

والأخبار في الجبناء كثيرة جداً لا يخلو اكثراها عن لطافة و إنما أتينا بشرطه منها روما للتنوع في الكلام الموجب لرفع الكلال.

قوله عليه السلام: «وقد أمرته بمثل الذي أمرتكما إلا يبدأ القوم إلخ -».

ص: 122

قد دریت من الكتاب الذى أرسله عليه السلام إلى الأشتر على ما رواه نصر و أبو جعفر أنه عليه السلام قال له: إياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدءوك - إلخ. فيكون كلامه عليه السلام بمثيل الذى أمرتكما بمعنى مثل الذى أمر كما الان. وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام فى نهيه عليه السلام امراء جيشه عن أن يبدعوا القوم بقتال فى شرح الكتاب التالى لهذا الكتاب اعنى الكتاب الرابع عشر، وترجمة مالك الأشتر رضوان الله عليه فى شرح الكتاب 38 أوله من عبد الله على أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا الله - إلخ.

ثم ينبغي أن يتأمل الأديب الحاذق فى الكتاب كيف نسجه الأمير عليه السلام على اسلوب بلغ من البلاغة ما يعد فى السحر سيم ذيله: ولا بطؤه عمما الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه إلى ما البطؤ عنه أمثل.

### الترجمة

یکی از کتابهای امیر علیه السلام است که بد اوامیری از امیران سپاهش نوشته است:

همانا که بر شما و بر هر که در کنف شما و در تحت امارت شما است مالک بن حارث اشتر را امیر گردانیدم پس بشنوید امر او را و فرمان برد. و وی رازره و سپر خود بگردانید، چه او کسی است که بیم سستی و لغزش در او نمی رود.

و خوف درنگی در کاری که سرعت بدان باحتیاط نزدیکتر، و سرعت بکاری که تائی در آن بهتر است در باره او راه ندارد.

## اشارة

و كلامه هذا هو المختار الرابع عشر من باب كتبه و رسائله عليه السلام لا تقاتلوهم حتى يبدءونكم بحمد الله على حجّة، و ترككم إياهم حتى يبدءونكم حجّة أخرى لكم عليهم. فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً؛ ولا تصيبوا معوراً؛ ولا تجهزوا على جريح؛ ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم، و سببن أمرائكم فإنّهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول. إنّ كثّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ لمشركات. وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراء فيغير بها وعقبه من بعده.

### بيان مصادر الوصية و اسنادها بطرق كثيرة من الفريقيين و نقل نسخها

قد رواها الفريقيان في الجوامع الروائية بأسناد عديدة و صور كثيرة متفاوتة و في بعضها زيادة لم يذكرها الرضي رحمة الله.

فقد رواها نصر بن مزاحم المنقري الكوفي المتوفى سنة 212هـ في كتاب صفين (ص 106 منطبع الناصري) حيث قال: نصر بن سعد و حدّثني رجل عن عبد الله بن جندب، عن أبيه أنّ علياً عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوه يقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدءونكم بحمد الله على حجّة و ترككم إياهم

ص: 124

حتى يدعوكم حجّة اخرى لكم عليهم، فإذا قاتلتموهم هزّ متموهم فلا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترها، ولا تدخلوا دارا إلاً بإذنها، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاً ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة إلاً بإذنها، وإن شتمن أعراضكم وتناولن امراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والأنفس والعقول ولقد كنا وإنما لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة والحديد فيغير بها عقبه من بعده.

وفي الجامع الكافي لثقة الإسلام الكليني قدس سره المتألف سنة 329هـ كتاب الجهاد (ص 338 طبع 1315هـ) وفي حديث عبد الله بن جندب، عن أبيه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كلّ موطن لقينا فيه عدوّنا فيقول: لا تقاتلوا القوم حتى يدعوكم فاتكم بحمد الله على حجّة، وترككم إياهم حتى يدعوكم حجّة لكم اخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا، ولا تجيروا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل. (الوافي ص 19 ج 9).

وفي مروج الذهب للمسعودي المتألف 346هـ (ص 9 ج 2 طبع مصر 1346هـ) قام على عليه السلام (يعنى في حرب الجمل) فقال: أيها الناس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيرا، ولا تتبعوا موليا، ولا تطلبوا مدبرا، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا سترها، ولا تقربوا من أموالهم إلاً ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله.

وقد روى أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى المتألف 310هـ في تاريخه (ص 6 ج 4 طبع مصر) ياسناده عن عبد الرحمن بن جندب الأزدي، عن أبيه أن عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوّه يقول: لا تقاتلوا القوم - إلى آخر ما نقلنا عن نصر - فإن الروايتين متّحدتان تقربياً، على أنّ رواية الطبرى قد نقلناها في شرح المختار 236 (ص 222 ج 15) وفي البحار نقلابن الكافى: وفي

حديث عبد الرحمن بن جنبد، عن أبيه أنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام كان يأمر - إلخ (ص 624 ج 8 من الطبع الكمباني).

وأقول: يشبه أن يكون عبد الله بن جنبد حرف في تاريخ الطبرى بعد الرحمن بن جنبد، لأنَّ نصرا و الكليني رويا هذه الرواية عن عبد الله بن جنبد، عن أبيه بلا اختلاف ورواهما الطبرى عن ابن جنبد، عن أبيه أيضا و صورة الرواية في الجميع واحدة ولو لا عبد الرحمن مكان عبد الله في التاريخ لكان صورة السندي أيضا واحدة.

وفي الجامع الكافى ايضا (ص 338 من كتاب الجهاد طبع 1315هـ)؛ وفي حديث مالك بن أعين قال: حرض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفتين فقال:

إِنَّ اللَّهَ عَزُّ وَجَلٌّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَتُشْفِيْكُمْ عَلَى الْخَيْرِ:

الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله؛ وجعل ثوابه مغفرة للذنب، ومساكن طيبة في جنات عدن. وقال جل وعز: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَدَّقَهُ كَانَهُمْ بُيَانٌ مَرْسُوصٌ» (الصف - 5) فسووا صفوكم كالبنيان المرصوص فقدمو الدار، وأحرروا الحاسرون، وغضروا على النواجد فإنه أنسا للسيوف عن الهام. والتلوا أطراف الرماح فإنه أمر للأسنة. وغضروا الأ بصار فإنه أربط للجاش وأسكن للقلوب. وأميتوا الأصوات فإنه أطرب للفشل وأولى بالوقار. ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم فإن المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ. ولا تمثلوا بقتيل. وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا. ولا تدخلوا دارا. ولا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم.

ولا تهيجو امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أماءكم وصلحاءكم فإنه ضعف القوى والأنفس والعقول وقد كان نؤمر بالكفت عنهن و هن مشركات و ان كان الرجل ليتناول المرأة فيغير بها وعقبه من بعده. واعلموا أنَّ أهل الحفاظ هم الذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها ويصيرون حفافيها وراءها وأمامها ولا يضيعونها.

لا يتأنّرون عنها فيسلّموها. ولا يتقدّمون عليها فيفردوها. رحم الله امراً واسى

أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك الآئمة وأيائى بدناءة وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل اثنين وهذا ممسك يده قد خلّى قرنه على أخيه هاربا منه ينظر إليه وهذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرّضوا لمقت الله عز وجل فانما ممرّكم إلى الله وقد قال الله عز وجل: «لَنْ يُنْفَعَكُمُ الْفِرَازُ إِنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعَنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» (الأحزاب - 17) وأيم الله لن فررت من سيف العاجلة لا تسلمو من سيف العاجلة فاستعينوا بالصبر والصدق فانما ينزل النصر بعد الصبر فجاهدوا في الله حق جهاده ولا قوة إلا بالله (الوافي ص 19 ج 9).

أقول: قد أتى الرضي رحمة الله ببعض هذا الحديث المنقول من الكافي في المختار 122 من باب الخطب أوله: فقدّموا الدارع وأخرّوا الحاسر - إلخ. وسيأتي نقل روایات أخرى في ذلك في المختار 16 من هذا الباب إنشاء الله تعالى.

ثم على روايتي الكافي كانت الوصيّة ملقةً منها صدرها من حديث عبد الله بن جندي وذيلها من حديث مالك بن أعين.

## اللغة

«يبدّوكم» مهموز اللام من البدأ يقال: بدأ الشيء وبه يبدأ بدءاً من باب منع أي افتتحه وقدّمه وبدأ وبدأ: الأول. ومنه قولهم افعله باديء بدء على وزن فعل، وباديء بديء على وزن فعل أي أول شيء.

«الحجّة» بالضم: الدليل والبرهان. والمجمع حجج وحجاج. قال تعالى: «قُلْ فَلَلّهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» (الأنعام - 149) تقول: حاجة فمحجه أي غلبه بالحجّة. واحتاج على خصميه أي ادعى وأتي بالحجّة. واحتاج بالشيء جعله حجّة وعذرًا له. وقال الراغب في المفردات: الحجة الدلالة المبينة للحجّة أي المقصد المستقيم، والذي يقتضي صحة أحد النقيضين.

«الهزيمة» هزم العدو هزماً من باب ضرب أي كسرهم وفلّهم. وهزمت

الجيش هزما و هزيمة فانهزموا أى وقعت عليهم الهزيمة. قال الراغب في المفردات:

اصل الهزيم غمز الشيء اليابس حتى ينحط كهزم الشّن، وهزم القثاء والبطيخ ومنه الهزيمة لأنّه كما يعبر عنه بذلك يعبر عنه بالحطّم والكسر، قال تعالى: «فَهَرَّ مُوْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ» - «جُدِّدْ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ» وأصابته هازمة الدهر أى كاسرة كفافرة، وهزم الرعد تكسّر صوته.

«معور» من العورة. قال الجوهرى في الصحاح: العورة كل خلل يتخفّف منه في ثغر أو حرب، وعورات الجبال شفوقها. وهذا مكان معور أى يخاف فيه القطع.

وقال ابن الأثير في النهاية: كل عيب و خلل في شيء فهو عورة و منه حديث على عليه السلام و لا تجهزوا على جريح و لا تصيروا معورا. اعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب فيه. انتهى.

وقد أعور لك الصيد وأعورك: أمكنك: قال تأبّط شرا (الحماسة 77).

أقول للحيان وقد صفرت لهم و طابى و يومي ضيق الحجر معور

وقال المرزوقي في شرحه: و معور من أعور لك الشيء اذا بدت لك عورته و هي موضع المخافة. قال الله تعالى في الحكاية عن المنافقين لما قعدوا عن نصرة النبي صلى الله عليه و آله: إنّ بيوتنا عورة، أى واهية يجب سترها و تحصينها بالرجال و كما قيل: يوم معور قيل: مكان معور أى مخوف. ويقال: عور المكان إذا صار كذلك. وقال بعضهم: كل ما طلبته فأمكنك فقد أعورك و أعور لك.

العورة: سوء الإنسان، و ذلك كنایة وأصلها من العار و ذلك لما يلحق في ظهوره من العار أى المذمّة و لذلك سمى النساء عورة و من ذلك العوراء للكلمة القبيحة. قاله الراغب في المفردات في غريب القرآن.

«ولا- تجهزوا على جريح» الجريح فعال بمعنى المفعول أى المجروح و هو المصاب بجرح، جمعه جرحي كقتل و قتل. يستوى فيه المذكّر و المؤنث يقال:

رجل جريح و امرأة جريح.

أجهز على الجريح أجهزاً أى شدّ عليه وأسرع وأتم قتله.

وفي الصحاح أجهزت على الجريح إذا أسرعت قتله وقد تمّت عليه، ولا تقل أجزت على الجريح. انتهى.

أقول: وتردّه رواية الجامع الكافى المتنقدّمة «ولا تجيزوا على جريح».

وروايته الأخرى بساندته، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح و من أغلق بابه فهو آمن، فلما كان يوم صفين قتل الم قبل والم دبر وأجاز على الجريح الحديث. وروايته الأخرى عن الصادق عليه السلام: وجريحهم يجاز عليه (ص 18 ج 9 من الوافي) والاجازة على الجريح كالاجهز على الجريح معنى.

قال ابن الأثير في النهاية: وفيه - يعني في الحديث - هل تنتظرون إلا مرضاناً مفسداً أو موتاً مجهاً أى سريعاً يقال: أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله و منه حديث على عليه السلام لا يجهز على جريحهم أى من صرع منهم وكفى قتاله لا يقتل لأنهم مسلمون والقصد من قتالهم دفع شرّهم فإذا لم يمكن ذلك إلا بقتلهم قتلوا و منه حديث ابن مسعود انه أتى على أبي جهل وهو صريح فأجهز عليه. انتهى.

ثم إن ما عليه أهل اللغة وما ذهب إليه فقهاء الفريقيين في الكتب الفقهية وشرح الأحاديث أن كلمة تجهزوا و يجهز و امثالهما في المقام مشتقة من الإجهاز إلا أن الكلمة مشكولة في نسخة مخطوطة من النهج قبلت بنسخة السيد الرضي رضي الله عنه بفتح الجيم و كسر الهاء المشددة أعني أنها مأخوذة من التجهيز ولكن الوجه الأول أنساب وأصوب ولذا اخترناه في المتن:

«لا تهيجوا» في بعض النسخ مشكولة بضم التاء وفتح الهاء وكسراً الياء المشددة من التهيج، وفي بعضها بضم التاء وكسراً الهاء من الإهاجة، ونسخة الرضي رضوان الله عليه مشكولة بفتح التاء وكسراً الهاء يقال: هاج الشيء بهيج هيجا و هياجة و هياجا و هيجاناً أى ثار و انبعث، وهاج الشيء وبالشيء أثاره وبعثه يتعدّى ولا يتعدّى. وكذا يقال: هيج الشيء تهيجاً إذا أثاره وبعثه إلا أن كثرة

المباني تدلّ على كثرة المعانى فلا بدّ فى التهبيج من زيادة الهيجان و مبالغته و تكثيره و الظاهر أنه لا حاجة فى المقام إلى المبالغة و التكثير. وأما القراءة الثانية فما وجدت لها معنى يناسب المقام وأظنها مصحّحة فقراءة الرضيّ متعينة.

«أعراضكم» الأعراض جمع العرض بكسر العين المهمّلة و سكون الراء أحد معانٍه النفس يقال: أكرمت عنه عرضي أي صنت عنه نفسى.

قال عتبة بن بجير الحارثى (باب الأضياف من الحماسة، الحماسة 674):

فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جدّ من فرط الفكاهة مازح

إلى جذم مال قد نهكتنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح

قال المرزوقي في الشرح: يعني بأبي الضيف نفسه، وجعله كالمازح المفاكه لما أظهره من التطلق والبساطة والبشاشة واظهار السرور بما يأتي من توفير الضيافة والاحتفال فيه وainas الضيف والبسط منه محتفلاً بالضيافة، ويريد بالقيام غير الذي هو ضد القعود وإنما يريد به الاشتغال له بما يؤنسه ويرحب منزله ويطيب قلبه، على ذلك قوله تعالى: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ»، لأنّه لم يرد القيام المضاد للقعود بل أراد التهيؤ والتشمر له، والجذم: الأصل، ومعنى نهكتنا سوامه أثروا في الساتمة من المال بما عورناها من النحر والتفريق ويقال: نهكه المرض إذا أضرّ به، وقوله:

وأعراضنا فيه بواق صحائح أي نفوسنا باقية على حدّها من الظلّف والصّيانة، لم تشتها الأفعال الذميمة، ولا كسرتها التكاليف المبخلة فهي سليمة لا آفة بها ولا عار يكتنفها، وإن كانت أموالنا مشفوهة مفرقة، انتهى ملخصاً.

وفي الصحاح: يقال فلان نقى العرض أي برىء من أن يشتم أو يعاب، وقد قيل: عرض الرجل حسبه، انتهى.

أقول: كثيراً ما يستعمل العرض في الحسب و منه قول بشامة بن الغدير:

دافعت عن أعراضها فمنعتها ولدى في أمثالها أمثالها

ذوو العرض من القوم أي أشرافهم، وفلان عرب العرض أي لئيم الأسلاف و العرض ما يفتخر الإنسان به من حسب أو شرف و ما يصونه الإنسان من نفسه أو سلفه

أو من يلزمه أمره أو موضع المدح والذم منه.

«الفهر» بالكسر الحجر ملء الكف يذكر ويؤثر والجمع أفهمار وقيل هو الحجر مطلقا، وفي الحديث: لِمَّا نَزَّلَتْ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، جاءت امرأته وفي يدها فهر، نقله ابن الأثير في النهاية، قال مزّرد بن ضرار (البيان والتبيين ج 3 ص 77):

فجاء على بكر ثفال يكده عصاه استه وجء العجایة بالفهر

البکر الفتی من الابل، والثالثال: البطیء، الوجء: الضرب، العجایة:

العصب يضرب حتى يلين، أي جاء على بكر ثقال يكده عصاه استه ولم يكن له عصا يضرب بها حتى يسير بل يحرك ويضرب استه عليه بشدة نحو ضرب العجایة بالفهر.

«الهراوة» بالكسر: العصاء الضخمة جمعها الهراوى بالفتح كالمطايا: تقول:

هروته و تهريته إذا ضربته بها، قال فضالة بن شريك الأسدى (ص 15 ج 3 من البيان والتبيين):

دعا ابن مطیع للبیاع فجئته إلى بيعة قلبی لها غير ألف

فناولنى خشناء لمما لمستها بكفى ليست من أکف الخلائف

من الشّنات الكزم أنكرت مسها و ليست من البيض الرقاق اللطائف

معاودة حمل الهراوى لقومها فرورا إذا ما كان يوم التسایف

وفي هامشه: وكان من خبر الشعر أن عبد الله بن الزبير كان قد ولّى عبد الله ابن مطیع الكوفة فكان ينشر الدّعوة ويتقبل البيعة لابن الزبير، حتى إذا نهض المختار بن أبي عبيد و دعا لنفسه، طرد عن الكوفة فيمن طرد عبد الله بن مطیع فقال فضالة الشعر، وقد رواه أبو الفرج في الأغانى (10:164) برواية أبسط.

واعلم أن جمع الهراوة والاـداوة وأمثالهما كان قياسه هراوى واداوی على وزن فعائـل نحو رسالة ورسائل لكتـهم تجنبـوه و فعلـوا به ما فعلـوا بالـمطـايا و الخطـايا و جعلـوا فعائـل فعالـى و أبدـلوا هنا الواـو لتـدلـ على آنه قد كانت في الواـحة او ظـاهرة قالـوا أدـاوـى و هـراـوى فـهـذه الواـو بـدلـ من الأـلـفـ الزـائـدةـ في أدـاوـى و هـراـوى و الأـلـفـ

الـذى فى آخر الأدوى والهراوى بدل من الواو الـتى فى أداوة و هراوة و الزموا الواو ها هنا كما الزموا الياء فى المطايـاء قاله الجوهرى فى أدو من الصحاح.

«عقبه» عقب الرجل ولده و ولد ولده و فيها لغتان عقب و عقب بالتسكين و هي مؤنثة عن الأخفش كما فى صاحح الجوهرى جمعها أعقاب.

## الاعراب

الفاء فى فانكم لتعليل النهى عن القتال بدوا، على حجة خبر لأنّ بحمد الله معتبرضة، حجة خبر للترك و اخرى صفة للحجـة، لكم و عليكم متعلقان بها، الفاء فى فلا تقتلوا جواب إذا، بأذى متعلق بلا تهيجوا، الواو فى و إن شتمـن للوصل و سبـبن عطف على شـتمـن، و الفاء فى فـانـهـن لتعلـيلـ النـهـىـ عنـ هـيـجـانـهـنـ بأـذـىـ إنـ فىـ إنـ كـنـاـ مـخـفـفـةـ عنـ المـثـقـلـةـ وـ فـيـ ضـمـيرـ الشـأـنـ وـ تـلـزـمـ الـلـامـ خـبـرـهاـ فـرـقاـ بـيـنـهاـ وـ بـيـنـ إنـ النـافـيـةـ، الواـوـ فىـ وـ انـهـنـ لـلـحـالـ، الواـوـ فىـ وـ إنـ كانـ عـطـفـ عـلـىـ إنـ كـنـاـ، وـ إنـ هـذـهـ مـخـفـفـةـ مـنـ المـثـقـلـةـ أـيـضـاـ وـ قـيـلـ لـلـشـرـطـ وـ هـوـ وـ هـمـ، وـ الـلـامـ فـيـ خـبـرـهاـ كـالـأـولـىـ وـ يـعـيـرـ فـعـلـ مـجـهـولـ ضـمـيرـهـ يـرـجـعـ إـلـىـ الرـجـلـ، وـ عـقـبـهـ مـرـفـوعـةـ يـعـيـرـ بـالـعـطـفـ أـعـنـهـاـ مـعـطـوـفـةـ عـلـىـ الضـمـيرـ الـمـسـكـنـ الـمـرـفـوعـ فـيـ فـيـعـيـرـ.

ولما كان الضمير المرفوع المتصل بارزاً كان أو مستتراً ينزل من عامله منزلة الجزء فالعطـفـ عـلـيـهـ لاـ يـحـسـنـ فـيـ فـصـيـحـ الـكـلـامـ إـلـاـ بـتـوكـيدـ توـكـيدـهـ بـتـوكـيدـ لـفـظـيـ مرـادـفـ لـهـ بـأـنـ يـكـونـ بـضـمـيرـ منـفـصـلـ نـحـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «لـقـدـ كـتـتـمـ أـنـثـمـ وـ آبـاؤـكـمـ فـيـ ضـلـالـ مـبـيـنـ» (الأـنـيـاءـ 54) وـ «أـسـكـنـ أـنـتـ وـ رـؤـوـجـكـ الـجـنـةـ» (الـبـقـرـةـ - 35) أوـ بـتـوكـيدـ معـنـوـيـ كـقـوـلـ الشـاعـرـ:

دعوتـمـ أـجـمـعـونـ وـ مـنـ يـلـيـكـمـ بـرـؤـيـتـناـ وـ كـنـاـ الـظـافـرـيـنـاـ

أـوـ بـعـدـ فـاصـلـ أـيـ فـاصـلـ كـانـ بـيـنـ الـمـعـطـوـفـ عـلـيـهـ وـ الـمـعـطـوـفـ نـحـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ.

«جـنـاتـ عـدـنـ يـدـخـلـونـهـاـ وـ مـنـ صـلـحـ مـنـ آبـائـهـمـ» (الـرـعـدـ 23) وـ كـقـوـلـ الـأـمـيـرـ عـلـيـهـ السـلـامـ.

فيـعـيـرـ بـهـاـ وـ عـقـبـهـ مـنـ بـعـدـهـ. أـوـ بـعـدـ فـصـلـ بلاـ النـافـيـةـ بـيـنـ حـرـفـ الـعـطـفـ وـ الـمـعـطـوـفـ نـحـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: «لـوـ شـاءـ اللـهـ مـاـ أـشـرـكـنـاـ وـ لـاـ آبـاؤـنـاـ» (الـأـنـعـامـ).(148)

قد علم بما قدمنا من مصادر هذه الوصيّة أنّ روایة نصر و الطبرى هى أقرب الروایات إليها متنا من غيرها لكن روایتهما لم تخصّها بصفتين بل روایا عن جنڈب انه قال: انّ عليا عليه السلام كان يأمرنا في كلّ موطن لقينا معه عدوه يقول تلك الوصيّة وقد نصّ الرضيّ بأنّه عليه السلام وصّى بها عسکره بصفتين، نعم انّ للكليني قدس سره فيها روایتين ذكر في إحداهما انه عليه السلام قالها بصفتين كما دریت إلاّ أنّ روایته هذه تشمل على ذيل هذه الوصيّة من قوله عليه السلام: ولا تهیجوا امرأة بأذى - إلى آخرها.

والذى يسهل الخطب أنّ كلام الرضيّ لا يدلّ على الحصر والتخصيص وقد اتفق الرواة و تظافرت الروایات في أنّه عليه السلام كان يأمرهم في كلّ موطن لقيهم العدوّ بها.

والعدوّ الخارج على الإمام المعصوم عليه السلام إن كان من المسلمين يعرف في كتاب الجهاد من الكتب الفقهية بالباغي، ومن هذه الوصيّة و مما نتلوها عليك إن شاء الله تعالى يعلم طائفة من أحكام القتال مع الباغة.

و من الباغة الخارجين على أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب الجمل حاربوه في البصرة وأتباع معاوية حاربوه في صفين، والخوارج حاربوه في نهروان.

وعن عليٍ عليه السلام انه قال: امرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ففعلت ما امرت.

وقد مرّ قوله في أواخر الخطبة القاصعة: وقد أمرني الله بقتل أهل البغى والنكث والفساد في الأرض فأمّا الناكثون فقد قاتلت، وأمّا القاسطون فقد جاهدت وأمّا المارقة فقد دوّخت - إلخ.

وكذا قوله عليه السلام في الخطبة الشقشيقية: فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول:

«تِلْكَ الدَّارُ الْآمِحَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ»

«الْمُمْكِنَ» (القصص - 83) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حلّيت الدّنيا في أعينهم وراقبهم زيرجها - إلخ.

وفي المجلس الخامس عشر من أمالي الطوسي قدس سره في حديث طويل أنّ رسول الله صلّى الله عليه واله قال لام سلمة: يا أم سلمة! اسمعى وأشهدى هذا على بن أبي طالب سيد المسلمين و Imam المتقين و قائد الغر المحبّلين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال صلّى الله عليه واله: الذين يبايعون بالمدينة و ينكرون بالبصرة. قلت: و من القاسطون؟ قال صلّى الله عليه واله: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: و من المارقون؟ قال صلّى الله عليه واله: أصحاب نهروان. الحديث.

فالناكثون أصحاب الجمل لأنّهم نكثوا بيعتهم، والقاسطون أهل الشام أتباع معاوية لأنّهم جروا في حكمهم وبغوا عليه، والمارقون الخارج لأنّهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وقد روى نصر بن مزاحم في صفين (ص 176 من الطبع الناصري) في حديث طويل دار بين أبي اليقظان عمّار بن ياسر رحمهما الله تعالى وبين عمرو بن عاص في وقعة صفين أنّ أبا اليقظان قال له: وساخرك على ما قاتلتكم عليه أنت وأصحابك أمرني رسول الله صلّى الله عليه واله أن اقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن اقاتل القاسطين فأتمت هم، وأمّا المارقين فما أدرى أدركهم أم لا، أيّها الأبت ألسست تعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه واله قال لعليّ: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاده - إلخ.

وقال الشارح المعترلي في شرح النهج: روى إبراهيم بن ديزيل الهمدانى في كتاب صفين عن يحيى بن سليمان، عن يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية<sup>(1)</sup> عن أبيه، عن إسماعيل بن رجا، عن أبيه، و محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجا، عن أبي سعيد الخدري رحمة الله قال: كنا مع

ص: 134

---

-1-(1) قد حرفت كلمة غنية في النسخ، والصواب أنها بفتح الغين المعجمة وكسر النون وتشديد التحتانية كما في تقريب التهذيب لابن حجر. منه.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ فَاقْطَعَ شَسْعَ نَعْلِهِ فَأَلْقَاهَا إِلَى عَلَى عَلَى السَّلَامِ يَصْلِحُهَا، ثُمَّ قَالَ:

إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَقَاوِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلَتْ عَلَى تَنْزِيلِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٌ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخطَّابَ: أَنَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا وَلَكَنَّهُ ذَاكُمْ خَاصِفُ النَّعْلِ وَيَدِ عَلَى عَلَى السَّلَامِ يَصْلِحُهَا، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَتَيْتُ عَلَيَّا عَلَى السَّلَامِ فَبَشَّرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يَحْفَلْ بِهِ كَانَ شَيْءٌ قَدْ كَانَ عِلْمِهِ مِنْ قَبْلِهِ. نَقْلَهُ عَنْهُ الْمَجْلِسِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي ثَامِنِ الْبَحَارِ ص 457.

أقول: الخبر المروي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ بِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيَّا عَلَى السَّلَامِ يَقَاوِلُ بَعْدَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ مَمَّا اتَّقَتَ عَلَيْهِ الْأَمَّةُ وَقَدْ رُوِيَ فِي جَوَامِعِ الْفَرِيقَيْنِ بِوُجُوهِ عَدِيدَةٍ وَطَرَقِ كَثِيرَةٍ وَقَدْ أَفْرَدَ فِي فَتْنَ الْبَحَارِ بَابًا لِذَلِكَ (ص 454 ج 8) فَهَذَا الْخَبَرُ الدَّالُّ عَلَى الْأَخْبَارِ الصَّرِيحِ بِالْغَيْبِ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ وَدَلَائِلِ نَبَوَّتِهِ وَهَذَا مَمَّا لَا تَخَالِجُهُ شَكُوكُ وَلَا تَمَازِجُهُ ظَنُونٌ.

وَأَنَّمَا يَعْرِفُ الْخَارِجُ عَلَى الإِمَامِ الْعَادِلِ بِالْبَاغِيِّ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرِ رَحْمَهُمَا اللَّهُ: أَنَّمَا نَقْتَلُكُمُ الْفَتَنَةُ الْبَاغِيَّةُ، وَهَذَا الْخَبَرُ مَمَّا اتَّقَتَ الْأَمَّةُ عَلَى نَقْلِهِ وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِيهِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَا تَنَاهِي يَدُ الْأَنْكَارِ، وَقَدْ رُوِيَ الْبَخَارِيُّ وَالْمُسْلِمُ فِي صَحِيحِهِمَا وَقَالَ الْحَافِظُ السِّيَوطِيُّ أَنَّهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَنَقْلِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ مِنْ الصَّحَابِيِّينَ. فَرَاجَعَ إِلَى شَرْحِ الْمُختارِ 236 مِنَ الْخُطُبِ فِي تَرْجِمَةِ عَمَّارٍ (ج 15 ص 273-299).

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِنَّ طَائِفَتَنِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَأَصْبِرْ لِهُوَ يَنْهَا مَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَقِيَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءْتُمْ فَأَصْبِرُ لِهُوَ يَنْهَا مَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَقِيَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (الْحَجَرَاتُ - 10).

إِنْ قَلْتَ: فَالْأَيْةُ تَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْخَارِجِينَ عَلَى الإِمَامِ الْعَادِلِ مُؤْمِنُونَ وَأَنْتُمْ قَدْ ذَهَبْتُمْ فِي الْمَبَاحِثِ السَّالِفَةِ إِلَى أَنَّهُمْ كَافِرُونَ وَأَدْعَيْتُمْ عَلَى أَنَّهُ مَذْهَبُ الْجَلَّ مِنَ الْإِمَامِيَّةِ فَكِيفُ التَّوْفِيقُ وَمَا جَوَابُكُمْ عَنِ الْآيَةِ؟

قلت: أولاً- الآية لا- تدل على أنّهما إذا اقتلا بقيا على الإيمان و يطلق عليهمما هذا الاسم ولا يمتنع أن يفسق إحدى الطائفتين أو تقسقا جميعا - كما في تفسير المجمع - إلا أن الأدلة القطعية لما كانت ناطقة بعصمة أمير المؤمنين على عليه السلام و انه حجّة الله على خلقه و خليفة رسوله وأنّ الفسق لا يتطرق عليه أبدا علمنا أنه عليه السلام كان باقيا على الإيمان و ما كان باغيا على أحد بل الباغى غيره.

و ثانياً أنه تعالى إنما سمي البغاء مؤمنين في الظاهر كما قال: «وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارُهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَانُوا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» (الأفال - 7) وهذه صفة المنافقين بلا خلاف فالآية لا تدل على أنّ البغاء على الإيمان واقعا.

و ثالثاً أنّ خبر الأسياف أعني خبر حفص بن غياث المروي في الكافي والتهذيب وتفسير علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام دال على أنّ الخارج على الإمام العادل باع بالمعنى الذي ذهبنا إليه وقد أشهد الإمام عليه السلام الآية على ذلك المعنى ولا بأس بنقل الخبر وإن كان طويلا- لاشتماله على فوائد كثيرة من أحكام الجهاد ووجوهه وغيرها، روى الكليني في كتاب الجهاد من الكافي بإسناده عن المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل أبي صلوات الله عليه عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام و كان السائل من محبيه فقال له أبو جعفر عليه السلام: بعث الله محمدا صلّى الله عليه وآله بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة فلا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها من الناس كلهم في ذلك اليوم فيومئذ «لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَّبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»، وسيف منها مكفوف، وسيف منها مغمود سله إلى غيرنا و حكمه إلينا.

و أما السيوف الثلاثة الشاهرة فسيف على مشركي العرب قال الله عز و جل:

«فَاقْتُلُوا الْمُشَرِّكِينَ حَيْثُ وَجَدُوكُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَافْعُدوهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ» «إِنْ تَابُوا» - يعني آمنوا - «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فِي خَوَانِكُمْ فِي الدِّينِ» فهو لاء

لا يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام وأموالهم وذارياتهم سبى على ما سُنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فاته سبى وعفى وقبل الفداء.

والسيف الثاني على أهل الذمة قال الله تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا» نزلت هذه الآية في أهل الذمة ثم نسخها قوله عز وجل «قاتلوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ» فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية أو القتل ومالهم في ذارياتهم سبى وإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم، وحرمت أموالهم، وحلت لنا مناكمتهم، ومن كان منهم في دار الحرب حل لنا سبيهم وأموالهم، ولم تحل لنا مناكمتهم ولم يقبل منهم إلا الدخول في دار الإسلام أو الجزية أو القتل.

والسيف الثالث سيف على مشركي العجم يعني الترك والديلم والخزر قال الله عز وجل في أول السورة التي يذكر فيها الـذين كفروا فقصص قصصهم ثم قال:

«فَضَرَبَ الرَّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْ زَارَهَا» فاما قوله: فاما منا بعد يعني بعد السبي منهم، واما فداء يعني المفادة بينهم وبين أهل الإسلام فهو لاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام ولا تحل لنا مناكمتهم ما داموا في دار الحرب.

وأما السيوف المكافحة فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله عز وجل: «وَإِنْ طَائِقَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَاصْلِمُوا إِلَيْهِمْ مَا فِي أَيْمَانِهِمْ فَإِنْ بَغَتْهُمْ إِحْدَاهُمُوا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَبْغِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسئل النبي صلى الله عليه وآله من هو؟ فقال: هو خاصف النعل يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذا الرأي مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلثاً وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل، وكانت السيرة فيه من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة يوم

فتح مكّة فانه لم يسب لهم ذريّة وقال: من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن؛ وكذلك قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرّية، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن.

وأمّا السيف المعمود فالسيف الذي يقوم به القصاص قال الله عزّ وجلّ: «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ» فسلّه إلى أولياء المقتول وحكمه إلينا بهذه السيوف التي بعث الله محمداً صلّى الله عليه وآله فمن جحدها أو حقد واحداً منها أو شيئاً من سيرها وأحكامها فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وآله. انتهى الخبر الشريف وسيأتي بياننا فيه إن شاء الله تعالى.

ورابعاً بعد الأغماض عن الاستشهاد بالآية على هذا المعنى، والتمسك بهذا الخبر في بيانها أضافنا أنّ من حارب الإمام العادل كافر بالأدلة التي اشرنا إلى طائفة منها في المجلد الأول من هذه التكملة (ص 367-379) وفي المجلد الثالث منها (ص 76) فراجع. وسيأتي طائفة من الروايات الأخرى المنقلة عن أئمّة الدين الداللة على ذلك في شرح المختار 16 من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

ونزيدك بصيرة بنقل ما أفاده علم الهدى في الانتصار (ص 127 طبع طهران 1315) قال قدس سره: و ممّا انفرد به الإمامية القول بأنّ من حارب الإمام العادل وبغي عليه وخرج عن التزام طاعته يجري مجرى محارب النبي صلّى الله عليه وآله و خالف طاعته في الحكم عليه بالكفر وإن اختلف أحکامهما من وجه آخر في المدافعة (المدافعة - خ) والموارثة وكيفية الغنيمة من أموالهم و خالف باقي الفقهاء في ذلك وذهب المحصّلون منهم والمحقّقون إلى أن محاربي الإمام العادل فساق تجب البراءة منهم وقطع الولاية لهم من غير انتهاء إلى التكفير. وذهب قوم من حشو أصحاب الحديث إلى أن الباغي مجتهد وخطاؤه يجري مجرى الخطاء فيسائر مسائل الاجتهد.

والذى يدلّ على صحة ما ذهبنا إليه إجماع الطائفة.

وأيضاً فإنّ الإمام عندنا يجب معرفته وتلزم طاعته كوجوب (الوجوب - خ)

المعرفة بالنبي صلّى الله عليه وآله، ولزوم طاعته كالمعرفة بالله تعالى وكما أن جحد تلك المعرفة والتشكك فيها كفر كذلك هذه المعرفة.

وأيضا فقد دل الدليل على وجوب عصمة الإمام من كل القبائح وكل من ذهب إلى وجوب عصمته ذهب إلى كفر الباغي عليه والخالف لطاعته، والتفرقة بين الأمرين خلاف إجماع الأمة.

فإن قيل: لو كان ما ذكرتم بالغا إلى حد الكفر لوجب أن يكون مرتدًا أو أن تكون أحكام المرتدين وأجمعوا الأمة على أن أحكام الباغي تخالف أحكام المرتد وكيف يكون مرتدًا وهو يشهد الشهادتين، ويقوم بالعبادات؟ قلنا: ليس يمتنع أن يكون الباغي له حكم المرتد في الإنسلاخ عن الإيمان واستحقاق العقاب (العذاب - خ) العظيم وإن كانت الأحكام الشرعية في مدافنه وموارثه وغير ذلك تخالف أحكام المرتد، كما كان الكافر الذي مشاركا للحربي في الكفر والخروج عن الإيمان وإن اختلفت أحكامهما الشرعية.

فأمّا إظهار الشهادتين فليس بداعٍ على كمال الإيمان لأنّ من أظهرهما وجحد وجوب الفرائض والعبادات لا يكون مؤمنا بل كافرا وكذلك إقامة بعض العبادات من صلاة وغيرها، ومن جحد أكثر العبادات وأوجبها من طاعة إمام زمانه ونصرته لم ينفعه أن يقوم بعبادة أخرى وغيرها.

وأمّا ما تذهب إليه قوم من غفلة الحشوية من عذر الباغي وإلحاقه بأهل الاجتهد فمن الأقوال بعيدة من الصواب، ومن المعلوم ضرورة أنّ الأمة اطبقت في الصدر الأول على ذم البغاة على أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربته البراءة منهم ولم يقم لهم أحد في ذلك عذرا وهذا المعنى قد شرحناه في كتابنا وفرغناه وبلغنا فيه النهاية وهذه الجملة ههنا كافية.

فإن اعرضت المخالف على ما ذكرناه بالخبر الذي يرويه عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن الحكم الغفارى، عن عديسة بنت أهبان بن صيفى قالت: جاء على عليه السلام إلى أبي فقال: ألا تخرج معنا؟ قال: ابن عمك وخليلك أمرني إذا

اختلف الناس أن أتّخذ شيئاً من خشب.

أو بالخبر الذي يروى عن أبي ذر رحمة الله عليه أَنَّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كيف بك إذا رأيت أحجار الزيت وقد غرفت بالدم؟ قال: قلت: ما اختار الله لى ورسوله، قال: تلحق، أو قال: عليك بمن أنت منه، قال: قلت: أفلآ آخذ بسيفي وأضعه على عاتقى؟ قال: شاركت القوم إذا، قلت فما تأمرني يا رسول الله؟ قال:

أَلْرَمْ بَيْتَكَ، قلت: فإن دخل على بيتي؟ قال: فإن خفت أن يهرك شعاع السيف فألق رداءك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك.

قلنا: هذان الخبران وأمثالهما لا يرجع بهما عن المعلوم والمقطوع بالأدلة عليه بلا دليل وهي معارضة بما هو أظهر منها وأقوى وأولى من وجوب قتال الفئة الباغية ونصرة الحق وعوننة الإمام العادل ولو لم يرو في ذلك إلا ما رواه الخاص والعام والولي والعدو من قوله عليه السلام: حربك يا على حربى وسلمك يا على سلمى، وقد علمنا أنه عليه السلام لم يرد أن نفس هذه الحرب تلك بل أراد تساوى تلك الأحكام فيجب أن يكون أحكام محاربيه هي أحكام محاربى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا خصّصَه الدليل.

وما روى أيضاً من قوله: اللَّهُمَّ انصر من نصره واحذر من خذله.

ولأنَّه عليه السلام لما استنصره في قتال أهل الجمل وصفين ونهروان أجابته الأمة بأسرها ووجوه الصحابة وأعيان التابعين وسارعوا إلى نصرته وعونته (معاونته - خ) ولم يحتاج أحد عليه بشيء مما تضمنه هذان الخبران الخبيثان الضعيفان.

على أنَّ الخبر الأول قد روى على خلاف هذا الوجه لأنَّ أهتم بن الحارث (كذا) قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا أهباً (كذا) أما أنك إن بقيت بعدى سترى في أصحابي اختلافاً فان بقيت إلى ذلك اليوم فاجعل سيفك يا أهباً من عرجين، وقد يجوز أن يريد عليه السلام بالاختلاف الذي يرجع إلى القول والمذاهب دون المقاتلة والمحاربة.

على أنّ هذا الخبر ما يمنع من قتال أهل الرّدّة عند بغيهم ومجاھرتهم فهو أيضًا غير مانع من قتال كلّ باغٍ وخارج عن طاعة الامام.

فأمّا الخبر الثّالثي فممّا يضعفه أنّ أبا ذرًّ رحمة الله عليه لم يبلغ إلى وقعة أحجار الزّيت لأنّ ذلك اتّماً كان محمّد بن عبد الله بن الحسن في أول أيام (يوم - خ) المنصوب وأبو ذرٌ مات في أيام عثمان فكيف يقول له رسول الله صلّى الله عليه وآله: كيف بك في وقت لا يبقى إلّي.

على أنّ أبا ذرٌ رضي الله عنه كان معروفاً بانكار المنكر بلسانه وبلغه فيه أبعد الغايات والمجاهدات في إنكاره وكيف يسمع من الرسول اللّه صلّى الله عليه وآله ما يقتضي خلاف ذلك. انتهى كلامه قدس سرّه.

ثمّ اعلم أنّ القوم ذهبوا إلى أنّ في الآية خمس فوائد: إحداها أنّ البغاء على الإيمان لأنّ الله سماهم مؤمنين.

الثانية وجوب قتالهم فقال: فقاتلوا الّتي تبغى.

الثالثة القتال إلى غاية وهو أنّ يفيءوا إلى أمر الله بتوبة أو غيرها.

الرابعة أنّ الصلح إذا وقع بينهم فلا تبعة على أهل البغى في دم ولا مال لأنّه ذكر الصلح أخيراً كما ذكره أولاً ولم يذكر تبعة فلو كانت واجبة ذكرها.

الخامسة أنّ فيها دلالة على أنّ من كان عليه حقّ فمنعه بعد المطالبة به حلّ قتاله فأنّ الله لما أوجب قتال هؤلاء لمنع حقّ كان كلّ من مع حقّاً بمثابتهم وعلى كلّ أحد قتالهم.

أقول: أمّا الأولى فقد دريت ما فيها، وعلمت أنّ تسميتهم البغاء ليس بالمعنى الذي مال إليه بعضهم من أنه ليس بذمٍ ولا نقصان وهم أهل الاجتهدوا فأخطئوا بمنزلة طائفة خالفوا من الفقهاء أو بالمعنى الآخر الذي مال إليها بعض آخر منهم من أنهم فساق تجب البراءة منهم وقطع الولاية لهم من غير انتهاء إلى الكفر، بل الذي بالمعنى ذهبنا إليه من أنّ تسميتهم بذلك ذمٍ وكفر، وقد استدلّ عليه أيضاً بقوله تعالى: «وَإِنْ نَكُثُرَا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِنَا فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ»

«لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّهَوْنَ» (التوبه آية 12).

وبقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَلَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَلَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ» (المائدة 60).

وقد مضى وجه الاستدلال بهما في شرح المختار 236 من الخطب (ص 377 ج 1 من التكميلة).

وقد روى الفريقيان أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْرِ الْأَيَّامِ غَدَارِيَّةً يَحْبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَحْبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَرَّارًا غَيْرَ فَرَّارًا، فَتَبَصَّرَ.

وبقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِ مُكَفِّرُونَ وَبِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» (التوبه 74).

وذلك لأنَّ المنافق من ظاهره الإسلام وكذلك الباغي لإظهاره الإسلام وخروجه عنه بيعيده على إمامه فهو حقيق باسم المنافق، ولذلك قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلَى السَّلَامِ لَا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَلَا يَغْضُبُ إِلَّا مُنَافِقٌ شَقِيقٌ رواه النسائي في صحيحه ورويناه أيضاً نحن في أخبارنا، ومن يحاربه لا يحبه قطعاً فيكون منافقاً وهو المطلوب، ولا يلزم من عدم جهاد النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمنافقين عدم ذلك بعده.

وأمّا الثانية فصحيح، وقد يستدلّ أيضاً على قتال البغاء بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمُ الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (النساء 63) بعموم وجوب طاعة أولى الأمر.

وأمّا الثالثة فكالثانية.

وأمّا الرابعة فليست بصحيحة عندنا الإمامية فإنَّ الباغي إذا اختلف مالاً أو نفساً ضممه نعم إن كان المخالف من أهل العدل فلا ضمان عليه لأنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى أَهْلِ الْعِدْلِ قَاتَلَهُمْ فَكَيْفَ يَوْجِبُ عَلَيْهِ الْقَتْالُ وَيَوْجِبُ عَلَيْهِ الضَّمْنَ إِذَا اتَّفَلَ مالاً لَهُمْ أَوْ قُتِلَ نفْسًا مِنْهُمْ، كَمَا إِذَا اتَّفَلَ الْحَرَبِيِّ مالاً أَوْ نفْسًا مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ

ونقوسهم ثم أسلم فانه لا يضمن ولا يقاد لقوله تعالى: «قُلْ لِلّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّهُوْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سَنَّتُ الْأَوَّلَيْنَ» (الأناقل 40) و لخبر الجب.

و تفصيل هذه الأحكام موكول على الفقه و البحث عنها يوجب التطويل و الخروج عن موضوع الكتاب، على أنّ الجهاد مشروط بحضور الإمام العادل و أمره و هو أعلم بأحكام الله من غيره.

وأما الخامسة فكالرابعة لأنّ العلة التي ذكروها لجواز القتال مستتبطة ليست بحجّة، و لأنّ الحقوق متساوية فلا يوجب قتال البغاة لمنع حقّ خاص، قتال كلّ من منع حقّاً من الحقوق.

على أنّ الآية كما أفاد شيخ الطائفة قدس سره في المبسوط خطاب للامة دون آحاد الامة و ليس من حيث قال: فقاتلوا التي تبغى فأنتي بلفظ الجمع ينبغي أن يتناول الجميع لأنّ ذلك يجري مجرى قوله: «و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما» و لا خلاف لأنّ هذا خطاب للامة و نحن وإن وجبت علينا طاعة الإمام في قتال هؤلاء فإنّ قاتلنا يتابع لقتال الإمام و ليس لنا الانفراد بقتالهم.

وأما ما وعدنا من بيان خبر الأسيف فنقول: قوله عليه السلام: شاهرة أى مجردة من الغمد. قوله: حتى تضع الحرب أوزارها أى حتى تنقضى لأنّ أهلها يضعون أسلحتهم حينئذ، وسمى السلاح وزرا لأنّه ثقل على لابسه، أو لأنّ أصل الوزر ما يحمله الإنسان فسمى السلاح أوزارا لأنّه يحمل قال الأعشى:

وأعدت للحرب أوزارها رماحا طوالا و خيلا ذكورا

و من نسج داود يحدو بها على أثر الحى عيرا فغيرا

قوله عليه السلام: حتى تطلع الشمس من مغربها، قد جاءت روايات في علامات ظهور الإمام القائم عليه السلام نقلها المحقق الفيض قدس سره في الواقى (ص 106-114 من ج 2) والمحدث الجليل المجلسى في البحار (ج 13 ص 150-172 منطبع الكمبانى) و أتى بطائفة منها الشيخ الأجل المفيد في الارشاد (ص 336 طبع طهران

وكذلك قد جاءت روايات أخرى في أشرطة الساعة وقيام القيامة منها طلوع الشمس من المغرب، ففي الخرائج والجرائح للراوندي (ص 195 طبع ایران 1301هـ):

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَزَّ ذِيْنَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ عَلَامَاتٍ قَبْلَ السَّاعَةِ لَا بَدْ مِنْهَا: السَّفِينَى، وَالدَّجَالُ، وَالدُّخَانُ، وَخَرْجُ الْقَائِمِ، وَطَلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهِ، وَنَزْوَلُ عِيسَى بْنِ مَرِيمٍ. الْحَدِيثُ وَفِي أَقْلَى كِتَابِ الْجَهَادِ مِنْ الْمُبْسُوتِ لِشِيخِ الطَّائِفَةِ قَدَّسَ سَرَّهُ أَنَّهُ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَالَ: لَا تَنْقُطِعُ الْهِجْرَةَ حَتَّى تَنْقُطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقُطِعَ التَّوْبَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهِ.

فإن كانت الكلمة امن في قوله عليه السلام فإذا طلعت الشمس من مغربها امن الناس فعلا ثانيا مجردا فالمراد أن الحرب لن تضع أوزارها حتى أن يظهر الإمام القائم عليه السلام لأن الله يملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا وظلماء، روى على ابن عقبة، عن أبيه قال: إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبيل وأخرجت الأرض بركاتها ورد كل حق إلى أهله ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان - إلخ (الإرشاد ص 343).

لكن الصواب أن الكلمة فعل ماض من الإيمان بقرينة قوله: فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها - إلخ. وهذا اشاره إلى قوله تعالى: «يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا» (الأنعام - 160).

وانما لم ينفعها إيمانها حينئذ لأن باب التوبة ينسد بظهور آيات القيامة، وأن التكليف يزول عند ظهورها، وقال عز من قائل: «قُلْ يَوْمَ الْقُتْبَحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُنْ يُنْظَرُونَ» (السجدة - 30)، وقال تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» (آخر الغافر).

ثم إنَّه عليه السلام جعل السيف الشاهرة مقابلة جهاد أهل البغى و معلوم أنَّ جهاد

أهل البغى إنما يكون ياذن الإمام عليه السّلام فهو جار إذا كان الإمام حاضرا باسط اليدين، وأمّا جهاد غيرهم من المشركين فالظاهر من قوله عليه السّلام ثلاثة منها شاهرة دال على جواز قتالهم في زمان الغيبة أيضا وفي الحديث كما في مجمع البيان في تفسير سورة محمد صلى الله عليه وآله عن النبي: والجهاد ماض مذ بعثي الله إلى أن يقاتل آخر امتهن الدّجال، لكنّ جهادهم لمّا كان مشروطا بوجود الإمام أو من نصبه كما حَقَّ في محله فالمراد أنّها شاهرة إلى قيام الساعة إذا خيف على بيضة الإسلام إلاّ أنه لا يكون جهادا بل كان دفاعا وقد تجب المحاربة على وجه الدفع من دون حضور الإمام أو من نصبه إذا خيف كذلك.

قوله عليه السلام على أهل الذمة، أهل الذمة هم اليهود والنصارى والمجوس وإنما يجب جهادهم إذا أخلوا بشرط الذمة.

قوله عليه السّلام: و إذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سببهم، و حرمت أموالهم، و حلّت لنا مناكمتهم. و اعلم أنه لا خلاف في عدم جواز نكاح غير الكتابية للMuslim وأمّا في جواز الكتابية فقد اختلفت الأقوال فيه وأتى بها العلامة قدس سره في المختلف قال: قال المفيد رحمه الله: نكاح الكافرة محظى سواء اليهود والنصارى والمجوس و اطلق النكاح مع أنه قسمه أولا إلى نكاح المتعة والدائم و ملك اليمين و مقتضى هذا تحريم الجمع.

وقال الصدوق في المقنع: ولا يتزوج اليهودية والنصرانية على حرمة متعة وغير متعة. وروى هذا النّفظ في كتاب من لا يحضره الفقيه عن أبي بصير، عن الصادق عليه السّلام، ثمّ روى عن الحسن التّقليسي، عن الرّضا عليه السلام أنه سأله يتمتع الرجل من اليهودية والنصرانية؟ قال: يتمتع.

وسوّغ الشيخ في النهاية التمتع باليهودية والنصرانية دون من ضرورة الكفار و مقتضاه تحريم المجوسية.

وقال سلاّر: يجوز نكاح الكتابيات متعة.

وقال ابن إدريس: لا بأس أن يعقد على اليهودية والنصرانية هذا النكاح في حال الإختيار فاما من عدا هذين الجنسين من سائر أصناف الكفار سواء كانت

مجوسية أو غيرها، كافرة أصل أو مرتد، أو كافرة ملة فلا يجوز العقد عليها ولا وطتها حتى تتب من كفرها.

وقال شيخنا أبو جعفر في نهايته: يكره التمتع بالمجوسية وليس ذلك بمحظوظ وهذا خبر أورده إيرادا لا اعتقادا لأن اجماع أصحابنا بخلافه.

وشيخنا المفید في مقنعته يقول: لا يجوز العقد على المجوسية وقوله تعالى:

«وَ لَا - تُمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ » و قوله تعالى: «وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» و هذا عام و خصصنا اليهودية والنصرانية بدليل الإجماع وبقىباقي على عمومه.

انتهى ما أردنا من نقل كلامه من المختلف.

أقول: الأصل في المسألة قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا - تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا - هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَ لَا - هُنْ يَحْلُونَ لَهُنَّ وَ أَتُوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ وَ لَيْسَتِ تَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (المتحنة - 11).

وقوله تعالى: «وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَ لَا مَأْمَةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبْتُكُمْ وَ لَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبْتُكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الذَّنَارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » (البقرة 221 و 222).

وقوله تعالى: «وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يُنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ » (النساء - 31) و كذلك قوله تعالى:

«لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ » (الحجر - 21) و نحوها من آيات أخرى.

فالآلية الأولى دلت أولاً على عدم جواز رجوع الزوجة إذا أسلمت إلى زوجها الكافر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمتنع من جاءه من المؤمنان مهاجرات من دار الكفر

إلى دار الإسلام ثم يحبسها ويعطى أزواجهن مهورهن.

وثانياً على أن المؤمنات لسن بحل للكفار وأن الكفار لا يحلون لهم فهى دالة على منع النكاح مطلقاً سواء كانا يهوديين أو نصارى أو مجوسين أو غيرها من أقسام الكفار، وسواء كان النكاح دائمًا أو مؤجلًا أو ملك يمين.

وثالثاً على تحريم نكاح المسلم الكافر بقوله «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» وعمومها شامل على جميع أقسام الكفر وعلى جميع أقسام النكاح.

وفي مجمع البیان: قال الزهرى: ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرينة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان و هما على شركهما بمكة، والآخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه و هما على شركهما.

وكان عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن العارث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر و كان طلحة قد هاجر و هي بمكة عند قومها كافرة، ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية وكانت ممن فرّت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من نساء الكفار فحبسها و زوجها خالدا.

وأميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففررت منه و هو يومئذ كافر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل.

قال الشعبي و كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت و لحقت بالنبي في المدينة وأقام أبو العاص مشركاً بمكة ثم أتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال الجبائي: لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلا رد الرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر وإن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء أخوها إلى المدينة فسألها رسول الله صلى الله عليه وآله رددها عليهم ف قال رسول الله

ان الشرط بينما في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما. قال الجبائي: وإنما لم يجر هذا الشرط في النساء لأن المرأة إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف تردد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما.

والآية الثانية دالة صريحة أيضا على عدم جواز نكاح المشركين أي الكافرين واليهود والنصارى من المشركين قال عز من قائل: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزِّيرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِهُنَّ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلٍ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَكْثَرُ يُؤْفَكُونَ إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ يَحْ أَبْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبَدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشَرِّكُونَ» (التوبه - 32) فسمّاهم مشركين نعم أن الظاهر من قوله: «خير من مشركة» وكذا «خير من مشرك» يومئ إلى جواز نكاح المشركة للمسلم ونكاح المشرك للمسلمة فتأمل.

ثم انه تعالى علق النهى على الغاية التي هي الإيمان والتعليق يدل على اشتراط الإيمان في النكاح، ثم أكد ذلك بقوله أولئك يدعون إلى النار لأن الغالب أن الزوج يدعو زوجته إلى النار بل ربما يدعو أحدهما صاحبه إلى النار ويأخذ أحد الزوجين من دين الآخر.

قال في المجمع: وهى - يعني هذه الآية - عامّة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليس بمنسوبة ولا مخصوصة.

والآية الثالثة دلت على المطلوب أيضا حيث وصف الفتيات بالمؤمنات أي لا يجوز نكاح الفتيات الكافرات إن لم يستطع الناكح طولا. كما أنها دالة على تحريم نكاح الكافرة الحرة عليه إن لم يستطع طولا حيث لم يجوز مع عدم الاستطاعة بالمحصنات أي المؤمنات الحرائر نكاح الحرة من الكافرات.

والرابعة تدل بظاهرها على نفي التساوى في جميع الأحكام التي من جملتها المناكحة.

إن قلت: قد دللت آية أخرى على جواز نكاح الكتابيات وهي قوله تعالى:

«الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيَّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكُفِرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَرَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (المائدة - 8) فكيف التوفيق؟ قلت: قد نهت الآيات المتقدمة عن نكاح الكوافر كما دريت وقد يجوز حمل هذه الآية على من أسلم منهنّ و من العجائز أن فرق الشرع قبل ورود الآية بين المؤمنة التي لم تكن قط كافرة، وبين من كانت كافرة ثم آمنت ففى بيان ذلك والجمع بين الأمرين فى الإباحة فائدة، كما فى الانتصار، وقد حكى الطبرسى فى مجمع البيان عن أبي القاسم البليخى أن قوما كانوا يتحرجون من العقد على من أسلمت عن كفر فيبين سبحانه أنه لا حرج فى ذلك فلهذا أفرد هنّ بالذكر.

وان قيل: إن ظاهر الآية وسياقها فى مقام الامتنان والتسهيل فتألى عن ذلك الحمل.

قلنا: إن النكاح على ثلاثة أقسام: نكاح المتعة، والدائماً، وملك اليمين وقد نطق القرآن الكريم بنكاح المتعة فى قوله: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَمَا تُؤْهِنَ أُجُورُهُنَّ فَرِيضَةٌ» (النساء - 25) وهو المنقول عن غير واحد من الصحابة والتبعين وجماعة معروفة الأقوال منهم أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الله بن مسعود ومجاهد وعطا وانهم يقرءون «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فاتوهن أجورهن» وقد روى عن جابر بن عبد الله الأنباري وسلمة بن الأكوع وأبي سعيد الخدري والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وابن جريج انهم كانوا يفتون بها وقد أجاز الأئمة من أهل البيت عليهم السلام نكاح الكتابيات متعة لا دائماً وأهل البيت أدرى بما فيه فالآية باقية على الامتنان والتسهيل غاية الأمر أنها تبين حكم نكاح واحد من بين الثلاثة ولا ضير فيه فان نكاح المتعة نكاح، وعلى هذا المعنى يحمل ما روى أن عمّارا نكح نصرانية، ونكح طلحة نصرانية، ونكح حذيفة يهودية.

على أنه قد ورد روايات على أنها منسوخة بقوله تعالى: «وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ» وقوله تعالى: «وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ» ففى الكافى ياسناده عن ابن رئاب، عن زراره قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله سبحانه: «وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»؟ قال: هذه منسوخة بقوله: «وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ».

وفيه ياسناده عن ابن فضال. عن الحسن بن الجهم قال: قال لى أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا با محمد! ما تقول فى رجل يتزوج نصرانية على مسلمة؟ قلت: جعلت فداك و ما قولى بين يديك؟ قال: لتقولن فان ذلك تعلم به قولى، قلت: لا يجوز ترويج نصرانية على مسلمة ولا على غير مسلمة، قال: ولم؟ قلت: لقول الله عز و جل: «وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ»، قال: فما تقول: فى هذه الاية:

«وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»؟ قلت: فقوله: «وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» نسخت هذه الاية فبسم ثم سكت.

نعم إنّ فى نسخ الاية بالایتين كلاما و هو أنّ الفريقين رووا عدّة روايات فى أنّ المائدة آخر سورة نزلت و آية تحليل نكاح الكتايات منها و تقديم الناسخ على المنسوخ نزوا- ليس ب صحيح، ففى الإتقان للسيوطى: أخرج الترمذى و الحاكم عن عائشة قالت: آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه - الحديث.

وفي مجمع البيان: روى العياشى ياسناده، عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه عن جده، عن علي عليه السلام قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضا و إنما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأخذه و كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء - إلخ.

لكن غير واحدة من الروايات ناطقة بأنّ آخر السورة نزوا لا ينسخ المائدة ففى الإتقان: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله و الفتح، وأخرج الترمذى و الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة نزلت

سورة المائدة و الفتح - يعني إذا جاء نصر الله، وفي حديث عثمان المشهور براءة من آخر القرآن نزولا، وفي مجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة هل أتى أن التوبة آخر سورة نزولا ونزلت المائدة قبلها.

أقول: سلمنا أن المائدة ليست آخر السورة نزولا أمّا أن نزولها كان بعد البقرة فلا كلام فيه بل في المجمع في تفسير السورة المذكورة أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة فالإشكال في تقديم الناسخ على المنسوخ باق بحاله، اللهم إلا - أن يقال يجوز أن يكون نزول الآيتين الناسختين في البقرة بعد نزول الآية المنسوخة في المائدة إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعلها بأمر الله تعالى في ذلك الموضع من سورة المائدة كما أن آية: «وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُنْ لَا يُظْلَمُونَ» آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلها رأس الشهرين والمائتين من البقرة بأمر الأمين جبرائيل عليه السلام كما في المجمع والكشف وأنوار التنزيل وغيرها. فتأمل.

وبالجملة لو لم نقل بنسخ الآية لكان بيانا لنكاح المتعة وتجويزه كما دريت.

ولقائل أن يقول: إن قوله تعالى في البقرة: «وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» - الآية غير الكتابية من عبادة الأولياء وغيرهم من الذين ليس لهم كتاب بدليل الافتراق بينهما في قوله تعالى: «ما يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رِبَّكُمْ». الآية (البقرة 100) وقوله تعالى: «لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» (البيان - 2).

قلت: قد دلت الآية المتقدمة من التوبة على أن اليهود والنصارى من المشركين وافتراضهما في آية لعناء خاصة لا يدل على عدم كون أهل الكتاب مشركين.

وبالجملة القول بجواز نكاح الكتابية للمسلم بالدوم مشكل جداً وأمام نكاحها متعة أعني مؤجلا، أو ملك يمين فلا بأس به.

وروايات الباب طائفة منها صريحة في أن نكاح الكافرة سواء كانت عابدة وثن أو مجوسية أو يهودية أو نصرانية محروم منها رواية ابن الجهم المتقدمة المنقولة عن الكافي.

وفيه أيضاً بسانده عن ابن رئاب، عن زرار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا ينبغي نكاح أهل الكتاب، قلت: جعلت فداك وأين تحريمك؟ قال: قوله: «وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ».

وفيه بسانده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا ينبغي للمسلم أن يتزوج يهودية ولا نصرانية وهو يجد مسلمة حرّة أو أمّة.

وآخرى منها تجوز النكاح لكنّها يحتمل وجوهاً من التأويل كما اشار إليها شيخ الطائفة في التهذيب منها أن تكون هذه الأخبار خرجت مخرج التقى لأنّ كلّ من خالفنا يذهب إلى إباحة ذلك فيجوز أن تكون هذه الأخبار وردت وفقاً لهم.

ومنها أن تكون هذه الأخبار تناولت إباحة من لا تكون مستبورة معتقدة للكفر متدينّة به بل تكون مستضعفّة فإنّ نكاح من يجري هذا المجرى جائز.

ومنها أن يكون ذلك إباحة في حال الضرورة وعند عدم المسلم ويجري ذلك المجرى إباحة الميّة والدم عند الخوف على النفس.

ومنها أن تكون هذه إباحة في العقد عليهم عقد المتعة وإن شئت تفصيلها فعليك بالتهذيب.

ثم إنّ في خبر الأسياف تفصيلاً آخر في المقام وهو أنّ أهل الذمة إذا قبلوا الجزية حلّت للمسلم مناكمتهم وأما إذا كانوا في دار الحرب فلا.

ومثله مروي عن النبي صلّى الله عليه وآله أيضاً ففي تفسير القمي أنه صلّى الله عليه وآله قال: وإنما يحلّ نكاح أهل الكتاب الذين يؤدون الجزية وغيرهم لم تحلّ مناكمتهم.

أقول: الخبران يدللان على جواز نكاحهم مع انعقاد الذمة وإنما لم يجز بدونه لأنّهم حينئذ محاربون فيشملهم الأحكام الواردة على المحاربين.

قوله عليه السلام: فلن يقبل منهم إلا الجزية أو القتل - إلخ.

أقول: أهل الكتاب أى اليهود والنصارى يجوز إقرارهم على دينهم ببذل الجزية وكذا حكم من لهم شبهة كتاب أى المجروس فيقررون على دينهم ببذل الجزية ومتى امتنع أهل الكتاب من بذل الجزية قرّلوا وسبّيت ذراريهم ونساءهم وأموالهم تكون فيها وأما من لا كتاب له ولا شبهة كتاب من عباد الأصنام والأوثان والكواكب وغيرهم فلا يقرّون على دينهم ببذل الجزية.

قوله عليه السلام: و السيف الثالث سيف على مشركي العجم - إلخ.

أقول: لما ذكر الإمام عليه السلام في هذا الخبر أحكام أهل الذمة على حدة علم أن المراد من مشركي العرب والعجم سوى أهل الكتاب منهمما وهذا واضح وإنما الكلام في ذكر كل من مشركي العرب والعجم منفرداً وذلك لأن أحكام المشركين الذين ليس لهم كتاب واحدة ولا تختلف أحكامها باختلاف البلاد والأقاليم والألسنة ولم نجد في الكتب الفقهية من تعرض بالتفصيل والتفريق بين مشركي العرب والعجم وما نعلم سبب انفرد مشركي العجم بالذكر إلا أن العلامة المجلسي قدّس سره قال في مرآة العقول: وإنما أفرده عليه السلام (يعنى السيف الثالث) بالذكر لعلمه بأن قوله تعالى: «فَضَّلَ رَبُّ الرِّقَابِ» نزل فيه والمخاطب بالقتال فيه أمّة النبي صلى الله عليه وآله لأنّه لم يقاتلهم وإنما قاتلهم الله. انتهى فتأمل.

قوله عليه السلام: فسيف على أهل البغى والتأويل - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل.

أقول: في حديث على عليه السلام ما من آية إلا وعلمني تأويلها أى معناها الخفي الذي هو غير المعنى الظاهري لما تقرر من أن لكل آية ظهراً وبطناً والمراد أنه صلى الله عليه وآله اطلعه على تلك الخفيات المقصونة والأسرار المكنونة. قاله الطريحي في مجمع البحرين.

وقال المجلسي رحمة الله في مرآة العقول: لعل كون قتال التأويل لكون الآية غير نص في خصوص طائفه إذ الباغي يدعى أنه على الحق وخصمه باع.

أو المراد به أن آيات قتال المشركين والكافرين يشملهم في تأويل القرآن. انتهى و أقول: هذا البيان يناسب قول رسول الله صلى الله عليه وآله ان منكم من يقاتل بعدى على التأويل. وأما الظاهر من كلام أبي جعفر عليه السلام فسيف على أهل البغى و التأويل فإنما المراد أن الخارجين على الإمام العادل هم أهل البغى و التأويل و يؤيد ما ذكرنا قوله أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه الاتي (كتاب 55) إلى معاوية خطابا إليه:

فعدوت على طلب الدين بتأويل القرآن فطلبته بما لم تجنيه ولا لسانك إلخ.

حيث طلب معاوية القصاص لعثمان وأول قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كتب عليناكم القصاص في القتل» الآية و نحوه من آيات أخرى بما أراد حتى ألب الناس على أمير المؤمنين عليه السلام و سيأتي كلامنا في تحقيق التأويل في تفسير كتابه عليه السلام إلى ابنه المجتبى عليه السلام عند قوله: وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله و تأويله إلخ.

قوله عليه السلام: وقال عمّار بن ياسر: قاتلت بهذه الرأي إلخ.

أقول: الرأي إشارة إلى رأية معاوية في بدر واحد و حنين. وهذه الرابعة يعني وقعة صفين وقد مرّ كلامنا في تفسير قوله هذا و قوله: و الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر في شرح المختار 236 (ج 15 ص 285-289).

فقد آن نشرح جمل الوصيّة فنقول قوله: «لا تقاتلوهم حتى يبدءونكم» نهي أصحابه عن الابداء بالحرب وقد دريت من حدث عبد الله بن جندب المنقول من الكافي أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أصحابه في كلّ موطن لقيهم عدوهم بقوله: لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم: إلخ. وإنما نهاهم عن الابداء بها لأنّه دعوة إلى المبارزة والداعي إليها باع و قد قال عليه السلام لابنه الإمام المجتبى عليه السلام كما يأتي في باب المختار من حكمه عليه السلام (الحكمة 233): لا - تدعون إلى مبارزة وإن دعيت بها فأجب فإن الداعي باع و الباغي مصروع. انتهى وفي كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبة (ص 128 ج 1 طبع مصر): العتبى عن أبيه قال:

قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابنه الحسن: يا بنّي لا تدعون أحدا إلى البراز ولا يدعونك أحدا إليه إلا أجبته فانه بغي.

وقال عز من قائل: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ» (يوحنا 24) و من الأمثال القديمة قولهم: لا ظفر مع بغي. أتى به ابن الفتنية في كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص 111 ج 1).

وفي باب حكم طلب المبارزة من كتاب الجهاد من الوسائل بسانده عن ابن القذاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعى رجل بعض بنى هاشم إلى البراز فأبى أن ييارزه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما منعك أن تبارزه؟ فقال: كان فارس العرب وخشيته أن يغلبني؛ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فإنه بغي عليك ولو بارزته لغبته ولو بغي جبل على جبل لهدم الباغي.

وفي هذا الباب من الوسائل أيضاً: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الحسين (الحسين خ لـ) بن علي دعى رجالاً إلى المبارزة فعلم به أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

لَنْ عَدْتُ إِلَى مُثْلِ هَذَا لِاعْقِبِكَ؛ وَ لَنْ دَعَاكَ أَحَدٌ إِلَى مُثْلِهِ فَلَمْ تَجِهْ لَا عَاقِبَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ بَغِيَ.

وقد مضى في شرح المختار 236 أن معاوية لمّا كف أمير المؤمنين وعسكره في صفين عن الماء ثم أخذ أصحاب الأمير عليه السلام الماء عنهم وصار الماء في أيديهم قال بعضهم: لا ننسى معاوية وأتباعه الماء أرسل أمير المؤمنين عليه السلام إليهم أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم وخلوا عن معاوية وعسكره فإن الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم (ص 227 ج 15).

قوله عليه السلام: «فإنكم بحمد الله على حجّة» علل التهـى عن القتال بدأوا بأن أتباعه عليه السلام على حجّة وبيّنة ويقين من ربـهم وأنـهم على الطريق الواضح من حيث إنـهم شارعوا الإمام الحقـ فهم على الصراط السـوى والجـادة الوسطـى. وأهل الحقـ لا يقاتلون أحدـاً بغـير حقـ وحجـ الله لم يـؤمرـوا بالقتلـ والقتـالـ بل اـمرـوا باـحـيـاءـ النـفـوسـ وـتـرـكـيـتهاـ منـ الأـرجـاسـ وـالأـدـنـاسـ وـتـعـلـيمـهـمـ الـكتـابـ وـالـحـكـمـةـ فـإـنـيـ لـهـمـ أـنـ يـبـدـأـواـ بـالـقـتـالـ وـقـدـ قـالـواـ إـنـ الـبـادـىـ بـالـحـربـ بـاغـ.

وإنـماـ قـالـ: بـحـمدـ اللهـ، لـأـنـ الكـونـ عـلـىـ حـجـةـ مـنـ أـعـظـمـ نـعـمـ اللهـ تـعـالـىـ

لا تعادله نعمة فيجب على المنعم عليه حمد المنعم.

قوله عليه السلام: «وَتَرَكُوكُمْ إِيَاهُمْ حَتَّىٰ يَدْعُوكُمْ حَجَّةً أُخْرَىٰ لَكُمْ عَلَيْهِمْ» قد علمت أنّ البدى بالحرب باغ والإمام الحق مطلقا على حجة فاته ينظر بنور الله فإذا بدأوا بالحرب فقد تحقق بغيرهم عليه فيجب عليه قتالهم لقوله تعالى: «فَإِنْ بَغْتُ إِحْمَادُهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوهُ الَّتِي تَبَغِي حَتَّىٰ تَقِيَّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ».

ثم إنّ البدى بالحرب معتد فيجب على الإمام الاعتداء عليه لقوله تعالى:

«فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ» (البقرة - 191).

وإنّ محارب الإمام العادل محارب الله ورسوله فقد دريت من المباحث السالفة أنّ الفريقين نقلوا عنه صلى الله عليه وآله انه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: حربك يا على حربى.

على أنّ البدى عليه من الذين يسعون في الأرض فسادا فقد قال الله تعالى:

«إِنَّمَا جَرَأَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْتَعْوِنُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادُوا أَوْ يُقْتَلُوا أَوْ يُقْطَعَ أَيْمَانُهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حَزْنٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدة 38).

وبالجملة أنّ وجود الإمام عليه السلام حجّة عليهم فيجب عليهم اتباع أمره واقتفاء أثره والتأسى به فإذا طغوا وأعرضوا عن أمره وحاربوه وجازاهم على فعلهم وطغيانهم تمت الحجّة عليهم وفأه لحق الاعتداء فهم محاربون والإمام عليه السلام وعسكره حينئذ مدافعون وهذه حجّة أخرى لهم عليهم.

ثم ينبغي للقارئ الكريم الطالب نهج القويم أن يتأمل في سيرة سفراء الله في أهل البغى حق التأمل والتدبر حتى يرى بعين العدل والإنصاف أنّهم لم يكونوا في سدد قتال الناس وقتلهم بل شأنهم في القتال والقتل شأن من يجتّ نبات السوء من مزرعة، أو كمن يقلع ويطرد أشواكا واقعة على طريق مانعة عن العبور عنها، أو كمثل الذي يقتل جراثيم مؤذية تؤذى شجرة مثمرة في حديقته. لأنّ الله تعالى بعثهم رحمة للناس كافة يدعوهم إلى ما يحييهم حياة طيبة، ويسلكهم إلى الفوز والنجاح والسعادة

الأبدية إلا أن طائفة من أرذل الناس وأوباشهم وأشرارهم لتماران على قلوبهم ما كانوا يكسبون واتخذوا دين الله وعباده سخرياً وأرادوا أن يطفئوا نور الله بالسنتهم وأستنتم وسيفهم ورماتهم، وكانوا يضلون الناس ويغوضونهم حق عليهم العذاب بأيدي أهل الحق دفاعاً عن حوزة الإسلام السامية، قال تعالى: «وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِيَعْصِي لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (البقرة 253) وقال عز من قائل: «وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِيَعْصِي لَهُ دَمْتُ صَوَامِعَ وَبَيْعَ وَصَلَواتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» (الحج 42).

وقد روى ثقة الإسلام الكليني قدس سره في الباب الثامن من كتاب الجهاد من الكافي بإسناده عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقاتل أحدا حتى تدعوه وأيم الله لأن يهدى الله على يديك رجلا خيرا لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولک ولا وہ يا علی.

وقد مضى في شرح المختار الثاني من باب الكتب (ص 57 ج 17) انه عليه السلام بينا يوصى أصحابه في الجمل بقوله: لا تبدأوا القوم بالقتال ولا تقتلوا مدبرا - إلخ، إذ ظلمهم نبل القوم الناكثين فقتل رجل من أصحابه فلما رأه قتيلا قال: اللهم اشهد، ثم رمى رجل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله فأتى به أخوه عبد الرحمن يحمله فقال علي عليه السلام: اللهم اشهد، وتواتر على عمّار بن ياسر الرمّي فقال: ماذا تنتظرون يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب إلخ.

وفي الكافي (الباب الثامن من كتاب الجهاد) بإسناده عن مساعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميرا له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة ثم يقول: اغزوا (اغزوا - ظ) باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تغروا، ولا تمثلو، ولا تموسو، ولا متبتلا في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعا لأنكم لا تدرؤن لعلكم

تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ممّا يؤكل لحمه إلاّ ما لا بدّ لكم من أكله وإذا لقيتم عدواً للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلات فان هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وادعوهم إلى الإسلام فان دخلوا فيه فاقبلوه منهم وكفوا عنهم وادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام فان فعلوا فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا أديانهم وأبوا أن يدخلوا إلى دار الهجرة كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا يجري لهم في الفيء ولا في القسمة شيء إلاّ أن يهاجروا في سبيل الله. فان أبوا هاتين فادعوهم إلى اعطاء الجزية عن يدوهم صاغرون، فان أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم وإن أبوا فاستعن الله عز وجلّ عليهم وقادهم في الله حق جهاده. وإذا حاصرت أهل الحصن فارادوك على أن ينزلوا على حكم الله عز وجلّ فلا تنزل لهم ولكن انزلهم على حكمهم، ثم اقض فيهم بعد ما شئتم فانكم إن تركتموهم على حكم الله لم تدرروا تصيروا حكم الله بهم أم لا. وإذا حاصرتم أهل حصن فإن أذنوك على أن تنزلهم على ذمة الله وذمة رسوله فلا تنزلهم ولكن انزلهم على ذمكم وذم آبائكم وإخوانكم فانكم إن تخفروا ذمكم وذم آبائكم وإخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيمة من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله يوصى سراياه وعساكره بتقوى الله، ودعوة الكفار إلى الإسلام فأين هو صلى الله عليه وآله من أن يخوض في دماء الناس وقد طهره الله من الرجس تطهير، وقال له عز من قائل: « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نقضوا من حولك».

وهو صلى الله عليه وآله قد تأدب بادات الله وفي الجامع الصغير نقلاً عن ابن عدي في الكامل عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وآله قال: أدبني ربّي فأحسن تأدبي. ومن أدبه صلى الله عليه وآله أنه بعد ما لقى في دعوته من قومه ما لقى قال: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، وعلى رواية أخرى: اللهم اغفر قومي فإنهم لا يعلمون.

وفي كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبة (ص 123 ج 1) أن النبي صلى الله عليه وآله في بعض أيامه التي لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام

فِي النَّاسِ قَالَ: لَا تَتَمَنُوا لِقَاءَ الْعُدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ - إِلَخ.

وقال ابن هشام في السيرة: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لما أشرف على خير قال لأصحابه: قفو ثمّ قال: اللّهم رب السموات وما أظللن - إلى قوله: فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها - إلخ، وقد نقلناه في شرح المختار الثاني من باب الكتب والرسائل (ص 50 ج 17).

فإياك أن تظنّ أنّ مثل حجج الله تعالى كمثل سلاطين الجور، والذين يريقون الدماء نيلاً إلى أغراض دنيوية وهو جس نفسانية.

وهذا هو أمير المؤمنين على عليه السلام يعظ عسكره أن يدعوا الله أن يحقن دماءهم ودماء العدو، ويصلح ذات بينهما، ويهدي الأعداء من ضلالتهم.

وكان عليه السلام ينهى جنوده عن أن يسبّوا ويشتموا الأعداء فأين هو عليه السلام والخوض في الدّماء، فقد روى نصر بن مزاحم المنقري في صفين (ص 55 من الطبع الناصري) عن عمر بن سعد، عن عبد الرحمن، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله ابن شريك قال: خرج حجر بن عدى وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما على عليه السلام أن كفّا عمّا يبلغني عنكم. فأتياه فقالا:

يا أمير المؤمنين! ألسنا محقّين؟ قال: بل، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال:

كرهت لكم أن تكونوا لعاني، شتّامين، شتّامين، تشتمون، وتتبرّؤون. ولكن لو وصفتم مساوياً أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به، كان هذا أحبّ إلى، وخيراً لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك ونتأدّب بأدبك.

وقد مضى في شرح المختار الثاني من باب الكتب والرسائل أنه عليه السلام لما سار مع عسكره من المدينة إلى البصرة لقتال جند المرأة وأتباع البهيمة بلغ الموضع المعروف بالزاوية فنزلوا وصلّى عليه السلام أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد

خالط ذلك دموعه ثم رفع يديه يدعو: اللّهم رب السماوات و ما أظلّت - إلى قوله:

اللّهم احقن دماء المسلمين. (ص 50 ج 17).

وهذا هو الإمام الحسن بن علي عليهما السلام لم يرض أن يهرق في أمره محجومة دم كما علمنا من وصيته عليه السلام يوم حضرته الوفاة وقد تظافرت بنقلها الروايات.

وهذا هو الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، لما رام مسلم بن عوسجة أن يرمي شمر بن ذي الجوشن حين سبّ الحسين عليه السلام بسهم منعه عن ذلك فقال له: لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم رواه المفید فى الإرشاد (ص 217 طهران 1377 هـ).

وكذا روى في (ص 210) من الإرشاد: إنَّ الحَرَّ بن يَزِيدَ الرِّيَاحِيَ لَمَّا أَخْذَهُمْ بِالنَّزْولِ فِي مَكَانٍ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ وَلَا قَرْيَةٍ - ساقَ الْكَلَامَ إِلَى أَنْ قَالَ: فَقَالَ زَهِيرُ بْنُ الْقَيْنِ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ يَكُونُ بَعْدَ الَّذِي تَرَوْنَ إِلَّا أَشَدُّ مِمَّا تَرَوْنَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنْ قَاتَلَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ السَّاعَةَ أَهُونُ عَلَيْنَا مِنْ قَاتَلَ مِنْ يَأْتِينَا بَعْدَهُمْ مَا لَا قَبْلَ لَنَا بِهِ فَقَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كَنْتُ لَأَبْدَأْهُمْ بِالْقَتَالِ ثُمَّ نَزَلَ.

نعم إنَّ الخوض في دماء الناس إنما هو من شأن عبيد الدنيا وأسرة الهوى الذين اتخذوا دين الله دغلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً، أتباع الشقى الجبار الذي يعالن الناس قائلاً: وَاللَّهِ إِنِّي مَا قاتَلْتُكُمْ لِتَصْلُوا وَلَا لِتَزَكُّوا وَلَا لِتَصُومُوا وَلَا لِتَحْجُجُوا، وَإِنِّي مَا قاتَلْتُكُمْ لِأَتَأْمُرَ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ كَارهُونَ.

وقد قدمنا نبذة من الكلام في ذلك في شرحنا على المختار 236 من باب الخطب (ص 227 و 252 و 300 ج 15) فراجع.

قوله عليه السلام: «إِذَا كَانَتْ الْهَزِيمَةُ بِاذْنِ اللَّهِ» الهزيمة وإن كانت بحسب الظاهر على أيديهم ولكنها ليست متحققة إلا بذن الله تعالى وأمره ولما كان ولِيَ اللَّهُ الْأَعْظَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ موحِداً فانيا في الله لا يرى من نفسه أثراً في البين، ولا يرى في دار الوجود مؤثراً إلا الله، لا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ولا يرى شيئاً إِلَّا من عنده تعالى

قال عز من قائل في قصة طالوت وما جرى بينه وبين جالوت: «قالَ الَّذِينَ يَطْنَوْنَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبْتُ فِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرَغْ عَلَيْنَا صَبَرًا وَثَبَتْ أَفْدَامَنَا وَأَصْرَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَّ مُوْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ» (البقرة - 252).

وقال تعالى: «وَالْبَلْدُ الطَّيِّبُ يَحْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» (الأعراف - 58).

وقال تعالى مخاطبا ليعيسى عليه السلام: «وَإِذْ تَحْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهْيَةً الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبَرِّئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» (المائدة - 112).

وقال حكاية عن عيسى عليه السلام: «أَنَّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهْيَةً الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» (آل عمران - 45).

وقال عز من قائل مخاطبا لرسوله الخاتم: «أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» (إبراهيم - 2).

وقال تعالى: «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلِكُنَّ اللَّهُ قَاتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلِكُنَّ اللَّهُ رَمَى» (الأنفال - 19).

والإنسان له وجهة إلهية بها فاعليته ووجهة نفسية بها ينسب الأفعال إلى نفسه، والمؤمن الموحد السالك إلى الله قد يرتقي بالرياضيات والمجاهدات إلى مرتبة لا يرى لنفسه فيها أثرا، ولا يرى مؤثرا إلا الله، وما يشاهد من دونه تعالى على ظاهر الأمر «كَسَّرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَسُ بُهْ الظَّمَآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَحِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَرَقَّاهُ حِسَابَهُ» (النور - 40). «قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» (النساء - 82).

از سبب سازیش من سوداییم وز سبب سوزیش سوفسٹائیم

در سبب سازیش سرگردان شدم در سبب سوزیش هم حیران شدم

این سببها بر نظرها پرده هاست که نه هر دیدار صنعت را سزا است

دیده ای باید سبب سوراخ کن تا حجب را بر کند از بیخ و بن

تا مسیب بیند اندر لا مکان هرزه بیند جهد و اسباب دکان

هر چه خواهد آن مسیب آورد قدرت مطلق سببها بر درد

قوله عليه السلام: «فلا تقتلوا مدبرا» نهی عليه السلام أصحابه عن امور:

نهاهم عن أن يقتلوا المدبر عن القتال كما نهاهم عن أن يتبعوا موليا، وأن يطلبوا مدبرا على ما رواه الكليني في الجامع الكافي، والمسعودي في مروج الذهب كما مر ذكرهما آنفا في بيان المصادر، وما يستفاد من ظواهر الأخبار وفتاوي العلماء في المقام أن هذه الجمل الثلاث تشير إلى معنى فارد وتفيد حكما واحدا ولذا يوجد واحدة منها في نسخة دون الآخرين إلا أن المسعودي جمع بين نسختي ولا تتبعوا موليا، ولا تطلبوا مدبرا.

وما وجدنا في الجواجم الرواية من الكافي والتهذيب والوسائل والبحار والوافي مع طول الفحص وكثرة الطلب رواية جامعة لها أو لاثتين منها.

اللهم إلا أن يفسر قوله موليا بمن عاد من البغى إلى طاعة الإمام وترك المباينة فإنه يحرم قتله حينئذ فلا تكرار في نسخة المسعودي على هذا الوجه ولكنه كما ترى.

قوله عليه السلام: «ولا تصيبوا معاورا» قد تفرد الرضي رضوان الله عليه بنقله وما وجدناه مع كثرة التحرر في نسخة أخرى عن غيره، إلا أن ابن الأثير أتى به في النهاية كما مر آنفا في اللغة إن لم يكن النهج مأخذة. ولم يتعرض الفقهاء على هذا الحكم في أحكام أهل البغى الخارجيين على الإمام.

ويمكن أن يفسر على وجوهه: أحدها أنه عليه السلام نهي أصحابه عن أن يقتلوا أو يجرحوا من أمكتنهم الفرصة في قتله وجرحه بعد هزيمة العدو وانكسارهم كما نص عليه بقوله فإذا كانت الهزيمة باذن الله -إن و قد يبين في اللغة أنه يقال أبور لك الصيد وأبورك إذا أمكنك والإصابة كنایة عن القتل أو الجرح وكان المعنى الثاني أعنی الجرح أنساب باسلوب الكلام.

ثانيها أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَا هُمْ أَنْ يُقْتَلُوا بَعْدَ انْهِزَامِ الْعَدُوِّ فَارْسَا مِنْهُمْ أُصِيبَ قَبْلَ الْانْهِزَامِ بِجَرَاحَةٍ مِّنْ قَوْلِهِمْ أَعْوَرَ الْفَارَسَ إِذَا بَدَا فِيهِ مَوْضِعُ خَلْلٍ لِلْضَّرْبِ فِيهِ وَهَذَا الْوَجْهُ يَقْرُبُ مِنْ قَوْلِهِ وَلَا تَجْهَزُوا عَلَى جَرِيحٍ مَعْنَى بِخَلْفِ الْأَوْلِ فِيهِ تَكْرَارٌ.

أَمَّا لَوْفَسَتَرَتِ الاصابة بالطعن والجرح فلا تكرار فيه لأنّ معنى العبارة حينئذ أَنَّهُ نَهَا هُمْ أَنْ يَطْعَنُوا وَيَجْرِحُوا بَعْدَ انْهِزَامِ الْعَدُوِّ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ جَرِيحاً أَيْ لَا تَصْبِيوا جَرِيحاً بِجَرَاحَةٍ أُخْرَى كَمَا فَسَرَهُ خَوَانِدُ مَيْرَ بِهَا الْوَجْهَ فِي رَوْضَةِ الصَّفَا.

ثالثها أَنَّهُ نَهَا هُمْ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَجْرِحُوا بَعْدَ انْهِزَامِ الْعَدُوِّ الَّذِي صَارَ مُضطَرًا حَتَّى أَفْضَاهُ الاضطرارُ إِلَى أَنْ يَكْشُفَ عُورَتَهُ وَيَبْدِي سَوْءَتَهُ وَقَائِيَةَ لِنَفْسِهِ كَمَا فَعَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فِي صَفَيْنِ حِينَ اعْتَرَضَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَعْرَضَ عَنْ قَتْلِهِ وَتَقدَّمَتِ الْحَكَايَةُ فِي شَرْحِ الْمُختارِ 236 (ص 318 ج 15).

رابعها أَنَّهُ يَكُونُ الْمَرَادُ بِالْمَعْوِرِ الْمَرِيبِ أَيْ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ هُلْ هُوَ مَحَارِبٌ أَمْ لَا يُقْتَلُوا إِلَّا مِنْ عِلْمِهِمْ أَنَّهُ مَحَارِبٌ لَكُمْ.

لطيفَة: فِي كِتَابِ الْحَرْبِ مِنْ عَيْنِ الْأَخْبَارِ لَابْنِ قَتِيبةِ (ص 169 ج 1 طَبْعُ مِصْرِ) قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: رَأَى عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ مَعَاوِيَةَ يَوْمَا يَضْحَكُ فَقَالَ لَهُ: مَمْ تَضْحَكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَضْحَكَ اللَّهُ سَنِّكَ؟ قَالَ: أَضْحَكَ مِنْ حُضُورِ ذَهْنِكَ عِنْدِ إِبْدَائِكَ سَوْءَتَكَ يَوْمَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَمَّا وَاللَّهُ لَقَدْ وَاقْتَتَهُ مَنْتَانَا كَرِيمَا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُقْتَلَكَ لَقْتَلَكَ.

قال عَمَرُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا وَاللَّهُ إِلَّيْ لَعْنَ يَمِينِكَ حِينَ دَعَاكَ إِلَى الْبَرَازِ فَاحْوَلَتْ عَيْنَاكَ وَرِبَاكَ سَحْرَكَ وَبَدَا مِنْكَ مَا أَكْرَهَ ذَكْرَهُ لَكَ فَمِنْ نَفْسِكَ فَاضْحَكَ أَوْ دَعَ.

قوله عليه السَّلَامُ: «وَلَا تَجْهَزُوا عَلَى جَرِيحٍ» نَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ جُنُودَهُ أَنْ يَشَدُّوا بَعْدَ انْهِزَامِ الْعَدُوِّ عَلَى صَرْبِعِهِمْ وَيَسْرِعُونَ إِلَى قَتْلِهِ أَيْ نَهَا هُمْ عَنْ قَتْلِ الْمَجْرُوحِ.

وإنما نهاهم عليه السلام عن أن يقتلوا مدبراً، أو يصيروا معوراً، أو يجهزوا على الجرحى بعد أن هزمواهم لأنّهم على ظاهر الأمر مسلمون، وكان القصد من قتالهم دفع شرّهم وتفرق كلمتهم فإذا ولّوا منهزمين فقد حصل القصد.

واعلم أنّ أهل البغى لا يقتل مدبرهم، ولا يصاب معورهم، ولا يجهز على جريحهم إذا لم يكن لهم فئة يرجعون إليها فإذا كان لهم فئة يرجعون ويلتجؤن إليها حاز اتباع مدبرهم والإجهاز على جريحهم واصابة معورهم لأنّهم ربّما عادوا إلى الفئة واجتمعوا ورجعوا إلى قتال الإمام العادل وهو مذهبنا الإمامية وخالفنا فيه بعض العامة.

دليلنا قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّىٰ تَقِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ» الآية و«هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَا فَأَوْفَوْا إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ وَلَذَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَى يَوْمَ الْجَمْلِ أَنْ لَا يَتَّبِعَ مَدْبُرَهُمْ وَلَا يَقْتُلَ، وَلَا يَجْهَزَ عَلَىٰ جَرِحِهِمْ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَمْلِ قَاتَلُوا إِمَامَهُمْ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ غَيْرَ مُحَارِبِينَ وَلَا مُخَالِفِينَ وَلَا مَنَابِذِينَ، وَقُتِلَ أَهْلُ صَفَّيْنَ مُقْبَلِينَ وَمَدْبُرِينَ وَأَجَازَ عَلَىٰ جَرِحِهِمْ لِأَنَّ إِمَامَهُمْ كَانَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ وَكَانَ لَهُمْ فِئَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا وَيَلْجَؤُونَ إِلَيْهَا وَأَخْبَارُ الْإِمَامِيَّةِ بِذَلِكَ عَنْ أَئْمَانِهِمْ وَرَدَتْ مُتَظَافِرَةً:

ففي الباب العاشر من كتاب الجهاد من الجامع الكافي بإسناده عن حفص بن غياث قال: سألت أبي عبد الله عليه السلام عن الطائفتين من المؤمنين إحداهما باغية والآخر عادلة فهزمت العادلة الباغية؟ فقال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبراً، ولا يقتلوا أسيراً، ولا يجهزوا على جريح، وهذا إذا لم يبق من أهل البغى أحد ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها فإذا كان لهم فئة يرجعون إليها فإنّ أسيرهم يقتل، ومدبرهم يتبع، وجريحهم يجهز.

وفي ذلك الباب منه: بإسناده عن عقبة بن بشير، عن عبد الله بن شريك، عن أبيه قال: لما هزم الناس يوم الجمل قال أمير المؤمنين: لا تتبعوا مولياً ولا تجيزوا (لا تجهزوا - خ) على جريح ومن أغلق بابه فهو آمن؛ فلما كان يوم صفّيين قتل المقابل والمدبر وأجاز على جريح. فقال أبان بن تغلب لعبد بن شريك:

هذه سيرتان مختلفتان، فقال: إنّ أهل الجمل قتل طلحة والزبير، وإنّ معاوية كان قائماً بعينه و كان قائدهم.

رواية المجلسى في المجلد الحادى والعشرين من البحار (ص 98 من الطبع الكمبانى) بسند آخر عن عقبة بن شريك ثقلاً عن رجال الكشى.

و روى على بن شعبة في تحف العقول عن الإمام العاشر أبي الحسن الثالث على بن محمد عليهما السلام في باب أجوبته عليه السلام ليحيى بن أكثم عن مسائله (ص 116 من الطبع الحجرى 1303هـ): أنّ يحيى بن أكثم قال له عليه السلام: أخبرني عن على لم قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجاز على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً، ولا يجز على جريح؛ ولم يأمر بذلك وقال: من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، لم فعل ذلك فإن كان الحكم الأول صواباً فالثانية خطأ؟ قال عليه السلام: وأمّا قولك: إنّ علياً قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين وأجاز على جريحهم، وإنّه يوم الجمل لم يتّبع مولياً، ولم يجز على جريح، ومن ألقى سلاحه آمنه، ومن دخل داره آمنه فأنّ أهل الجمل قتل إمامهم، ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين رضوا بالكف عنهم فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعواضاً. وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السلاح الدروع والرماح والسيوف، ويسمى لهم العطاء، وبهنه لهم الأنزال، ويعود مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راحلتهم، ويكسو حاسرتهم، ويردد لهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم فلم يساوين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم فمن رغب عرض على السيف أو يترب من ذلك.

قوله عليه السلام: «و لا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن امراءكم فانهن ضعيفات القوى والأنس والعقول» في نسخة الكافى و ان شتمن أعراضكم

وسين امراءكم وصلحاءكم، وفي نسخة الطبرى: ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وتناولن امراءكم وصلحاءكم، وفي روايتي الكافى وصفين لنصر فانهن ضعاف القوى والأنفس والعقول، وفي رواية الطبرى: فانهن ضعاف القوى والأنفس ولم يأت بالعقل. نهى عليه السّلام عسکره أن يثروا غضب نساء البغاة وشرورها ويحرّكوهن ويؤذوهن مطلقا حتّى إنّهن إن شتمن أعراضهم وسببن امراءهم وجب عليهم الامساك عن رد السب إلّيهن والكف عنهن وعدم الاعتناء بشمتهن وسبّهن.

وعلى النهى بقوله فانهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول يعني لا يجوز إثارة من بلغن فى الضعف هذه الغاية.

قال الشارح البحرينى: قوله: لا تهيجوا النساء المراد بذلك أن لا تثروا شرورهن بأذى وإن بلغن الغاية المذكورة من شتم الأعراض وسبّ النساء ولوّي الكف عنهم «كذا و الصواب الكف عنهن» بكونهن ضعيفات القوى أي ضعيفات القدر عن مقاومات الرجال و حرّبهم وسلام الضعيف والعاجز لسانه، وبكونهن ضعيفات الأنفس أي لا صبر لنفسهن على البلاء فيجتهدن في دفعه بما أمكن من سبّ وغيره، وبكونهن ضعيفات العقول أي لا قوّة لعقولهن أن ترى عدم الفائدة في السبّ والشتائم وأنّه من رذائل الأخلاق وأنّه يستلزم زيادة الشرور وإثارة الطياع التي يراد تسكينها وكفّها. انتهى.

أقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أتى في كلامه هذا بحكفين: الأول أن لا يهيج قومه نساء أهل البغي ابتداء، والثانى أن يكفوا عنهن إذا شتمنهم لمكان كلمة إن الوصلية في قوله: وإن شتمن أعراضكم وسببن امراءكم واسلوب الكلام يدل على أن قوله فانهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول دليل للنهي أعنى أنه متعلق بقوله ولا تهيجوا و ما أتى به الشارح المذكور فائما هو بيان لسبب شتمهن وسبّهن وفحوى الكلام يأتي عن ذلك.

قوله عليه السّلام: «ان كنّا لنؤمر بالكف عنهن و انهن لمشرفات» وفي نسخة الطبرى: ولقد كنّا و إنّا لنؤمر بالكف عنهن - إلخ يعني أنا كنّا في عصر

رسول الله صلى الله عليه وآله مأمورين بالكف عنهم وحال انهم كن مشرفات فالكاف عنهم وعدم التعرض بهن وحال انهم مسلمات على ظاهر الأمر أولى.

فانظر أن الشارع كيف أدب الرجال في رعاية حقوق النساء وعدم التعرض بهن ولو كن مشرفات ولعمري ما فرط الشريعة المحمدية بيان حق اجتماعي أو نوعي غاية الأمر أن الناس لتوغلهم في الشهوات النفسانية ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حتى عموا وصموا وأعرضوا عن الصراط السوي واتبعوا الشيطان المردى المغوى واقتروا آثار الذين سلكوا طريقة عميا وتعودوا قبول كل ما سمعوا من أفواه أشباء الرجال وعيبي الدنيا من غير بصيرة وفكرة ودليل ونعم ما قاله الشيخ الرئيس ابن سينا: من تعود أن يصدق من غير دليل فقد انسلاخ عن الفطرة الإنسانية.

وقد رأينا في عصرنا طائفة من منتحلي الإسلام، المتعصبين غاية التعصب، الجاهلين عن أحكام الشريعة الإسلامية حقيقة قد تعرضا للنساء الكاشفات الرءوس والوجوه و كانوا يحثون الأسيد عليهم و يتربونهم في الشوارع والأماكن عراة حتى بلغ عملهم المنكر العلماء ومنعوه عنده.

و هؤلاء الجهال ما تفقهوا في الدين لكي يعلموا أن الشريعة الإسلامية لم يجوز التعرض على أعراض الناس وإن كن مشرفات بل حرم عليهم أن يقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتلك الروية النكراء والطوية العوراء منها.

لست أقول إن فعلهن هذا صواب وسيرتهن السيئة المشوهة القبيحة حسنة بل أقول إن المنكر لا يدفع بالمنكر والإسلام في كل موضوع منطق صواب وحجّة بيضاء ولا حاجة في دفع الفواحش وقمع المنكرات إلى فعل عار عن حلية العقل، بعيد عن الحق، يستبشره العقل السليم ويشمئز منه الطّباع.

قوله عليه السلام: «وإن كان الرجل - إلخ» وفي نسخة الطبرى: «وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد بعد الأمر بالكاف عنهم عقبه بقوله هذا تأكيدا للأمر وتشديدا للكاف، وتنبيها لهم على أن هذا العمل يورث أثرين

قيبيحين: أحد همما فى حياة مرتکبه حيث يعير و يلام به، والآخر بعد حياته حيث يعير عقبه به فمن عرف قدره وأحبّ نفسه وأهله وعقبه لا يعمل ما يوجب شينه ولوه وتعيير عقبه من بعده وبالجملة جعل حال الرجل الآذى كان يضرب المرأة في الجاهلية بالحجر والعصا يورث له وعقبه تعيير الناس و ملامتهم عبرة لهم فنفرهم عن ذلك العمل أشدّ تغير.

على انه عليه السّلام بتهم بهذا الكلام ضمنا على أنّ المرأة إذا ارتكب في الجاهلية هذا العمل يؤل أمره إلى كذا واجتنابكم عنه وأنتم المسلمين كان أولى، يعني أنّ شناعة هذا الأمر بيّنة غاية الوضوح حتى أنّ الناس في الجاهلية كانوا يلومون فاعله فكيف أنتم لا تكفون عن أذاهنّ وقد رزقتم الانتحال إلى الشريعة السلمية المحمدية.

ثم انّ في حقوق المرأة في الإسلام وظائفها الاجتماعية والانفرادية وسائل آدابها التي بينها الشارع تعالى مبحثا ناتى به إن شاء الله تعالى في شرح وصيته عليه السلام الآتية لابنه المجتبى عند قوله: إياك و مشاورة النساء فإن رأيهم إلى أفن - الخ.

### الترجمة

یکی از وصیت‌های علیّ امیر المؤمنین علیه السّلام است که بسپاه خود در سرزمین صفین پیش از برخوردن به لشکر دشمن (معاویه و پیروانش) و در گرفتن جنگ بیان فرمود:

با ایشان کارزار نکنید تا آنان آغاز بجنگ کنند زیرا بحمد الله شما بر حقّید و حجّت با شما است، و واگذاشتن شما ایشان را تا آغاز جنگ از آنها بشود حتّی دیگر مر شما را بر ایشان خواهد بود، و چون بخواست خدا بر آنان پیروز شدید و شکستشان دادید آنکه را پشت کرده و رو بفرار گذاشته مکشید، و آنکه را از در اضطرار بکشف عورت خود پناهندۀ شد (یا بر آنکه بعد از شکست دست یافته اید - یا آن کسی که معلوم نیست که دوست است یا دشمن - یا بر آنکه جراحت

دیده وزخمی شده) مکشید و زخم مرسانید، وزخم خورده ای که در میان کشتگان می بینید بر کشتن او مستتابید و او را نکشید، وزنان را اگر چه عرض شما و بزرگان و پارسایان شما را دشنام دهند و یاوه گویند بر مینگیزانید و اذیت و آزارشان نکنید و بدشناشان اعتناء نکنید چه نیرو و جان و خردشان ضعیفیست، همانا که ما در زمان پیمبر از پیمبر امر داشتیم که از آنها با این که مشرک بودند خودداری کنیم و دست بداریم (اکنون که بظاهر مسلمانند) و اگر در زمان جاهلیت مردی زنی را بسنگ و چوبدستی می زد وی را سرزنش می کردند و پس از مرگش فرزندانش را نکوهش می کردند، (زمان جاهلیت که چنین بود پس مسلمان باید حتما از این کار ناروا دست بردارد).

### وَ كَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ مُحَارِبًا

#### اشارة

هذا هو المختار الخامس عشر من باب المختار من كتبه عليه السلام اللهم إليك أفضت القلوب، ومددت الأعنق، وشخصت الأ بصار و تقللت الأقدام، وأنضيت الأبدان. اللهم قد صرّح مكتون (مكتوم - معا) الشنان، وجاشت مراجل الأضغان. اللهم إنا نشكوا إليك غيبة نبينا، وكثرة عدواننا، وتشتّت أهواننا. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين.

نقله بصور اخرى ممن كانوا قبل الرضي.

رواه نصر بن مزاحم المنقري في صفين بإسناده عن عمرو بن شمر، عن جابر ابن نمير الأنباري (ص 256 من الطبع الناصري) وفي نقله زيادة لم يأت بها الرضي في النهج وقد نقلنا نسخة نصر كاملة في شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 326 ج 15) فلا حاجة إلى نقلها ثانية.

ورواه الشيخ الأجل المفید عن الواقدی فی الجمل (ص 165 من طبع النجف) وقد نقلنا نسخته فی شرح المختار الثانی من باب المختار من کتبه و رسائله (ص 55 ج 17).

ورواه نصر بن مزاحم على وجوه اخرى تقرب مما سبق ذكره في كتاب صفين أيضاً بطرق عديدة (ص 118 و 119 من الطبع الناصري) وهي كمایلی:

نصر، قيس بن الربيع، عن عبد الواحد بن حسان العجلاني، عمن حدثه، عن علي عليه السلام أنه سمع يقول يوم صفين: اللهم إليك رفعت الأ بصار، وبسطت الأيدي، ودعت الألسن، وأضفت القلوب، وتحوكم إليك في الأعمال، فاحكم بيننا وبينهم بالحق و أنت خير الفاتحين، اللهم إننا نشكوك إليك غيبة نبيتنا، وقلة عدوانا وتشتت أهواننا، وشدة الزمان، وظهور الفتنة، أعننا عليهم بفتح تعجله، ونصر تعز به سلطان الحق و تظاهره.

نصر، عمرو بن شمر، عن عمران، عن سويد قال: كان علي عليه السلام إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دايه و قال: الحمد لله رب العالمين على نعمه علينا و فضله العظيم، سبحان الذي سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين و إنما إلى ربنا منقلبون. ثم يوجه دايه إلى القبلة ثم يرفع يديه إلى السماء ثم يقول: اللهم إليك نقلت الأقدام، وأضفت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأ بصار، نشكوك إليك غيبة نبيتنا، وكثرة عدوانا، وتشتت أهواننا، ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق، و أنت

خير الفاتحين، سيروا على بركة الله، ثم يورد والله من اتبعه حياض الموت.

نصر، عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: كان على إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول: الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنما إلى ربنا لمنقلبون، ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى الله ثم يقول: اللهم إلينك نقلت الأقدام، وأتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأ بصار، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنتم خير الفاتحين، سيروا على بركة الله، ثم يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر يا الله يا أحد يا صمد يا رب محمّد بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم كف عننا بأس الظالمين فكان هذا شعاره بصفتين رضي الله عنه.

أقول: ما نقلنا عن كتاب صفين لنصر منقول في البحار أيضا (ص 101 ج 21، وص 628 ج 8 من الطبع الكمبيوتر).

وقال السيد علي بن طاوس قدس سره في مهج الدعوات (ص 138 طبع ايران 1329هـ) نقل عن كتاب صفين لعبد العزيز الجلودي الأزدي البصري المتوفى سنة 332هـ: كان على عليه السلام إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب ولما قعد على دابته قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنما إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم عندنا، ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم اللهم إياك نعبد وإياك نستعين يا الله يا رحمن يا أحد يا صمد يا إله محمد إليك نقلت الأقدام وأفضت القلوب، وشخصت الأ بصار، ومددت الأعنق، وطلبت الحوائج، ورفعت الأيدي، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنتم خير الفاتحين، ثم قال:

لا إله إلا الله والله أكبر، ثلاثة.

«أفضت» بسكون الفاء من الإفظاء، أفضى فلان إلى فلان: وصل إليه، وحقيقة أنه صار في فضائه أى في ساحته، وفي القرآن الكريم: «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُهُ كُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» (النساء - 26). قال الشيخ الجليل أبو علیٰ في تفسير المجمع: الإفشاء إلى الشيء الوصول إليه بالملامسة وأصله من الفضاء وهو السعة.

وقال المرزوقي في شرح الحماسة 249 لعديل بن الفرج العجلاني:

فاوصيكم يا ابني نزار فتابعاً وصيّة مفضي النّصح والصدق والودّ

قوله: - مفضي النّصح - أى واصل نصحه إليكم، وصائر في فضاء وسعة ومعنى انكشافه وخلوصه، وفي القرآن: «وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُهُ كُمْ إِلَى بَعْضٍ».

أفضى إلى فلان سرّه، أو بسرّه: أعلمته به.

وقال في منتهی الأرب: الإفشاء راز را با کسى در میان آوردن.

وكلمة أفضت في نسخة خطية من النهج، وكذا في بعض روایات كتاب صفين لنصر مشكولة بفتح الفاء وهي وهم والصواب ما بيناه.  
«شخصت الأ بصار» أى ارتفعت أجنانها ناظرة إلى عفوک ورحمتك وفي روایة من كتاب نصر: اللہم إلیک رفت الأ بصار وفي روایة أخرى: ورفعت الأيدي وشخصت الأ بصار، كما تقدّمت، وقد مرّ البحث عن معنى الكلمة شخص في شرح المختار الثالث من باب الكتب والرسائل (ص 111 ج 17).

«ونقلت الأقدام» بالنون، وفي روایة من كتاب صفين (ص 256 من الطبع الناصري وقد ذكرناها في شرح المختار 236 من باب الخطب ص 326 ج 15) ثقلت بالثاء المثلثة ولكنها محرفة لأنها لا تناسب اسلوب العبارة في المقام على أنها لا تقيد معنى صحيحًا، إلا أن يتتكلف في تأويلها غاية التكليف.

«انضيت الأبدان» أى هزلت، ناقص واوى، قال عارق الطائني الحماسة (615):

من مبلغ عمرو بن هند رسالة إذا استحققتها العيس تنضي من بعد

أى إذا حملتها الابال العيس تهزل بعد المسافة.

وقال ابن الأثير في النهاية: في الحديث أن المؤمن لينضي أحدهم بغيره أى يهزله ويجعله نضوا، و النضوا الدابة التي أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها. ومنه حديث على عليه السلام كلمات لور كبتم فيهن المطى لأنضيتموهن، و حديث ابن عبد العزيز انضيتم الظهر أى هزلتموه.

«قد صرّح مكنون الشنان» قوله عليه السلام: اللهم قد صرّح - إلى قوله:

مراجل الأضغان، ليس بذكر في النسخ الأربع التي رواها نصر في صفين، وكذا في النسخة التي رواها المفید في الجمل عن الواقدي.

ثم إن الكلمة صرّح في بعض النسخ مشكولة بضم الصاد وكسر الراء المشددة وفي بعضها بفتح الصاد وضم الراء المخففة، وفي نسخة مخطوطة عندنا قوبلت بنسخة الرضي بفتح الصاد وفتح الراء المشددة وهذا هو الحق، يقال: صرّح الحق عن محضه أى كشف عن خالصه، مثل في ظهور الأمر غب استداره، وفي صحاح الجوهرى: وفي المثل صرّح الحق عن محضه أى انكشف.

وفي أساس البلاغة للزمخشري: صرّحت الخمرة: ذهب عنها الزبد و صرّح النهار ذهب سحابه وأضاءت شمسه، قال الطرمّاح في صفة ذئب.

إذا امتلّ يudo قلت ظلّ طخاء ذرى الريح في أعقاب يوم مصرّح

وفي الحماسة: قال شهيل بن شيبان الزمانى (الحماسة 2):

فلما صرّح الشر فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدوان دّاهم كما دانوا

وقال المرزوقي في الشرح: يقال: صرّح الشيء إذا كشف عنه وأظهره، و صرّح هو إذا انكشف، و مثله بين الشيء وبين هو أى تبيّن، وفي المثل «قد بين الصّبح لذى عينين» و فعل بمعنى تفعّل واسع، يقال وجّه بمعنى توجّه، وقدّم بمعنى تقدّم، و تبه بمعنى تنبه، و نكّب بمعنى تنكّب. انتهى

ما أوردنا من نقل كلامه.

و قرئ في النسخة الـ١٢ عورضت على نسخة الرضي مكتون و مكتوم معا، و معنى أحدهما قريب من الآخر أى المخفى و المستور و المغطى و نظائرها يقال: كـ الشيء من باب نصر إذا ستره في كـه و أخفاه و غطـاه، و اليكـنـ و قاء كلـ شـء و سـترـه، و كـتمـ الشـء من بـابـ نـصرـ أيضاً أـخفـاهـ و الشـنانـ: العـدواـةـ و البـغضـاءـ.

«جاشت مراجل الأضغان» جاشت أي غلت، والمراجل القدور جمع المرجل بمعنى القدر اسم آلة على وزن مفعول، والأضغان: الأحقاد جمع الضغن.

قال ابن الأثير في النهاية: يقال: فتح الحكم بين الخصميين إذا فصل بينهما، و الفاتح الحكم. وفي تفسيري المجمع وغرائب القرآن أنّ ابن عباس قال: ما كنت أدرى ما الفتح حتّى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيدي و بينها كلام فقالت: انطلق افاتحك القاضي أي حاكمك الله.

وفي المفردات للراغب: فتح القضية فتاحا فصل الأمر فيها وأزال الاغلاق عنها قال تعالى: «رَبَّنَا أُفْتَحْ بَيْنَنَا» - إلخ و منه الفتّاح العليم، قال الشاعر: وإنّي من فتحتكم غنيٌّ. وقيل: الفتاحة بالضمّ و الفتح. انتهى.

وقد قال عليه السلام في الخطبة التي خطب بها الناس وروها الكليني في الكافي (ص 11 ج 14 من الواقى): اللهم فاحكم بيننا بالحق وانت خير الحكمين.

وكذا في خبر دعائيم الإسلام الاتي ذكره.

الاعراب

«إليك» ظرف لغوي متعلق بكل واحد من الأفعال الخمسة قدم توسّطها للظرف وجاز أن يكون لقوله أفضت مفعول محنوف والتقدير اللهم إلیک أفضت القلوب سرّها أو بسرّها، كما علم في بيان اللغة.

«مكون» أو «مكتوم» مرفوع فاعل لقوله صرّح وقد دريت في بيان اللّغة

أن فعل بمعنى تفعّل واسع في لغة العرب، و «مراجل» فاعل لقوله جاشت.

«غيبة» منصوبة على المفعولية لقوله نشكو. وكل واحد من كثرة وتشتّت منصوب معطوف عليها.

## المعنى

قد تظافرت روایات في أنهم عليهم اللام كثيراً ما كانوا يدعون بأدعية إذا لقوا العدو محارباً، وكذا عند إرادة القتال كانوا يدعون بأدعية، كما كانوا يوصون عساكرهم بكلمات من تقوى الله، وإماتة الباطل، وإحياء معالم الدين والوفاء بالأمان، ودعوة الأعداء إلى الدين قبل الشروع بالقتال، وعدم الابتداء بالقتال وتعاهد الصلاة والحفظ عليها، والخلوص في الجهاد، وعدم التعرض للنساء، وحفظ أعراض الناس، وتعليم آداب الجهاد والترغيب فيه وغيرها مما لا بد للمجاهد في سبيل الله من مراعاتها والمحافظة عليها.

قال ابن قتيبة الدينوري في كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص 123 ج 1 طبع مصر): حدثني محمد بن عبيد قال: حدثنا معاوية عن أبي إسحاق، عن أبي ر جاء قال: كان النبي صلّى الله عليه وآله يقول إذا اشتدت حلة البلاء وكانت الضيق: «تضيقى تفرجي» ثم يرفع يديه فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم كف عنّا بأس الذين كفروا إنك أشدّ بأسا وأشدّ تكيلاً فما يخصن يديه المباركتين حتى ينزل الله النصر.

قال: و حدثني محمد بن عبيد، عن معاوية، عن أبي إسحاق، عن موسى بن عقبة، عن سالم أبي نصر مولى عمرو بن عبيد الله و كان كاتباً له قال: كتب عبد الله بن أبي حين خرج إلى الحرورية أن النبي صلّى الله عليه وآله في بعض أيامه التي لقى فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال: لا تتمنوا لقاء العدو و اسألوا الله العافية فإذا لقيتموه فاثبتوه و اصبروا و اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيف ثم قال: اللهم منزل الكتاب و مجرى السحاب و هازم الأحزاب اهزمهم و انصرنا عليهم.

قال: و قال أبو النصر: و بلغنا أَنَّه دعا فِي مُثْل ذَلِك فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنَا وَرَبُّهُمْ وَهُمْ عَبْدُكَ وَنَحْنُ عَبْدُكَ وَنَوَاصِيْنَا وَنَوَاصِيْهِمْ بِيْدِكَ فَاهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ.

وقال ابن هشام في السيرة: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وَالله لِمَا اشرف على خير قال لأصحابه: قفو ثمّ قال: اللَّهُمَّ رب السموات وَما أظللن - إلى آخر ما نقلنا عنه في شرح المختار الثاني من باب كتبه عليه السلام (ص 50 ج 17) قال ابن هشام:

وكان صلّى الله عليه وَالله يقولها لـكـل قرية دخلها.

وقال المسعودي في مروج الذهب (ص 8 ج 2 طبع مصر) إنّ علياً عليه السلام لما خرج مع عسكره من مدينة الرسول إلى البصرة فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية صلّى أربع ركعات وعفر خديه على التربة وقد خالط ذلك دموعه ثمّ رفع يديه يدعو: اللَّهُمَّ رب السموات وَما أظللت إلى آخر ما نقلنا عنه في (ص 50 ج 17) أيضاً، وقد بيّنا هناك أنّ كلامه هذا ليس بمذكور في النهج بما ذكرناه هناك فراجع.

وفي الباب التاسع عشر من كتاب الجهاد من الجامع الكافى للكليني قدس سرّه عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن ابن القدّاح، عن أبي الميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات: اللَّهُمَّ إنك أعلمت سبيلاً من سبيلك جعلت فيه رضاك، ونابت إليه أولياءك، وجعلته أشرف سبيلك عندك ثواباً، وأكرمها لديك ماباً، وأحبّها إليك مسلكاً، ثمّ اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأَنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حّقاً؛ فأجعلنى ممّن اشتري فيه منك نفسه ثمّ وفي لك بيعه الّذى بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدلًا تبديلًا بل استيğاباً لمحبتك وتقرّباً به إلىك فأجعله خاتمة عملي وصيّر فيه فناء عمري وارزقني فيه لك به مشهداً توجب لى به منك الرضا، وتحطّ به عنّي الخطايا، وتجعلنى في الأحياء المرزوقين بأيدي العدالة والعصابة تحت لواء الحقّ ورایة

الهـى ماضـا عـلـى نصـرـتـهـم قـدـما غـير مـوـلـ دـبـرا، وـ لـا مـحـدـث شـكـا، اللـهـمـ وـأـعـوذـ بـكـ عـنـ ذـلـكـ مـنـ الـجـبـنـ عـنـ مـوـارـدـ الـأـهـوالـ، وـ مـنـ الـضـعـفـ عـنـ مـسـاـوـرـةـ الـأـبـطـالـ، وـ مـنـ الذـنـبـ الـمـحـبـطـ لـلـأـعـمـالـ فـأـحـجـمـ مـنـ شـكـ أـوـ أـمـضـىـ بـغـيـرـ يـقـيـنـ فـيـكـوـنـ سـعـيـيـ فـيـ تـبـابـ وـعـمـلـيـ غـيرـ مـقـبـولـ.

أقول: وـ كـلـامـهـ هـذـاـ أـيـضـاـ لـيـسـ بـمـذـكـورـ فـيـ النـهـجـ.

وـ فـيـ الـبـابـ السـادـسـ وـ الـأـرـبـعـينـ مـنـ كـتـابـ الـجـهـادـ مـنـ مـسـتـدـرـكـ الـوـسـائـلـ: صـاحـبـ الدـعـائـمـ فـيـ شـرـحـ الـأـخـبـارـ عـنـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ عـلـيـهـمـاـ السـلـامـ أـنـهـ قـالـ: لـمـاـ تـوـافـقـ النـاسـ يـوـمـ الـجـمـلـ خـرـجـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ حـتـىـ وـقـفـ بـيـنـ الصـفـيـنـ ثـمـ رـفـعـ يـدـهـ نـحـوـ السـمـاءـ ثـمـ قـالـ:

يـاـ خـيـرـ مـنـ أـفـضـتـ إـلـيـهـ الـقـلـوبـ، وـ دـعـىـ بـالـأـلـسـنـ، يـاـ حـسـنـ الـبـلـاءـ، يـاـ جـزـيلـ الـعـطـاءـ اـحـكـمـ بـيـنـاـ وـبـيـنـ قـوـمـنـاـ بـالـحـقـ وـأـنـتـ خـيـرـ الـحـاـكـمـيـنـ.

وـ فـيـ كـتـابـ صـفـيـنـ لـنـصـرـ (صـ 118ـ مـنـ الطـبـعـ النـاصـرـىـ): الـأـيـضـ بـنـ الـأـغـرـ عـنـ سـعـدـ بـنـ طـرـيفـ، عـنـ الـأـصـبـعـ قـالـ: مـاـ كـانـ عـلـىـ فـيـ قـتـالـ قـطـ إـلـاـ نـادـىـ يـاـ كـهـيـعـصـ.

ثـمـ قـالـ نـصـرـ: فـحـدـثـنـىـ مـالـكـ بـنـ أـعـيـنـ، عـنـ زـيـدـ بـنـ وـهـبـ أـنـ عـلـيـاـ خـرـجـ إـلـيـهـمـ فـاـسـتـقـبـلـوـهـ قـفـالـ: اللـهـمـ رـبـ السـقـفـ المـحـفـوظـ المـكـفـوفـ - إـلـىـ آخرـ مـاـ نـقـلـنـاهـ عـنـ أـبـيـ جـعـفـرـ الـطـبـرـىـ فـيـ شـرـحـ الـمـخـتـارـ 236ـ مـنـ بـابـ الـخـطـبـ (صـ 255ـ جـ 15ـ) وـأـتـىـ بـهـ الرـضـىـ فـيـ النـهـجـ وـهـوـ الـمـخـتـارـ 169ـ مـنـ بـابـ الـخـطـبـ وـبـيـنـ النـسـخـ الـثـلـاثـ اـخـتـلـافـ فـيـ الـجـمـلـةـ.

وـ فـيـ مـهـجـ الـدـعـوـاتـ لـسـيـدـ بـنـ طـاوـسـ (صـ 136ـ طـبـعـ اـيـرـانـ 1329ـ هـ) أـنـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ دـعـاـ فـيـ يـوـمـ الـجـمـلـ - وـيـروـىـ أـنـهـ دـعـاـ بـهـذـاـ الدـعـاءـ يـوـمـ الـجـمـلـ قـبـلـ الـوـاقـعـةـ: اللـهـمـ إـلـىـ أـحـمـدـكـ وـأـنـتـ لـلـحـمـدـ أـهـلـ عـلـىـ حـسـنـ صـنـعـكـ إـلـىـ وـتـعـظـفـكـ عـلـىـ وـعـلـىـ مـاـ وـصـلـتـيـ بـهـ مـنـ نـورـكـ وـتـدارـكـتـيـ بـهـ مـنـ رـحـمـتـكـ وـأـسـبـغـتـ عـلـىـ مـنـ نـعـمـتـكـ فـقـدـ اـصـطـنـعـتـ عـنـدـيـ يـاـ مـوـلـايـ ماـ يـحـقـ لـكـ بـهـ جـهـدـيـ وـشـكـرـيـ لـحـسـنـ عـفـوكـ وـبـلـائـكـ الـقـدـيمـ عـنـدـيـ، وـتـظـاهـرـ نـعـمـائـكـ عـلـىـ، وـتـتـابـعـ أـيـادـيـكـ لـدـيـ، لـمـ أـلـبـغـ إـحـرـازـ حـظـىـ

ولا صلاح (صلاح - خ ل) نفسى؛ ولكنك يا مولاي بدأتنى أولاً بمحاسنك فهدىتنى لدينك، وعَرَفْتُنى نفسك، شَبَّتْنى فى امورى كلها بالكافية، والصَّـةـ نـى لـىـ، فـصـرـفـتـ عـنـىـ جـهـدـ الـبـلـاءـ، وـمـنـعـتـ مـنـىـ مـحـذـورـ الأـشـيـاءـ (القضاء - خ ل) فـلـسـتـ أـذـكـرـ منـكـ إـلـاـ جـمـيـلاـ، وـلـمـ أـرـمـنـكـ إـلـاـ تـضـيـلاـ.

يا إلهى كم من بلاء و جهد صرفته عنّي وأريتنيه في غيري، فكم (وكم - خ ل) من نعمة أقررت بها عيني، وكم من صناعة شريفة لك عندى.

إلهى أنت الذى تجيب عند (في - خ ل) الاضطرار دعوتي، وأنت الذى تنفس عند الغموم كربتى، وأنت الذى تأخذلى من الأعداء بظلامتى، فما وجدتك ولا أجدك بعيداً مني حين اريدك، ولا منقبضاً عنّي حين أسألك، ولا معروضاً عنّي حين أدعوك.

فأنت إلهى أجد صنيعك عندى محموداً، وحسن بلاشك عندى موجوداً، وجميع أفعالك عندى جميلاً، يحمدك لسانى وعقلى وجوارحى وجميع ما أقلت الأرض مني.

يا مولاي أسألك بنورك الذى اشتقتها من عظمتك، وعظمتك التى اشتقتها من مشيتك، وأسألك باسمك الذى علا أن تمّن على بواجب شكرى نعمتك.

رب ما أحضرنى على ما زهدتني فيه و حشمتني عليه إن لم تعنى على دنیاى بزهد وعلى آخرتى بتقوای هلكت.

رب دعنتى دواعى الدّنيا من حرث النساء والبنين فأجبتها سريعاً، وركنت إليها طائعاً، ودعنتى دواعى الآخرة من الزهد والاجتهد فكبوت لها، ولم اسارع إليها مسارعتى إلى الحطام الهامد، والهشيم البائد، والسراب الذاهب عن قليل.

رب خوفتى وشوقتى واحتتجبت علىّ بما خفتك حقّ خوفك وأخاف أن أكون قد تبّطت عن السعى لك، وتهانوت بشيء من احتجابك (احتجاجك - خ ل).

اللهم فاجعل في هذه الدّنيا سعيي لك وفي طاعتك، وأملأ قلبي خوفك، وحول تسيطي وتهانوى وتغريطي، وكلّما أخافه من نفسى فرقاً منك، وصبراً على طاعتك، وعملاً به يا ذا الجلال والإكرام، واجعل جتنى من الخطايا حصينة،

وحسناً مضايقه فانك تضاعف لمن تشاء.

اللّهُمَّ اجعل درجاتي في الجنان رفيعة، وأعوذ بك ربّي من رفع المطعم والمشرب، وأعوذ بك من شرّ ما أعلم و من شرّ ما لا أعلم، وأعوذ بك من الفواحش كلّها ما ظهر منها و ما بطن، وأعوذ بك ربّي أن أشتري الجهل بالعلم كما اشتري غيري أو السفة بالحلم، أو الجزع بالصبر، أو الصلاة بالهدى، أو الكفر بالإيمان، يا ربّ من علّى بذلك فإنك تتولى (تولى - خ ل) الصالحين ولا تضيع أجر المحسنين والحمد لله رب العالمين.

أقول: وإنما نقلنا الدعاء بطوله لأنّه من الأدعية العالية المضمّن كلاما لا يخفى على المتأمّل ولم يأت به الرضى في النهج، وكم من أدعية له عليه السلام وقد بلغت في الفصاحة والبلاغة درجة رفيعة ومرتبة منيعة غير مذكورة في النهج.

وفى الباب 46 من كتاب الجهاد من مستدرك الوسائل نقلًا عن الجعفريات:

أخبرنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا محمد بن محمد قال: حدثني موسى بن إسماعيل قال:

حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لقي العدو عبي الرجال وعي الخيل، وعي الإبل ثم يقول: اللهم أنت عصمتى وناصرى ومانعى اللهم بك أصول وبك اقاتل.

قال: وبهذا الإسناد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما كان يوم خيبر بارزت مرجا، فقللت ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني أن أقوله: اللهم انصرني ولا تنصر علي، اللهم اغلب لى ولا تغلب علي، اللهم تولى ولا تول علي، اللهم اجعلنى لك ذاكرا لك شاكرا لك راهبا لك منيا مطينا أقتل أعداءك فقتلت مرجا يومئذ وتركت سليه وكانت أقتل ولا آخذ السلب.

قال: وبهذا الإسناد عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا يوم الأحزاب: اللهم منزل الكتاب منشر السحاب واضع الميزان أهزم الأحزاب عنا وذللهم، وفي نسخة: وزلزلهم.

وقال المفید رحمة الله فى الإرشاد: (ص 217 طبع طهران 1377هـ) روى عن علي بن الحسين زین العابدین عليهما السلام أنه قال: لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: اللهم أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائى في كل شدة وأنت لى في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه المؤاد و تقل في الحيلة و يخذل فيه الصديق و يشمت فيه العدو أنزلته بك و شكوتهم إليك رغبة مني إليك عمّن سواك ففرجته عنى و كشفته فأنت ولی كل نعمة و صاحب كل حسنة و منتهى كل رغبة.

وقد قال الشيخ قدس سره إن أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال:

حدثني الحسين بن محمد بن عامر، عن ابن أبي عمير، عن حفص البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب: اللهم أنت ثقتي في كل كرب وأنت رجائى في كل شدة وأنت لى في كل أمر نزل بي ثقة وعدة كم من كرب يضعف عنه المؤاد و تقل في الحيلة و يخذل عنه القريب و يشمت به العدو و تعيني فيه الأمور أنزلته بك و شكوتهم إليك راغبا إليك فيه عمّن سواك ففرجته شكوتهم فكفيتنيه فأنت ولی كل نعمة و صاحب كل حاجة و منتهى كل رغبة لك الحمد كثيرا و لك المن فاضلا، انتهى. فكلام سيد الشهداء في كربلاء مقتبس من رسول الله صلى الله عليه وآله و هو عليه السلام تأسى به صلى الله عليه وآله.

كما أن أبو عبد الله الصادق عليه السلام كان يدعو بهذا الدعاء متأنسيا بجده رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رواه السيد ابن طاوس رحمة الله في باب أدعية الصادق عليه السلام من مهج الدعوات (ص 269) ونظائر هذه الأدعية والأوراد والأذكار عن أمتنا الطاهرين عليهم السلام إذا لقوا العدو كثيرة وما أتينا بها ه هنا شرذمة وأنموذجة عن ما رويت عنهم عليهم السلام ونقل طائفتها منها السيد ابن طاوس في مهج الدعوات وفي الجواجم الروائية كالبحار وغيرها مذكورة بإسنادها وسلسلة رواتها صفحنا عن نقلها بأسرها لثلا يفضى إلى الإسهاب.

ومن كان طالب الأمر السديد وسالك النهج الرشيد يجب له أن يدين الله بما أوضحه حماة الدين ويعبده على سيرة حججه الهادين المهدىين الذين لا يرى في فعلهم غرّ ولا في منطقهم خطاء فائهم الحكماء المؤيّدون من عند الله والمؤذبون بتأدبيه تعالى لا يرون في جميع أحوالهم سواء في النساء والضراء والشدّة والرّخاء والعافية والباء إلا الله تعالى، ولا يرى منهم عمل إلا له تعالى فطوبى لمن اقتفى أثراهم واقتدى بهديهم.

قوله عليه السلام: «إليك أفضلت القلوب - إلخ» قد ذكرنا في أبحاثنا السالفة أنّ الجهاد عبادة وأنّه من أعظم العبادات بل أنه أشرف الأعمال بعد الإسلام كما هو نصّ ما قاله الأمير عليه السلام (باب 15 من كتاب الجهاد من الكافي ص 337 منطبع على الحجر). فلو كانت مشوبة بالرياء لم يتقبل الله وقال عزّ من قائل: «فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً».

ثمّ عند إقبال الجهاد يمتحن الرجال ويميز الخبيث من الطيب فمن استعدّ له فقد انقاد المولى وذلّ له.

ولهـ ما كان بين النفس والبدن ارتباطٌ تامٌ، واتصالٌ كاملٌ بحيث يتاثر كلّ واحدٍ منهما عن الآخر كما قدّمنا البحث عنه في شرح المختار 232 من باب الخطب (ص 53 ج 15) وأنّ قوى البدن كلّها جنود للنفس فلا جرم ينقاد البدن للنفس ويحكى أحوالها الطارئة لها وإن كان سرّ الحكاية مستوراً عنـا فإذاً نعلم علماً يقيناً أنّ الإنسان إذا تحير في أمر أو خجل يطرق رأسه، وإذا أدرك حقيقة واطلع على مبهم معضل يحرّكه علواً وسفلاً، وإذا أدركه كمه يحرّكه يميناً وشمالاً، وإذا صدّق أمراً يؤميه إلى قدّامه وإذا انكره يؤميه إلى خلفه، وإذا خاف من شيء ينقض البدن وتقف القوى عن أعمالها إن كان خوفاً شديداً، أو يدبّر ويفرّ إن كان خيفاً، وإذا غضب على غيره يتسلّل حاجبه وتنقبض ناصيته وتنبسط القوى وتبطش وتقوى على حدّ تخرج الحدقتان محمّرتين ويحمرّ البدن من جهة خروج الدّم إلى ظاهر البدن وقتئذ وإذا تعجب من أمر يخرج شفته السفلّي ويرفع حاجبيه ويخرج حدقتيه، وإذا تعشق أمراً عرضت له حالة أخرى وقد يستفاد من حركات

اليدين وال حاجبين وال عينين وال شفتين رموز و امور لا تحصى و حالات البدن الحاكية أحوال طاربة للروح لا تكاد تمكّن أن تحرر وإذا تأملت في الأحوال المختلفة العارضة للمصلى في صلاته تكشف لك أسرار أخرى فانه في تكبيرة الإحرام يرفع يديه إلى حذاء شحمني اذنه ويستقبل القبلة ببطون يديه وفي قنوه يرفع يديه على وجه آخر مع ذكر خاصٌ وفي رکوعه يمدّ عنقه مع ذكر خاصٌ ويفرج بين أصابعه ويملا بها ركبتيه، وفي سجوده يضمّها و يجعل رأسه بين كفيه وهكذا حالاته الأخرى في الصلاة لسنا الان في مقام بيانها ونكتفى بذلك عدّة روایات رواها ثقة الإسلام الكليني رحمة الله في الكافي و نقلها الفيض رحمة الله في باب الإشارات في الدّعاء من الواقى (ص 222 ج 5).

روى الكليني قدس سره بسانده عن أبي إسحاق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

الرغبة أن تستقبل ببطن كفيك إلى السماء، والرعب أن تجعل ظهر كفيك إلى السماء قوله: وتبتل إليه تبتيلًا قال: الدّعاء باصبع واحدة تشير بها والتضرع تشير باصبعيك وتحركهما، والابتهاج رفع اليدين وتمددّهما وذلك عند الدّمعة ثم ادع.

وروى عن مروك بياع اللؤلؤ عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر الرغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء و هكذا الرعب و جعل ظهر كفيه إلى السماء و هكذا التضرع و حرّك أصابعه يميناً و شمالاً و هكذا التبتيل و يرفع أصابعه مرة و يضعها مرة و هكذا الابتهاج و مدّ يديه (يده - خ ل) تلقاء وجهه إلى القبلة ولا يتنهل حتى تجري الدّمعة.

وروى بإسناده عن العلاء، عن محمد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مرتئي رجل وأنا أدعو في صلاتي بيساري فقال: يا أبا عبد الله بيمينك قلت: يا عبد الله إن الله تعالى حقاً على هذه كحّه على هذه و قال: الرغبة تبسط يديك و تظهر باطنهمما، والرعب تبسط يديك تظهر ظهرهما، والتضرع تحرّك السبابية اليمنى يميناً و شمالاً، والتبتيل تحرّك السبابية اليسرى ترفعها إلى السماء رسلاً و تضعها، والابتهاج تبسط يدك و ذراعك إلى السماء، والابتهاج حين ترى أسباب البكاء.

وروى عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله عن الدعاء ورفع اليدين فقال: على أربعة أوجه، أمّا التَّعوَذ فتستقبل القبلة بباطن كَفِيْكَ، وأمّا الدُّعاء فتبسط كَفِيْكَ وتقضى بباطنها إلى السماء، وأمّا التَّبَّل فإيماؤك باصبعك السبابية، وأمّا الابتهاج فرفع يديك تجاوز بهما رأسك، ودعاء التَّضْرِع أن تحرّك إصبعك السبابية مما يلقي وجهك وهو دعاء الخيفة.

وروى عن الخزاز، عن محمد قال: سألت أبي جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى «فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ» قال: الاستكانة هي الخضوع والتَّضْرِع رفع اليدين والتَّضْرِع بهما.

وروى عن محمد وزرارة قالا: قلنا لأبي عبد الله عليه السلام: كيف المسألة إلى الله تعالى؟ قال: تبسط كَفِيْكَ، قلنا: كيف الاستعاذه؟ قال: تقضى بكَفِيْكَ، والتبَّل بالإيماء بالإصبع، والتَّضْرِع تحريك الإصبع، والابتهاج أن تمدّ يديك جميما.

أقول: لمّا انجرّ كلامنا إلى هنا أقبلنا شهر رجب المرجّب من سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة على هاجرها ألف تحية وصلوة وسلام، وقد خلت من الشّهر تسعة ليالٍ وهذه ليلة الثلاثاء العاشرة منه، وتذكّرت دعاء كلّ يوم من رجب المرجّب المأثور عن الصادق عليه السلام رواه المجلسي رحمة الله في المجلد العشرين من البحار (ص 342 من الطبع الكمباني) قال:

ومن الدّعوات كلّ يوم من رجب ما ذكره الطّرازي أيضاً فقال: دعاء علمه أبو عبد الله عليه السلام محمد السجّاد وهو محمد بن ذكوان يعرف بالسّجّاد قالوا: سجد وبكى في سجوده حتّى عمى. روى أبو الحسن عليّ بن محمد البرسيّ رضي الله عنه قال:

أخبرنا الحسين بن أحمد بن شيبان قال: حدّثنا حمزة بن القاسم العلوى العباسى قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن عمران البرقى، عن محمد بن عليّ الهمدانى قال:

أخبرني محمد بن سنان، عن محمد السجّاد في حديث طويل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك هذا رجب علّمني فيه دعاء ينفعنى الله به، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام:

اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم وقل في كل يوم من رجب صباحاً ومساءً وفي أعقاب صلواتك في يومك وليلتك: «يا من أرجوه لك كل خير، وأمن سخطه عند كل شر، يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عنّي بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة فإنه غير منقوص ما أعطيت وزدني من فضلك يا كريم» قال: ثم مد أبو عبد الله عليه السلام يده اليسرى فقبض على لحيته ودعا بهذا الدعاء وهو يلوذ بسبابته اليمنى ثم قال بعد ذلك: «يا ذا الجلال والاكرام يا ذا المن والطول حرم شيبتي على النار» وفي حديث آخر ثم وضع يده على لحيته ولم يرفعها إلا وقد امتلى ظهر كفه دموعاً. انتهى.

فإن في قوله: وهو يلوذ بسبابته اليمنى إشارة إلى التبليل والتصرّع والالتجاء بتحريكها ففي النهاية الأثيرية يقال: لاذ به يلوذ إذا التجأ إليه وانضمّ واستغاث. وقال الطريحي في المجمع: قوله: وتلوذ بسبابتك أى تتصرّع بسبابتك بتحريكها.

ثم إنّ الجهاد يستلزم المتابع من نصب السفر، وحمل الأثقال وأوزار الحرب، وسهر الليلى لئلاً يأتي العدو من مكان مخافة أو أمن وغیرها مما يقبل للمجاهدين على أنحاء شتى.

وهو عليه السلام أشار إلى الأول بقوله: إليك أفضت القلوب أى إن هذه العبادة التي هي أشرف الأعمال خالصة لوجهك الكريم، أو أنها أفضت إليك بسرّها وإنما تشكو بثها وحزنها إليك ودخلت بفنائك وساحتك ولا تعبد غيرك ولا تعرف إلا إياك ولا تقرع إلا بابك وقدم الظرف للحصار.

وإلى الثاني بقوله: ومدت الأعنق وشخصت الأ بصار لما دريت من أن قوى البدن جنود للقلب وأن البدن يحكى الحالات الطارية عليه فإذا أخلصت القلوب وانقادت له وطارت ووصلت إليه تمد الأعناق تبعاً للقلوب اظهاراً للمزلة

والعبودية وترفع الأبصار إليها كذلك لا ترى غيرها ولا ترجو الرحمة والفيض إلا من عنده.

وإلى الثالث بقوله: ونُقلَتِ الأَقْدَامُ وانضَيَتِ الْأَبْدَانُ لِأَنَّ مَتَاعَ السَّفَرِ مُسْتَلِزٌ لِلْكَلَالِ وَالْهَزَالِ، وَلَا يَخْفَى لِطَائِفٍ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّمَاءُ لَامَ حِثَجٌ جَمْعُ بَنِ الْأَفْصَاءِ وَالْأَنْصَاءِ، وَكَذَا بَيْنَ عَدَّةِ جَوَاحِ الْبَدْنِ.

قوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحْ مَكْنُونُ الشَّتَانِ» بين عليه السلام في كلامه هذا أن مقاتليه كانوا يعانونه و يبغضونه إلا أنهم كانوا لا يظهرون العداوة والبغضاء لعدم استطاعتهم بالإظهار إما لوجود النبي صلى الله عليه وآله وإما لفقدانهم أعونا ولما ارتحل النبي صلى الله عليه و آله أو وجدوا أعونا أظهروه وما وسيأتي قوله عليه السلام في المختار السادس عشر في معانديه: فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرِئَ النَّسْمَةِ مَا أَسْلَمُوا وَلَكُنْ اسْتَسْلَمُوا وَأَسْرَرُوا الْكَفَرَ فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

وقد تظافرت الآثار على أن شبل أسد الله أبا عبد الله الحسين عليه السلام لما احتج في الطف على شذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب بما احتج إلى أن أنهى كلامه لهم بقوله: فَبِمَ تَسْتَحْلُونَ دَمِي؟ أَجَابُوهُ بِقَوْلِهِمْ: بِغَضَا لَأَيْكَ.

وإنما استكتنوا في صدورهم عداوة أمير المؤمنين عليه السلام لما رأوا منه في بدر واحد وغيرهما من المواطن وقد مضى في الكتاب العاشر قوله عليه السلام لمعاوية: فَأَنَا أَبُو حَسْنٍ قاتل جَدَّكَ وَخَالَكَ وَأَخِيكَ شَدَّخَا يَوْمَ بَدْرٍ - إِنَّمَا وَنَاهِيَكَ فِي ذَلِكَ عَمَلٌ يَزِيدُ بِرَأْسِ ابْنِ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِبْرَازًا لِلْعَدَاةِ الْمُسْتَجْنَةِ فِي صَدْرِهِ حَيْثُ دَعَا بِقَضَيْبِ خِيزْرَانَ فَجَعَلَ يَنْكِتُ بِهِ ثَنَيَا الْحَسَنِ وَجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِأَيَّاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبَرِيِّ وَأَضَافَ بَعْضَ أَشْعَارِهِ إِلَيْهَا فَقَالَ:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهَدُوا جَزْعَ الْخَرْجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ

لِأَهْلِهِ وَاسْتَهْلَكُوا فَرْحَاهُمْ قَالُوا يَا يَزِيدَ لَا تَشَلُّ

فَقَتَلُنَا الْضُّعْفُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلُنَا مِيلَ بَدْرٍ فَاعْتَدُلُ

لَعْبَتْ هَاشِمٌ بِالْمَلْكِ فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ

لست من خنده إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل

وقيل: إنه قالها بعد وقعة الحرة بدليل قوله: جزع الخزرج الأنصار كانوا في المدينة لأنّ الأنصار كانوا من قبيلة الأوس والخزرج وقد قتل الأنصار في وقعة الحرة، وأن الأبيات ليزيد نفسه قالها على وزن أبيات ابن الزبوري، ولكنّه وهم وقد قال المبرد في الكامل (ص 257 ج 2 طبع مصر):

قال ابن الزبوري في يوم أحد: ليت أشياخي - إلخ. وكذا قال ابن هشام في السيرة النبوية (ص 136 ج 2 طبع مصر 1375هـ) إنّ ابن الزبوري قال في يوم أحد:

ليت أشياخي - إلخ، وقد أتى بستة عشر بيتاً قالها ابن الزبوري في ذلك اليوم ثمّ بعده نقل خمسة عشر بيتاً قالها حسان بن ثابت الأنصاري رداً على ابن الزبوري وقد استشهد باحد من الانصار اثنا عشر رجلاً كما قال ابن هشام في السيرة (ص 122 ج 2) ولذا قال ابن الزبوري: جزع الخزرج.

بيان: قوله: وعدلنا ميل بدر فاعتدل، يعني أنّ أشياخهم الكافرين لماً قتلوا في بدر بأيدي المسلمين صار قتلهم سبباً لاعوجاج أمرهم و شأنهم وما زال كان معوجاً حتى أنّ من بقي منهم قتلوا جماعة من المسلمين في أحد فاستقام أمرهم أي اعتدل الميل والاعوجاج.

وقال أبو علي القالي في الأمالي (ص 142 ج 1 طبع مصر 1344هـ):

قال يعقوب بن السّكري: العرب تقول: لا قيم ميلك و جنك و دراك و صغاك و صدغك و فذلك و ضلعك كله بمعنى واحد، يقال: ضلع فلان مع فلان أي ميله، وقال غيره: فأما الضّلع فخلقة تكون في الإنسان، وقرأت على أبي بكر بن دريد لأبي كبير الهذلي:

نضع السيوف على طوائف منهم فتقيم منهم ميل ما لم يعدل

الطّوائف: النّواحي: الأيدي والأرجل والرّؤوس، قوله: ميل ما لم يعدل، قال: ميله فضله وزيادته، وإنّما يريد أنّ هؤلاء القوم كانوا أغزوهم فقتلواهم فكان ذلك القتل ميل على هؤلاء القوم، ثمّ إنّ هؤلاء القوم المقتولين

غزوهم بعد فقتلوهم فكأن قتلهم لهم قيام (إقامة - ظ) للميل، وهذا كقول ابن الزبوري:

وأقمنا ميل بدر فاعدل

يقولها في يوم أحد، يقول: اعدل ميل بدر إذ قتلنا مثلهم يوم أحد. انتهى.

أقول: ما أفاد القالى يرجع بالدقيق من النظر إلى المعنى الذى تبادر إليه ذهناً أولاً، ثم إنّ البيت قد نقل هكذا:

قد قتلنا القرم من ساداتهم وقتلناه بدر فاعدل

ولكن المصراع الثانى محرف، والصواب ما اخترناه وهو الذى أتى به ابن هشام فى السيرة النبوية و القالى فى الأمالى.

قوله عليه السلام: «و جاشت مراجل أضغانهم» شبه صدورهم بالقدور وبين أنها أكانن الأضغان أى إن مظروفها الأحقان الكامنة الواغرة فيها فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وقبل وجدان الأعون وقد غلت الان بما تيسر لهم مما هي كالنار الموددة المغلية لها.

قوله: عليه السلام: «اللهم إنا نشكوا إليك غيبة نبيّنا و كثرة عذونا و تشتيت أهواننا» لما كان القوم لم يقدروا في زمن رسول الله صلى الله عليه و آله على إظهار الضغائن وإبراز السرائر و تشتيت الأهواء وبموته اصطلحوا على الشفاق و النفاق و المعاداة على كلمة الله العليا و حجّته على عباده و افتراق الكلمة شكى عليه السلام بلسانه ولسان تابعيه إليه تعالى غيبة نبيّه.

قوله عليه السلام: «ربّنا افتح - إلخ» ثم انقطع إلى الله تعالى و التجأ إليه واستغاث منه فسألة عن نفسه وعن أتباعه أن يحكم بينه و تابعيه وبين أعدائهم بالحق و إن كان عالماً بأنّ الله سيفعله إلا أنه استفتح استنصارا من الله و رغبة منه إليه تعالى و إخبارا عن نفسه بأنه على الطريقة المثلى و عن أعدائه بأنّهم على العمىاء و أنّهم فريق حق عليهم الضلاله.

ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُفْرِقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ وَيُبَعِّدُهُمْ عَنْهُ وَيُفَصِّلَ بَيْنَهُمَا لَمَّا دَرِيْتَ مِنْ أَنَّ الْفَتْحَ هُوَ الْفَصْلُ إِذَا حَكَمَ بَيْنَهُمَا بِالْفَصْلِ يُمِيزُ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ وَالْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَعِنْدَ ذَلِكَ يُفْتَضِحُ الْبَاطِلُ وَيَحْلُّ إِلَى دَارِ الْبَوَارِ فَكَأَنَّ هَذَا الْقَوْلُ دُعَاءً عَلَيْهِمْ وَالْمَرَادُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُعَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عِذَابًا يَدْلِلُ عَلَى كُونِهِمْ مُبَطَّلِينَ وَعَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ مُحَقِّقُينَ، وَلَمْ يَصُرِّحْ فِي كَلَامِهِ هَذَا أَنَّ أَيْمَهُمَا عَلَى الْحَقِّ وَأَيْ فَرِيقٍ عَلَى الْبَاطِلِ بَلْ أَبْهَمَ فِي ذَلِكَ لَاَنَّهُ أَدَلَّ عَلَى الْمَقْصُودِ وَأَشَدَّ فِي تَبْكِيتِ الْخَصْمِ وَأَوْفَقَ بِاسْلُوبِ الْمَحَاوِرَةِ.

وَهَذَا الْكَلَامُ اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ شَعِيبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعَ قَوْمِهِ حَيْثُ قَالَ عَزِّ مِنْ قَائِلٍ: «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شَعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيَّتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَيْتِنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي مِلَيْتِكُمْ بَعْدٌ إِذْ نَجَانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا كُلُّ شَيْءٍ إِعْلَمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا إِلَيْهِ الْحَقُّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (الْأَعْرَافُ 88 وَ89).

وَيَعْجَبُنِي فِي الْمَقْامِ نَقْلُ خَطْبَةِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَحْمَهُ اللَّهُ فَاتَّهُ أَجَادَ بِمَا أَفَادَ وَنَطَقَ بِالْحَقِّ وَهَدَى إِلَى الرِّشَادِ وَالسَّدَادِ وَأَوْصَى وَصِيَّةً مُفْضِلَى النَّصْحِ وَالصَّدِيقِ وَالوَدَادِ نَقْلَهَا نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ فِي كِتَابِ صَفَّيْنِ (ص 164 مِنَ الْطَّبعِ النَّاصِرِيِّ) قَالَ نَصْرٌ قَالَ عَمَرٌ حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْجَزَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي مِنْ سَمْعِ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ الْعَظِيمِ بِصَفَّيْنِ وَهُوَ يَحْرِضُ أَصْحَابَهُ بِصَفَّيْنِ فَقَامَ مَحْنِيَا عَلَى قَوسِ فَقَالَ - وَبَعْدَ مَا نَقَلَ قَوْلَ عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: ثُمَّ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ خَطِيبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي دَحِيَ تَحْتَنَا سَبْعَا وَسَمْكَ فَوْقَنَا سَبْعَا ثُمَّ خَلَقَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ خَلْقاً، وَأَنْزَلَ لَهُمْ فِيهَا رِزْقًا، ثُمَّ جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ يَبْلِي وَيَفْنِي غَيْرَ وَجْهِ الْحَقِّ الْقَيْوَمِ الَّذِي يَحْبِبُ وَيَبْغِي، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ أَنْبِيَاءً وَرَسُلًا فَجَعَلُوهُمْ حَجَاجًا عَلَى عِبَادَهُ عَذْرًا وَنَذْرًا، لَا يَطْاعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَإِذْنِهِ يَمْنَنُ بِالطَّاعَةِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ثُمَّ يَشْبِي عَلَيْهَا، وَيَعْصِي فَيَعْفُو وَيَغْفِرُ بِحَمْلِهِ، لَا يَقْدِرُ قَدْرُهُ، وَلَا يَبْلُغُ شَيْءًا مَكَانَهُ،

أحصى كلّ شيء عدداً وأحاط بكلّ شيء علمًا.

ثم إلّي أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه إمام الهدى والنبي المصطفى وقد ساقنا قدر الله إلى ما قد ترون حتّى كان فيما اضطرب من حبل هذه الامة وانتشر من أمرها أنّ ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على علىّ بن أبي طالب ابن عم رسول الله وصهره وأول ذكر صلّى معه بدرى، قد شهد مع رسول الله صلّى الله عليه كلّ مشاهدة التي فيها الفضل ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام.

واعلموا والله الآذى ملك الملك وحده فبان به و كان أهله لقد قاتل علىّ بن أبي طالب مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلیّ يقول: صدق الله ورسوله و معاوية و أبو سفيان يقولان: كذب الله ورسوله، فما معاوية في هذه بأبر ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في تلکم، فعليکم بتقوى الله والجذ و الحزم و الصبر، والله إنكم لعلى الحق، وإن القوم لعلى الباطل فلا- يكون أولى بالجذ في باطلهم منكم في حکم.

أما والله إنا لنعلم أن الله سيعذّبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم، اللهم ربنا أعتا ولا تخذلنا وانصرنا على عدوّنا ولا تخل عتنا وفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أقول قولى وأستغفر الله لي لكم.

### الترجمة

امیر المؤمنین علیه السلام با دشمن کارزار کننده رویرو می شد می گفت: بار خدایا دلهای ما بسوی تو کوچ کرده و در کوی تو آرمیده است و گردنها در بندگی تو کشیده شده و چشمها بروی تو گشوده گشت و پاها بجانب تورهسپار شده و بدنها در راه تو نزار گردیده است، بار خدایا دشمنان ما دشمنیهای دیرینه را آشکار کردند و سینه هایشان که آکنده از کینه بود چون دیک بجوش آمد، بار خدایا از نبودن پیغمبر خود و بسیاری دشمنان و پراکنده و اختلاف اندیشه هایشان بتو شکایت آوریم

(که قوم از نبودن پیغمبر میدان گرفتند و در پی اظهار دشمنی نهفته و ابراز کینه نهانی برآمدند.

مهر در خشنده چو پنهان شود شب پره بازی گر میدان شود)

پروردگار ما میان ما و این گروه بحق حکم بفرما (تا محق از مبطل برای همه آشکار شود) که توبهترین حکم کنندگانی.

## و كان يقول عليه الصلاة والسلام لاصحابه عند الحرب

### اشاره

وهذا هو المختار السادس عشر من باب المختار من كتبه و رسائله عليه السلام لا تشتمل علىكم فرة بعدها كرمة، ولا جولة بعدها حملة. وأعطوا السيف حقوقها. ووطنوا للجنوب مصارعها. وذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي، والضرب الطلقني. وأميتو الأصوات فإنه أطرب للفشل. والذى فلق الحبة، وبرا النسمة ما أسلموه ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلما وجدوا أعواضاً عليه أظهروه.

### المصدر

قوله هذا على النضد المذكور ما وجدناه فيما حضرنى من الكتب والرسائل مع طول الفحص وكثرة الطلب إلا أن المجلسى رحمه الله قد نقله فى المجلد الثامن من البحار (ص 626 منطبع الكمبانى) وفي المجلد الحادى والعشرين (ص 102 من ذلكطبع) عن نهج البلاغة أيضاً ولم يذكر مأخذ آخر.

ص: 190

وكذا نقله المحدث النورى فى كتاب الجهاد من المستدرك عن النهج بلا ذكر سند آخر وفيه نقل - از مروا - بالزای و لكنه تصحیف من النّاسخ (ص 259 ج 2) وكذلك في الموضع الثاني من البحار.

نعم قد وجد متفرقًا في أقواله الآخر المرورية في الجواجم الروائية مما سنتلوها عليك، ولا بعد أن يكون هذا القول ملتفطاً منها لما قد تبهناك عليه غير مرة من أن هذه عادة الرضي رضوان الله في النهج فإن غرضه كان التقط الفصيح والبلigh من كلامه ولعله نقله عن مأخذ لم يحضرنا والله تعالى هو العالم، ولكن المتدرّب في أساليب الكلام يعلم أن قوله عليه السلام: «وَالَّذِي فَلَقَ الْجَبَّةَ - إِلَخْ» خارج من اسلوب ما قبله وسيأتي روایة نصر في كتاب صفين المتضمنة هذا القول ويعلم أنه في روایة على حدة وبالجملة لو لم نقل أن عبارات هذا المختار ملقة من أحاديث شتى تكون ذيلها أعني والذى فلق إلى آخره التقط من روایة آت نقلها ولفق إلى ما قبله فمما لا ينبغي أن يرتاب فيه، فنقول:

قد رويت عنه عليه السلام في الجواجم الروائية والمجاميع التي دونها القدماء في امور متنوعة وعلوم متفرّنة، وكتب المغازى والملحّم والتاريخ والسير روایات متظافرة ووصايا متکاثرة بطرق عديدة واسناد كثيرة في آداب الحرب ورسومها وهي سنن كلية لن تجد لها بمضى الليلى والأيام وانصرام الشهور والأعوام تبديلا ولا تحويلا، اللهم إلا في آلات السلاح وأوزار الحرب وذكر في المقام ما وجدناها في مطان مأخذها بالفحص والطلب وفيها توجد ما أتى بها الرضي ههنا على أن مصادر طائفة مما في نهج البلاغة تعلم بنقلها طائفة من أقوالها التي حرص بها الناس على الجهاد.

ففي الباب الخامس عشر من كتاب الجهاد من فروع الكافي لقدوة المحدثين الكليني قدس سره (ص 439 من الرحلى المطبوع على الحجر) وفي الواقى (ص 20 ج 9): وفي كلام له آخر - يعني أمير المؤمنين عليه السلام بقوله له -. وإذا لقيتم هؤلاء القوم فلا تقاتلواهم حتى يقاتلوكم فإذا بدأوكم فانهدوا إليهم، وعليكم

الستكينة والوقار، وغضّوا على الأضّراس فإنه أبأ للسيوف عن الهم، وغضّوا الأ بصار، ومدّوا جباه الخيول ووجوه الرجال وأقلوا الكلام فإنه أطّرد للفشل وأذهب بالوهل، ووطّنوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة والمجاولة، واثبتوهوا ذكروا الله عزّ وجلّ كثيراً فإنّ المانع للذمار عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفظون برأياتهم، ويضربون حافظتها وأمامها، وإذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد، وعليكم بالتحامى فإنّ الحرب سجال، لا يشدّون عليكم كرة بعد فرقة، ولا حملة بعد جولة، ومن ألقى إليكم السلام فاقبلوا منه، فاستعينوا بالصبر فإنّ بعد الصبر النصر من الله عزّ وجلّ، إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

أقول: روى قوله عليه السلام في هذه الرواية بلفظ: «أقلوا الكلام فإنه أطّرد للفشل» وروي في كلامه المقدّم ذكره من النهج بلفظ «أميّتوا الأصوات فإنه أطّرد للفشل».

وفي رواية أخرى من الكافي أعني حديث مالك بن أعين الذي أتينا به في مصادر الوصيّة الرابعة عشرة من المختار من باب الكتب والرسائل بلفظ «أميّتوا الأصوات فإنه أطّرد للفشل».

وفي رواية نصر في صفين (ص 106 من الطبع الناصري) بصورة: «وغضّوا الأ بصار وغضّوا الأصوات وأقلوا الكلام» وقد نقلنا روايته كاملة في شرح المختار 236 من باب الخطب (ج 15 ص 222) وتوافق رواية نصر رواية أبي جعفر الطبرى في التاريخ (ص 7 ج 4) وقد مضى نقل روايته في شرح المختار 236 من باب الخطب أيضاً (ج 15 ص 238).

ثم إنّه عليه السلام على رواية الكافي تبه أصحابه بقوله: «لا يشدّون عليكم كرة بعد فرقة، ولا حملة بعد جولة» على أنّ إدبار الخصم ربما لا يكون عن هزيمة وذلك لأنّ الأعداء قد يولّون الأدبار عن الحرب خدعة لكي يغترّ المقاتلون

المُقاَبِلُونَ لَهُمْ بِاَدَبِهِمْ عَنْهَا فَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ هُزُمُوا فَيُذْهِبُونَ فِي آثَارِهِمْ مُتَفَرِّقِينَ وَبَعْدَ مَا سَلَكُوكُمْ مَسَافَةً كَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ بُغْتَةً وَيَحْمِلُونَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً يَدَ وَاحِدَةٍ وَرَجُلٌ وَاحِدٌ فَيَهْزِمُوْنَهُمْ.

وَعَلَى رَوَايَةِ النَّهْجَ وَصَدَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَابَهُ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَا تَشَتَّدُّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةً بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جُولَةً بَعْدَهَا حَمْلَةٌ» أَى أَنَّكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُصْلَحَةَ فِي الْفَرَارِ لِجَذْبِ الْعَدُوِّ إِلَى حِلْيَتِكُمْ فَلَا يُشْقِيْكُمْ وَلَا تَسْتَصْبِبُوهُ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ.

أُوْيَقَالَ فِي تَفْسِيرِ هَاتِينِ الْجَمْلَتَيْنِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبَهُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَوَّلِ عَلَى أَنْ يَوَاظِبُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَإِنْ فَرَّوْا عَنْ هَزِيمَةٍ وَاقِعَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَعْدَاءَ رَبِّمَا يَنْهَزِمُونَ ثُمَّ يَكْرُونَ عَلَى الْفَتَّةِ الْغَالِبَةِ لِمَا رَأُوا أَنَّهُمْ خَرَجُوكُمْ مِنْ مَكَانِهِمْ وَانْتَشَرُوكُمْ فِي مَعْسَكِهِمْ وَاطْمَأَنُوكُمْ بِالْغَلْبَةِ عَلَى فَرَارِهِمْ وَخَرَجُوكُمْ مِنْ أَوْزَارِ الْحَرْبِ وَاشْتَغَلُوكُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَغَيْرِهَا مَمَّا لَا يَحْصِي كُثْرَةُ أَحْوَالِهَا وَأَطْوَارِهَا.

وَفِي الثَّانِيَةِ حَرَضَهُمْ بِأَنَّكُمْ إِذَا اتَّقَنْتُمْ لِكُمُ الْهَزِيمَةَ مِنَ الْعَدُوِّ وَفَرَرْتُمْ فَلَا تَسْتَحِيُوكُمْ مِنَ الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ ثَانِيَاً وَلَا تَحْسِبُوهَا عَارِفَانِّ هَذِهِ الْكَرَّةِ يَتَدَارِكُ الْفَرَّةُ وَيَنْسَبُ هَذَا التَّفْسِيرُ الثَّانِي قَوْلَهُ الْمَرْوِيِّ فِي الْمُسْتَدِرِكِ عَنْ فَرَاتِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَتِي نَقْلَهُ: عَاوَدُوكُمُ الْكَرَّ وَاسْتَحِيُوكُمُ الْفَرَّ.

وَفِي الْإِرْشَادِ لِلْمُفَيْدِ رَحْمَهُ اللَّهُ (ص 121 طبع طهران 1377هـ): وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ دَخَلَ الْبَصْرَةَ وَجَمَعَ أَصْحَابَهُ فَحَرَضَهُمْ عَلَى الْجَهَادِ فَكَانَ مَمَّا قَالَ:

عِبَادُ اللَّهِ انْهَدُوا إِلَى هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ مُنْشَرَحَةً صِدْرَكُمْ بِقَتَالِهِمْ فَإِنَّهُمْ نَكْثُوا بِيَعْتِيْ، وَأَخْرَجُوكُمْ بَنْ حَنِيفٍ عَامِلِيَّ بَعْدَ الصَّرْبِ الْمُبِرِّحِ، وَالْعَقوَبَةِ الشَّدِيدَةِ، وَقَتَلُوكُمُ الْسَّيَابِجَةَ، وَمَثَّلُوكُمُ حَكِيمَ بْنَ جَبَلَةِ الْعَبْدِيِّ، وَقَتَلُوكُمُ رَجَالًا صَالِحِينَ، ثُمَّ تَبَّعُوكُمُ مِنْ نَجْحِيِّ يَأْخُذُوكُمْ فِي كُلِّ حَاطِنَ وَتَحْتَ كُلِّ رَابِيَّةٍ، ثُمَّ يَأْتُوكُمْ بِهِمْ فَيَضْرِبُوكُمْ رَقَابَهُمْ صَبِرًا، مَا لَهُمْ قَاتَلُوكُمُ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَؤْفِكُونَ؟ انْهَدُوكُمُ إِلَيْهِمْ وَكُونُوكُمُ أَشَدَّاءَ عَلَيْهِمْ، وَالْقَوْهُمْ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ مَنَازِلُهُمْ وَمَقَاتِلُهُمْ وَلَقَدْ وَطَنْتُمُ أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ، وَالصَّرْبِ الْطَّلْحَفِيِّ، وَمَبَارِزَةِ الْأَقْرَانِ، وَأَئِ امْرَءٌ

منكم أحّس من نفسه رياطة جاش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذبّ عن أخيه الّذى فضل عليه كما يذبّ عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله.

أقول: إنّه عليه السّلام قال في كلامه هذا: «وَلَقَدْ وَطَّنْتُمْ أَنفُسَكُمْ عَلَى الطّعْنِ الدّعُسِيِّ وَالضُّرُبِ الطّلْحَفِيِّ» وَهُوَ يُشَابِهُ قُولَهُ المُقدَّم «وَإِذْ مَرَوْا أَنفُسَكُمْ عَلَى الطّعْنِ الدّعُسِيِّ وَالضُّرُبِ الطّلْحَفِيِّ إِلَّا أَنَّ الْمُفِيدَ رَوَى الطّلْحَفِيَّ بِالْحَاءِ الْمُهَمَّلَةِ، وَقَدْ رَوَى قُولَهُ عَلَيْهِ السّلامَ فِي الْجَمْلَ (ص 162 مِن طَبْعِ النَّجْفِ) وَنَسْخَةَ فِي الْجَمْلَ: «وَقَدْ وَطَّنْتُمْ أَنفُسَكُمْ عَلَى الضُّرُبِ وَالطّعْنِ» مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ كَلْمَتِيِ الدّعُسِيِّ وَالطّلْحَفِيِّ، وَقَدْ مَضَى نَقْلُ نَسْخَةِ الْجَمْلِ هَذِهِ فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ الثَّانِيِّ مِنْ كِتَابِهِ وَرَسَائِلِهِ (ص 52 ج 17).

وَفِي كِتَابِ صَفَّيْنِ لِنَصْرِ (ص 120 مِن طَبْعِ النَّاصِرِيِّ) عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السّلامَ حَرَّضَ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تَجْيِيكُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَتَشْفَى بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ: إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجَهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَجَعْلُ ثَوَابِهِ مَغْفِرَةً لِذَنْبِهِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنَ وَرَضْوَانَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ، فَأَخْبَرَكُمْ بِالَّذِي يَحِبُّ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَا كَانُوهُمْ بَنِيَانَ مَرْصُوصٍ فَسَوْوا صَفَوفَكُمْ كَالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوصِ، وَقَدَّمُوا الدَّارَعَ، وَأَخْرَجُوا الْحَاسِرَ، وَعَضَّوْا عَلَى الأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَأَرْبَطَ لِلْجَاشِ، وَأَسْكَنَ لِلْقُلُوبِ، وَأَمْيَتَوْا الْأَصْوَاتِ فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلْفَشْلِ وَأَوْلَى بِالْوَقَارِ، وَالْتَّوَافِي أَطْرَافَ الرَّمَاحِ فَإِنَّهُ امْرُ لِلْأَسْنَةِ وَرَايَاتِكُمْ فَلَا تَمْيِلُوهَا وَلَا تَزَيِّلُوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا فِي أَيْدِي شَجَاعَانِكُمُ الْمَانِعِيِّ الْدَّمَارِ وَالصَّبَرِ عَنْ نَزْوَلِ الْحَقَائِقِ، أَهْلِ الْحَفَاظِ الَّذِينَ يَحْفَّونَ بِرَايَاتِكُمْ، وَيَكْتَفِفُونَهَا يَضْرِبُونَ خَلْفَهَا وَأَمَاهَا وَلَا تَضْيِعُوهَا، أَجْزَأُ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ رَحْمَكُمُ اللَّهُ قَرْنَهُ وَوَاسِي أَخَاهُ بِنْفُسِهِ، وَلَمْ يَكُلْ قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ قَرْنَهُ وَقَرْنَ أَخِيهِ فَيَكْتَسِبُ بِذَلِكَ لَائِمَةً وَيَأْتِي بِهِ دَنَائِهِ، وَأَنَّهُ هَذَا وَكَيْفَ يَكُونُ هَكَذَا؟ هَذَا يَقَاتِلُ اثْنَيْنِ، وَهَذَا مَمْسَكٌ يَدِهِ قَدْ خَلَّى قَرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ هَارِبًا مِنْهُ وَقَائِمًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ يَفْعُلُ هَذَا يَمْقُتُهُ اللَّهُ فَلَا تَعْرِضُوا لِمَقْتِ اللَّهِ فَإِنَّمَا مَرْدَكُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ اللَّهُ لِقَوْمٍ:

ص: 194

«قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقُتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَيْلَأً»، وأيم الله لئن فرتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة، استعينوا بالصدق والصبر فإنه بعد الصبر ينزل النصر.

وفيه أيضاً (ص 130 من ذلك الطبع): عن عمر، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب أنّ علیـاً لهـ ما رأـى ميمـنته قد عادـت إـلى موقفـها ومضـافـها وكـشفـ من باـزـائـها حتـى ضـارـبوـهم فيـ موـاقـعـهـمـ وـ مـراـكـزـهـمـ فـأـقـبـلـ حـتـى اـنـتـهـيـ إـلـيـهـمـ فـقـالـ: إـنـى قدـ رـأـيـتـ جـوـلـتـكـمـ وـ اـنـحـيـازـكـمـ عنـ صـفـوـفـكـمـ، وـ تـحـرـزـكـمـ الجـفـاةـ الطـغـاةـ وـ أـعـرـابـ أـهـلـ الشـامـ، وـ أـنـتـمـ لـهـامـيـمـ العـربـ، وـ السـنـامـ الأـعـظـمـ، وـ عـمـارـ اللـيـلـ بـتـلاـوةـ الـقـرـآنـ وـ أـهـلـ دـعـوـةـ الـحـقـ إذاـ ضـلـ الخـاطـئـونـ فـلـوـ لـاـ إـقـبـالـكـمـ بـعـدـ إـدـبـارـكـمـ، وـ كـرـكـمـ بـعـدـ اـنـحـيـازـكـمـ وـ جـبـ عـلـيـكـمـ ماـ وـجـبـ عـلـىـ الـمـوـلـىـ يـوـمـ الرـحـفـ دـبـرـهـ، وـ كـنـتـمـ فـيـماـ أـرـىـ مـنـ الـهـالـكـيـنـ، وـ لـقـدـ هـوـنـ عـلـىـ بـعـضـ وـجـدـيـ، وـ شـفـىـ بـعـضـ حـاجـ نـفـسـىـ إـنـىـ رـأـيـتـكـمـ بـاـخـرـةـ حـزـتـمـوـهـمـ كـمـ حـازـوـكـمـ وـ أـزـلـتـمـوـهـمـ عنـ مـصـافـهـمـ كـمـ أـزـلـوـكـمـ، تـحـوـزـنـهـمـ بـالـسـيـوـفـ لـيـرـكـبـ أـوـلـهـمـ آخـرـهـمـ كـالـإـبـلـ المـطـرـوـدـهـ إـلـيـهـمـ فـالـانـ فـاصـبـرـوـاـ، اـنـزـلـتـ عـلـيـكـمـ السـكـينـةـ وـ شـبـكـمـ اللـهـ بـالـيـقـيـنـ، وـ لـيـعـلـمـ الـمـنـهـزـمـ أـنـهـ مـسـخـطـ لـرـبـهـ، وـ مـوـبـقـ نـفـسـهـ، وـ فـيـ الـفـرـارـ مـوـجـدـةـ اللـهـ عـلـيـهـ، الـذـلـ الـلـازـمـ، وـ فـسـادـ العـيشـ، وـ أـنـ الـفـارـ لـاـ يـزـيدـ الـفـرارـ فـيـ عـمـرـهـ، وـ لـاـ يـرـضـىـ رـبـهـ فـمـوـتـ الرـجـلـ مـحـقـاـ قـبـلـ إـتـيـانـ هـذـهـ الـخـصـالـ خـيـرـ مـنـ الرـضاـ بـالـتـلـبـسـ بـهـاـ وـ الإـقـرـارـ عـلـيـهـاـ.

أقول: الرواية الأولى قد ذكر طائفـةـ منهاـ العـلـامـةـ ابنـ خـلـدونـ فـيـ الفـصـلـ السـابـعـ وـ الثـلـاثـيـنـ منـ الـبـابـ الثـالـثـ منـ الـمـقـدـمةـ وـ قـالـ: انـظـرـ وـصـيـةـ عـلـىـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ وـ تـحـرـيـصـهـ لـأـصـحـابـهـ يـوـمـ صـفـيـنـ تـجـدـ كـثـيـراـ مـنـ عـلـمـ الـحـرـبـ وـ لـمـ يـكـنـ أـحـدـ أـبـصـرـ بـهـ مـنـهـ قـالـ فـيـ كـلـامـ لـهـ: فـسـوـوـاـ صـفـوـفـكـمـ كـالـبـنـيـانـ الـمـرـصـوصـ - وـ فـيـهـ: وـ اـخـفـتـواـ الـأـصـوـاتـ فـإـنـهـ أـطـرـدـ لـلـفـشـلـ وـ أـوـلـىـ بـالـوـقـارـ (صـ 275ـ طـبـعـ مـصـرـ).

وـ قـدـ روـاهـاـ أـبـوـ جـعـفـرـ الـطـبـرـىـ فـيـ تـارـيـخـهـ عـنـ أـبـىـ مـخـنـفـ (صـ 11ـ جـ 4ـ) وـ لـكـنـ بـيـنـ النـسـخـتـيـنـ تـقاـوـتـاـ فـيـ الـجـمـلـةـ وـ أـرـىـ أـنـ نـسـخـةـ نـصـرـ أـصـحـ وـ أـمـنـ وـ قـدـ مـضـىـ

نقل نسخة الطبرى فى شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 257 ج 15) وقد رواها المفيد فى الإرشاد (ص 127 طبع طهران 1377هـ) و تخالف الاوليين فى الجملة، وهى رواية مالك بن أعين المروية فى الباب الخامس عشر من جهاد الكافى (ص 338 من الطبع الرحلى المطبوع على الحجر 1315هـ) وقد أشرنا آنفاً إلى نقله فى مصادر المختار الرابع عشر من باب الكتب إلا أنّ بين روايتى الكافى ونصر اختلافاً كمّا وكيفاً وقد أتى الكليني قدس سره بزيادة فيها لم يأت بها نصر فى صفين وهى من قوله: «ولَا تمثّلوا بقنيل - إلى قوله: فيغير بها وعقبه من بعده».

والرواية الثانية مرويّة فى الكافى أيضاً بعد الرواية الأولى وإن كان يوجد بينهما اختلاف أيضاً: فعلى نسخة الكافى: قال عليه الله لام: إِنِّي رأيْتُ جُولَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صَفْوَفَكُمْ تَحْوِزُكُمْ الْجُفَاهَةَ الْطَّغَاهَةَ وَأَعْرَابَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنْتُمْ لِهَامِمِ الْعَرَبِ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ وَعَمَّارُ الْلَّيلِ بِتَلَوَّهِ الْقُرْآنِ، وَدُعْوَةُ أَهْلِ الْحَقِّ إِذَا ضَلَّ الْخَاطَئُونَ فَلَوْلَا إِقْبَالُكُمْ بَعْدَ إِدْبَارِكُمْ، وَكَرَّكُمْ بَعْدَ انْحِيَازِكُمْ لَوْجَبٌ عَلَيْكُمْ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤْلَى يَوْمَ الزَّحْفِ دِبَرِهِ، وَكَتَمْتُمْ فِيمَا أَرَى مِنَ الْهَالَكِينَ وَلَقَدْ هُوَنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَجَدِّي، وَشَفَى بَعْضُ حَاجٍ صَدْرِي إِذْ رَأَيْتُكُمْ حَزْتَمُوهُمْ كَمَا حَازَوْكُمْ فَأَزَلْتُمُوهُمْ عَنْ مَصَافِهِمْ كَمَا أَزَلْوْكُمْ وَأَنْتُمْ تَضَرِّبُونَهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ رَكِبَ أَوْلَاهُمْ آخِرَهُمْ كَالْإِبْلِ الْمَطْرُودَةِ الْهَيْمِ الْأَنَّ، فَاصْبِرُوْا نَزَلتُ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، وَتَبَتَّكُمُ اللَّهُ بِالْيَقِينِ، وَلِيَعْلَمَ الْمُنْهَمُ بِأَنَّهُ مَسْخَطُ رَبِّهِ، وَمُوبِقُ نَفْسِهِ، إِنَّ فِي الْفَرَارِ مَوْجَدَةُ اللَّهِ (موجدة الله عليه - خ) وَالذَّلِّ الْلَّازِمُ، وَالْعَارُ الْبَاقِيُّ، وَأَنَّ الْفَارَّ لِغَيْرِ مُزِيدٍ فِي عُمْرِهِ، وَلَا مَحْجُورٌ بَيْنِهِ وَبَيْنِ يَوْمِهِ، وَلَا يَرْضَى رَبِّهِ، وَلَمْوتُ الرَّجُلِ مَحْقًا قَبْلَ اتِّيَانِ هَذِهِ الْخَصَالِ خَيْرٌ مِنَ الرِّضَا بِالْتَّلَبِيسِ بِهَا، وَالْإِقْرَارِ عَلَيْهَا.

قوله: الْهَيْمُ الْأَنَّ: فعلى نسخة صفين ظرف والنون مخففة، وعلى نسخة الكافى من الأنين وهي مثقلة، والفرق بين سائر العبارى ظاهر.

ورواية نصر الثانية مذكورة فى جهاد البحار أيضاً (ص 99 ج 21 من الطبع الكمبانى) قال: وقال: نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن

زيد بن وهب أَنَّ عَلِيًّا - إِلَخْ، فَأَسْقَطَ عُمَرَ بْنَ سَعْدَ فِي الْطَّبَعِ النَّاصِرِيِّ.

ثُمَّ تَجِدُ رِوَايَةً مَالِكَ بْنَ أَعْيَنَ فِي الْكَافِيِّ وَالَّتِي نَقَلَنَا هَا عَنِ الْكَافِيِّ أَوْ لَا مُشْتَرِكَتَيْنِ فِي جَمْلَةٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْجَمْلِ وَالْعَبَارَاتِ كَمَا أَنَّ نَسْخَتِيَّ نَصْرٍ وَالْكَافِيِّ مُنْقَوْلَتَانِ عَنْ مَالِكٍ بْنِ أَعْيَنٍ إِلَّا أَنَّ الْأُولَى مِنْهُمَا ذُكِرَتْ أَنَّ مَالِكَ بْنَ أَعْيَنَ رَوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، وَالثَّانِيَةُ أَكْتَفَتْ بِذَكْرِ مَالِكٍ.

وَقَدْ مَضَى كَلَامُنَا فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ 236 مِنَ الْخَطْبِ (ص 257 ج 15) أَنَّ نَسْخَةَ تَارِيخِ الطِّيرِيِّ أَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى مِنْ كِتَابِ صَفَّيْنِ لَنْصَرِ مُذَكُورَةٍ فِي النَّهَجِ وَهُوَ الْمُخْتَارُ 122 مِنْ بَابِ الْخَطْبِ أَوْلَاهُ: فَقَدَّمُوا الدَّارِعَ وَأَخْرَجُوا الْحَاسِرَ وَعَصَنُوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ - إِلَى آخِرِهِ، وَنَزَّيِدُكُمْ هَهُنَا بِيَانًا فَنَقُولُ: ذَلِكَ الْمُخْتَارُ الْمُذَكُورُ مُلْتَقِطٌ وَمَلْفَقٌ مِنْ عَدَّةِ رِوَايَاتٍ إِحْدَاهَا هِيَ الرِّوَايَةُ الْأُولَى مِنْ كِتَابِ صَفَّيْنِ الَّتِي رَوَاهَا ثَقَةُ الْإِسْلَامِ الْكَلِينِيُّ فِي الْكَافِيِّ، وَأَبُو جَعْفَرِ الطَّبَرِيِّ فِي التَّارِيخِ، وَالشِّيْخِ الْأَجْلِ الْمُفِيدِ فِي الْإِرْشَادِ كَمَا مَرَّ آنَفَا وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ التَّقَطَّتْ وَذُكِرَتْ فِي صَدْرِ الْمُخْتَارِ 122 الْمُذَكُورُ مِنْ أَوْلَاهُ إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَسْلِمُوا مِنْ سَيفِ الْآخِرَةِ.

وَالثَّانِيَةُ هِيَ الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ كِتَابِ صَفَّيْنِ لَنْصَرِ الَّتِي رَوَاهَا الْكَلِينِيُّ فِي الْكَافِيِّ أَيْضًا وَهِيَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي رَأَيْتُ جُولَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ - إِلَخْ، وَقَدْ التَّقَطَّ مِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ - إِلَى قَوْلِهِ: لَا مَحْجُوزٌ بَيْنِهِ وَبَيْنِ يَوْمِهِ» الْمُذَكُورُ فِي ذَلِكَ الْمُخْتَارِ.

الثَّالِثَةُ مَا رَوَاهَا نَصْرُ فِي صَفَّيْنِ أَيْضًا (ص 207 مِنَ الْطَّبَعِ النَّاصِرِيِّ) قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنْ مَالِكِ الْجَهْنَىِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِصَفَّيْنِ فِيهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ عَقْبَةَ وَهُمْ يَشْتَمُونَهُ وَيَقْصِبُونَهُ فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ فَوَقَفَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: انْهَدُوكُمْ إِلَيْهِمْ وَعَلِيَّكُمُ السَّكِينَةُ وَسِيمَا الصَّالِحِينَ وَوَقَارُ الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ أَقْرَبُ قَوْمًا مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمًا قَائِدُهُمْ وَمُؤَدِّبُهُمْ مَعَاوِيَةُ، وَابْنُ النَّابِغَةِ، وَأَبُو الْأَعْوَرِ السَّلْمَىِّ وَابْنَ أَبِي مَعِيطٍ شَارِبُ الْخَمْرِ وَالْمَجْلُودُ حَدَّا فِي

الإسلام وهم أولى يقونون فيقصووني ويشتمونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله ولا إله إلا الله، وقد فيما ما عاداني الفاسقون، إن هذا لهو الخطب الجليل أن فساقا كانوا عندنا غير مرضيّين، وعلى الإسلام وأهله متخفّفين حتّى خدعوا شطر هذه الامة فأشربوا قلوبهم حب الفتنة فاستمالوا أهوانهم بالإفك والبهتان، وقد نصبووا لنا الحرب، وجذّوا في إطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون، اللهم فانهم قد ردوا الحق فاضطض جمعهم، وشتّت كلمتهم، أسلهم بخطاياهم فاته لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

وقد أتى بذيلها المفید قدس سرہ فى الإرشاد (ص 126 طبع طهران 1377 هـ) ويوجد اختلاف يسير بينهما.

الرابعة رواية رواها نصر في صفين أيضاً بعد الرواية الثالثة عن نمير بن وعلة عن عامر الشعبي أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام مرّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم فحرّض الناس على قتالهم وذكر أنّهم غسّان فقال: إن هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيع العظام، وتسقط منه المعاصم والأكف حتّى تصدّع جماهم، وتنشر حواجبهم، على الصدور والأذقان، أين أهل الصبر وطلاب الخير؟ أين من يشرى وجهه لله عزّ وجلّ، ثابت إليه عصابة من المسلمين فدعوا ابنه محمداً فقال له: امش نحو هذه الرأية مشيا رويداً على هنيئتك حتّى إذا أشرعت في صدورهم الرماح فامسك يدك حتّى يأتيك أمرى ورأبى.

وقد أتى بشطر من هذه الرواية الشيخ الأجل المفید في الإرشاد (ص 127 و 128) من الطبع المقدم ذكره.

وقد التقط من هاتين الروايتين قوله عليه السلام: «اللهم إِن رَدْنَا الْحَقَّ - إِلَى قُولِهِ: وَيَنْدِرُ السَّوَادُ وَالْأَقْدَامُ» المذكور في ذلك المختار.

الخامسة رواية رواها نصر في صفين أيضاً (ص 283 من الطبع الناصري)

عن عمر بن سعد، عن إسحاق بن يزيد، عن الشعبي أن علياً عليه السلام قال يوم صفين حين أقر الناس بالصلح: إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيتوا إلى الحق ولا - ليجيروا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، و حتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب و حتى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس حتى يدعق الخيول في نواحي أرضهم وبأحناه مساربهم ومسارحهم، و حتى تشن عليهم الغارات من كل فج، و حتى تلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدتهم هلاك من هلك من قتلامهم وموتاهم في سبيل الله إلا جدًا في طاعة الله، وحرصا على لقاء الله، و لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا و تسليما، و مضينا على أمض الألم، و جدًا على جهاد العدو، و الإستقلال بمبادرة القرآن، و لقد كان الرجل متى و الآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحليين، يتخالسان أنفسهما أيهما سقى صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا متى، ولما رأنا الله صبرا صدقا أنزل الله بعدونا الكبت، وأنزل علينا التصر، و لعمري لو كذا ناتي مثل الذي أتيتم ما قام الدين ولا عز الإسلام، أيم الله لتجليتها دما فاحفظوا ما أقول لكم - يعني الخوارج.

انتهى.

ورواها الشيخ الأجل المفيد في الإرشاد (ص 128 طبع طهران 1377هـ) وبين النسختين اختلاف يسير، وهي مروية في الكتاب المنسوب إلى سليم بن قيس الكوفي (ص 118 من طبع النجف) وهي تخالف روایتی نصر والمفید.

وقد التقط من هذه الرواية قوله: «حتى يرموا بالمناسر - إلى قوله:

مساربهم ومسارحهم» المذكور في ذيل ذلك المختار من النهج، وإنما بقى من ذلك المختار قوله عليه السلام: «الراوح إلى الله كالظلمان - إلى قوله: إلى ديارهم» فلم نجد مأخذها بعد و لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، و العارف بأساليب الكلام المتدرّب فيها يرى تلفيقه و انضمامه من أساليب شتى وإن كانت كلّها ممّا أفضّلها المرتضى روحى له الفداء، وقد مرّ منها الإشارة غير مرّة إلى أنّ غرض الرّضى

فى النهج كان التقاط الفصيح من كلامه و انتخاب بليغه، ويألى الرضى أتى فى النهج بجميع الروايات المتقدمة لأنها فوق كلام البشر و دون كلام الخالق والكل فصيح بليغ.

وفى مستدرك الوسائل (الباب 32 من كتاب الجهاد ص 258 ج 2) للمحدث النورى رحمة الله قال:

فرات بن إبراهيم الكوفى فى تفسيره عن إبراهيم بن بنان الخثعمى، عن جعفر بن محمد بن يحيى بن شمس، عن علی بن أحمد بن الباهلى، عن ضرار بن الأزور أن رجلا من الخوارج سأله ابن عباس عن علی بن أبي طالب عليه السلام فأعرض عنه ثم سأله فقال: لقد كان والله على أمير المؤمنين عليه السلام يشبه القمر الراهن، والأسد الخادر - إلى أن قال: وقد رأيته يوم صفين و عليه عمامة بيضاء وكأن عينيه سراجان وهو يتوقف على شرذمة يحضرهم ويحيطهم إلى أن انتهى إلى وأنافى كنف من المسلمين فقال: معاشر الناس استشعروا الخشية، وأميتوا الأصوات، وتجلبوا بالسکينة، و أكملا الأمة، و قلقلوا السيف في الغمد قبل السلة، و الحظوا الشرز، و اطعنوا الخرز، و ناجحوا بالظبي، و صلوا السيف بالحظا، و الرماح بالنبال، فإذاكم بعين الله مع ابن عم نبيكم، عاودوا الكر، واستحيوا الفرج فإنه عار باق في الأعقاب، و نار يوم الحساب، فطيبوا عن أنفسكم نفسها، و اطروا عن الحياة كشحا و امشوا إلى الموت مشيا - إلى أن قال: ألا فسروا بين الركب، و عضوا على النواجد. و اضرموا القوابض (للقوانص - خ) بالصوارم، و اشروعوا الرماح بالجوانح شدوا فإني شاذ ما هم (ما حم - خ) لا ينصرون الخبر.

وروى هذا الخبر أعني خبر فرات بن إبراهيم فى تفسيره المجلسى فى الثامن من البحار (ص 518 من الطبع الكمبانى) بتمامه.

و أتى به الرضى فى المختار الرابع والستين من باب الخطب من النهج أوله:

معاشر المسلمين استشعروا الخشية و تجلبوا السکينة - إلخ.

و قد رواه المسعودى فى مروج الذهب (ص 20 ج 2 من طبع مصر 1346 هـ)

ص: 200

وقد نقلنا نسخته في شرح المختار 236 (ص 254 ج 15). وأتى به الخواجہ نصیر الدین الطووسی قدس سرہ فی الباب السابع و الثلاثین من أخلاق محشمشی.

وقال الجاحظ في البيان والتبيين (ص 285 ج 2 طبع مصر 1380هـ):

قال علیّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ (يعنى يوم صفين) عضوا على النواخذة من الأضراس فإنه أتبى للسيوف عن الهام، انتهى، ولم ينقل من كلامه عليه السلام أكثر من ذلك كما هو دأبه في ذلك الكتاب غالباً من التقاط بعض الجمل وترك الأخرى.

ونقل ما أتى به الجاحظ ابن قتيبة الدينوري في كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص 133 ج 1 من طبع مصر) وقال أيضاً (ص 110 ج 1): ذكر ابن عباس عليه السلام فقال: ما رأيت رئيساً يوزن به، لرأيته يوم صفين وكان عينيه سراجاً سليط وهو يحمس أصحابه إلى أن انتهى إلى وأنف كتف فقال: عشر المسلمين استشعروا الخشية، وعثروا الأصوات وتجلبوا السكينة، وأكملوا اللؤم وأخروا الخون، وقللوا السيوف في أغمادها قبل السلاة، والحظوا الشزر، واطعنوا النبر، ونافحوا بالظباء، وصلوا السيوف بالخطا، والرماح بالنبل وامشو إلى الموت مشياً سجحاً، وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطيب فاضربوا ثبجهم فإن الشيطان راكم في كسره، نافج خصيه، مفترش ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً، وأخر للنكوص رجلاً.

وروى الكليني قدس سرہ في آخر الباب الخامس عشر من جهاد الكافى (ص 339 من الطبع على الحجر) بإسناده عن حرizz، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه لأصحابه: إذا نقيتم عدوكم في الحرب فأقلوا الكلام واذكروا الله عز وجل ولا تولوهم الأدبار فتسخطوا الله تبارك وتعالى و تستوجبوا غضبه وإذا رأيتم من إخوانكم المجروح ومن قد نكل به أو من قد طمع عدوكم فيه فقوه بأنفسكم.

وروى أبو جعفر الطبرى في التاريخ (ص 7 ج 4) ونصر في صفين (ص 106)

ص: 201

ياسنادهما إلى الحضرمي قال: سمعت عليا عليه السلام عرض في ثلاثة مواطن في يوم الجمل و يوم صفين و يوم نهروان فقال: عباد الله اتقوا الله عز و جل و غضّوا الأبصار و اخفضوا الأصوات و أقلوا الكلام - إلى آخر ما مضى في شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 222 و 238 ج 15).

فمن هذه الروايات دريت أنه عليه السلام كان يأمر أصحابه باخفاء الصوت تارة بقوله: أميتو الأصوات، و اخرى بقوله: فعموا الأصوات كأنه أطرب للفشل و مرة بأنه أطرب بالوقار، و اخرى بقوله: و عنوا الأصوات، و هو من التعبية أي الحبس و الأسر، و دفعه بقوله: فعموا الأصوات كما في نسخة اخرى، و هو من التعبية بمعنى الإخفاء، و اخرى بقوله: اخفضوا الأصوات، و في نسخة: اخفتوا الأصوات كما علمنا من نقلها مصادر صدر هذا المختار الذي نحن بصدر الشرح عليه و إنما بقى ذكر مأخذ قوله عليه السلام: «و الذي فلق الحبة» - إلخ فنقول:

رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين (ص 110 و 111 من الطبع الناصري) عن أبي عبد الرحمن المسعودي قال: حدثني يونس بن الأرقم بن عوف، عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنا مع علي عليه السلام بصفين فرفع عمرو بن العاص شقة قميصة سوداء في رأس رمح. فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه و آله فلم يزالوا كذلك حتى بلغ عليا، فقال علي: هل تدرؤن ما أمر هذا اللواء؟ إن عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله هذه الشقة فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: و ما فيها يا رسول الله؟ قال: فيها أن لا تقاتل به مسلما، و لا تقربه من كافر، فأخذها فقد والله قربه من المشركين و قاتل به اليوم المسلمين، و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا وأسرروا الكفر فلما وجدوا أعونا رجعوا إلى عداوتهم متن إلا أنهم لم يدعوا الصلاة.

أقول: وقد روى نحو كلامه هذا من أبي اليقطان عمّار بن ياسر رحمة الله عليهما و الظاهر أنه اقتبس من كلام إمامه أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد رواه نصر في صفين،

كما روى نحوه من ابنه محمد ابن الحنفية رضوان الله عليه فدونك ما روى عنهمَا.

قال بعد نقل كلامه هذا: أخبرنى عبد العزىز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت قال: لِمَّا كَانَ قَاتَلَ صَفَّينَ قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَسْلَمُوا عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ مَا أَسْلَمَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ أَسْلَمُوهُ وَأَسْرَوْهُ الْكُفَّارَ حَتَّىٰ وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَانًا.

نصر عن قطرب بن خليفة، عن منذر الثوري قال: قال عمّار بن ياسر:

وَاللَّهُ مَا أَسْلَمَ الْقَوْمَ وَلَكِنَّ اسْتِسْلَمُوا وَأَسْرَوْا الْكُفَّارَ حَتَّىٰ وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَانًا.

نصر، عبد العزيز قال حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني منذر العلوي قال:

قال محمد ابن الحنفية لما أتاهم الله من أعلى الوادي ومن أسفله و ملا الأودية كتائب:

استسلموا حتى وحدوا أعدانا.

اللغة

اشتَدَّ عليهُ الْأَمْرُ أَيْ شَقٌّ عَلَيْهِ وَاسْتَصْبَعَ بِهِ، يَقَالُ: اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرْضُ أَيْ زَادَ وَعْظَمُ، وَهُوَ تَفْتَحُلُ مِنَ الشَّدَّ.

**الفَرَّةُ:** الفرار، فعلة للمرأة، و**الكَرَّةُ:** الحموع، والحملة في الحرب.

«الجولة» مصدر، أى الدوران فى الحرب يقال: جال القوم جولة إذا انكشفوا ثم كروا وقال عبد الشّارق بن عبد العزّى الجهنى (الحماسة) (152).

سمعنا دعوة عن ظهير غب فحلنا حوله ثم ادعوه بنا

وقال الشارح المزوجي : يقول: قرع أسماعنا في، أشلاء التهيئة و التطالع دعوة تأذت من: مكان غائب عن: عيوننا فدرنا دورة ثم، حعننا الله، أماكننا.

و في متنها، الأرب حال في الحرب حولة بالفتح من: باب نصر: ك دبر آمد.

«السيوف» جمع السيف معروف، وهو مأخوذ من قولهم: ساف إذا هلك لأنّه به يقع الهاك. قال القلقشندي في صبح الأعشى (ص 139 ج 2 طبع مصر):

السيف إن كان من حديد ذكر - و هو المعبر عنه بالفولاذ - قيل: سيف فولاذ.

و إن كان من حديد انشى - و هو المعبر عنه فى زماننا بالحديد - قيل: سيف أنىث، فان كان مته من حديد انشى وحدها من حديد ذكر كما فى سيف الفرنجية قيل: سيف مذكّر، ويقال: إن الصاعقة إذا نزلت إلى الأرض وردت (بردت - ظ) صارت حديدا، وربما حفر عليها و اخرجت فطابت سيفها، فتجيء فى غاية الحسن والمضاء.

ثم إن كان عريض الصريح قيل له: صفيحة، وإن كان مدققا (مدققا - ظ) لطيفا قيل له: قضيب؛ فإن كان قصيرا قيل: أبتر؛ فإن كان قصره بحيث يحمل تحت الثياب ويشتمل عليه قيل: مشتمل - بالكسر -.

فإن كان له حد واحد وجانبه الآخر جاف قيل فيه: صمصماته: - وبهذا كان يوصف سيف عمرو بن معدى كرب فارس العرب، فإن كان فيه حزوز مستطيلة (مطمئنة - ظ) قيل فيه: فقارات - بذلك سمى سيف رسول الله صلى الله عليه وآله: ذا الفقار، يروى أنه كان فيه سبع عشرة فقارا.

ثم تارة ينسب السيف إلى الموضع الذي طبع فيه، فيقال فيما طبع بالهند:

هندى ومهند، وفيما طبع باليمن: يمان، وفيما طبع بالمشارف - وهى قرى العرب قرية من ريف العراق - قيل له: مشرفى؛ فإن كان من المعدن المسمى بقاساس وهو معدن موصوف بجودة الحديد قبل له: قاساسى.

وتارة ينسب السيف إلى صاحبه كالسيف السريحي - نسبة إلى قين من قيون العرب اسمه: سريح معروف عندهم بحسن الصنعة.

ويوصف السيف بالحسام وهو القاطع أخذها من الجسم وهو القطع، وبالصaram وهو الذي لا ينبوع عن الصربية.

«وطنوا» بالنون كما فى النسخة الخطية التي عندنا قوبلت على نسخة الرضى، وفي نسخة الجامع الكافى وغيرها مما تلوناها عليك، يقال: وطن البلد

توطيناً أى اتّخذه محلاً ومسكناً يقيم به، ووطّن نفسه على الأمر وللأمر أى مهّدّها لفعله وذلّها وحملها عليه، قال سيّار بن قصیر الطائي (الخمسة 30).

لو شهدت أمّ القديد طعاناً بمرعش خيل الأرمني أرنت

عشية أرمي جمعهم بلبانه ونفسى وقد وطّتها فاطمانت

وفى أساس البلاغة للزمخشري:

وطّنت نفسى على كذا فتوّنت

. قال:

ولا خير فيمن لا يوطّن نفسه على ناثبات الدهر حين توب

وفى غير واحدة من النسخ المطبوعة والخطيّة كتبت: وطنوا بالهمزة من التوطئة أى التمهيد يقال وطا الأمر إذا مهّد.

والجنوب جمع الجنب بالفتح فالسكون كفلس وفلوس يقال بالفارسية: پهلو وقال الراغب في المفردات: أصل الجنب الجارحة وجمعه جنوب قال الله عز وجل (فتکوی بها جباهم وجنوبهم) وقال تعالى: «تَجَافِي جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» وقال عز وجل: «قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ» ثم يستعار في الناحية التي تليها كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال كقول الشاعر: من عن يميني مرّة وأمامي.

«المصارع» جمع المصروع، يقال: صرّعه على الأرض صرعاً من باب منع أى طرحة عليها، والمصرع مكان الصريع، ومصارع القوم حيث قتلوا.

«اذمروا» بالذال المعجمة اخت الدال المهمّلة، ذمره على الأمر بالتخفيض من باب نصر، وبالتشديد أيضاً حضنه مع لوم ليجدّ فيه يقال: القائد يذمر أصحابه في الحرب أى يسمعهم المكروه ليسخذلهم، ورأيهم يتذمرون في الحرب، وأقبل يتذمر أى يلوم نفسه على التفريط في فعله وهو ينشطها لثلاً نقرط ثانية، وفلان يتذمّر ويترفع أذياله ويتشرّم، وهو ذمر من الأذمار: شجاع، قاله في الأساس وذمرته ذمره ذمراً حشته، ذمار اسم فعل للحصّ على الحرب وتذامر القوم أى حتّ بعضهم بعضاً وذلك في الحرب.

«الدعسي» الدّعس بالفتح فالسّكون: الدفع في الأصل، ثم يستعمل في

الطّعن وشدة الوطأ والجماع قاله المرزوقي في شرحه على الحماسة قال العباس بن مرداس (الحماسة 151):

إذا ما حملنا حملة نصبوا لنا صدور المذاكى والرّماح الدّواعسا

وقال قتادة بن مسلمة الحنفي (الحماسة 258):

وفي النَّقْع ساهمة الوجه عوايس وبهِنٌ من دعس الرّماح كلوم

قال الجوهرى في الصّحاح. الدّعس بالفتح: الأثر، يقال: رأيت طريقاً دعساً أى كثير الأثار، والمدعاس الطريق الذى لينته المارة و الدّعس: الطّعن وقد يكنى به عن الجماع، و دعست الوعاء: حشوته، والمدعس: الرّمح يدعس به، ويقال: المداعس الصّمّ من الرّمح، انتهى ما أردنا من نقل كلامه، يقال:

بيّنهم مداعسة أى مطاعنة بالرّماح، وفي القاموس: الدّعس كالمنع: حشو الوعاء.

وبما ذكرنا علمت أنَّ الطّعن بمعنى الضرب بالرّماح فانَّ الدّعسى صفة للطّعن و الدّعس و الدّواعس و المدعس و المداعس قد استعملت في فصيح الكلام للرّماح فقط، وقد قال الأشتري في أبيات آت نقلها:

فاصبروا للطّعن بالأصل السّمر و ضرب يجري به الأمثال والأصل بالتحريك في الأصل نبات دقيق الأغصان تُخَذَّل منه الغرائب، ويقال للرّماح الأصل على التشبيه والمستدق اللسان و الذراع الأصلة.

«الطلّخفى» بكسر الطاء وفتح اللام و سكون الخاء المعجمة، قال الجوهرى في مادة طخ من الصّحاح: ضرب طلّخف بزيادة اللام مثل حجر أى شديد، وقال الصّفوي في منتهى الأرب: ضرب طلّخف كهزبر زدگى سخت، لام زائد است.

وجاءت الطلّخفى في غير واحدة من النسخ بالحاء المهملة و لكن نسختنا التي قوبلت على نسخة الرضى مضبوطة بالمعجمة و المهملة كالمعجمة معنى يقال:

ضربه ضرباً طلّخيفاً و طلّخفياً و طلّخفياً و طلّخفياً أى شديداً، و قالوا إنَّ اللام في المهملة أصلية، وقال في القاموس بعد ضرورب اللغات في الطلّخفى

المهملة: واللام أصلية لذكرهم الطّلخفي في باب فعلٍ مع حبركى ووهم الجوهرى.

أقول: زيادة اللام أول الكلمة وحشوها قليلة جدًا وأماماً في الآخر فقد ثبت في الأعلام كزيدل وعبدل في زيد وعبد ولكن عدم زيادتها أولاً وحشوافمه مالم يثبت بل لها نظير وجوهري ذهب إلى أن اللام في الطّلخفي المعجمة زائدة ولم يأت بالمهملة في الصحاح وذكر الصفي بوري المعجمة في مادة ط خ وصرّح بأن اللام زائدة والمهملة في ط لح ف وبين بأنها أصلية، فاسناد الوهم إلى الجوهرى وهم.

ثم إن المعجمة في المعاجم التي عندنا مضبوطة على الوجه المقدم ذكره إلا في أقرب الموارد فإنه قال في طلخف بالخاء المعجمة: ضرب طلخيف بالخاء:

كاللقاء في لغاته.

«إماتة الصوت»: إخفاؤه.

«الطرد»: الإبعاد، تقول طرده فاطرد أي أبعدته فابتعد.

«الفشل» بالتحريك: ضعف مع جبن مصدر من فشل الرجل من باب علم إذا جبن وضعف وتراخي عند حرب أو شدّة. قال الفيومي في مصباح المنير: فشلا فهو فشل عن باب تعب وهو الجبان الضعيف القلب.

تقول: دعى إلى القتال ففشل أي جبن، وذهبت قوته فهو فشل وفشيل وفشل وقال الطرماح مستهزءاً بـرجل:

فقد بزم بظر امك واحتفر بأير أيك الفشل كرات عاسم

وهو من أبيات الحماسة (628) وقد يروى في البيت الفسل أيضاً.

وعزم على كذا ثم فشل عنه أي نكل عنه ولم يمضه.

وفي القرآن الكريم: «وَلَقَدْ صَدَقُوكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشَيْلُتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ» (آل عمران 147) «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَنَقْشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ» (الأنفال - 50).

«إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًاً وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفَسِلْتُمْ» (الأنفال - 46).

«إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَقْشَلَا» (آل عمران 123).

«فلق»: شق، وقال ابن الأثير في النهاية: فيه - يعني في الحديث «من اعتق نسمة أو فك رقبة» النسمة: النفس والروح أي من اعتق ذاروح وكل دابة فيها روح فهي سمة وإنما يريد الناس منه حديث على عليه السلام والذى فلق الحبة وبرا النسمة أي خلق ذات الروح وكثيراً ما كان يقولها إذا اجتهد في يمينه، انتهى.

## الاعراب

النون المتنقلة من تشتدن نون تأكيد، عليكم ظرف لغو متعلق بالفعل، فرقة فاعل الفعل، «بعدها كرّة» خبر و مبتداء قدم الخبر توسيعا للظروف والجملة صفة للفرة، ولا جوله بعدها حملة عطف على فرقة بعدها كرّة والكلام فيها كالاولى، ومفعول وطنوا محذوف إن اخذ التوطين بمعنى التمهيد على وجه سترعرفه أي وطنوا أنفسكم، أو أن حرف التعريف في الجنوب بدل من المضاف إليه كما سيعلم وجهه في المعنى، على الطعن ظرف لغو متعلق بقوله: اذ مروا، وياء الدعسى للنسبة.

وقال بعض المتأخرین في تعاليقه على النهج: الدعسى اسم من الدّعس أي الطّعن الشّدید فإن عنى أن الكلمة الدّعسى إحدى اللغات في الدّعس غير أنها اسم للدّعس لا يساعد المعاجم اللغوية والكتب الأدبية، والدعسى على أي نحو كان صفة للطعن، وكذلك الظرفية صفة للضرب فان كانت بالخاء المعجمة فالباء مشددة للنسبة، وإن كانت بالحاء المهملة فهى مقصورة إحدى اللغات الخمس فيها، والضمير في انه راجع إلى المصدر أعني الإمامة المستفاد من قوله: أعدوا هو أقرب للتقوى، ولا بأس بتذكير الضمير لمكان المصدر، وكلمة أطرد للتفضيل والمفضل منه ممحذوف بقرينة المقام أي أن أمامة الأصوات أطرد للفشل من اعلاها، «والذى» كلمة الواو للقسم متعلقه ممحذوفا وجوبا فاتها لا تدخل إلا على مظهر ولا تتعلق إلا ممحذوف. فلق الحبة صلة للذى وبرا النسمة عطف عليها

«ما اسلموا» جواب للقسم، وكلمة ما نافية. لـمّا عـلم للظرف و هو لـوـقـع الشـيـء لـوـقـعـهـيـهـ و الشـيـء الـأـوـلـ فـيـ المـقـامـ اـظـهـارـهـمـ الـكـفـرـ، وـ الثـانـيـ وـجـودـ الـأـعـوـانـ عـلـيـهـ

## المعنى

قوله عليه السـلام: «لا تـشـتـدـنـ عـلـيـكـمـ فـرـةـ بـعـدـ هـاـ كـرـةـ وـ لاـ جـوـلـةـ بـعـدـ هـاـ حـمـلـةـ» قد علمـتـ آـنـفـاـ أـنـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ قدـ كـانـ يـنـبـهـ أـصـحـابـهـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـغـتـرـرـ بـفـرـارـ الـأـعـدـاءـ مـنـ الـمـعـارـكـ فـإـنـ الفـرـارـ قـدـ يـكـونـ عـنـ حـيـلـةـ وـ خـدـعـةـ فـيـلـوـنـ الـأـدـبـارـ لـكـيـ يـفـرـجـواـ الـآـذـنـ يـقـاتـلـونـهـمـ وـ يـغـرـوـهـمـ بـأـتـبـاعـهـمـ آـثـارـهـمـ مـهـرـعـيـنـ وـ يـخـرـجـوـهـمـ مـنـ مـكـامـنـهـمـ ظـنـاـ مـنـهـمـ بـأـنـهـمـ انـهـزـمـوـاـ وـ مـاـ كـانـ فـرـارـهـمـ عـنـ هـزـيمـةـ وـ بـعـدـ مـاـ أـفـرـجـوـهـمـ بـرـهـةـ مـنـ الزـمـانـ يـعـطـفـوـنـ وـ يـقـبـلـوـنـ عـلـيـهـمـ وـ يـحـمـلـوـنـهـمـ حـمـلـةـ رـجـلـ وـاحـدـ فـيـهـزـمـوـنـهـمـ، كـمـاـ كـانـ هـذـاـ التـبـيـهـ هـوـ الـمـرـوـيـ عـنـ الـكـافـيـ حـيـثـ أـيـقـظـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـصـحـابـهـ بـقـوـلـهـ: «لا يـشـدـدـنـ عـلـيـكـمـ كـرـةـ بـعـدـ فـرـةـ، وـ لاـ حـمـلـةـ بـعـدـ جـوـلـةـ».

وـهـنـاـ أـرـشـدـهـمـ إـلـىـ أـنـ الـحـرـبـ خـدـعـةـ، وـ فـرـ وـ كـرـ فـإـنـ عـلـمـوـاـ أـنـ مـقـتضـىـ الـحـالـ فـيـ القـتـالـ يـوـجـبـ أـنـ يـوـلـوـهـمـ الـأـدـبـارـ وـ يـخـيـلـوـهـمـ وـ يـرـوـهـمـ بـأـنـهـمـ مـنـهـزـمـوـنـ حـتـىـ إـذـ أـمـكـنـتـهـمـ الـفـرـصـةـ مـنـ الـحـمـلـةـ عـلـيـهـمـ كـرـوـاـ عـلـيـهـمـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ فـلـاـ يـحـسـبـوـهـ عـارـاـ وـ لـاـ يـسـتـحـيـوـاـ مـنـهـ، وـ لـاـ يـسـتـصـعـبـ عـلـيـهـمـ هـذـاـ النـحـوـ مـنـ الـفـرـارـ الـظـاهـرـىـ الـمـوـجـبـ لـلـظـفـرـ عـلـىـ الـخـصـمـ وـ اـنـمـاـ الـذـىـ يـنـبـغـىـ أـنـ يـسـتـصـعـبـ وـ يـشـقـ عـلـىـ الـمـجـاهـدـ وـ يـسـتـحـيـيـ مـنـهـ هـوـ أـنـ تـكـوـنـ فـرـةـ مـنـ غـيرـ كـرـةـ، بـلـ لـاـ يـجـوزـ الـفـرـارـ إـذـ كـانـ الـعـدـوـ عـلـىـ الـضـعـفـ أـوـ أـقـلـ.

وـقـدـ مـضـىـ قـوـلـ ثـامـنـ الـأـئـمـةـ عـلـىـ بـنـ مـوـسـىـ الرـضـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ شـرـحـ المـخـتـارـ 235ـ مـنـ بـابـ الـخـطـبـ (صـ 178ـ جـ 15)ـ فـيـ الـفـرـارـ عـنـ الـزـحـفـ حـيـثـ قـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ: وـ حـرـمـ اللـهـ الـفـرـارـ مـنـ الـزـحـفـ لـمـاـ فـيـهـ مـنـ الـوـهـنـ فـيـ الدـيـنـ، وـ الـاسـتـخـفـافـ بـالـرـسـلـ صـلـوـاتـ اللـهـ وـ سـلـامـهـ عـلـيـهـمـ وـ الـأـئـمـةـ الـعـادـلـةـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ، وـ تـرـكـ نـصـرـتـهـمـ عـلـىـ الـأـعـدـاءـ وـ الـعـقـوبـةـ لـهـمـ عـلـىـ انـكـارـ مـاـ دـعـوـاـ إـلـيـهـ مـنـ الـاقـرـارـ بـالـرـبـوـيـةـ، وـ اـظـهـارـ الـعـدـلـ، وـ تـرـكـ الـجـوـرـ، وـ إـمـانـةـ الـفـسـادـ لـمـاـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ جـرـأـةـ الـعـدـوـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ وـ مـاـ يـكـونـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ السـبـىـ

والقتل وإبطال حق الله تعالى وغيره من الفساد. وكذا في المقام غيره من النصوص المستفاضة المستفاد منها أن الفرار من الزحف من جملة الكبائر.

وبما قدمنا علماً وجه كون عبارة النهج بعكس ما في الكافي ففي الكافي كانت الكرة مقدمة على الفرة والحملة على الجولة وهنها كانت الكرة متاخرة من الفرة، والحملة من الجولة، وهناك أيضًا قولهم بقوله: لا يشدّون عليكم، وهذا وصاهم بقوله: لا تشتدّن عليكم.

واعلم أن قوله عليه السلام: «لا تشتدّن عليكم فرّة بعدها كرّة» قول في تفسير قوله تعالى إلا متحرّفاً لقتال في الأنفال حيث قال عز من قائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولِّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيَّرًا إِلَى فِتَّةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبِهِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِسْنَ الْمَصِيرِ» (آية 17، 18).

والزحف الجيش الذي يرى لكنته كأنه يزحف أي يدبّ دبباً، والزحف أيضًا الدنو قليلاً قليلاً كما قال الأزهري: أصل الزحف هو أن يزحف الصبي على استه قبل أن يقوم، شبه بزحف الصبي مشى الطائفين يتمسّى كل فئة مشياً رويداً إلى الفئة الأخرى يتداين للضراب، ورحاً منصوب في موضع الحال للكفار.

وفي تفسير المجمع: التحرّف: التروّال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف فالمعنى - والله تعالى أعلم - إذا لقيتم الكفار لقتال وحال أنّهم كثير جمّ وأنتم قليل فلا تولوهم الأدبار أي لا تجعلوا ظهوركم إليهم أي لا تقرروا منهم فضلاً عن أن تدانوهم في العدد أو تساؤلهم، ومن يولّهم يومئذ أي وقتئذ سواء كان نهاراً أو ليلاً فقد استحق واحتمل غضب الله ومويه جهنّم وبئس المصير فالآلية تدل على أن الفرار من الزحف من كبار المعاشي.

وفي الكافي بإسناده عن عقيل الخزاعي: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الصلال، ضلال في

الَّذِينَ وَسَلَبُ لِلَّدْنِيَا مَعَ الذَّلِّ وَالصَّغَارِ، وَفِيهِ اسْتِيْجَابُ التَّارِبَالْفَرَارِ مِنَ الرَّحْفِ عَنْ حَضْرَةِ الْقَتَالِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُوَلُّهُمُ الْأَدْبَارَ».

وَاسْتَشَنَى جَلَّ وَعَلَا مِنْ حَرْمَةِ الْفَرَارِ حَالَتِينَ إِحْدَاهُمَا إِذَا كَانَ الْمُجَاهِدَ مُتَحَرِّفًا لِقَتَالِ، فَقَالَ فِي الْكَشَافِ: وَهُوَ الْكَرَّ بَعْدَ الْفَرَّ يُخْيِلُ عَدُوَّهُ أَنَّهُ مُنْهَزِمٌ ثُمَّ يَعْطُفُ عَلَيْهِ وَهُوَ بَابُ مِنْ خَدْعِ الْحَرْبِ وَمَكَانِدِهَا.

وَنَحْوُ النَّيْسَابُورِيِّ فِي غَرَائِبِ الْقُرْآنِ، وَالْبَيْضَاوِيِّ فِي أَنوارِ التَّنْزِيلِ حِيثُ قَالَ فِي مَعْنَاهِ: يَرِيدُ الْكَرَّ بَعْدَ الْفَرَّ وَتَغْرِيرِ الْعَدُوِّ فَإِنَّهُ مِنْ مَكَانِدِ الْحَرْبِ.

وَقَالَ الطَّبَرِسِيُّ فِي الْمَجْمُعِ: وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِلَّا مَنْعِطْفًا مُسْتَطْرِدًا كَأَنَّهُ يَطْلُبُ عُورَةً يُمْكِنُهُ اصْبَاتُهَا فِي تَحْرِفٍ عَنْ وَجْهِهِ وَيَرِى أَنَّهُ يَفْرَّ ثُمَّ يَكْرُّ وَالْحَرْبَ كَرَّ وَفَرَّ.

وَالْقُولُ الْآخَرُ فِي تَفْسِيرِ قُولِهِ تَعَالَى: «إِلَّا مُتَحَرَّفًا لِقَتَالٍ» هُوَ أَنَّ مَنْ وَلَّ دِبْرَهُ يَبْغِي مَوْقِعًا أَصْلَحًا لِلْقَتَالِ مِنَ الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ فَهُوَ خَارِجٌ عَنْ حَرْمَةِ الْفَرَارِ مِنَ الرَّحْفِ وَالْحَقِّ إِنَّهُ شَامِلٌ عَلَى كُلِّ الْقَوْلَيْنِ، أَيْ إِنَّ الْفَارِّ عَنِ الرَّحْفِ قَدْ بَاءَ بِغَضْبٍ مِنَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَدْبِرَ عَنِ الْقَتَالِ وَيَنْحَرِفَ عَنْ مُضِيقِ إِلَى اتِّساعِ لِتَجْوِلِ الْخَيْلِ، أَوْ مِنْ مَعَاطِشِ إِلَى مِيَاهٍ، أَوْ كَانَ الشَّمْسُ أَوِ الرِّيحُ فِي وَجْهِهِ فَاسْتَبِرَهَا، أَوْ كَانَ يَوْهَمُ بِاسْتِدْبَارِهِ خَصْمَهُ أَنَّهُ مُنْهَزِمٌ مِنْهُ لِيَغْرِيَهُ بِاتِّبَاعِهِ فَيَنْفَرِدُ عَنِ أَشْيَاعِهِ فِي كَرَّ عَلَيْهِ فِي قِتْلَتِهِ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ.

وَثَانِيَتِهِمَا إِذَا كَانَ مُتَحِيزًا إِلَى فَتَّةٍ، وَالتَّحِيزُ طَلْبٌ حَيْزٌ يَتَمَكَّنُ فِيهِ وَالْمَعْنَى أَوْ كَانَ مُنْحَازًا وَمُنْتَقِلاً إِلَى جَمَاعَةِ أُخْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَيْ غَيْرِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا وَهُمُ الَّذِينَ يَرِيدُونَ قَتَالَ الْأَعْدَاءِ وَالْجَهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ.

وَعَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ أَنَّ الْفَرَارَ مِنَ الرَّحْفِ فِي غَيْرِ هَاتِينِ الصُّورَيْنِ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ كَمَا فِي الْكَشَافِ وَغَرَائِبِ الْقُرْآنِ.

وَقَدْ رُوِيَ أَهْلُ السَّنَّةِ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اجْتَبِوَا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَنَّ؟ قَالَ: الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرُ، وَقَتْلُ

النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الرحف، وقدف الممحصنات الغافلات و المؤمنات.

وقد مررت الإشارة إلى أنّ مثل ذلك قد روى عن أهل بيته عليهم السلام بروايات متکاثرة متضادّة وتقديم نقل شطر مما أضافه أبو الحسن الرضا عليه السلام في علل تحريم الكبائر ومنها الفرار عن الرحف. كما تقدم آنفاً قول أمير المؤمنين عليه السلام عن الكافي وصفيفين لنصر: ولعلم المنهزّ أنه مسخط لربه وموبق نفسه وفي الفرار موجدة الله عليه والذلّ اللازم - إلخ.

الحرب خدعة لا كلام في أن الخدعة في نفسها قبيحة تنفر الطياع عنها. روى الكليني في الكافي بإسناده عن هشام بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو لا - أن المكر والخدع في النار لكنت أمكر الناس (الوافي ص 156 ج 3) وقد رفع قبحها في الحرب فإذاً الغرض الأسنى من الجهاد قمع اصول الفساد، وقطع فروعه وقد جوز الشارع تعالى التوصل بالخدعة في حضرة القتال إلى ذلك، وتتفذه الأحلام وتنبهه الطياع لذلك.

قال العلامة قدس سره في آخر المقصد الثاني من جهاد المنتهى (ص 913 منطبع الرحلى على الحجر 1333هـ): يجوز المخادعة في الحرب ويجوز للمبارز أن يخدع قرنه ليتوصل بذلك إلى قتلهم إجماعاً، روى الجمهور أن عمرو بن عبدود بارز علينا عليه السلام فقال: ما أحب قتيلك يا ابن أخي، فقال عليه السلام: لكنني أحب أن أقتلك فغضب عمرو وأقبل عليه، فقال عليه السلام: ما بربت لا قاتل اثنين، فالتفت عمرو فوثب على عليه السلام فضربه، فقال عمرو: خدعوني، فقال عليه السلام:

الحرب خدعة، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

وروى شيخ الطائفة قدس سره في باب أن الحرب خدعة من جهاد التهذيب بإسناده عن إسحاق بن عمار، عن جعفر، عن أبيه عليهمما السلام أن علياً عليه السلام كان يقول:

لأن يخطفني الطير أحب إلى من أن أقول على رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقل، سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم الخندق: الحرب خدعة، يقول: تكلّموا بما أردتم، (الوافي ص 21 ج 9).

وفيه بإسناده عن مصعدة بن صدقة قال: حدثني شيخ من ولد عدى بن حاتم عن أبيه، عن جده عدى بن حاتم وكان مع على عليه السلام في غروته أن علياً عليه السلام قال يوم التقى هو و معاوية بصفتين فرفع بهم صوته يسمع أصحابه: و الله لا أقتلن معاوية وأصحابه ثم قال في آخر قوله: إن شاء الله خفظ بها صوته فكنت منه قريباً فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على ما قلت ثم استشيت بما أردت بذلك؟ فقال:

إن الحرب خدعة وأنما عند المؤمنين غير كذوب فأردت أن أحرض أصحابي عليهم لكيلا يفشلوا ولكي يطمعوا فيهم فانك تتتفع بها بعد اليوم إن شاء الله، واعلم أن الله عز وجل قال لموسى حيث أرسله إلى فرعون: «فأتباه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى عليه السلام على الذهاب، (الوافي ص 95 ج 7 وص 22 ج 9)، ورواه في البخار عن تفسير العياشي (ص 98 ج 21 من الطبع الكمباني).

وفي الباب السابع والثلاثين من أخلاق محتمسى للخواجة الطوسي قدس سره:

كان النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد سفراً ورثى إلى غيره وقال: الحرب خدعة.

وفي مروج الذهب للمسعودي (ص 6 ج 2) قال ابن عباس لعلي عليه السلام:

يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحرب خدعة؟ فقال على عليه السلام: بلـ. وسيأتي تمام كلامهما في شرح الكتاب السابع عشر إن شاء الله تعالى.

وفي الجامع الصغير للسيوطى عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله: الحرب خدعة.

وروى الكليني في الكافي بإسناده عن صفوان، عن أبي مخلد (محمد - خ) السراج، عن عيسى بن حسان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كل كذب مسئول عنه صاحبه يوماً إلا في ثلاثة: رجل كان في حربه فهو موضوع عنه، أو رجل

أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح فيما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئاً و هو لا يريد أن يتم لهم، (الوافى ص 158 ج 3).

وفي الكامل لأبي العباس المبرد (ص 193 ج 2 طبع مصر) ناقلاً عن المهلب قال: انه جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «كل كذب يكتب كذباً إلا ثلاثة:

الكذب في الصلح بين الرجلين، وكذب الرجل لامرأته يعدها، وكذب الرجل في الحرب يتوعّد ويتهدد.

وقال: وجاء عنه صلى الله عليه وآله إنما أنت رجل فخذل عنا فأنما الحرب خدعة.

قال: وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة و سعد بن معاذ و هما سيد الحسين الخزرج والأوس: «اتيا بني قريظة فإن كانوا على العهد فأعلنا بذلك؛ وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحقنا لي لحسناً أعرفه ولا تفتا في أعضاد المسلمين» فرجعوا بغدر القوم فقالوا يا رسول الله: عضل و القارة فقال رسول الله صلى الله عليه و آله للMuslimين:

ابشروا فإنّ الأمر ما تحبون.

قال الأخشن: سألت المبرد عن قولهما عضل و القارة فقال: هذان حيّان كانوا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه و آله فأرادا أنّهم في الانحراف عنه و الغدر به كهاتين القبيلتين.

قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله صلى الله عليه و آله إلى بدر نزل قريباً منه فركب هو و رجل من أصحابه يتعارفان أخبار قريش حتى وقف على شيخ من العرب فسألته عن قريش، وعن محمد و أصحابه، وما بلغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أخبر كما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذلك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغنى أنّ محمداً و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا و كذا - للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه و آله - و بلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا و كذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا و كذا - للمكان الذي فيه قريش - فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: نحن ماء ثم انصرف عنه فجعل الشيخ

يقول: نحن من ماء! من ماء كذا أو ماء كذا، نقله ابن هشام في السيرة النبوية (ج 1 ص 616 من طبع مصر 1375هـ)، و ابن قتيبة الدينوري في باب الحروب من كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص 194 ج 1 طبع مصر 1383هـ).

واعلم أنّ ما قدّمناه من جواز الخدعة في الحرب هو غير الغدر بهم أي قاتلهم وقتلهم بغتة بعد الأمان، والغدر ترك الوفاء ونقض العهد، قال شيخ الطائفة قدس سره في جهاد المبسوط: من أذمّ مشركاً أو غير مشرك ثمّ خفره ونقض ذمامه كان غادراً آثماً.

وإنّما لا يجوز الغدر بهم لقوله تعالى: «أَوْفُوا بِالْعُهُودِ» ولقوله صلى الله عليه وآله:

«لا- تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدروا» وغيره من الأخبار الواردة في النهي عن الغدر بهم ففي خبر رواه الكليني قدس سره في جامع الكافي بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله عن قريتين من أهل الحرب لكل واحدة منهما ملك على حدة اقتتلوا ثم اصطلحوا ثم إن أحد الملوك غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على أن يغزوا تلك المدينة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا ينبغي للمسلمين أن يغدوا ولا يأمروا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجودهم ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار. (جهاد الوسائل الباب 20) والروايات عن الرسول صلى الله عليه وآله وعنه وأئمّة الدين في التحذير عن الغدر وكراهيته كثيرة.

وقد نقل ابن قتيبة في كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص 117 ج 1 طبع مصر) قضية معجبة في خدعة مستقربة، وسوء عاقبة الغدر والبغى تأبى نفسي إلا الإتيان بها، قال: وقرأت في كتاب سير العجم أن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو خراسان ليغزو أخشنوار ملك الهياطلة ببلخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتدى رعب أخشنوار منه وحذره له، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره.

فقال له رجل منهم: أعطني موثقاً وعهداً تطمئن إلية نفسي أن تكفيني أهلي

ولدى و تحسن إليهم و تختلفني فيهم، ثم اقطع يدي و رجلي و القنى على طريق فيروز حتى يمر بي هو وأصحابه فأكفيك مئونتهم و شوكتهم وأورطهم مورطا تكون فيه هلكتهم.

فقال له أخشنوار: و ما الذي تنتفع به من سلامتنا و صلاح حالنا إذا أنت قد هلكت و لم تشركنا في ذلك؟ قال: إني قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا و أنا موقن بأنّ الموت لا بد منه و إن تأخر أياما قلائل، فاحب أن أختم عمرى بأفضل ما تختتم به الأعمار من النصيحة لإخوانى و النكایة فى عدوى فيشرف بذلك عقبي و اصيب سعادة و حظوة فيما أمامى.

ففعل به ذلك و أمر به فلما مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن أخشنوار فعل ذلك به و أنه احتال حتى حمل إلى ذلك الموضع ليidle على عورته و غرته، وقال: إني أدرك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه و أخفى، فلا يشعر أخشنوار حتى تهجموا عليه فينتقم الله لي منه بكم، و ليس في هذا الطريق من المكروه إلا تقويز يومين ثم تقضون إلى كل ما تحبون.

فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه و زراؤه بالإتهام له و الحذر منه و بغير ذلك فالغافهم و سلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صدر عنه ثم يبين لهم أمره فتقرقوا في المفازة يمينا و شمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم ولم يخلص مع فيروز منهم إلا عدّة يسيرة فإنّهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم و هم مستعدون لهم فوقعهم على تلك الحاله وعلى ما بهم من الصبر و الجهد فاستمكروا منهم و أعظموا النكایة فيهم.

ثم رغب فيروز إلى أخشنوار و سأله أن يمن عليه وعلى من بقى من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله و ميثاقه إلا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره؛ وعلى أنه يحد فيما بينه وبين مملكته حدا لا تجاوزه جنوده، فرضي أخشنوار بذلك و خلى سبيله و انصرف إلى مملكته.

فمكث فیروز برهة من دهره كثيما، ثم حمله الأنف على أن يعود لغزوه و دعا أصحابه إلى ذلك فردوه عنه وقالوا: إنك قد عاهدته و نحن نتخيّف عليك عاقبة البغي و الغدر مع ما في ذلك من العار و سوء المقالة.

فقال لهم: إنّى شرطت له ألا أجوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأننا آمر بالحجر ليحمل على عجلة أمامنا.

فقالوا له: أيها الملك إنّ العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تحمل على ما يسر المعطى لها و لكن على ما يعلن المعطى، وإنك إنّما جعلت له عهد الله و ميثاقه على الأمر الذي عرفه لا على أمر لم يخطر بباله.

فأبى فیروز و مضى في غزاته حتى انتهى إلى الهياطلة و تصفّ الفريقيان للقتال فأرسل اخشنوار إلى فیروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيّهم ليكلّمه، فخرج إليه.

فقال له اخشنوار: قد ظننت أنّه لم يدعك إلى غزونا إلا الأنف مما أصابك و لعمرى لئن كنّا احتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمست منّا أعظم منه، و ما ابتدأناك ببغى و لا ظلم و لا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حرمينا، و لقد كنت جديراً أن تكون مكافأتنا بممّا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وَكَدْتَ على نفسك أعظم أثنا و أشدّ امتعاظاً مما نالك منّا فإنّا أطلقناكم و أنتم أسرى، و منّا عليكم و أنتم مشرفون على الهلكة، و حقّنا دماءكم و بنا قدرة على سفكها، و إنّا لم نجبرك على ما شرطت لنا بل كنت أنت الرّاغب إلينا فيه، و المريد لنا عليه؛ ففكّر في ذلك، و ميل بين هذين الأمرين فانظر أيّهما أشدّ عاراً و أقبح سمعاً: إن طلب رجل أمراً ينحّ له، و سلك سبيلاً فلم يظفر فيها بيعيته، واستتمكن منه عدوه على حال جهد و ضيعة منه و ممّن معه فمنّ عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه و أمر اصطلحوا عليه فاضطرّ لمكرره القضاء، و استحياناً من التّكّث و الغدر؛ أم يقال (1) أمرؤ نكث العهد و ختر الميثاق؟

ص: 217

---

-1-(1) كان في الأصل: أن يقال، والصواب: أم يقال كما صححناه في المتن لأنّه عدل عن طلب منه.

مع أَنِّي قد ظنت أَنَّه يزيدك نجاحاً ما تشق به من كثرة جنودك و ما ترى من حسن عَدُّهم و طاعتهم لك و ما أَجدني أَشَكَّ أَنَّهم أو أَكْثُرهم كارهون لما كان من شخصك بهم عارفون بِأَنِّك قد حملتهم على غير الحق، و دعوتهما إلى ما يسخط الله فهم في حربنا غير مستبصرين، و نِيَّاتِهِم في مناصحتك اليوم مدخلة، فانظر ما قدر غناء من يقاتل على مثل هذه الحال؛ و ما عسى أن تبلغ نِكَائِتِهِ في عدوه إذا كان عارفاً بِأَنَّه إن ظفر فمع عار، و إن قتل فإلى النار؟ فَإِنَّا اذْكُرُكَ اللَّهَ الَّذِي جعلته على نفسك كفلاً، و نعمتني عليك و على من معك<sup>(1)</sup> بعد يأسكم من الحياة و إشفائهم على الممات، و أدعوك إلى ما فيه حظك و رشدك من الوفاء بالعهد و الافتداء ببابئك الَّذِين مضوا على ذلك في كلّ ما أحبوه أو كرهوه فأحمدوا عوافيه و حسن عليهم أثره.

و مع ذلك إنك لست على ثقة من الطَّفْر بنا، و البلوغ لنهمتك فيما و إنما تلتمس منك مثله، و تناوىء عدوه لعله يمنحك النصر عليك فقد بالغت في الاحتجاج عليك، و تقدّمت بالإعدار إليك، و نحن نستظاهر بالله الَّذِي اعتززنا به و وقنا بما جعلته لنا من عهده إذا استظهارت بكثرة جنودك و ازدحتك عدة أصحابك، فدونك هذه التصيحة فوالله ما كان أحد من نصحانك ببالغ لك أكثر منها، و لا زائد لك عليها، و لا يحرّمنك منفعتها مخرجها مني فإنه لا يزري بالمنافع عند ذوى الرأى أن كانت من قبل الأعداء كما لا يحبب المضارى إليهم أن تكون على أيدي الأولياء.

و أعلم أَنَّه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مقالتي ضعف أحسنه من نفسي، و لا فلآة من جنودي؛ و لكنني أحببت أن أزداد بذلك حجّة و استظهاراً، و أزداد به من الله النصر و المعونة استيğاباً، و لا أوثر على العافية و السلام شيئاً ما وجدت إليهما سبيلاً.

ص: 218

---

-1 - (1) عطف على الله أى. اذكر نعمتني عليك و على من معك. منه.

فأبى فيروز إلاّ تعلقا بحجّته فى الحجر الّذى جعله حدا بيته وبينه وقال: لست ممّن يردعه عن الأمر يهمّ به وعيده، ولا يقتاده التهديد والترهيب، ولو كنت أرى ما أطلبك غدرا متى ما كان أحد أنظر ولا أشدّ اتقاء متى على نفسى فلا يغرنك منا الحال الّتى صادفتنا عليها فى المرة الأولى من القلة والجهد والضعف.

قال اخشنوار: لا- يغرنك ما تخدع به نفسك من حملك الحجر أمامك فإنّ الناس لو كانوا يعطون العهود على ما تصف من إسرار أمر وإعلان آخر إذا ما كان ينبغي لأحد أن يغترّ بأمان، ولا يثق بعهد، وإذا لما قبل الناس شيئاً مما يعطونه من ذلك؛ ولكنّه وضع على العلانية وعلى نية من تعقد العهود والشروط له.

فانصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه: لقد كان اخشنوار حسن المحاورة، وما رأيت للفرس الّذى كان تحته نظيرافى الدّواب فإنه لم يزل قوائمه ولم يرفع حوافره عن موضعها ولا صهل ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورة فى طول ما توافقنا.

وقال اخشنوار لأصحابه: لقد واقفت فيروز كما علمتم وعليه السّلاح كله فلم يحرّك رأسه، ولم ينزع رجله من ركباه، ولا حنا ظهره، ولا التفت يمينا ولا شمالاً وقد تورّكت أنا مرارا، وتمطّيت على فرسى وتلفت إلى من خلفى، ومددت بصري في أمامي وهو منتصب ساكن على حاله، ولولا محاورته إبّاى لظننت أنه لا يبصرنى.

وإنّما أرادا بما وصفا من ذلك أن ينتشر هذان الحديثان في أهل عسكريهما فيشغلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه.

فلمّا كان في اليوم الثاني أخرج اخشنوار الصحيفة الّتى كتبها لهم فيروز فرفعها على رمح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبغيه ويحرجوها من متابعته، فانتقض عسكر فيروز واختلفوا وما لبوا إلاّ يسيرا حتى انهزموا وقتل منهم خلق كثير وهلك فيروز، فقال اخشنوار: لقد صدق الّذى قال: لا رادّ لما قدر، ولا أشدّ إحالة لمنافع الرأى من الهوى واللّجاج، ولا أضيع من نصيحة

يمنحها من لا يوطّن نفسه على قبولها و الصّير على مكر و هبّها، ولا أسرع عقوبة و لا أسوأ عاقبة من البغي و الغدر، ولا أجلب لعظيم العار و الفضوح من إفراط الفخر و الأنفة.

وقد مضى وجه آخر في تفسير كلامه هذا في ضمن بيان المصادر، ويحتمل الوجهين قوله عليه السلام المنقول من الكافي و نصر و الطبرى و المفيد آنفاً في ذكر المصادر:

فلو لا إقبالكم بعد إدباركم و كرّكم بعد انحيازكم و جب عليكم ما وجب على المؤلّى يوم الزحف دبره و كتنم فيما أرى من الهاكين.  
والشارح البحري احتمل في تفسير قوله عليه السلام: «لا تستندنّ عليكم فرقة بعدها كرّة» وجهاً آخر سوى الوجهين الذين اختناهما فقال:  
ويحتمل أن يريد فلا- تستندنّ عليكم فرقة من عدوكم بعدها كرّة منه عليكم فإنّ تلك الكرّة لما كانت عقب الفرقة لم تكن إلا عن قلوب  
مدحولة و نيات غير صحيحة و إنما قدّم الفرقة في هذا الاحتمال لأنّ مقصوده تحثير تلك الكرّة بذكر الفرقة و كان ذكرها أهمل فلذلك قدّمت و  
كذلك قوله: ولا جولة بعدها حملة. انتهى.

وأقول: قد علمت أنّ أمير المؤمنين عليهما تارة يوصى عسكره و يوقظهم بأن لا يغرنكم فرار الخصم فإنه ربما يكون من مكائد الحرب لأنّ  
الخصم ربما يولّيكم الدّير ليخيلكم أنه منهزم ثم يعطّف و يشدّ عليكم؛ كما رواه الكليني في الجامع الكافي عنه عليه السلام حيث قال: ولا  
يشدّون عليكم كرّة بعد فرقة و لا حملة بعد جولة.

وتارة يوصيهم و يحثّهم إذا رأيتم المصلحة في أن تولّوهم الأدبار لكي توهموهم الانهزام حتى إذا أمكنتهم الفرصة تكرّون عليهم فلا يستند  
عليكم هذا النحو من الفرار الذي هو من مكائد الحرب أى لا تحسبوه عارا حتى يستصعب عليكم هذا الفرار كما هو المروي في النهج قال  
عليه السلام: لا تستندنّ عليكم فرقة بعدها كرّة، ولذا كانت العبارتان متعاكستين، وقد علمت أنّ قوله في النهج كان ناظراً إلى قوله

تعالى «إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ»، والروايات كالآيات يفسّر بعضها بعضاً، ورواية الكافي هذا والرواية المتقدمة الحاوية قوله عليه السلام: فلو لا إقبالكم بعد إدباركم وكرّكم بعد انحيازكم - إلخ، قوله تعالى إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَال تدلّ على أنّ معنى ما في النهج هو الذي قدمناه أولاً، وكان للجملتان معنى آخر ذكرناه في ضمن بيان المصادر وكان معنياهما متعاكسين أيضاً، ولا يجري هذا الاحتمال الثالث في قوله المروي في الكافي، ولو يفسّر ما في النهج به لوجب أن يقال لا تشتمّنْ عليكم كرّة بعد فرقة.

على أنّ لأساليب الكلام معنى يتبرد إليه الذهن من غير تكليف وما من كلام إِلَّا مُمْكِن فيه تقدير وجوه من المعانى البعيدة فيخرج حينئذ عن الفصاحة والجودة وبالجملة إذا تأملت فيما قدمنا وفي سيرة أهل الحرب يظهر لك أنّ ما ينبغي أنّ تفسّر الجملتان هو المعانى المختاران.

قوله عليه السلام: «وأعطوا السيف حقوقها» لا يخفى عليك أنّ هذا الفصل من مختار كلامه عليه السلام يفيد ثلاثة مطالب: الأولى أنّ الحرب خدعة فالفرار منها إذا كان موجباً لتغريب الخصم وهلاكه لا ينبغي أن يستصعب ويحسب عاراً، الثاني أنّ على المجاهد أن يراعي أموراً، الثالث أنّ هؤلاء المحاربين للإمام كانوا كافرين إِلَّا أنّهم أسرروا كفراً، أمّا الأولى فقد مضى مفصلاً، وأمّا الثالث فسيأتي بيانه، أمّا الثاني فقد ذكر أربعة منها: الأولى أن يعطوا السيف حقوقها هذا تحريض على القتال أى إذا ضربتم بها فاحكموا الضرب، واضربوا ضربة منكرة وإعطاءها حقوقها كنایة عن هذا النحو من الضرب، فجعل للسيف حقاً وهو ما ينبغي أن يستفاد منه ثم أمرهم باعطاء حقها فإذا لم يضربوا بها على ما كان الحرّ بها جداً فكأنّهم خانوها، كما يقال أيضاً: إنّ سيف فلان لم يخنه، أى إنه لشدة حّدّته وجودته فعل ما أراد منه صاحبه كما قال نهشل بن حرّ النهشلي في قصيدة يرثى بها أخيه مالكا رحمه الله وقد قتل بصفين بحضوره أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قتله الفتنة الباغية:

آخر ما جد لم يخزنني يوم مشهد كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

و هون وجدي عن خليلي، إنني إذا شئت لاقيت امرء مات صاحبه

قوله عليه السّلام: «وَطَّنُوا لِلجنوب مصارعهَا» هذا هو الثاني من الأمور أمرهم بها، الظاهر من كلامه عليه السلام أنه حثّهم ونّشطهم على الإحکام في الضرب، وإن شئت قلت: هذا تأكيد وتشديد في الأمر الأول أي أدوا حقوق السيوف واضربوا بها ضربة واحكموا الضرب إلى حدّ طرحوها بها جنوب الأعداء على مصارعهم وتجعلوا مصارعهم أو طانا لهم أي بحيث لا يقدر الصّراغ على أن يقوموا من الأرض فكان لهم أخذوها أو طانا لهم أو مهدوا مصارعهم لجنوبهم أي يجعلوها ممهدة لسقوطهم عليها بضرر وكم المنكرة والمال واحد وإن كان الأول أصدق وأنساب بسياق الكلام إن لم يكن متعيناً، هذا ما ينادي به اسلوب الكلام.

وقال الشارح البحرياني: و المعنى أن يوطّنوا لجنوبهم مصارعها أى يتخذوا مصارع جنوبهم أوطنانا لها و هو كنایة عن الأمر بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله و الإقدام على أهوال الحرب إذا كان اتّخاذ المصارع أوطنانا للجنوب مستلزمًا لذلك العزم والإقدام.

واحتذى على مثاله المجلسي في فتن البحار (ص 626 ج 8 من الطبع الكمباني) حيث قال: أى اجعلوا مصارع الجنوب ومساقطها وطننا لها أو وطينا لها أى استعدوا للسقوط على الأرض والقتل كناءة على العزم على الحرب وعدم الاحتراز عن مفاسدها. انتهى.

و هذا كما ترى لا يناسب تحريض العسكر على الجهاد و حثّهم على القتال، أرأيت أنّ أمر أمير عسكته بالاستعداد للسقوط على الأرض لا يوجب و هنّهم؟ ولو سلّم أنّ فيه تشجيعاً بالعزم الجازم على الإقدام على أهوال الحرب و القتال في سبيل الله تعالى فسوق الكلام يأبى عن ذلك العمل.

قوله عليه السلام: «و اذ مررنا أنفسكم على الطعن الدّعسي، والضرب الْطَّلخفي» هذا ثالث الامور أمرهم بها، حثّهم عليه السلام أن يحضروا و يوطّنوا أنفسهم على الجدّ

في الطّعن بالرّماح والضّرب بالسّيوف ويوّجّوها على الفشل والضّعف، حتّى يتّشّمّروا للطّعن بالرّماح على الأعداء بحيث يظهر أثره ويحشى به أجوافهم، ويتهيّئوا لإيقاع الضّرب الشّديد بالسيوف عليهم.

ثم بتأمّل الصحيح في سياق هذه الامور الثلاثة يعلم أنّ مساقها واحد، ومفادها فارد، و الحق أن يقال إنّها ملتحقة من روایات شتّى كما قد أتينا بها في بيان مصادرها.

قوله عليه السّلام: «وأميّتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل» هذا رابع الامور أمرهم بها، أي اخضعوا للأصوات وعنّوها فإنّ اخفائها أولى بالوقار وأطرد للفشل وأذهب بالوهل وإنّ شدّة الضّوضاء في الحرب أمارة الخوف والوجل.

وفي كتاب الحرب من عيون الأخبار لابن قتيبة (ص 108 ج 1) أنّ قوماً استشاروا أكثم بن صيفي في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال: أقلّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أنّ كثرة الصّياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة تبتوا فإنّ أحزم الفريقين الرّكين، وربّة عجلة تعقب ريثا، واتّرروا للحرب، وادّرعوا اللّيل فإنه أخفى للوين، ولا جماعة لمن اختلف عليه.

وقال ابن قتيبة بعد نقل ما قاله أكثم: قال بعض الحكماء: قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاثْبُتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُقْلِبُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَقْسِلُونَ وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأفال 48). (49)

وقال: حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق عن الأوزاعي قال: قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: إلا ترونهم - يعني أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله - جثثاً على الرّكب كأنّهم خرس يتلمّظون تلمّظ الحياة، قال: وسمعتهم عائشة يكبّرون يوم الجمل فقالت: لا تكثروا الصّياح فإنّ كثرة التّكبير عند اللقاء من الفشل.

قوله عليه السّلام: «وَالَّذِي فلقَ الحَبَّةَ - إِلَخ» هذا هو المطلب الثالث الموعود بيانه

وفي بعض النسخ: فالذى بالفاء وهو من تصرفات النسخ أتوا بالفاء ليرتبط الذيل بالصدر وقد غفلوا أنّ. كلامه هذا ليس بمقالة فاردة بل ملتبطة من عدّة مقالات مرويّة عنه عليه السلام.

وكان عليه السّلام كثيراً ما يحلف بقوله و الذي فلق الحبة و برأ النسمة إذا اجتهد في يمينه وهذا مما لم يسمع من غيره أن يقسموا به و كان عليه السلام متفرداً بإنشائه و الحلف به.

وقد دريت أنّه عليه السّلام قال كلامه هذا في صفين لما رفع عمرو بن العاص شقة قميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله صلى الله عليه وآله - إلى آخر ما نقلنا في ذكر مصادر هذا الفصل عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم المنقري وأشار عليه السلام بقوله: «فأخذها فقد والله قربه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين» إلى أنّ القوم كانوا كافرين.

ثم إنّ سياق الكلام يقتضي افراد الأفعال والضمائر إلا أنّه عدل من الإفراد إلى الجمع تنبئها على أنّ عمرو بن العاص و معاوية بن أبي سفيان وأشياعهما وأشباههما ما أسلموه واقعاً بقلوبهم ولكن استسلموا أى أظهروا الإسلام بالستّهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وانقادوه خوفاً من السيف وكانت قد أسرّوا كفراً لهم لأنّهم لم يجدوا أعوناً عليه حتى يظهرونه فلما وجدوهم أظهروه وكان كلامه عليه السّلام المروي آنفاً عن صفين لنصر حيث قال: «وقد نصبوا لنا الحرب وجدوا في إطفاء نور الله والله متّم نوره ولو كره الكافرون» مشيراً بکفرهم كما لا يخفى.

وقد مرّ كلام ابن الحتفية المنقول عن كتاب صفين لنصر في ذكر المصادر أنّه قال: لـما أتاهم الله من أعلى الوادي ومن أسفله و ملأ الأودية كتائب استسلموا حتى وجدوا أعونا، وكذا كلام عمّار رضوان الله عليه، وسيأتي كلام الأمير عليه السلام في الكتاب التالي إلى معاوية: و لما دخل الله العرب في دينه أفواجاً وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً كنتم ممّن دخل في الدين إما رغبة وإما رهبة - إلخ.

وراجع إلى باب ما ورد في كفر معاوية وعمرو بن العاص وأوليائهم من المجلد الثامن من البحار (ص 560-571 من الطبع الكمباني).

وقال الفاضل الشارح المعتلى: وهذا يدل على أنه عليه السلام جعل محاربتهم له كفرا. انتهى.

أقول: هذا الكلام من أمير المؤمنين عليه السلام صريح في أن القوم كانوا كافرين ولا يدل على أن من حاربه فهو كافر نعم إن محاربتهم له عليه السلام توجب كفرا ومحاربته كفرا بالأدلة التي قدمناها في شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 367-379 ج 15) وفي شرح المختار الثاني من باب الكتب والرسائل (ص 76-80 ج 16).

وأرسل معاوية كتابا إلى أمير المؤمنين على عليه السلام وذكى كان لما دعى الناس من حيلة عمرو بن العاص وروغانه إلى كتاب الله وكتب فيما كتب فيه: واقطع لهذه الفتنة فاتق الله فيما دعيت له وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله. وسلام.

فكتب إليه أمير المؤمنين على عليه السلام كتابا جوابا عن كتابه، و من جملته:

إنك قد دعوتني إلى حكم القرآن ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن - إلخ.

وقد نقلهما نصر في كتاب صفين (ص 267).

وروى نصر في صفين (ص 167) عن يحيى، عن علي بن حزور، عن الأصبغ بن نباتة قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلة واحدة والحج واحد فبم نسميهم؟ قال: نسميهم بما سماهم الله في كتابه، قال: ما كل ما في الكتاب أعلم، قال: أما سمعت الله قال: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» - إلى قوله - «وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» فلما وقع الإختلاف كنا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى بسنة الله ربنا وإرادته.

أقول: ورواية نصر بن بن مزاحم في صفين عن الأصبع ظاهرة في أن الرجل سأله الأمير عليه السلام عن القاسطين، وقد روى نحوه الشيخ الأجل المفید في المجلس الثاني عشر من أعماله (ص 59 طبع النجف) أن الرجل سأله عليه السلام عن الناكثين حيث قال: حدثنا أبو الحسن بلال المھلی رحمه الله يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شعبان سنة ثلاثة وخمسين وثلاثمائة قال: حدثنا محمد بن الحسين بن حمید بن الربيع اللحمي قال: حدثنا سليمان بن الربيع النهدي قال: حدثنا نصر بن مزاحم المنقري قال: حدثنا يحيى بن يحيى الأسلمي، عن علي بن الحزور، عن الأصبع بن نباتة رحمه الله قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالبصرة فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم - إلخ - على حدود الرواية الأولى من نصر في صفين.

ومن الممكن أن السؤال وقع عن كل واحدة من الطائفتين فقد سأله رجل عن الناكثين في البصرة، وذلك الرجل أو آخر سأله عن القاسطين، أو السؤال كان عن إحداهما فاشتبه الأمر على الرأوى وأسند تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء أو يقال: إن ما في كتاب صفين مطلق مرسل فاته قال يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، فهو يشمل الطائفتين ولما رأى نصر أن السؤال الذي كان من الرجل عن الناكثين جاز في القاسطين أيضاً فما سئل الأمير عليه السلام في البصرة أتى به في صفين لاتحاد الحكم فيهما والحق أن جواب الأمير عليه السلام الرجل جاز في محاربي على عليه السلام سواء كانوا من الطوائف الثلاث الناكثين والقاسطين والمارقين أو غيرهم.

وفي بشارة المصطفى لشيعة المرتضى (ص 235 من طبع النجف): يأسنده عن نباتة أنه قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في بعض خطبه: أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه - إلى أن قال: لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن الناكثين والقاسطين والمارقين ملعونون على لسان النبي الأمي «وقد خاب من افترى».

أمير عليه السلام در هنگام کارزار به لشکریانش تعلیم می داد که: گریختن و عقب نشینی که پس از بازگشت و حمله بر دشمن باشد بر شما سخت و ناگوار نباشد و از آن ننگ نداشته باشید - یا اگر از دشمن شکست خوردید و رو بگریز گذاشتید از برگشتن و جنگیدن و تدارک گذشته کردن شرم نکنید و آنرا دشوار میندارید، حق شمشیرها را بدھید، و پهلوی دشمنان را بر خاک هلاک جای دهید، و خودتان را بر نیزه زدنی که بدرون دشمن رسد و کارگر شود، و بشمشیر زدن سخت بر آنها وادر کنید و آماده سازید، و آوازها را بمیرانید و صدا بلند نکنید که ترس را بهتر و بیشتر راننده تر و دور کننده تر است، سوگند به آنکه دانه را شکافت و آدمی را آفرید این قوم منافق اسلام نیاوردند و از ترس و حفظ جان خود گردند نهادند و بظاهر دعوی اسلام کردند و کفر را در دل پنهان داشتند تا چون اکنون یاری کنندگان و پشتیبانان بر آن یافتد آشکارش کردند و پرچم مخالفت برافراشتند.

### و من كتاب له عليه السلام الى معاوية جوابا عن كتاب منه اليه

#### اشارۃ

و هو المختار السابع عشر من باب الكتب والرسائل وأما طلبك إلى الشّام فإتى لم أكن لاعطيك اليوم ما منعتك أمس. وأما قولك إنّ الحرب قد أكلت العرب إلاـ حشاشات أنفس بقيت ألا فمن أكله الحق فإلى النار. وأما استوائنا في الحرب والرجال فلست بأمضى على الشّك مني

على اليقين. وليس أهل الشام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة. وأمّا قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطّليق، ولا الصّريح كاللّصيق، ولا المحقّ كالبطل ولا المؤمن كالمدغل، ولبنس الخلف خلف يتّبع سلفاً هو في نار جهنّم. وفي أيدينا بعد فضل النّبوة التي أذلّتنا بها العزيز، ونشدنا بها الدّليل. ولّمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً، وأسلّمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً كنتم ممّن دخل في الدين إمّا رغبة وإمّا رهبة على حين فاز أهل السّبق بسباقهم، وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم. فلا تجعلنّ للشّيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك سبيلاً.

#### المأخذ

روى الكتّابين سليم بن قيس الكوفي المتوفّى حدود سنة 90 هـ كما في الكتاب المنسوب إليه (ص 174 من طبع النّجف).

ونصر بن مراح المتنقري الكوفي المتوفّى 212 هـ في كتاب صفين (ص 252 من الطبع النّاصري)

ص: 228

وابن قتيبة الدينوري المتوفى 276هـ في كتاب الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء (ص 117 و 118 ج 1 من طبع مصر 1377هـ).

وعلى بن الحسين بن على المعروف بالمسعودي المتوفى 346هـ في مروج الذهب (ص 60 و 61 ج 2 من طبع مصر 1346هـ).

والشيخ الجليل أبو الفتح محمد بن على المعروف بالكراجكي المتوفى 449هـ وقد كان عاصر الرّضي، في كتابه كنز الفوائد (ص 201 من الطبع الحجري في إيران 1322هـ).

وأتي المجلسي رحمه الله برواية سليم بن قيس في ثامن البحار (ص 520 من الطبع الكمباني)، وبرواية نصر في ص 545 من ذلك المجلد.

ولابد لنا من الإتبان ببعضها والإشارة إلى اختلاف نسخها لأنّ معنى الكتاب الصحيح يتوقف عليهما، وبذلك يعرف أيضاً صحة نسخ، وتحريف آخر، فدونك ما رواه نصر في صفين عن عمر في إسناده قال: و كان من أهل الشّام بصفتين رجل يقال له الأصبع بن ضرار الأزدي، و كان يكون طليعة و مسلحة لمعاوية، فندب على الأشتراط فأخذه أسيراً من غير أن يقاتل، و كان على ينهى عن قتل الأسير الكاف؛ فجاء به ليلاً و شدّ وثاقه و ألقاه مع أضيفاه ينتظر به الصّباح، و كان الأصبع شاعراً مفوهاً، و نام أصحابه، فرفع صوته فأسمع الأشتراط فقال:

الآ لیت هذا اللیل اطبق سرما على الناس لا يأتیهم بنھار

يكون كذا حتّى القيامة إني أحذري في الإصلاح ضرمة نار

فيما ليل طبق إن في الليل راحة وفي الصبح قتلى أو فكاك اساري

ولو كنت تحت الأرض ستين وادي لما ردّ عنّي ما أخاف حذاري

فيما نفس مهلاً إن للموت غاية فصبراً على ما ناب يا ابن ضرار

أخشي ولی في القوم رحم قريبة أبي الله أن أخشي والأشتراط جاري

ولو أنه كان الأسير ببلدة أطاع بها شمرت ذيل إزارى

ولو كنت جار الأشعث الخير فكى وقل من الأمر المخوف فرارى

وجار سعيد أو عدى بن حاتم وجار شريح الخير قرّ قراري

وجار المرادي العظيم وهانىء وزحر بن قيس ما كرهت نهارى

ولو أتنى كنت الأسير لبعضهم دعوت رئيس القوم عند عثاري

أولئك قومي لا عدمت حياتهم وغفوهם عنى وستر عوارى

فغدا به الأشترا على على فقال: يا أمير المؤمنين هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس فوالله لو علمت أن قتله الحق قتله؛ وقد بات عندنا الليلة وحركتنا فإن كان فيه القتل فاقتله وإن غضبنا فيه وإن كنت فيه بالخيار فهو لنا، قال: هو لك يا مالك، فإذا أصبت أسيرا فلا تقتله فإن أسير أهل القبلة لا يقاد، أولا يقتل، فرجع به الأشترا إلى منزله وقال: لك ما أخذنا معك ليس لك عندنا غيره.

قال: وذكروا أن علياً أظهر الله مصبه غداً معاوية ومناجزه بلغ ذلك معاوية وفزع أهل الشام لذلك وانكسرت لغوله، وكان معاوية بن الصحّاح بن سفيان صاحب راية بنى سليم مع معاوية وكان مبغضاً لمعاوية وكان يكتب بالأخبار إلى عبد الله بن الطفيلي العامري ويبعث بها إلى علي عليه السلام فبعث إلى عبد الله بن الطفيلي أنّي قاتل شعراً أذعر به أهل الشام وأذعر (أرغم - خ) به معاوية، وكان معاوية لا يتّهمه وكان له فضل ونجمة ولسان فقال ليلاً ليسمع أصحابه:

ألا ليت هذا الليل أطبق سرما علينا، وأنا لا نرى بعده غداً

وياليه إن جاءنا بصباوه وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعداً

حدار على إنه غير مختلف مدى الدهر مالبي الملبون موعداً

فاما فرارى فى البلاد فليس لى مقام ولو جاوزت جابلق مصعداً

كائنى به فى الناس كاشف رأسه على ظهر خوار الرحالة أجردا

يخوض غمار الموت فى مرججنة ينادون فى نقع العجاج محمداً

فوارس بدر والنمير وخير واحد يرددون الصفيح المهندا

و يوم حنين جالدوا عن نبيهم فريقاً من الأحزاب حتى تبددا

هناك لا تلوى عجوز على ابنها وإن أكثرت في القول نفسي لك الفدا

فقل لابن حرب ما الذي أنت صانع أثبتت أم ندعوك في الحرب قعددا؟

وظئني بأن لا يصبر القوم موقفاً نقفه وإن لم نجز في الدهر للمندا

فلا رأي إلا تركنا الشام جهرة وإن أُبرق الفجحاج فيها وأرعدا

فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاوية فهم بقتله، ثم راقد فيه قومه وطرده عن الشام فلحق بمصر وندم معاوية على تسييره إياه، وقال معاوية: والله لقول الله لمي (الشعر السلمي - خ) أشد على أهل الشام من لقاء على ماله قاتله الله لو أصاب خلف جابق مصعداً نفذه - و جابق مدينة بالشرق وجابص مدينة بالمغرب ليس بعد هما شيء.

وقال الأشتر حين قال على عليه السلام: إنني مناجز القوم إذا أصبحت:

قد دنا الفضل في الصباح وللسلام رجال وللحرب رجال

فرجال الحروب كل خدب مقحم لا تهدى الأهواء

يضرب الفارس المدحّج بالسيف إذا فل في الوعا الأكفال

يا ابن هند شدّ الحيازيم للموت ولا يذهبن بك إلا مال

إن في الصبح إن بقيت لأمراً تتفادى من حوله الأبطال

فيه عزّ العراق أو ظفر الشام بأهل العراق والرِّزَال

فاصبروا للطّعان بالأسل السّمر وضربي بجري به الأمثال

إن تكونوا قتلتكم التّفر البيض وغالٰت أولئك الأجال

فلنا مثلهم وإن عظم الخطب قليل أمثالهم أبدال

يخضبون الوشیح طعننا إذا جرّت للموت بينهم أذیال

طلب الفوز في معاد وفي ذا تستهان النفوس والأموال

فلما انتهى إلى معاوية شعر الأشتر قال: شعر منكر من شاعر منكر رأس أهل العراق وعظمتهم ومسعر حربهم وأول الفتنة وآخرها، وقد رأيت أن أكتب إلى على كتاباً أسأله الشام وهو الشيء الأول الذي ردنـى عنه والقى في نفسه الشكّ والرقة.

فضحك عمرو بن العاص ثم قال: أين أنت يا معاوية من خدعة على؟ فقال: ألسنا بنى عبد مناف؟ قال: بلى، ولكن لهم النبوة دونك وإن شئت أن تكتب فاكتب فكتب معاوية إلى على مع رجل من السّكاك يقال له عبد الله بن عقبة و كان من ناقلة أهل العراق فكتب:

أمّا بعد فإنّي أظنك أنّ لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجّنها بعضنا على بعض، وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم به ما مضى ونصلح ما بقى، وقد كنت سألك الشّام على أن لا تلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك على فاعطانى الله ما منعت؛ وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتكم إليه أمس فإنّي لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف، وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستذلّ به عزيز، ولا يسترقّ به حرّ السلام.

فلما انتهى كتاب معاوية إلى على عليه السلام قرأه ثم قال: العجب لمعاوية وكتابه ثم دعا على عليه السلام عبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال: اكتب إلى معاوية:

أمّا بعد فقد جائني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجّنها بعضنا على بعض، فإنّا و إياك منها في غاية لم تبلغها (لم تبلغها - ظ)، وإلى لو قتلت في ذات الله و حيّيت ثم قتلت ثم حيّيت سبعين مرّة لم أرجع عن الشّدة في ذات الله و الجهاد لأعداء الله.

وأمّا قولك: إنّه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى فإنّي ما نقضت عقلّي، ولا ندمت على فعلّي؛ فاما طلبك الشّام فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

واما استوازنا في الخوف والرّجاء فإنّك لست بأمضى على الشّكّ مني على اليقين، وليس أهل الشّام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأَمّا قولك: إِنّا بُنُوْبُعْدِ مَنَافٍ لَيْسَ لِبَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَضْلٌ فَلِعُمْرِنِي إِنّا بُنُوْبُواحِدٍ وَلَكِنَ لَيْسَ امْيَةً كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمَطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سَفِيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمَهَاجِرَ كَالْمَطَّلِيقِ، وَلَا الْمَحْقَ كَالْمَبْطَلِ، وَفِي أَيْدِنَا فَضْلَ النَّبِيِّ الَّتِي أَذْلَلَنَا بِهَا الْعَزِيزُ، وَأَعْزَزَنَا بِهَا الدَّلِيلِ. وَالسَّلَامُ.

نصر، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة قال: فلما أتى معاوية كتاب على عليه السلام كتمه عن عمرو بن العاص أياما ثم دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب فشمت به عمرو ولم يكن أحد من قريش أشد تعظيمها لعلى عليه السلام من عمرو من ذلقيه وصفح عنه فقال عمرو بن العاص فيما كان وأشار به على معاوية شعرا.

أَلَا لِلَّهِ دَرْكٌ يَا ابْنَ هَنْدَ وَدَرْ الأَمْرِينَ لَكَ الشَّهُودُ

أَتَطْمَعُ لَا أَبَا لَكَ فِي عَلَىٰ وَقَدْ قَرَعَ الْحَدِيدَ عَلَى الْحَدِيدِ

وَتَرْجُو أَنْ تَخْبِرَهُ بِشَكٍ وَتَرْجُو أَنْ يَهَابَكَ بِالْوَعِيدِ

وَقَدْ كَشَفَ الْقَنَاعَ وَجَرَ حَرْبًا يَشِيبُ لَهُو لَهَا رَأْسَ الْوَلِيدِ

لَهُ جَاؤَهُ مَظْلَمَةُ طَحُونٍ فَوَارَسَهَا تَلَهَّبُ كَالْأَسْوَدِ

يَقُولُ لَهَا إِذَا دَلَفْتَ إِلَيْهِ وَقَدْ مَلَّتْ طَعَانَ الْقَوْمِ عَوْدِي

فَإِنْ وَرَدْتَ فَأَوْلَاهَا وَرَوْدَا وَإِنْ صَدَرْتَ فَلِيُسْ بَذِي صَدُودِ

وَمَا هِيَ مِنْ أَبِي حَسْنٍ بَنْكَرُ وَمَا هِيَ مِنْ مَسَائِكَ بِالْبَعِيدِ

وَقَلْتَ لَهُ مَقَالَةً مُسْتَكِينَ ضَعِيفَ الرَّكْنِ مَنْقُطَعَ الْوَرِيدِ

دَعْنَ الشَّامَ حَسْبَكَ يَا ابْنَ هَنْدَ مِنَ السَّوْءَاتِ وَالرَّأْيِ الزَّهِيدِ

وَلَوْ أَعْطَاكَهَا مَا أَرْدَدْتَ عَرَّا وَلَا لَكَ لَوْ أَجَابَكَ مِنْ مَرِيدٍ

وَلَمْ تَكُسرْ بِذِكَرِ الرَّأْيِ عَوْدًا لِرَكْتَهِ وَلَا مَا دُونَ عَوْدٍ

فلما بلغ معاوية قول عمرو دعاه فقال: يا عمرو إنني قد أعلم ما أردت بهذا قال: ما أردت؟ قال: أردت تفييلرأيي وإعظام على وقد فضحك، فقال: أمّا تفييلي رأيك فقد كان، وأمّا إعظامي عليك فإنك باعظامه أشدّ معرفة مني ولكنك تطويه وأنا أنشره، وأمّا فضيحتي فلم يفتش امرؤ لقى أبا حسن، وقد كان معاوية

شمت بعمره حيث لقى من علىّ عليه السلام ما لقى فقال عمرو في شماتة معاوية:

معاوي لا تشم بفارس بهمة لقى فارسا لا تعترى به الفوارس

معاوي إن أبصرت في الخيل مقبلاً لأن حسن يهوى دهتك الوساوس

وأيقنت أن الموت حق وآن أنه لنفسك إن لم تمض في الركض حاس

فإنك لو لاقيته كنت يوماً اتيح لها صقر من الجوّ آنس

و ماذا بقاء القوم بعد اختباطه وإنّ امرأ يلقى عليّاً لا يس

دعاك فصمت دونه الاذن هارباً فنفسك قد ضاقت عليها الأمالس

وأيقنت أن الموت أقرب موعد وأنّ التي ناداك فيها الدّهارس

وتشمت بي أن نالني حدّ رمحه وغضّ عضوضنى ناب من الحرب ناهس

أبى الله إلاّ أنه ليث غابة أبو أشبل تهدى إليه الفرasis

وإني امربّاق فلم يلتف شلوه بمعترك تسفي عليه الروامس

فإن كنت في شكّ فأدھج عجاجه وإلاّ قتلك التّرهات البسباس

وكتاب معاوية في نسخة الإمامة والسياسة يخالف ما في كتاب صفين في الجملة ففيه: لو علمت أن الحرب تبلغ ولم يأت بلحظة «وعلمنا» كما أتى بها في صفين.

وفيه: فلنا منها ما نذم به - و كان في صفين «مانندم به».

وفيه: وقد كنت سألك ألاّ يلزمني - و كان في صفين «وقد كنت سألك الشّام على أن لا تلزمني».

وفيه: وإنّي أدعوك إلى - و كان في صفين «وأنّ أدعوك اليوم إلى» وفيه: فإنك لا ترجو من البقاء إلاّ ما أرجو، ولا تخاف من الفناء إلاّ ما أخاف - و كان في صفين بعكس ذلك، و التأمل الصحيح يقضى بأن نسخة نصر كانت أمنٌ وأبلغ.

[صورة كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام على](#)

ما في الإمامة والسياسة

قال الدينوري: فلما انتهى كتابه - يعني كتاب معاوية المقدم نقله - إلى



علىٰ عليه السَّلام، دعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع، فقال: أَمَا بَعْدَ فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ تَذَكِّرُ أَنْكَ لَوْ عَلِمْتَ وَعْلَمْنَا أَنَّ الْحَرْبَ تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ لَمْ يَجِدْهَا بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَإِنَا وَإِيَّاكَ فِي غَايَةِ لَمْ نَبْلُغُهَا بَعْدَ، وَأَمَا طَلْبُكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنَّا لَمْ أَكُنْ أَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنْعَتْكَ أَمْسَ، وَأَمَا اسْتَوْأْنَا فِي الْخُوفِ وَالرَّجَاءِ فَإِنَّكَ لَسْتَ أَمْضِيَ عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامَ بِأَحْرَصٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرَقِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَمَا قَوْلُكَ: إِنَّا بْنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ وَلَكَنْ لَيْسَ امْبَيْةً كَهَاشِمَ، وَلَا حَرْبَ كَعْدَ الْمَطْلَبِ وَلَا أَبُو سَفِيَانَ كَلْيَ طَالِبٍ، وَلَا الْمَهَاجِرَ كَالْطَّلِيقَ، وَلَا الْمَحْقَ كَالْمَبْطُلِ، وَفِي أَيْدِينَا فَضْلَ النَّبِيَّ الَّتِي قَتَلَنَا بَهَا الْعَزِيزُ، وَبَعْنَابِهَا الْحَرُّ. وَالسَّلَامُ.

### نسخة الكتابين على ما في كتاب سليم بن قيس

قال سليم: ثم إن علينا عليه السلام قام خطيبا فقال: أيها الناس إن الله قد بلغكم ما قد رأيتم وبعدهم كمثل فلم يبق إلا آخر نفس وإن الأمور إذا أقبلت تعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا فيكم ما قد بلغوا وأنا غاد عليهم بالغداة إن شاء الله ومحاكمهم إلى الله بلغ ذلك معاوية ففزع فرعا شديدا وانكسر هو وجميع أصحابه وأهل الشام لذلك فدعاه عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنما هي الليلة حتى يغدوا علينا بما ترى؟ قال: أرى الرجال قد قلوا، وما بقي فلا يقومون لرجاله ولست مثله وإنما يقاتلك على أمر وانت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام علينا إن ظفر بهم ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم، ولكن ألق إليهم أمرا فإن ردوه اختلفوا وإن قبلوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله وارفع المصاحف على رءوس الرماح فإن بالغ حاجتك فإني لم أزل أذكرها لك.

فعرفها معاوية وقال: صدقت ولكن قد رأيت رأيا أخدع به عليا طلبي إليه الشام على المواعدة وهو الشيء الأول الذي ردني عنه.

فضحك عمرو وقال: أين أنت يا معاوية من خديعة على؟ وإن شئت أن تكتب فاكتب.

قال: فكتب معاوية إلى على عليه السلام كتاباً مع رجل من أهل السّكاكين يقال له عبد الله بن عقبة: أمّا بعد فاتك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمناه نحن لم يجئنا بعضنا على بعض وإنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى منها ما نرم به ما مضى ونصلح ما بقي، وقد كنت سألك الشام على أن لا تلزمني لك طاعة ولا بيعة فأليت ذلك فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك إلى ما دعوتكم إليه أمس فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجوه ولا تخاف من الفناء إلا ما أخاف، وقد والله رقت الأكباد وذهب الرجال، ونحن بنو عبد مناف وليس ببعضنا على بعض فضل يستند به عزيز ولا يسترق به ذليل. وسلام.

قال سليم: فلما قرأ على عليه السلام كتابه ضحك وقال: العجب من معاوية وخدعيته لى فدعا كاتبه عبد الله بن أبي رافع فقال له: اكتب: أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أنك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك إلى ما بلغت لم يجئنا بعضنا على بعض، وإنّا وإياك يا معاوية على غاية منها لم نبلغها بعد، وأمّا طلبك الشام فائي لم أعطك اليوم ما منعتك أمس، وأمّا استواؤنا في الخوف والرّجاء فأنك لست بأمضى على الشّك مني على اليقين وليس أهل الشام أحقر من أهل العراق على الآخرة، وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف ليس ببعضنا فضل على بعض فكذلك نحن ولكن ليس أميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا الطليق كالهاجر، ولا المنافق كالمؤمن، ولا المبطل كالمحق، في أيدينا فضل النّبّوة التي ملكتنا بها العرب، واستعبدنا بها العجم والسلام.

وكتاب معاوية على نسخة المسعودي: «وإنّا وإنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا ما نردّ به ما مضى» «على أن لا تلزمني لك طاعة وأنا أدعوك اليوم» «وذهب الرجال» «ويسترق به حر، وسلام» وسائر العبارات يطابق نسخة سليم.

وكتاب أمير المؤمنين على عليه السلام على نسخته «وأنا و إياك نلتمس منها غاية لم تبلغها بعد»، «وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص» «وليس امية» «وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر و السلام» وسائر عباراته يوافق نسخة سليم.

ونسخة كتاب الأمير عليه السلام من الكراجكي في الكنز تطابق نسخة المسعودي في المروج، وأماماً نسخة كتاب معاوية في الكنز: «فقد بقى لنا ما نرم به ما مضى» كما في نسخة سليم «يستدل به عز و لا يسترق به حد (حر - ظ) و السلام» و الباقي توافق نسخة المسعودي.

أقول: وبعد اللّي و التي فلم نجد مع الجد في الطلب وكثرة الفحص والتبيّع تحوز جميع ما في نسخة الرّضي في النهج أو توافق لها متننا، أو تطابق أجوبتها ما أتى به معاوية في كتابه وإن كان الاختلاف قليلاً ولا نشك في أن الرّضي نقل كلامه عليه السلام من مأخذ قيمة كانت تحضره، غاية الأمر أن يكون مختار واحد ملتفقاً من ملتفات عباراته الشّتّى.

نعم على ما نقله الفاضل البحرياني في شرحه على النهج تطابق أجوبة كتابه عليه السلام كتاب معاوية، قال: كتب إليه معاوية: أما بعد فإنّك لو علمت أنّ الحرب يبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجناها بعض على بعض، وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم بها على ما مضى ونصلح به ما بقى، وقد كنت سألك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة وأبى ذلك على فأعطاني الله ما منعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتكم إليه أمس فما زلت لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ولا أخاف من القتل إلا ما تخاف وقد والله رقت الأجناد وذهبت الرجال وأكلت الحرب العرب إلا حشاشات نفس بقيت، وإنّا في الحرب و الرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدل به عزيز ولا يسترق به حر و السلام. فلما قرأ على عليه السلام كتابه تعجب منه و من كتابه ثم دعا عبد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له اكتب إليه أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر - الفصل.

«طلبك إلى» قال في أقرب الموارد: طلب إلى: رغب، وقال الفاضل الشارح المعتزلي: يقال: طلبت إلى فلان كذا و التقدير طلبت كذا راغبا إلى فلان كما قال تعالى «في تسع آيات إلى فرعون» أى مرسلا، وفي تعليقة نسخة خطية عندنا فسرت العبارة هكذا: أى طلبك الشام قاصدا إلى بذلك، وسيأتي وجه آخر في بيان الإعراب.

«حساشات» جمع حشاشة بالضم، الحشاش و الحشاشة بقية الروح في المريض قال في الأساس: وما بقي منه إلا حشاشة، قال ذو الرمة:

فلما رأين الليل و الشمس حية حياة التي تقضي حشاشة نازع

وفي الحمامة (502):

فهل أنت إلا مستعبير حشاشة لمهجة نفس آذنت بفارق

وقال المرزوقي في الشرح: الحشاشة هي روح القلب، ورمق من حياة النفس وقد آذنت بالمقارقة، والمهجة: خالصة النفس.

وفي منتهى الأرب: حشاش بالضم كغراب: بقية جان در بيمار و جريح، حشاشة بالهاء كذلك.

«الطليق» قال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث حنين: وخرج إليها ومعه الطلقاء، هم الذين خلّ عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم ولم يسترّ لهم طلاق فقيل بمعنى مفعول وهو الأسير إذا طلق سبيله، ومنه حديث الطلقاء من قريش و العتقاء من ثقيف كأنه ميز قريشا بهذا الاسم حيث هو أحسن من العتقاء.

«الصريح»: الخالص من كل شيء، قال الفيومي في المصباح: صرح الشيء بالضم صراحة و صروحة: خالص من تعلقات غيره فهو صريح، وعربيًّا صريح خالص النسب والجمع صرقاء، وكل خالص صريح، و منه قول صريح وهو الذي لا يفتقر إلى إضمار أو تأويل.

وفي أقرب الموارد يقال: رجل صريح النسب أى خالصه.

«اللّصيق» أصل اللّصيق: الدّعى في قوم الملصق بهم وليس منهم من قولك لصدق الشيء بغيره من باب تعب لصدق ولصوقاً: لزق، وقال في الأساس: و من المجاز:

فلان ملصق ولصيق، دعى.

«المدخل» اسم فاعل من الإدغال، قال الجوهرى في الصحاح: الدّغل بالتحريك: الفساد مثل الدّخل، يقال: قد أدغل في الأمر إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده.

وفي النهاية الأثيرية: فيه - يعني في الحديث - اتّخذوا دين الله دغلاً أى يخدعون الناس، وأصل الدّغل الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه، وقيل: هو من قولهم: أدغلت في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يخالفه ويفسده و منه حديث على عليه السلام ليس المؤمن بالمدغل هو اسم فاعل من أدغل.

«نعشنا» نعشه الله ينعشه من باب منع أى رفعه، قال الجوهرى: لا يقال أنعشه الله، وسمى سرير الميت نушا لارتفاعه وإذا لم يكن عليه ميت محمول فهو سرير، قاله ابن الأثير في النهاية، وقال المرزوقي في شرحه على الحماسة (368):

النعش شبيه بالمصحفة كان يحمل عليه الملك إذا مرض؛ ثم كثر حتى سمى النعش الذي فيه الميت نушا.

«رغبة» بالفتح فالسكون مصدر من قولك رغب فيه من باب علم إذا أراده بالحرص عليه وأحبه.

و «رهبة» كالرغبة أى الخوف مصدر رهب الرجل منه من باب علم إذا خاف منه.

## الاعراب

«و أَمّا طلبك إِلَى الشَّام» الواو عاطفة على ما سبق في الكتاب من قوله:

و أَمّا قولك إِنَّه قد بقى من عقولنا - إلخ - كما دريت في بيان الماخذ، وفي بعض

النسخ: فأما طلبك، بالفاء كما في نسخة نصر المقدم نقلها، ونسخة الرّضي أصح، وياء إلى مشدّدة مدعّمة من ياء إلى الجارة وياء ضمير المتكلّم المجرور والشّام منصوب مفعول للطلب.

والعبارة في بعض النسخ مشكولة بحر الشّام وتحفيظ إلى أي رغبتك إلى الشّام ونحوه، وكأنّها وهم ونسخة الرّضي وأكثر المتون ما اخترناها وهو أوفق باسلوب الكلام، وأوثق في تأدية المعنى. وأوجز وأبلغ في الفحوى والمغزى.

وأمكّن أن تكون الكلمة إلى معنى من أي طلبك مني الشّام نحو قول عمرو ابن أحمر الباهلي في قصيدة قالها بعد ما هرب من يزيد بن معاوية لما بلغ عنه شيء إليه.

تقول وقد عاليت بالكور فوقها أيسقى فلا يروى إلى بن أحمر؟

أي تقول الناقة وقد رفعت الرّحل ووضعته على ظهرها: أيركبني عمرو بن أحمر فلا يملّ من ركوبى، والبيت في جامع الشواهد.

«أكلت» الضمير يرجع إلى الحرب وهي تؤثّث وتذكّر.

«شاشات» منصوب بالكسر لأنّ المستثنى متصل. «ألا» حرف تبييه.

«فالى النار» خبر لقوله من الموصولة في من أكله. والفاء في فإلى يتضمن من معنى الشرط، وقال ابن الحاجب في البحث عن المبدأ والخبر من الكافية:

وقد يتضمن المبدأ معنى الشرط فيصبح دخول الفاء في خبره وذلك إنما الاسم الموصول بفعل أو ظرف أو النكرة الموصوفة بهما مثل الذي يأتينى أو الذي في الدار فله درهم ومثل كلّ رجل يأتينى أو في الدار فله درهم.

«ما منعتك» ما موصول اسمي مفعول ثان لأعطيك «مني على اليقين» الظرفان متعلقان بأمضى، ومن أهل العراق على الآخرة متعلقان بأحرص «أمية» غير منصرف للعلمية والتأنيث، وكذلك سفيان لمكان الألف والتّون الزائدتين كعشمان.

«لبس» بئس من أفعال الّدم، الخلف فاعله وخلف مخصوص بالّدم وجملة يتبع سلفاً، في محل الرفع صفة له لأنّه نكرة، وجملة هو في نار جهنّم في محل الرفع صفة لسلف لذلك.

في أيدي خبر فضل النبّوة قدّم توسيعاً للظرف والواو للحال فالجملة حالية بعد مبني على الضم حذف المضاف إليه بقرينة المقام كما سيعلم في المعنى، نعشنا عطف على قوله اذلنا.

«كنتم» جواب لمّا، وأفرد دخل لظاهر من، على حين كقوله تعالى: «دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةً مِنْ أَهْلِهَا» (القصص - 16) وقال الفاضل أبو البقاء يعيش بن عليّ بن يعيش في تفسير التبيان في إعراب القرآن: على حين غفلة حال من المدينة ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أي مختلساً. انتهى، ففي المقام جاز أن يكون على حين حالاً من ضمير كتم أو من الدين وإن كان الأول أقرب بسياق الكلام.

«طوعاً» و«كرهاً» مصدران في موضع الحال وكذا رغبة ورهبة وذو الحال في الصورة الأولى الامّة وفي الثانية من «وذهب» عطف على فاز، أي على حين ذهب، والباء في بفضلهم للتعدية أعني صار فعل ذهب بها متعدّياً، وفي باء التعدية معنى المصاحبة أيضاً، ولذلك إذا تعدّى الفعل اللازم بباب الأفعال يفيد معنى، وإذا تعدّى بباء الجر يفيد معنى آخر يغاير الأول؛ مثلاً إذا قلت ذهبت زيداً ذاهباً وما ذهبت معه، وإذا قلت ذهبت بزيد جعلته ذاهباً وأنت أيضاً ذاهب معه لمكان الباء؛ فتبصر من لطافة قوله عليه السلام وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم.

والأّلون صفة للمهاجرين، والباء في بسبقهم سبيّة.

«نصيّاً» مفعول لا يجعل، وللشيطان متعلق به وكذلك فيك قدّما عليه توسيعاً للظروف.

«ولا على نفسك سبيلاً» معطوف على الشيطان فسيلاً مفعول الفعل وعلى نفسك متعلق به قدّم عليه للظرفية.

## اشارة

هذا الكتاب كتب قبل ليلة الهرير كما هو الظاهر، قيل بيومين أو ثلاثة جواباً عن كتاب كتبه معاوية إلى أمير المؤمنين على عليه السلام، وإنما كتبه معاوية إليه بعد ما بلغه قول على عليه السلام: لاناجزّهم مصباحاً، وتناقل الناس كلمته وفزع أهل الشام لذلك وانكسرت لقوله كما تقدم الكلام فيه من نصر وغيره آنفاً.

و معاوية قد أظهر في كتابه الندامة والنفرة على إثارته نار الحرب وإثارته إليها و إقدامه على إقبالها، و اعترف بأنه أطاع نفسه في ذلك وأدبر عن فتيا العقل، وفيه اشعار بجزعه من الحرب واضطرابه من القتال وعدم نجذبه في الحرب.

و أساء بأمير المؤمنين على عليه السلام الظن وخرج عن صوب الصواب و طريق الأدب حيث خاطبه عليه السلام بقوله: فإنّي أظنّك - إلى قوله: لم يجنّها بعض على بعض وأشركه في اتباعه الهوى و خروجه عن الطريقة المثلثي، بقوله: وإنّا قد غلبنا على عقولنا.

و طلب منه عليه السلام ثانياً أن يترك له الشّام، ولا يطلب منه طاعة ولا بيعة كما كان طلبه منه كذلك من قبل.

و شمخ بأنفه وأرعد وأبرق فجعل نفسه عكم خليفة الله بقوله: فانّك لا ترجو من البقاء - إلخ.

و استعطفه و دعاه إلى الشّفقة على الناس والكفّ من البأس بقوله: وقد و الله رقت - إلخ.

و خوّفه باستواء الفريقين في الحرب والرجال بقوله: وإنّا في الحرب - إلخ.

ثم تبصّص وأبدى القرابة منه بأنّ أميّة و هاشم صنوان من أصل واحد.

ثم تغطّرس بأنّ بنى عبد مناف ليس لبعضهم على بعض فضل، واستثنى من ذلك فقال: إلاّ فضل لا يستدلّ به عزيز ولا يسترقّ به حرّ، فأجاب عنها أمير المؤمنين على عليه السلام بما ترى:

أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر: «أنك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنبها بعضنا على بعض» نقل كلام معاوية  
أولاً فأجابه بقوله:

فإنا و إياك منها فى غاية لم نبلغها، وإنّى لو قتلت فى ذات الله و حيّيت ثم قتلت ثم حيّيت سبعين مرّة لم أرجع عن الشدّة فى ذات الله و  
الجهاد لأعداء الله.

وضمير منها يرجع إلى الحرب، وكلمة لم تبلغها جاءت في نسخة نصر بباء الخطاب وفي نسخة كنز الكراجكى بباء الغيبة وفي سائر  
النسخ بنون المتكلّم مع الغير، والأخير أنسّب بسياق الكلام، و المراد: أنا نلتمس و ننتظر من الحرب غاية لم نبلغها بعد، أى إنّى أعلم أنّ  
الحرب ستثبت إلى حدّ يكون ما مضى منها دونه.

وكلامه هذا إذ عذر معاوية وإرغامه في قبال قوله ذلك، و تهديد و تحريف و ايعاد إيهاب بأنّ أمره سيتحول إلى أشدّ من ذلك وأنّ عاقبته و خيمة و  
أنّ عاقبة الذين أساءوا السّوّاى، وإنّي بنفسه أى إنّى لعلى بصيرة و بينة من ربّي و إنّى لعلى الطريق الواضح، ثمّ أكّده بقوله: و إنّى لو قتلت فى  
ذات الله و حيّيت ثم قتلت ثم حيّيت سبعين مرّة لم أرجع عن الشدّة فى ذات الله و الجهاد لأعداء الله، وأعلم بذلك ثبات قدمه في الدين،  
وكونه على النهج القويم والصراط المستقيم، وعدم باسه من القتال والقتل في سبيل الله ولو قتل و حيّي سبعين مرّة، و عرف في أثناء قوله  
معاوية و من سلكوا مسلكه و اتبّعوا مأخذه بأنّهم كافرون لأنّهم أعداء الله.

واعلم أنّ أولياء الله لكونهم على بينة من ربّهم لا يبالون وقوعا على الموت أو وقع الموت عليهم، ولا يخافون من القتل في سبيل الله و لا  
من القتال في سبيله، و يعلمون أنّهم لا يتربّصون بالأعداء إلاّ إحدى السوئين، و أنّ الأعداء لا يتربّصون بهم إلاّ إحدى الحسينين إما الفتح و  
إما الشّهادة كما قال الله تعالى خطابا لرسوله صلى الله عليه و آله: «فَلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَّيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ  
اللّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ» (التوبة 53).

و اقتنى أثره عليه السّلام في قوله هذا: وإنّي لو قتلت في ذات الله - إلخ، الّذين استضاءوا من مشكاة وجوده، واقتبسوا من نور علمه وربوا في بيته وحجره، واحتذوا حذوه، واتّبعوا سبيله سلام الله عليهم أجمعين: فهذا هو عمّار بن ياسر فاستمع ما ذا يقول رضوان الله عليه: روى نصر في صفين عن عمر قال: حدّثني عبد الرحمن بن جندي، عن جندي بن عبد الله قال: قام عمّار بن ياسر بصفتين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظّالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله إنّما قتلهم الصالحون المنكرون للعدوان الامرون بالإحسان فقال هؤلاء الّذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهם لو درس هذا الدين: لم قاتلتموه؟ فقالوا: إنه ما أحدث شيئاً و ذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال، والله ما أطنتهم يطلبون دمه إنّهم ليعلمون أنه لظالم ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها واستمرواها، وعلموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيهم منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاء فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جباره وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولو لا هي ما بايدهم من الناس رجالان، اللّهم إن تنصرنا فطال ما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم، ثمّ مضى ومضى معه أصحابه فلما دنى من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعث دينك بمصر تبارك و طال ما بغيت الإسلام عوجاً ثُمّ حمل عمّار وهو يقول:

صدق الله وهو للصدق أهل و تعالى ربّي و كان جليلا

ربّ عجل شهادة لى بقتل في الّذى قد احبّ قتلا جميلا

مقبلاً غير مدبر إنّ للقتل على كلّ ميّة تقضيلا

إنّهم عند ربّهم في جنان يشربون الرّحيق والسلسيلا

من شراب الأبرار خالطه المسك وكأساً مزاجها زنجيلا

والأيات الثلاثة الأخيرة تشير إلى قوله تعالى: «وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» (البقرة - 152).

وقوله تعالى: «وَ لَا تَحْسَنَ الَّذِينَ قُلُّوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينٍ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ وَيَسْتَبِّشُ رُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يُلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا— حَرُوفُ عَلَيْهِمْ وَ لَا— هُمْ يَحْرَثُونَ» إلى قوله تعالى: «وَ اتَّبُعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» (آل عمران 165-170).

وقوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَصْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْتُومٍ خَتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلَيَسْتَافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ» (المطففين 24-27).

وقوله تعالى: «وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِزاجُهَا زَنجِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا» (هل أتى 18 و 19).

قال نصر: ثم نادى عمّار عبيد الله بن عمر و ذلك قبل مقتله فقال: يا ابن عمر صرعرك الله بعت دينك بالدنيا من عدو الله وعدو الإسلام، قال: كلاً ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم، قال: كلاً أشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله وأنك إن لم تقتل اليوم فستموت غداً فانتظر إذا أعطى الله العباد على نياتهم ما نيتكم؟ ثم قال عمّار: اللهم إنك لتعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم انحنى عليها حتى يخرج من ظهرى لفعلت، اللهم وإنني أعلم مما أعلمتني أنني لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليوم عملاً أرضى لك منه لفعلته. (ص 165 من الطبع الناصري).

وقد نقل قوله هذا أبو جعفر الطبرى فى تاريخه كما تقدم فى شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 284 ج 15).

و تقدّمت طائفة من كلمات قيمة من أصحاب علي عليه السلام فى شرح الكتاب

العاشر فراجع.

ولما جمع ريحانة رسول الله سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام أصحابه عند قرب المساء من يوم التاسعاء وقال لهم: إنني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل لليس عليكم مني ذمام هذا الليل قد غشياكم فاتخذوه جملاً فبعد ما قال أعنوانه من إخوته وأبنائه وبني أخيه وبني عقيل وابني عبد الله بن جعفر ما قالوا، قام إليه مسلم بن عوسجة رضوان الله عليه فقال: أنحن نخلّى عنك وبما نعتذر إلى الله في أداء حقك أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضر بهم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي ولو لم يكن معى سلاح اقاتلهم به لقدفهم بالحجارة والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو قد علمت أنني أقتل ثم أحري ثم احرق ثم أحري ثم اذري يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكراهة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين رحمة الله عليه فقال: و الله لو ددت أى قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى اقتل هكذا ألف مرة وأن الله عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن نفس هؤلاء الفتىيـان من أهل بيتك.

تو مکن تهدیدم از کشتن که من تشنۀ زارم بخون خویشتن

عاشقان را هر زمانی مردنی است مردن عشاق خود یک نوع نیست

او دو صد جان دارد از نور هدی و آن دو صد را میکند هر دم فدا

هر یکی جان را ستاند ده بها از نبی خوان عشرة أمثالها

آزمودم مرگ من در زندگیست چون رهم زین زندگی پایندگیست

إِنَّ فِي مَوْتِي حَيَاٰتٍ يَا فَتِي كُمْ افَارقْ موطني حتّى متى

فرقتى لو لم تكن فى ذا السكون لم يقل إنا إليه راجعون

قال عليه السلام وأما قولك: «إنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى» نقل كلام معاوية ثم أجابه بقوله: «فإنما نقضت عقلي و لأندمت على فعلني»

وذلك لأنَّه عليه السَّلام كان مأموراً بقتاله من الله تعالى كما احتجَّ عليه السَّلام بذلك على معاوية في الكتاب السابع (ص 223 ج 16) حيث قال معاوية: و إِنِّي أَحْذِرُ اللَّهَ أَنْ تُحْبِطَ عَمْلَكَ و سَابِقْتَكَ بِشَقِّ عَصَا هَذِهِ الْأَمْمَةِ و تَفْرِيقِ جَمَاعَتِهَا، فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَلِعُمرِي لَوْ كُنْتُ الْبَاغِي عَلَيْكَ لَكَ أَنْ تُحَذِّرَنِي ذَلِكَ، و لَكِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَقُوَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» فَنَظَرَنَا إِلَى الْفَتَيْنِ مَا الْفَتَنَةُ الْبَاغِيَةُ؟ فَوَجَدْنَاهَا الْفَتَنَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا - إِلَخَ.

على أنَّ الحجج الإلهية كما أنَّهم معصومون من الذُّنوب كذلك معصومون من أن يفعلوا فعلاً أو يتركوا ما يوجب ندامتهم به لأنَّهم ينظرون بنور الله و يحكمون بالعقل الناصع فإذا سكتوا فسكتوهم هو الصواب، وإذا نطقوها فنطقهم هو الصواب وإذا فعلوا فعلهم هو الصواب وإذا تركوا و كفوا فتركهم هو الصواب ثم من لم يكن عالماً بعواقب الأمور يندم من فعله لأنَّه يفعل فعلاً. كان الصواب تركه أو يترك فعلًا كان الصواب فعله فإذا ظهر له خلافه يندم به فإنَّ هذا ممَّن كان بنهاية قربه من الله و كمال الاتصال بجنبه و تمام الحضور إلى حضرته مصوناً و معصوماً عن جميع ما تنفر عنها الطباع وقد تقدَّم البحث عن صفاتهم و عصمتهم في شرح المختار 237 من باب الخطب و لذا قال عليه السلام: فإنَّ ما نقضت عقلى ولا ندمت على فعلى، وفي بعض النسخ: فإنَّ ما تقصَّت عقلى، أي ما أنسبه إلى التقصان.

قال عليه السلام: «وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأُعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسَ» طلب معاوية من الأمير عليه السلام الشَّام غير مرّة كما اعترف به في كتابه المتقدَّم إليه، وكان أتباعه أيضاً يطلبون بأمره من الأمير عليه السلام أن يخلِّي بينهم وبين الشَّام، ويخلِّوا بينه وبين العراق وهما منهم أنَّ خلفاء الله تعالى إنما يقاتلون أعداء الله لاقتراف الديار و العقار و حطام الدنيا وقد روى نصر في صفين (ص 255) أنَّ رجالاً من أهل الشَّام ينادي بين الصَّفين: يا أبا حسن يا علىٰ ابرز إلىٰ فخرج إليه علىٰ عليه السلام حتى إذا اختلف أعناق دابتيمما بين الصَّفين؛ فقال: يا علىٰ إنَّ لك قدماً في الإسلام و هجرة فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء

وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك؟ فقال له على عليه السلام: و ما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فتخلي بينك وبين العراق ونرجع إلى شامنا فتخلي بيننا وبين شامنا.

فقال له على عليه السلام: لقد عرفت أنتما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد أهمنى هذا الأمر وأسهرني وضررت أنفه وعينه فلم أجده إلا القتال أو الكفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وآله إن الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا- يأمرن بالمعروف ولا- ينهون عن المنكر فوجدت القتال أهون على من معالجة الأغلال في جهنم، فرجع الشامي وهو يسترجع.

أقول: وقد مضى كلامنا في ذلك في شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 322 ج 15)، وهذا من أبناء الدين يقصر الهمة في الماء والكلاء ويتمرن في الأهواء والأممال الشهوانية، وذلك رجل إلهي وسفير رباني يرشد الناس من عبارة وحجزة إلى حقيقة أشرقت من صبح الأزل فيها بيان علة قيام أولياء الله ونهضتهم في قبال أعدائهم قائلاً: إن الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه - إلخ.

والحرى بياغى الرشد أن ينظر حق النظر في قوله عليه السلام فوجدت القتال أهون على من معالجة الأغلال في جهنم.

ولقد سبق معاوية في الطلب المذكور مسلمة المتنبي إلا أن هذا المفترى الكذاب طلب من النبي وذاك طلب من الوصي سنة بستة؛ ففي السيرة النبوية لابن هشام (ص 600 ج 2 طبع مصر 1375هـ): وقد كان مسلمة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: من مسلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله سلام عليك، أما بعد فائي قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقرיש نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب.

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فحدّثني شيخ من أشجع عن سلمة بن نعيم

ص: 248

ابن مسعود الأشجعى، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لهما حين قرأ كتابه: فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، فقال: أما والله لو لا أنّ الرّسول لا تقتل لضربيت أعناقكم، ثم كتب صلى الله عليه وآله إلى مسيلمة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للّمتكين.

و هذه المشابهة بين مسيلمة وبين معاوية في النبي والوصي شبيهة بما وقع بين النبي صلى الله عليه وآله و سهيل بن عمرو يوم الحديبية، وبين الوصي عليه السلام و معاوية يوم صفين وذلك أن صحيفه الصلح لما كتب يوم الحديبية «هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله و سهيل بن عمرو» قال سهيل: لا أجيبك إلى كتاب تسمى رسول الله ولو علمت أنك رسول الله لم اقاتلك إنى إذا ظلمتك إن منعتك أن تطوف بيته الله وأنت رسول الله ولكن اكتب محمد بن عبد الله أجيبك.

ولما كتب صحيفه الصلح يوم صفين «هذا ما تقاضى عليه على أمير المؤمنين و معاوية بن أبي سفيان» قال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته فمحوا كلمة أمير المؤمنين، وقد مرّ تفصيله في شرح المختار 236 ص 242 من ج 15 فراجع.

والعجب لمعاوية تارة يحرّض الناس و يأليّهم على قتال الحق مدعياً الطلب بدم عثمان، و يتّخذ عمرو بن العاصي الظالم المضلّ عضده و جعل مصرًا طعمة له؛ و مرّة يطلب من أمير المؤمنين عليه السلام الشّام فأين هذا من ذاك؟ ولا يدرى أنه كان بأى رأى يعيش؟ بلى من كان ميّت القلب وأعماه حب الدنيا فهو يهيم في كلّ واد من أودية الأباطيل والأضاليل والأهواء المردية والاراء الرّدية، قال عزّ من قائل: «و لا تكونوا كالّذين نسوا الله فانسحهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون»

ای عجب چون می نبینند این سپاه عالمی پر آفتاب چاشتگاه

چشم باز و گوش باز و این ذکا حیرتم از چشم بندی خدا

ص: 249

دو سر انگشت بر دو چشم نه هیچ بینی از جهان انصاف ده

ورنه بینی این جهان معده نیست عیب جز انگشت نفس شوم نیست

توز چشم انگشت را بدار هین و آنگهانی هر چه می خواهی بین

نوح را گفتند امّت کو ثواب؟ گفت او ز ان سوی و استغشوا ثیاب

رو و سر در جامه ها پیچیده اند لا جرم با دیده و بی دیده اند

وقوله: أَمْسِ إِشَارَةً إِلَى طَلَبِهِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ حِينَ بُوِيعَ بِالخِلَافَةِ إِقْرَارَهُ عَلَى إِمْرَةِ الشَّاءِمِ، وَنَقْلٌ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَلَهُ شَهْرًا وَأَعْزَلَهُ دَهْرًا فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ يَبَايِعَكَ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَعْدِلَ فِي إِمْرَتِهِ وَلَا يَدْعُ أَنْ يَجُورَ فَتَعْزِلُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلَّا وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضَلِّلِينَ عَصْدًا.

وقال المسعودي في مروج الذهب (ص 5 ج 2) أتى المغيرة بن شعبة عليا فقال له: إن حقيقة الطاعة النصيحة، وإن الرأي اليوم تحوز به ما في غد، وإن التّصارع اليوم تضييع به ما في غد، اقر معاوية على عمله، واقر ابن عامر على عمله، واقر العمّال على أعمالهم حتّى إذا أتاك طاعتهم وطاعة الجنود استبدلت أو تركت.

قال عليه السلام: حتّى أنظر، فخرج من عنده وعاد إليه من الغد فقال: إنّي أشرت عليك بالأمس برأي و تعقيبه وإنما الرأي أن تعالجهم بالنزع فتعرف السامع من غيره ويستقلّ أمرك، ثم خرج فتلّقّاه ابن عباس خارجاً وهو داخل فلما انتهى إلى عليٍّ عليه السلام قال: رأيت المغيرة خارجاً من عندك فقيم جاءك؟ قال: جاءني أمس بكير و كيت، وجاءني اليوم بذير و ذيت، فقال: أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشّك.

قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج حين قتل عثمان أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك فتغلق عليك بابك فإنّ العرب كانت لجائدة مضطّرة في إثرك لا تجد غيرك فأماماً اليوم فإنّ بنى أمية سيحسنون الطلب بأن يلزموك شعبه من هذا الأمر ويشبهون فيك على الناس، وقال المغيرة: نصحته فلم يقبل فغضّسته

وذكر انه قال و أمّا أنا فنصحته قبلها ولا أصحه بعدها.

قال المسعودي: وجدت في وجه آخر من الروايات أنّ ابن عباس قال:

قدمت من مكاناً بعد مقتل عثمان بخمس ليال فجئت علياً أدخل عليه قفيلاً لى عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم على، وقال: متى قدمت؟ قلت: الساعة، ودخلت على على وسلمت عليه، فقال: أين لقيت الرّبّير و طلحة؟ قلت: بالنواصف، قال: و من معهما؟ قلت: أبو سعيد بن الحarth بن هشام بن قتيبة من قريش فقال على: أما إنّهم لم يكن لهم بدّ أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنّهم قتلة عثمان.

فقلت: أخبرني عن شأن المغيرة ولم خلابك؟ قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال: اخلنـي، ففعلت؛ فقال: إن النـصر رخيص وأنـت بقيةـه الناس وأنا لك ناصـح وأنا اشيرـ عليكـ أن لا ترـد عـمالـ عـثمانـ عـامـكـ هـذـاـ، فـاـكـتـبـ إـلـيـهـ بـاـثـاتـهـمـ عـلـىـ أـعـمـالـهـمـ فـإـذـاـ بـاـيـعـواـ لـكـ وـاـطـمـانـ أـمـرـكـ عـزـلـتـ مـنـ أـحـبـتـ وـأـقـرـتـ مـنـ أـحـبـتـ، فـقـلـتـ لـهـ: وـالـلـهـ لـاـ اـدـاهـنـ فـيـ دـيـنـيـ وـلـاـ اـعـطـيـ الرـيـاءـ فـيـ أـمـرـيـ.

قال: فإن كنت قد أبـيـتـ فـانـزـعـ مـنـ شـئـتـ وـاـتـرـكـ مـعاـوـيـةـ فـإـنـ لـهـ جـرـأـةـ، وـهـوـ فـيـ أـهـلـ الشـامـ مـسـمـوعـ، وـلـكـ حـجـةـ فـيـ إـثـابـاتـهـ؛ فـقـدـ كـانـ عـمـرـ وـلـاـ الشـامـ كـلـهـ.

فـقـلـتـ: لـاـ وـالـلـهـ لـاـ أـسـتـعـمـلـ مـعاـوـيـةـ يـوـمـيـنـ أـبـداـ. فـخـرـجـ مـنـ عـنـدـيـ عـلـىـ مـاـ أـشـارـ بـهـ ثـمـ عـادـ فـقـالـ: إـتـىـ أـشـرـتـ عـلـيـكـ بـمـاـ أـشـرـتـ بـهـ وـأـبـيـتـ عـلـىـ فـنـظـرـتـ فـيـ الـأـمـرـ وـإـذـ أـنـتـ مـصـيـبـ لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـأـخـذـ أـمـرـكـ بـخـدـعـةـ وـلـاـ يـكـوـنـ فـيـ دـنـسـةـ.

قال ابن عباس: فـقـلـتـ لـهـ: أـمـاـ أـوـلـ مـاـ أـشـارـ عـلـيـكـ فـقـدـ نـصـحـكـ وـأـمـاـ الـاـخـرـ فـقـدـ غـشـكـ، وـأـنـاـ اـشـيرـ عـلـيـكـ أـنـ تـشـبـتـ مـعاـوـيـةـ فـإـنـ بـاـيـعـ لـكـ فـعـلـيـ أـنـ أـقـلـعـهـ مـنـ مـنـزـلـهـ.

قال: لـاـ وـالـلـهـ لـاـ أـعـطـيـهـ إـلـاـ السـيـفـ ثـمـ تـمـثـلـ:

فـمـاـ مـنـّـهـ إـنـ مـنـّـهـ غـيـرـ عـاجـزـ بـعـارـ إـذـ مـاـ غـالـتـ النـفـسـ غـالـهـ

فـقـالـ: يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ أـنـتـ رـجـلـ شـجـاعـ أـمـاـ سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـهـ يـقـولـ: الـحـرـبـ

خدعة؟ فقال على عليه السلام: بلى، قلت: أَمّا وَاللَّهِ لِإِنْ أطعْتُنِي لَأصْدِرُنَّ بِهِمْ بَعْدَ وَرُودِهِ، وَلَا تُرْكَّبُهُمْ يُنْظَرُونَ فِي آثَارِهِمُ الْأَمْرُ وَلَا يُدْرُونَ مَا كَانَ وَجْهَهَا مِنْ غَيْرِ نَفْسٍ لَكَ وَلَا إِثْمٌ عَلَيْكَ.

فقال: يا ابن عباس لست من هنياتك و هنيات معاوية في شيء يسير مالك عندي الطاعة والله ولئن التوفيق.

بيان: هنيات جمع هنية على التضييق أصلها من هـ نـ هـ أو من هـ نـ وـ ، قال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث ابن الأكوع قال له: ألا تسمعنا من هناتك؟ أى من كلماتك أو من أرجوزك؛ وفي رواية من هنياتك على التضييق؛ وفي أخرى من هنياتك على قلب الياء هاء.

ثم أردف معاوية قوله: «وَأَنَا أَدْعُوكَ الْيَوْمَ إِلَى مَا دَعْتُكَ إِلَيْهِ أَمْسَ» بقوله:

«فَإِنِّي لَا أَرْجُو مِنَ الْبَقَاءِ إِلَّا مَا تَرْجُو، وَلَا أَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ إِلَّا مَا تَخَافُ» إشارة إلى أنه مثل على الله مثله من القتل والرّجاء من البقاء يعني أنه لا يبالي من الموت، ولا يطمئن في الحياة بل يقاتل لإحياء حق أو إماتة باطل.

وغرقه من هذا القول دفع ما يوهم في طلبه الشام و موادعته الحرب من حصول الجن و الفزع له، أى لا تظن من طلبي الشام إدخال الجن في فإني لا أخاف من الموت والقتل ولا أطمئن في الحياة بل أطلب المواعدة لحقن دماء الناس.

أقول: وقد ظهر صدق قوله حينما قام على عليه السلام بين الصّفين في صفين ثم نادى يا معاوية يكرّرها؛ فقال معاوية: اسألوه ما شأنه؟ قال: أحب أن يظهر لي فاكلمه كلمة واحدة فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلما قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال معاوية: ويحك على م يقتل الناس بيني وبينك ويضرب بعضهم بعضاً؟ ابرز إلى فأينا قتل صاحبه فالأمر له.

فاللتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما ههنا ابارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل، واعلم أنه إن نكلت عنه لم تزل سبة عليك وعلى عقبك ما بقي عربيّ.

فقال معاوية: يا عمرو بن العاص ليس مثلى يخدع عن نفسه والله ما بارز ابن أبي طالب رجلًا قط إلا سقى الأرض من دمه، ثم انصرف معاوية راجعا حتى انتهى إلى آخر الصّفوف وعمرو معه.

هذا هو روایة نصر في صفين نقلناها بالفاظه (ص 140 من الطبع النّاصري) وقد أتى بقريب منها المسعودي في مروج الذهب (ص 25 ج 2) وقد تقدّم نقله في شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 316 ج 15).

ونقل ابن قتيبة الدينوري في باب أخبار الجناء من كتاب الحرب من عيون الأخبار (ص 169 ج 1 طبع مصر) عن المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك، فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب أما والله لقد وافقته منانا كريماً ولو شاء أن يقتلك لقتلتك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت عيناك، وربا سحرك، وبدا منك ما أكره ذكره لك؛ فمن نفسك فاضحك أودع، ونقله المسعودي في مروج الذهب مفصلاً (ص 65 ج 2).

وحيثما قام رجل من أصحاب علي عليه السلام وقال: والله لأحملن معاوية حتى أقتله فأخذ فرسا فركبه ثم ضربه حتى إذا قام على سبابكه دفعه فلم ينهنه شيء عن الوقوف على رأس معاوية ودخل معاوية خباء فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من الخباء وطلع الرجل في أثره فخرج معاوية حتى أحاط قومه بالرجل فقتلوه، على التفصيل الذي ذكره نصر في صفين (ص 138).

وحيثما حمل أمير المؤمنين على عليه السلام وأصحابه على القاسطين حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صفة إلا أهتم حتى أفضى الأمر إلى معاوية وعلى عليه السلام يضرب بسيفه ولا يستقبل أحداً إلا ولّ عنده فدعا معاوية فرسه لينجو عليه فلما وضع رجله في الركاب ليفرّ من الحرب أشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح ففعلوا ما فعلوا، نقله الدينوري في الإمامة والسياسة (ص 127 ج 1).

فإنه لو لم يكن صادقاً في قوله: «فإني لا أخاف من الموت إلا ما تخاف و لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو» لما أعرض عن المبارزة حين دعاه عليه السلام إلى البراز، ولم ينصرف راجعاً حتى ينتهي إلى آخر الصفوف أولاً، ولما أدب عن الرجل ولم يدخل خباء مة ولم يخرج منه أخرى ثانياً، ولما فرّ من الحرب ولم يدعوه فرسه لينجو عليه ثالثاً.

على أنّ صاحبه عمرو بن العاص كان عارفاً بحاله وقد أمضى قوله ذلك حيث قال له في صفين: إنّ رجالك لا يقونون لرجاله (يعني رجال على عليه السلام) ولست مثله هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتلها على غيره أنت تزيد البقاء وهو يزيد الفنا، رواه نصر في صفين (ص 256) وسليم بن قيس كما تقدّم نقله في مأخذ هذا الكتاب.

وأنّما قال عليه السلام: لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، لأنّ معاوية في الأمس لم يكن لائقاً بأخذ زمام الأمور وإعطاء ذلك المقام لكونه على الباطل وهذا العلة كانت باقية في اليوم فلم يصلح لتولية أمور المسلمين بعد.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: أما قولك: «إنّ الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت» «ألا فمن أكله الحق فإلى النار» نقل كلام معاوية أولاً ثم أجابه بقوله: ألا فمن - إلخ، والنسخ في عبارة الجواب مختلفة: ففي نسخة خطية عتيقة من النهج عندنا: ألا فمن أكله الحق فالنار أولى به، وهي قريبة من نسخة الرّضي التي اخترناها في المتن.

وفي أكثر النسخ المطبوعة: ألا ومن أكله الحق إلى الجنة ومن أكله الباطل إلى النار.

أقول: الصواب ما اخترناها في المتن من النسخة التي عندنا قوبلت على نسخة الرّضي رضوان الله عليه، وما في تلك النسخة الخطية يؤيدها فإنّهما بمعنى فارد تقريباً.

وأما النسخ المطبوعة فيشبه أن تكون مصحّفة عن أصلها، ولا يخلو حملها

على معنى صحيح من تكالّف مثل أن يقال: من قتل في سبيل الحق والذب عنه فمصيره إلى الجنة، ومن هلك في سبيل الباطل والدّفاع عنه فإلى النار.

أو يضمّر في الجملتين مضافان، و التقدير: ألا و من أكله أعداء الحق إلى الجنة، و من أكله أعداء الباطل إلى النار، و نحوهما.

والمعنى على نسخة الرّضي مستقيم لا اعتوجاج فيه لأنّ الأكل في فصيح الكلام العربي كثيراً ما يؤتى به لإفادته معنى الإففاء والإزالّة والظهور على أمر أى من أفناه الحق وغلب عليه فمصيره إلى النار، وإنما قال ذلك لأنّ اتباع الحق قد قتلوا في صفين خلقاً كثيراً من أحزاب معاوية فأشار عليه السّلام إلى أنّ مصيرهم إلى النار وإن بلغ عددهم ما بلغ ولم يبق منهم إلا حشاشات أنفس، يقال: أكلت النار الحطب أى أفنته، وقال أوس بن حجر كما في مادة اكل من الأساس:

وقد أكلت أظفاره الصخر كلّما تعنّى عليه طول مرقى توصلا

أى أكلت الصخر أى أفنت الحجارة أظفاره.

وقال الطّريحي في المجمع: أكلنا بني فلان أى ظهرنا عليهم، وأصل الأكل للشيء الإففاء له ثم استعير لافتتاح البلاد وسلب الأموال.

وقال المرزوقي في شرح الحماسة عند قول خلف بن خليفة (الحماسة 794):

لعمري لنعم الحى يدعو صريخهم إذا الجار والأكول أرهقه الأكل

و معنى أرهقه الأكل ضيق عليه وغشيه، وقد قيل: أكلت فلاناً إذا غلبته وغلبته.

وقد جاءت بهذا المضمون من معنى الأكل أعني الإففاء روايات عن أمّتنا الطّاهرين عليهم السّلام ففي باب الحسد من اصول الجامع الكافي لثقة الإسلام الكليني قدس سره بإسناده عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الرجل ليأتي بأى بادرة فيكفر فإنّ (وإنّ - خ ل) الحسد ليأكل الإيمان كما يأكل النار الحطب.

وروى بإسناده عن جراح المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الحسد يأكل

الإيمان - إلخ، وأتى بهما الفيض قدس سرّه في الواقى (ص 148 ج 3).

وقد مضى في المختار 84 من باب الخطب عن الأمير عليه السلام: ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل - إلخ.

وفي الجامع الصغير للسيوطى عن النبي صلّى الله عليه وآله: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الخطب.

وسيأتي من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام المجتبى قوله له وإياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكلّبها عليها - إلى أن قال: فإنّما أهلها كلاب عاوية وسباع ضاربة يهرب بعضها ببعضها، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها - إلخ.

قال عليه السلام: وأمّا استواونا في الحرب والرجال - إلى قوله: على الآخرة، قد علمت من نسخ ماخذ الكتاب أنها كانت متفقة في قوله: «(وأمّا استواونا في الخوف والرجاء) مكان قوله: «(وأمّا استواونا في الحرب والرجال)» إلا ما نقلناه أخيراً من نسخة نقلها الشارح البحرياني فإنّها كانت موافقة للمتن، ونسخة الرّضي هي التي اختنناها في المتن وتوافقها نسختنا الخطية المذكورة.

وأظنّ أنَّ الـذين نقلوا عبارة «(وأمّا استواونا في الخوف والرجاء)» نظروا بقول معاوية: «فإنّي لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف» وظنّوا أنَّ قول الأمير عليه السلام فلست بأمّي - إلخ، جواب عنه فحرّفوا الحرب والرجال بالخوف والرجاء، وقد غفلوا أنَّ هذا الجواب لا يوافقه، كما يشهد به التأمل الصحيح، وأنَّ قول معاوية: «فإنّي لا أرجو - إلخ» اتما هو تتمّة قوله: «وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتكم» لما قد عرفت آنفاً، وقد أجابه الأمير عليه السلام بقوله: وأمّا طلبك إلى الشّام - إلخ.

و معناه أنّ معاوية خوّف الأمير عليه السلام و هدّده باستواء الفريقين في الحرب والرجال وأوهم بذلك ثباته في الحرب وبقاءه عليها وعدم تزلّله و اضطرابه منها و من وقوع كثرة القتلى في عسكره فأجابه الأمير عليه السلام بأنك إنما على علم في عدم كونك على حق، ويقين في أنك لست بمحقّ، وإنما تقاتل و تحارب لاقتراف حطام الدنيا و لست على يقين في وصولك إلى ما ترجو و تمني بل، على شكّ و تردّيد فيه، لأنّه أمكن أن تظهر علينا فتصل إلى أمانيك الدنيوية، وأمكن أن نظهر عليكم فتعاق عنها و تحرم، وكذلك الكلام في أحزابك من أهل الشام.

و أمّا أنا فعلى بيته من ربّي، ويقين في آنّى على الصّراط المستقيم وليس بعده إلّا الضلال والتّباب، وقاتلوا احرب على يقين في ديني وليس لي إلّا إحدى الحسينين إما الظفر عليكم فهو جهاد في سبيل الله، وإنما القتل في سبيل الله فمسيره إلى الجنة و رضوان الله و هكذا الكلام في أصحابي من أهل العراق.

ثمّ من المعلوم أنّ من يعمل فعلا على شكّ و تردّيد فيه ليس بأمضى فيه ممّن يعمله على يقين، و من يفعل عملا لاقتراف الدنيا و حصول الأمانة الفانية الزائلة ليس بأحرص فيه ممّن يفعله للتقرّب إلى الله تعالى، و الوصول إلى النعم الآخرية الدائمة و الحياة الباقيّة و الدرجات العالية الأبدية الروحانية، وأين هذا من ذاك و نعم ما قاله الأشتر رضوان الله عليه في أبياته السالفة آنفا:

### طلب الفوز في المعاد وفي ذا تستهان النفوس والأموال

فظهر أنّ أهل الشكّ و التردّيد ليسوا في رتبة أهل اليقين و إن كانوا كثريين عددا وقد قال عزّ و جلّ: «قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْرُ وَالْطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كُثْرَةُ الْخَيْرِ» (المائدة 101) وقال تعالى: «كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» (البقرة 250) فما ادعاه معاوية من استواء الفريقين في الحرب والرجال اختلاق محض فإنّ مثلهما كالأعمى والأصمّ و البصير و السميع هل يستويان؟.

وأنّ تهديده علينا أمير المؤمنين عليه السلام بما نسجه من استواهما في الحرب والرجال أوهن من بيت العنكبوب، بل الخوف به أولى و الفزع به أخرى.

قال عليه السَّلام: وأمّا قولك: «إِنَّ بْنَ عَبْدِ مَنَافَ» فكذلك نحن ولكن ليس أميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب، وسيأتي نحو كلامه هذا في الكتاب الثامن والعشرين الذي كتبه الأمير عليه السلام إلى معاوية جواباً:

منَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمَكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسْدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسْدُ الْأَحَلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدًا شَبَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ - إِلخ.

افتخر معاوية بأنه من بنى عبد مناف، أو أراد بذلك الاستعطاف من أمير المؤمنين عليه السلام، أو قصد الاستواء بقوله هذا تبخرنا، حيث قال بعده: وليس لبعضنا على بعض فضل، أو عنى بذلك أنهما من بيت واحد فليس لبعضهم فضل على بعض أى أنها في الفضيلة والشرف سواء فإن استحق هذا منصبا كان ذلك للآخر أيضا، وإن أدعى هذا مقاما كان ذلك للآخر أيضا، ومال الوجهين الأخيرين واحد واستفادة الوجه الثاني من الأولين من العبارات لا تخلو من تكليف.

ونقول أولاً: إن معاوية وإن كان منتسبا إلى عبد مناف بحسب الظاهر لكن دنيات اموره ورذيلات صفاته قد أخرجته من بيت الشرف حقيقة وكم من فعال خبيثة وأعمال غير صالحة أوجبت القطع عن بيت ورحم وفي القرآن الكريم قال:

«يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» (هود - 50)، ولا يخفى عليك أن الورد والشوك من أصل واحد ولكن أين هذا من ذاك.

و ثانياً إنه لمما افتخر بانتسابه إلى عبد مناف وادعى الاستواء بينه وبين الأمير عليه السَّلام وأنكر فضل بعض على بعض من بيت عبد مناف أجابه الأمير عليه السَّلام بقوله: إنّا بْنُ أَبٍ وَاحِدٍ كَمَا فِي نَسْخَةِ نَصْرٍ فَعَلَى هَذِهِ النَّسْخَةِ لَمْ يَمْضِ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ معاوية من بنى عبد مناف كما لا يخفى وفيه نكتة لطيفة نشير إليها عن قريب، وعلى نسخة الرّضى أجابه بقوله: فكذلك نحن أى نسبنا ينتهي إليه أيضا ولتكن بين آبائى وآبائك تقاوتا فاحشا، كما أنّ بين صفاتى وصفاتك فرقاً ظاهراً ومسافة كثيرة، وتفصيله أنّ أميّة ليس كهاشم - إلخ، بدأ عليه السلام بذكر الأوصاف الخارجة والفضائل الطاربة عليه من جهة آبائه، والرّذائل العارضة على خصميه معاوية من

جهة أسلافه، ثمّ أتى بالأوصاف الدّاخلة على أربعة أقسام الّتي شرّحها إِن شاء اللّه تَعَالَى، فلا بدّ في المقام من ذكر سلسلة نسبهم إلى عبد مناف فنقول: علىٰ عليه السّلام كان ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، و معاوية كان ابن صخر أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

وآباء أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أهل بيت شرف في قومهم، وكان كل واحد منهم أشرف وأفضل وأعلى من آباء معاوية بمراحل، أما أبو طالب عليه السلام فإنه كان زعيمًا حازماً نبيها سياساً، وله في دفع كياد الأعداء عن النبي والذب عنه صلى الله عليه وآله على الإسلام والمسلمين حق عظيم، وجلالة شأنه وحسن إسلامه أشرف من الشارق وأبلج من الصبح وقد ذكرنا طائفة من أشعاره السامية الدالة على إسلامه، وحمايةه عن الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين، ونبذة من روایات جاءت في فخامة أمره وعلمه قدره في شرح المختار التاسع من باب الكتب والرسائل (ص 351-364) ج 17 وقال اليعقوبي في التاريخ: وكفل رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة عبد المطلب أبو طالب عمّه فكان خير كافل، وكان أبو طالب سيدنا شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقة، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أبي ساد فقير، وما ساد فقير قبله.

أريها عبد المطلب في حفر زمزم، ونذرده ذبح ولده وما جرى فيهما، إلى أن قال:

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وآله أن هلك وأم رسول الله صلى الله عليه وآله حامل به، فلما وضعته أمه آمنة بنت وهب أرسلت إلى جده عبد المطلب: أنه قد ولد لك غلام فأنظر إليه فأتاها فنظر إليه وحدثه بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه و ما أمرت أن تسميه.

فَيُزعمُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَخْذَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ فَقَامَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَشْكُرُ لَهُ

ما أعطاه ثم خرج به إلى امهه فدفعه إليها و التمس لرسول الله صلى الله عليه و الـرضـعـاء فاستررض له امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبي ذؤيب.

و كان رسول الله صلى الله عليه و الـهـ مع امهـ آمنـةـ و جـدـهـ عبدـ المـطـلـبـ بنـ هـاشـمـ فـيـ كـلـاءـ اللـهـ وـ حـفـظـهـ، يـنـبـتـهـ اللـهـ نـبـاتـاـ حـسـنـاـ، لـمـ يـرـيدـ بـهـ مـنـ كـرـامـتـهـ فـلـمـاـ بـلـغـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ سـتـ سـنـينـ تـوـقـيـتـ اـمـهـ آـمـنـةـ بـالـأـبـوـاءـ بـيـنـ مـكـةـ وـ الـمـدـيـنـةـ فـكـانـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ جـدـهـ عبدـ المـطـلـبـ بنـ هـاشـمـ.

و كان يوضع لـعـبـدـ المـطـلـبـ فـراـشـ فـيـ ظـلـ الـكـعـبـةـ فـكـانـ بـنـوـ يـجـلـسـونـ حـوـلـ فـرـاـشـهـ ذـلـكـ حتـىـ يـخـرـجـ إـلـيـهـ، لـاـ يـجـلـسـ عـلـيـهـ أـحـدـ مـنـ بـنـيـ إـجـلاـلـاـ لـهـ، فـكـانـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ يـأـتـىـ وـ هـوـ غـلامـ جـفـرـ حتـىـ يـجـلـسـ عـلـيـهـ فـيـأـخـذـهـ أـعـمـامـهـ لـيـؤـخـرـوـهـ عـنـهـ فـيـقـولـ عـبـدـ المـطـلـبـ إـذـ رـأـىـ ذـلـكـ مـنـهـ: دـعـواـ بـنـيـ، فـوـ اللـهـ إـنـ لـهـ لـشـأـنـاـ ثـمـ يـجـلـسـ مـعـهـ عـلـىـ فـرـاـشـ وـ يـمـسـحـ ظـهـرـهـ بـيـدـهـ وـ يـسـرـهـ مـاـ يـرـاهـ يـصـنـعـ فـلـمـاـ بـلـغـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ ثـمـانـيـ سـنـينـ هـلـكـ عـبـدـ المـطـلـبـ اـبـنـ هـاشـمـ فـكـانـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ بـعـدـ عـبـدـ المـطـلـبـ مـعـ عـمـهـ أـبـيـ طـالـبـ وـ كـانـ عـبـدـ المـطـلـبـ -ـ فـيـمـاـ يـزـعـمـونـ -ـ يـوـصـىـ بـهـ عـمـهـ أـبـاـ طـالـبـ وـ ذـلـكـ لـأـنـ عـبـدـ اللـهـ أـبـاـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ وـ أـبـاـ طـالـبـ أـخـوـانـ لـأـبـ وـ اـمـ،ـ اـمـهـمـاـ:ـ فـاطـمـةـ بـنـتـ عـمـرـ وـ بـنـ عـائـذـ،ـ وـ كـانـ أـبـوـ طـالـبـ هـوـ الـذـىـ يـلـىـ أـمـرـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ بـعـدـ جـدـهـ فـكـانـ إـلـيـهـ وـ مـعـهـ.

بيان: السقاية اسقاء الحجيج الماء العذب، والرفادة خرج كانت قريش تخرجه في كلّ موسم من أموالها فتدفعه إلىه فيصنع به طعاماً للحجاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.

وقال اليعقوبي في التاريخ (ص 7 ج 2): و توفيت امهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ بـنـتـ وـ هـبـ بـالـأـبـوـاءـ وـ كـانـ عـبـدـ المـطـلـبـ جـدـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ الـهـ يـكـفـلـهـ وـ عـبـدـ المـطـلـبـ يـوـمـئـذـ سـيـدـ قـرـيـشـ غـيرـ مـدـافـعـ قـدـ أـعـطـاهـ اللـهـ مـنـ الشـرـفـ مـاـ لـمـ يـعـطـ أـحـدـاـ،ـ وـ سـقاـهـ زـمـزـ وـ ذـاـ الـهـرمـ (1).

ص: 260

1- (1) ذو الهرم اسم بئر حفرها عبد المطلب بالطائف بعد ما حفر زمزم بمكة؛ كما في تاريخ اليعقوبي أيضاً ص 206 ج 1 - منه.

و حكمته قريش في أموالها، وأطعم في المحل حتى أطعم الطير والوحش في الجبال قال أبو طالب:

ونطعم حتى تأكل الطير فضلنا إذا جعلت أيدي المفيفين ترعد

ورفض عبادة الأصنام، ووحد الله عز وجل، وفيه بالتلذذ، وسن سنتنا نزل القرآن بأكثراها وجاءت السنة من رسول الله بها، وهي: الوفاء بالندور، ومائة إبل في الديمة، وألا تنكح ذات محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، والمحاصلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحد عليه، والقرعة، وألا يطوف أحد بالبيت عريان، وإضافة الصدف، وألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرأيات، فكانت قريش تقول: عبد المطلب إبراهيم الثاني.

وذكر قريبا مما نقلنا عن اليعقوبي الحلبي في السيرة ناقلا عن ابن الجوزي وزيني دحلان بهامشه (ص 21) أيضا، وقال دحلان: كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثّهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنیات الأمور وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال:

والله إن وراء هذه الدار دارا يجزي فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بأساءته.

وأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير بالحكومة و أمر الكعبة، وإلى أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وسقاية زمم، وقال له: قد خلفت في أيديكم الشرف العظيم الذي تطاون به رقب الناس، وقال لأبي طالب - و كان اسمه عبد مناف أى أنه كان سمي جدة الأعلى عبد مناف :-

أوصيك يا عبد مناف بعدى بمفرد ييد أخيه فرد

ص: 261

فارقہ و هو ضجیع المهد فكنت كالام له في الوجود

تدنیه من أحشائهما والکبد فأنت من أرجى بنی عندي

لدفع ضیم أو لشد عقد

(1) و توفی عبد المطلب و لرسول الله صلی الله عليه و اله ثماني سنین و لعبد المطلب مائة و عشرون سنة و قيل: مائة و أربعون سنة، و أعظمت قريش موته، و غسل بالماء و السدر و كانت قريش أول من غسل الموتى بالسدر، و لف في حلتين من حل اليمن قيمتها ألف مثقال ذهب و طرح عليه المسک حتى ستره، و حمل على أيدي الرجال عدّة أيام إعظاما و إكراما و إكبارا للتغیییه في التراب و روی عن رسول الله صلی الله عليه و اله آنه قال: إن الله يبعث جدی عبد المطلب امة واحدة في هیئة الأنبياء و زی الملوك.

أقول: قوله رضوان الله عليه: «فارقہ و هو ضجیع المهد» ینافي ما نقلنا آنفا من ابن هشام من أن عبد الله أبا رسول الله صلی الله عليه و اله مات وقد كانت أم رسول الله حاملا به، فقد توزع في ذلك فمنهم من قال: إنه مات قبل مولد النبي صلی الله عليه و اله، و منهم من قال: إنه مات بعد مولده بشهر و قيل: بشهرين، و منهم من قال: إنه مات بعد مولده بسنة، و قيل: إنه مات في السنة الثانية من مولده، و قيل: بل مات عبد الله و رسول الله ابن ثمان وعشرين شهرا.

وقال الطبرسی في تفسیر سورة الصافحی من المجمع: كان النبي صلی الله عليه و اله مات أبوه و هو ابن سنتين، وقال الكلینی في باب تاريخ مولد النبي و وفاته صلی الله عليه و اله:

ص: 262

- (1) و اسناد الى عبد المطلب هذان البيتان أيضا: وصيٰت من كنيته بطال بعد مناف و هو ذو تجارب ابابن الحبيب الراكم الاقاريب ابن الذي قد غاب غير آئب فهذه الوصية والتى في المتن تدلان على أن أبا طالب كان سمى جده عبد مناف و أن أبا طالب كان كنية له، وفي السادس من البحار: أبو طالب اسمه عبد مناف و قيل اسمه عمران و يؤيد الاول وصية عبد المطلب بقوله: اوصيک يا عبد مناف بعدي، والثانی ما عن بعض النسخ في زيارة النبي صلی الله عليه و آلـه من بعيد السلام على عمک عمران أبي طالب - منه.

وتوفى أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين، وظاهر الحديث الذي رواه الصدوق في المجلس الخامس والأربعين من أيامه (ص 158) عن ابن عباس أنه مات قبل مولده حيث قال: فلما مات عبد الله ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وآله أتيته - إلخ.

أكثر العلماء من الفريقيين على أن عبد الله مات بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال اليعقوبي في التاريخ: توفى عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وآله - على ما روى جعفر بن محمد - بعد شهرين من مولده، قال: وقال بعضهم: إنه توفى قبل أن يولد وهذا غير صحيح لأن الإجماع على أنه توفى بعد مولده، انتهى، فقول الكليني و من سلك مسلكه متّخذ من الحديث المرسو عن الإمام الصادق عليه السلام.

ثم إن ما نقل اليعقوبي عن النبي صلى الله عليه وآله في جده عبد المطلب توافقه عدّة روایات في الكافي وأتى بها الفيض رحمة الله في باب ما جاء في عبد المطلب وأبي طالب رضي الله عنهما من الواقفي (ص 158 ج 2) ففي الكافي بإسناده إلى زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يحضر عبد المطلب يوم القيمة أمّة وحدة عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك.

وفيه بإسناده عن مقرن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن عبد المطلب أول من قال بالبدا يبعث يوم القيمة أمّة وحدة عليه بهاء الملوك و سيماء الأنبياء، وغيرهما من روایات أخرى.

وما نقل ابن هشام في السيرة من أنه يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة - إلخ، توافقه روایة في الكافي بهذا المضمون نقلها الفيض في ذلك الباب من الواقفي أيضاً: روى الكليني بإسناده إلى رفاعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عبد المطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لأحد غيره وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دني منه فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو طفل يدرج حتى جلس على فخديه فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاهم، (الواقفي ص 159 ج 2).

وأَمَا هاشم: ففي السيرة لابن هشام نقلًا عن ابن إسحاق (ص 135 ج 1) ولـى الرفادة والسكنية - يعني بعد أن توفي أبوه عبد مناف - وذلـك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً، قـلماً يقيم بمكـة و كان مـقلاً ذا ولـد (كان عبد مناف بنون خـمسة و هـم: عبد شـمس، و هـاشـم، و المـطلب، و نـوفـل، و أـبـو عـمـرو عـبيـد) و كان هـاشـم مـوسـراً، فـكان - فيما يـزـعمـون - إذا حـضـرـ الحـاجـ قـامـ فيـ قـريـشـ فـقالـ: «يـا مـعـشـرـ قـريـشـ إـنـكـمـ جـيـرانـ اللهـ وـ أـهـلـ بيـتهـ؛ وـ إـنـهـ يـأـتـيـكـمـ فـيـ هـذـاـ المـوـسـمـ زـوـارـ اللهـ وـ حـجـاجـ بـيـهـ وـ هـمـ ضـيـفـ اللهـ، وـ أـحـقـ الضـيـفـ بـالـكـرـامـةـ ضـيـفـهـ؛ فـاجـمـعـواـ لـهـمـ ماـ تـصـنـعـونـ لـهـمـ بـهـ طـعـامـاـ أـيـاتـمـهـ هـذـهـ الـتـىـ لـاـ بـدـ لـهـمـ مـنـ الإـقـامـةـ بـهـاـ فـإـنـهـ وـ اللهـ لـوـ كـانـ مـالـىـ يـسـعـ لـذـلـكـ مـاـ كـلـفـتـكـمـوـهـ» فـيـخـرـجـونـ لـذـلـكـ خـرـجاـ منـ أـموـالـهـمـ، كـلـ اـمـرـىـءـ بـقـدرـ مـاـ عـنـدـهـ فـيـصـنـعـ بـهـ لـلـحـجـاجـ طـعـامـاـ حـتـىـ يـصـدـرـواـ مـنـهـاـ.

قال: و كان هـاشـمـ فـيـماـ يـزـعمـونـ أـوـلـ منـ سـنـ الرـحـلتـينـ لـقـريـشـ رـحـلـتـيـ الشـتـاءـ وـ الصـيفـ، وـ أـوـلـ منـ أـطـعـمـ الشـرـيدـ بـمـكـةـ، وـ إـنـمـاـ كـانـ اـسـمـهـ عـمـراـ، فـماـ سـمـيـ هـاشـمـاـ إـلـاـ بـهـشـمـهـ الـخـبـزـ بـمـكـةـ لـقـومـهـ، فـقـالـ شـاعـرـ مـنـ قـريـشـ أـوـ منـ بـعـضـ الـعـربـ (قـيلـ هوـ عـبدـ اللهـ بـنـ الزـبـعـرـ، وـ قـيلـ هوـ مـطـرـودـ بـنـ كـعبـ):

عـمـروـ الـذـىـ هـشـمـ الشـرـيدـ لـقـومـهـ قـومـ بـمـكـةـ مـسـنـتـيـنـ عـجـافـ

سـنـتـ إـلـيـهـ الرـحـلتـانـ كـلـاهـمـاـ سـفـرـ الشـتـاءـ وـ رـحـلـةـ الـأـصـيـافـ

الـمـسـنـتـونـ: الـذـينـ أـصـابـتـهـمـ السـنـةـ، وـ هـىـ الـجـوعـ وـ الـقـحـطـ وـ الـجـدـبـ، وـ الـعـجـافـ جـمـعـ عـجـفـ مـنـ الـعـجـفـ بـمـعـنىـ الـضـعـفـ وـ الـهـزـالـ.

ثـمـ تـوـفـىـ هـاشـمـ بـغـزـةـ مـنـ أـرـضـ الشـامـ تـاجـرـاـ فـوـلـىـ السـقـاـيـةـ وـ الرـفـادـةـ مـنـ بـعـدـ الـمـطـلـبـ بـنـ عـبـدـ منـافـ وـ هـاشـمـ وـ كـانـ ذـاـ شـرـفـ فـيـ قـوـمـهـ وـ فـضـلـ وـ كـانـتـ قـريـشـ إـنـمـاـ تـسـمـيـهـ الـفـيـضـ لـسـماـحـتـهـ وـ فـضـلـهـ.

وـ ذـكـرـ أـكـثـرـ مـمـاـ نـقـلـنـاهـ عـنـ اـبـنـ هـشـامـ الـيـعقوـبـيـ فـيـ التـارـيـخـ (صـ 202ـ جـ 1) فـرـاجـعـ، قـالـ: إـنـ هـاشـمـاـ وـ عـبـدـ شـمـسـ كـانـاـ توـأـمـيـنـ فـخـرجـ هـاشـمـ وـ تـلـاهـ عـبـدـ شـمـسـ وـ عـقـبـهـ مـلـتـصـقـ بـعـقـبـهـ فـقـطـ بـيـنـهـمـاـ بـمـوـسـىـ فـقـيلـ: لـيـخـرـجـ بـيـنـ وـلـدـ هـاذـيـنـ مـنـ التـقـاطـعـ

ما لم يكن بين أحد.

وأماماً بنو أمية فالتأريخ أصدق شاهد على أنهم لم يكونوا إلا في صدد إثارة فتنة، وإنارة حرب، وأن شيمتهم كانت الخيانة، والبخل، والنفاق، وأن دأبهم كان الإستيلاء على الناس والسلطان عليهم ظلماً وجوراً، وأن بينهم وبين بنى هاشم في السجايا الإنسانية بونا بعيداً.

وابن أبي كلام طلبتهم في كتب التوارييخ والمعارض والسير بما وجدتهم إلا أفظاظاً غلاظ القلوب وقساتها، وما رأيت أماناتهم إلا أن تكونوا جبارية ملوكاً.

وهذا هو أبو سفيان كان صخراً، وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سبيلاً لإثارة وقعة بدر كما تقدم عن العقوبي في شرح المختار التاسع من باب الكتب (ص 369 ج 17) ففي السيرة النبوية لابن هشام (ص 671 ج 1): قال ابن إسحاق: ثم قال الله عز وجل: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله - إلى قوله: إلى جهنم يحشرون» يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سفيان وإلى من كان له مال من قريش في تلك التجارة فسألوهم أن يقوّهم بها على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله ففعلوا.

وقال ابن الأثير في اسد الغابة ناقلاً عن أبي أحمد العسكري: هو الذي قاد قريشاً كلها يوم أحد ولم يقدمها قبل ذلك رجل واحد إلا يوم ذات نكيف قادها المطلب.

وقال العقوبي في التاريخ: كانت وقعة أحد في شوال بعد بدر بسنة، اجتمع قريش واستعدّت لطلب ثارها يوم بدر واستعانت بالمال الذي قدّم به أبو سفيان وقالوا: لا تنفقوا منه شيئاً إلا في حرب محمد إلى أن قال:-

وخرج المشركون وعدّتهم ثلاثة آلاف ورئيسهم أبو سفيان بن حرب، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج المسلمين وعدّتهم ألف رجل حتى صاروا إلى أحد، ووافى المشركون فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله رماه وحشى ومثلت به هند بنت عتبة (و هند كانت زوج أبي سفيان) وشقت عن كبدہ فأخذت منها قطعة فلاكتها وجدعت أنفه فجزع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله جرعاً شديداً

وقال: لن أصحاب بمثلك - إلخ.

وكان أبو سفيان يحرّض قريشاً على القتال، وقال ابن إسحاق: وقد قال أبو سفيان ل أصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال: يا بنى عبد الدار إنكم قد وليتم لوعنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لوعنا وإنما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لوعنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع! وذلك أراد أبو سفيان.

وكانت زوجة هند و النسوة الـلاتي معها يحرّضن الكـفار على القتال فإنه لمـا التقى الناس و دـنا بعضـهم من بعضـ قـامت هـند بـنت عـتبـة في النـسوـة الـلاتـي مـعـها و أـخـذـنـ الدـفـوفـ يـضـربـنـ بـهـا خـلـفـ الرـجـالـ و يـحرـضـنـهـمـ فـقـالتـ هـندـ فـيـماـ تـقولـ:

ويـهاـ بـنـىـ عـبـدـ الدـارـ وـيـهاـ حـمـةـ الـأـدـبـارـ

ضرـبـاـ بـكـلـ بـتـارـ

و تمثـلتـ بـأـيـاتـ قـالـتـهاـ هـندـ بـنـتـ طـارـقـ بـنـ بـيـاضـةـ الـإـيـادـيـةـ فـيـ حـرـبـ الـفـرـسـ لـإـيـادـ

إنـ تـقـبـلـواـ نـعـانـقـ وـنـفـرـشـ النـمـارـقـ

أـوـ تـدـبـرـواـ نـفـارـقـ فـرـاقـ غـيرـ وـامـقـ

و كان أبو سفيان يشمت بال المسلمين بعد أحد، كما قال ابن عباس و عكرمة لمـا اصـيبـ المـسـلـمـينـ مـاـ أـصـابـهـمـ يـومـ اـحـدـ وـصـعـدـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ الـجـبـلـ جـاءـ أـبـوـ سـفـيـانـ فـقـالـ: ياـ مـحـمـدـ لـنـاـ يـوـمـ وـلـكـمـ يـوـمـ، فـقـالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ: أـجـيـبـهـ فـقـالـ المـسـلـمـونـ: لـاـ سـوـاءـ قـتـلـاـنـاـ فـيـ الـجـنـةـ وـقـتـلـاـنـاـ كـمـ فـيـ الـدـارـ، فـقـالـ أـبـوـ سـفـيـانـ: لـنـاعـرـىـ وـلـاـ عـزـىـ لـكـمـ؛ فـقـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ: قـولـواـ: اللـهـ مـوـلـاـنـاـ وـلـاـ مـوـلـىـ لـكـمـ، فـقـالـ أـبـوـ سـفـيـانـ: اـعـلـ هـبـلـ؛ فـقـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـالـهـ: قـولـواـ: اللـهـ أـعـلـىـ وـأـجـلـ، وـذـكـرـ قـرـيبـاـ مـنـهـ اـبـنـ هـشـامـ فـيـ السـيـرـةـ (صـ 93ـ جـ 2ـ).

و كان دـأـبـ مـعـاوـيـةـ وـشـيـمـتـهـ أـيـضاـ كـذـلـكـ إـلـىـ أـنـ أـسـلـمـ بـحـسـبـ الـظـاهـرـ إـمـاـ رـغـبـةـ وـإـمـاـ رـهـبةـ فـيـ يـوـمـ فـتـحـ مـكـةـ وـبـعـدـ مـاـ أـسـلـمـ ظـاهـراـ قـدـ سـفـكـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ وـأـفـرـطـ فـيـهـ فـقـدـ

صـ: 266

قال المسعودي في مروج الذهب (ص 66 ج 2): وقد كان بسر بن أرطاة العامري (كان بسر منصوباً من قبل معاوية، على سفك الدماء) قتل بالمدينة وبين المسجدتين خلقاً كثيراً من خزاعة وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء؛ ولم يبلغه عن أحد أنه يماليء علينا أو يهواه إلا قتله.

ونقل ما أصيّب منه المسلمين يطول به الكتاب وينجر إلى الإسهاب، ونكتفي بنقل كتاب كتبه محمد بن أبي بكر إلى معاوية ذكر فيه علياً وأباه، ومعاوية وأباه بما تراه، قال المسعودي في مروج الذهب (ص 59 ج 2): لما صرف على عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وجّه مكانه محمد بن أبي بكر فلما وصل إليها كتب إلى معاوية كتاباً فيه:

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر: أما بعد فإن الله بعظمته وسلطانه خلق خلقه بلا عبث منه ولا ضعف في قوله ولا حاجة به إلى خلقهم لكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم غوياً ورشيداً وشقياً وسعیداً ثم اختار على علم واصطفى وانتخب منهم محمداً صلی الله عليه وآله فانتخبه لعلمه واصطفاه لرسالته وائتمنه على وحيه وبعثه رسولاً ومبشراً ونذيراً فكان أول من أجاب وأناب وآمن وصدق وأسلم وسلم أخوه وابن عمّه على بن أبي طالب صدقة بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم وقام بنفسه كل هول وحارب حربه وسالم سلمه فلم يربح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والحرف والجوع والخضوع حتى برع سابقاً لا نظير له فيمن اتبعه ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تسامي ورأنت و هو هو أصدق الناس نية، وأفضل الناس ذرية، وخير الناس زوجة وأفضل الناس ابن عمّ أخيه الشاري بنفسه يوم موته، وعمّه سيد الشهداء يوم أحد، وأبوه الذائب عن رسول الله صلی الله عليه وآله وعن حوزته؛ وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله صلی الله عليه وآله العوائل، وتجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتوّلّان عليه القبائل؛ على ذلك مات أبوك وعليه خلفته؛ و الشهيد عليك من تدني ويلجاً إليك من بقية

الأحزاب ورؤساء النفاق؛ والشاهد لعلى مع فضله المبين القديم أنصاره الذين معه الذين ذكرهم الله بفضلهم، وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار وهم معه كتائب وعصائب يرون الحق في اتباعه والشّقاء في خلافه؛ فكيف يا لك الويل تعذل نفسك بعلى وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه وأبو ولده، أول الناس له اتبعوا وأقربهم به عهدا، يخبره بسره ويطلعه على أمره، وأنت عدوه وابن عدوه فتتمتّع في دنياك ما استطعت بياطلك، وليمددك ابن العاص في غوايتك، فكان أجلك قد انتقضى وكيدك قد وهى، ثمّ يتبيّن لك لمن تكون العاقبة العليا، وأعلم أنك إنما تكايد ربّك الذي آمنك كيده ويسّرت من روحه فهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور وسلام على من اتبّع الهدى.

فأجابه معاوية في كتاب أرسله إليه بما خلاصته: فقد كان أبوك فيما نعرف فضل ابن أبي طالب وحّقه لازما لنا مبرورا علينا فلما قبض الله نبيه كان أبوك وفاروقة أول من ابته حّقه، وخالفه على أمره على ذلك اتفقا واتسقا، ولو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب وسلمتنا إليه ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله فعبّأك بما بدا لك أودع وسلام على من أناب.

وأتى بتفصيله المسعودي في مروج الذهب فراجع، فأين أبو سفيان الصّماري بدماء النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين، وأبو طالب الذي كان كافل الرّسول وحاميه وذاباً عنه وعن المسلمين.

وأين زوجه هند آكلة الأكباد، وامرأة أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم ربّت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال اليعقوبي في التاريخ (ص 10 ج 2) ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توفيت (يعنى فاطمة بنت أسد) وكانت مسلمة فاضلة - إنّه قال: اليوم ماتت أمّى، وكفّنها بقميصه، ونزل على قبرها، واضطجع في لحدها؛ فقيل له يا رسول الله لقد اشتدّ جزعك على فاطمة؛ قال: إنّها كانت أمّى إذا كانت لتعيّن صبيانها وتشبعني، وتشعّثهم وتدهننّي وكانت أمّى.

وبنوا هاشم هم الـذين كان النبيّ من بيتهم وهو صلّى الله عليه وآله ربّي في حجرهم وما بعث الله نبيّا إلّا في منعة من قومه ففي المقدمة السادسة من مقدمة ابن خلدون (ص 91 طبع مصر): إنَّ الله سبحانه وتعالى اصطفى من البشر أشخاصاً فضلاً لهم بخطابه وفطراهم على معرفته وجعلهم وسائل بينهم وبين عباده يعرّفونهم بمصالحهم ويحرّضونهم على هدايتهم - ثمَّ أخذ في بيان علامات هذا الصنف من البشر فقال: ومن علاماتهم أيضاً أن يكونوا ذوي حسب في قومهم، وفي الصحيح ما بعث الله نبيّا إلّا في منعة من قومه وفي رواية أخرى في ترجمة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين، وفي مسألة هرقل لأبي سفيان كما هو في الصحيح قال: كيف هو فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو حسب؛ فقال هرقل: والرسول تبعث في أحساب قومها، و معناه أن تكون له عصبة وشوكه تمنعه عن أذى الكفار حتى يبلغ رسالته ربه و يتم مراد الله من إكمال دينه و ملته.

وكلام ابن خلدون هذا قد عنون في الكتب الكلامية أيضاً، ثم إنَّ المهديًّا الموعود ظهره وقيامه من أهل بيته صلّى الله عليه وآله فهو من بنى هاشم كما أنَّ آباءه الكرام البررة عليهم السلام من ذلك البيت.

وقد قاتل أبو سفيان بن حرب الأموي رسول الله صلّى الله عليه وآله و فعل ما فعل.

وابنه معاوية قاتل خليفة الرسول عليهما السلام ريحانة الرسول الحسن المجتبى.

وزوجه هند كانت تحضر المشركين على قتال المسلمين وقتلهم وقد مثلت أسد الله وأسد رسوله حمزة وأكلت أكباد أعداء الله.

وابن معاوية يزيد قتل شباب أهل الجنة ريحانة رسول الله الحسين بن فاطمة وأصحابه أنصار الله بكر بلاء، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص 307 طبع مصر): وفي قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. انتهى.

وبعد قتله فعل بمدينة الرسول ما فعل فقد قال السيوطي في التاريخ المذكور

وفي سنة ثلاثة وستين بلغه (يعنى يزيد بن معاویة) أنّ أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير فجاءوا وكانت وقعة الحرّة على باب طيبة، و ما أدرك ما وقعة الحرّة؟ ذكرها الحسن مرّة فقال: و الله ما كاد ينجو منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابة رضى الله عنهم و من غيرهم، و نهبت المدينة و افتض فيها ألف عذراء فإنّا لله و إنّا إليه راجعون؛ قال:

قال صلّى الله عليه و اله: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين» و كان سبب خلع أهل المدينة له أنّ يزيد أسرف في المعاصي.

وقال عبد الله حنظلة الغسيل: و الله ما خرجننا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء إنّه رجل ينكح أمّهات الأولاد و البنات، و الأخوات، و يشرب الخمر، و يدع الصلاة.

قال: قال الذّهبيّ: و لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شرب الخمر و اتياه المنكر اشتدّ عليه الناس و خرج عليه غير واحد و لم يبارك الله في عمره و سار جيش الحرّة إلى مكة لقتال ابن الزبير و أتوا مكة فحاصروه و قاتلوه و رموه بالمنجنيق و احترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة و سقفها - إلى آخر ما نقل فراجع إلى الكتاب.

والدّجال الذي يقاتل المهدى المنتظر عليه السلام الهاشمى سفيانى أيضاً ففى معانى الأخبار للصدق رحمة الله عن الصادق عليه السلام: قال: إنا و آل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله: قلنا صدق الله و قالوا كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله صلّى الله عليه و اله و قاتل معاویة على بن أبي طالب عليه السلام و قاتل يزيد بن معاویة الحسين بن على عليه السلام و السفيانى يقاتل القائم، رواه المجلسى فى البخار (ج 8 ص 560 من الطبع الكمبانى).

و هذه النموذجة من شيم بنى امية، و تلك نبذة من خلال بنى هاشم و خلقهم العظيم.

ثم إن الفاضل الشارح المعتزلى قال: كان الترتيب يتضمن أن يجعل هاشما

بازاء عبد شمس لأنّه أخوه في قعد و كلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون امية بازاء عبد المطلب، وأن يكون حرب بازاء أبي طالب، وأن يكون أبو سفيان بازاء أمير المؤمنين عليه السلام لأن كل واحد من هؤلاء في قعد صاحبه إلا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا كان في صفين بازاء معاوية اضطر إلى أن جعل هاشم بازاء امية بن عبد شمس. انتهى.

أقول: أولاً- إن سلسلتي نسب أمير المؤمنين على عليه السلام و معاوية إلى عبد مناف ليستا متكافتين حتّى يجعل كل واحد من هذه السلسلة في قعد صاحبه من السلسلة الأخرى فإنّها في معاوية تجاوز حلقة فعلى عليه السلام ينتهي إلى عبد مناف بثلاثة آباء و معاوية ينتمي إليه ظاهراً باباء أربعة.

و ثانياً إنّ الأمير عليه السلام جعل نفسه بازاء معاوية، وأباه أبا طالب بازاء أبيه أبي سفيان، و جده عبد المطلب بازاء جده حرب، وأبا جده هاشم بازاء أبي جده امية فلا يخفى حسن صنيعته عليه السلام.

و ثالثاً إنّ في صنيعته هذه اشارة لطيفة دقيقة إلى عدم انتهاء نسب الخصم إلى عبد مناف، أي عدم كونه من صميم قريش فتبصر.

ورابعاً إنّ الأمير عليه السلام كان في بيان فضل أولاد عبد مناف الذين كانوا آباءه عليهم السلام شرافة و كرامة و مجدًا على أولاده الذين كان معاوية ينتمي إليهم وليس للتنظير مزيد اهتمام في المقام.

و خامساً إنّ ما فعل الأمير عليه السلام من جعل امية بازاء هاشم، و حرب بازاء عبد المطلب، و أبي سفيان بازاء أبي طالب نكتة تاريخية أوجبت تنظير كل واحد من الثلاثة قبل صاحبه وقد غفل الشارح المذكور عنها وهي أنّ هاشماً بعد أبيه عبد مناف لمّا ولد ما كان إليه من المقاومة والرفادة و ساد قومه حسده امية ابن أخيه عبد شمس بن عبد مناف فتكلّف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له: أتشبّه بهاشم؟ ثم دعا هاشماً للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسته و علو قدره فلم تدعه قريش؛ فقال هاشم لا امية: أنا فرك على خمسين ناقة سود

الحق تحر

بِمَكَّةَ، وَالْجَلَاءَ عَنْ مَكَّةَ عَشَرَ سَنِينَ، فَرُضِيَ امِيَّةً بِذَلِكَ وَجَعَلَا بَيْنَهُمَا الْكَاهِنَ الْخَرَاعِيَّ وَكَانَ بِعْسَفَانَ فَخَرَجَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي نَفْرَةٍ فَنَزَلُوا عَلَى الْكَاهِنَ قَبْلَ أَنْ يَخْبُرُوهُ خَبْرَهُمْ؛ وَالْقَمَرُ الْبَاهِرُ، وَالْكَوْكَبُ الزَّاهِرُ، وَالْغَمَامُ الْمَاطِرُ، وَمَا بِالْجَوَّ مِنْ طَائِرٍ، وَمَا اهْتَدَى بِعِلْمٍ مَسَافِرُ، مِنْ مَنْجَدٍ وَغَاثِرٍ، لَقَدْ سَبَقَ هَاشِمٌ امِيَّةَ إِلَى الْمَفَاقِرِ فَصَرَّ هَاشِمٌ عَلَى امِيَّةَ فَعَادَ هَاشِمٌ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْرَ الْإِبَلِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ وَخَرَجَ امِيَّةَ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِهَا عَشَرَ سَنِينَ فَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ عَدَاوَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ هَاشِمٍ وَامِيَّةَ وَتَوَارَثَ ذَلِكَ بَنَوَهُمَا.

فَقَدْ أَشَارَ عَلَيِّ عَلِيهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: «وَلَكُنْ لَيْسَ امِيَّةً كَهَاشِمٍ» إِلَى هَذَا التَّنْظِيرِ، وَقَدْ نَقَلْنَا هَذِهِ النَّكْتَةَ التَّارِيخِيَّةَ مِنْ انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية (ص 5 ج 1 طبع مصر) وقد نقل قريبا منه أبو جعفر الطبرى في التاريخ، وابن الأثير في الكامل.

وَأَمَّا مَا أَوْجَبَتِ التَّنْظِيرُ بَيْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ وَحَرْبِ فَهِيَ أَنَّ حَرْبًا كَانَ نَدِيمَ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ فِي جَوَارِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ يَهُودِيًّا فَأَغْلَظَ ذَلِكَ الْيَهُودِيَّ الْقَوْلَ عَلَى حَرْبٍ فِي سُوقٍ مِنْ أَسْوَاقِ تَهَامَةَ فَأَغْرَى عَلَيْهِ حَرْبٍ مِنْ قَتْلِهِ؛ فَلَمَّا عَلِمَ عَبْدُ الْمَطَّلِبِ بِذَلِكَ تَرَكَ مَنَادِمَةَ حَرْبٍ وَلَمْ يَفْارِقْهُ حَتَّى أَخْذَ مِنْهُ مَائَةَ نَاقَةَ دَفَعَهَا لَابْنِ عَمِّ الْيَهُودِيِّ ثُمَّ نَادَمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَدْعَانَ التَّمِيمِيَّ.

هَذَا مَا نَقَلْنَا عَنِ السِّيَرَةِ النَّبُوَّيَّةِ لِأَحْمَدَ زِينِيِّ دَحْلَانَ (هَامِشُ السِّيَرَةِ الْحَلَبِيَّةِ ص 22 ج 1) وَتَقْصِيلُ ذَلِكَ مَا أَتَى بِهِ أَبُو جَعْفَرِ الطَّبَرِيِّ فِي التَّارِيخِ وَابْنِ الْأَثِيرِ فِي الْكَاملِ مِنْ أَنَّ عَبْدَ الْمَطَّلِبَ كَانَ لَهُ جَارٌ يَهُودِيًّا يَقَالُ لَهُ: اذِنْنِي يَتَّجَرُ وَلَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَغَاظَ ذَلِكَ حَرْبُ بْنُ امِيَّةَ، وَكَانَ نَدِيمُ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ فَأَغْرَى بِهِ فَتِيَانًا مِنْ قَرِيشٍ لِيَقْتُلُوهُ وَيَأْخُذُوا مَالَهُ فَقُتِلَهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، وَصَخْرُ بْنُ عَمْرُو بْنُ كَعْبِ التَّمِيمِيِّ جَدُّ أَبِي بَكْرٍ؛ وَلَمْ يَعْرِفْ عَبْدُ الْمَطَّلِبِ قَاتِلَهُ فَلَمْ يَزِلْ يَبْحَثُ حَتَّى عَرَفَهُمَا وَإِذَا هُمَا قَدْ اسْتَجَارَا بِحَرْبٍ بْنِ امِيَّةَ، فَأَتَى حَرْبٍ وَلَامَهُ، وَطَلَبَهُمَا مِنْهُ فَأَخْفَاهُمَا

فتغالظاً في القول حتى تناهرا إلى النجاشي ملك الحبشة فأبى أن ينفر بينهما فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح، فقال لحرب:

يا أبا عمرو أتافر رجلا هو أطول منك قائمة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامه، وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولدا، وأجزل صدما، وأطول منك مذودا؟ وإنني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب، ربيع الصوت في العرب، جلد المريدة، جليل العشيرة، ولكنك نافت منفرا.

بغضب حرب وقال: إنّ من انتكاس الزّمان أن جعلت حكما؛ فترك عبد المطلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جدعان وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها إلى ابن عم اليهودي، وارتجع ماله إلا شيئاً هلك فغرمه من ماله.

ثم قال زيني دحلان: ويروى أن حرباً كان لا يلتقي من أحد من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة؟؟ أو مضيق إلا تأخروا وتقدم هو، ولا يستطيع أحد أن يتقدم عليه فالتحقى حرب مع رجل من بنى تميم في عقبة فتقدّم التميمي، فقال حرب: أنا حرب بن أمية فلم يلتفت إليه التميمي ومرّ قبله فقال حرب: موعدك مكة فبقى التميمي دهراً ثم أراد دخول مكة فقال: من يجيرني من حرب بن أمية؟ فقيل له: عبد المطلب بن هاشم فأتى التميمي ليلاً دار الزبير بن عبد المطلب فدقّ الباب فقال الزبير لأخيه الغيداق: قد جاءنا رجل إما مستجير أو طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناها ما أراد فخرج الزبير فأنشد الرجل:

لاقيت حرباً في الشيبة مقبلاً والصبح أبلج ضوءه للبارى

فدعاه بصوت واكتفى ليروعنى ودعا بدعونه يزيد فخارى

فتركته كالكلب ينبع وحده وأتيت أهل معالم وفخار

ليثا هزبرا يستجار بقربه رحب المنازل مكرماً للجار

ولقد حلفت بمكة وبزم وبيت ذي الأحجار والأستار

إنّ الزبير لما نهى من خوفه ما كبر الحجاج في الأمصار

قال الزّبیر للتمیمی: تقدّم فیاً لا تقدّم على من نجیره فتقّدم التمیمی و دخل المسجد فرأه حرب فقام إلیه فلطمہ فعدا علیه الرّبیر بالسّیف فعدا حرب حتّی دخل دار عبد المطلب فقال: أجرني من الرّبیر فأکفأ علیه جفنة كان أبوه هاشم يطعم النّاس فيها فبقى تحتها ساعة ثمّ قال له عبد المطلب: اخرج، فقال: كيف اخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب؟ فألقى علیه عبد المطلب رداءه فخرج علیهم فعلموا أنه أجاره فنفرّقوا.

وإلى هذه القصّة أشار ابن عباس رضي الله عنهمما حين دخل على معاویة في أيام خلافته وعنده وفود العرب فذكره كلاماً فيه افتخار وذكر في کلامه حرب بن امية فقال له ابن عباس: فمن أکفأ علیه إباء وأجاره بردانه؟ فسكت معاویة.

وأمّا التّنظیر بين أبي طالب وأبي سفيان فظاهر مما قدّمنا سالفاً من حماية أبي طالب رضوان الله عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وذبه عن الرّسول صلّى الله عليه وآله وحسن تدبیره في دفع کیاد القوم عنه، وآثنا من ایذاء أبي سفيان رسول الله صلّى الله عليه وآله و المسلمين وبغيه لهم وتألیبه علیهم القبائل وجهده في إطفاء نور الله ولو عه في سفك الدّماء.

ثمّ بما يیّتا من وجه التّنظیر علم أيضاً أنّ بنی هاشم كانوا يؤمّنون الخائفین ویؤدّون الحقوق، وكان دارهم مأمن الناس وأنّ بنی امية كانوا على خلافهم.

قال عليه السلام: «و لا المهاجر كالطريق، ولا الصّریح كالالطريق، ولا المحقق كالبطل، ولا المؤمن كالمدغل» بعد ما بیّن ما كانت طاریة علیهما من جهة آبائهما أخذ بذلك الصّفات النفسانية، فقال: و لا المهاجر كالطريق يعني بالمهاجر نفسه وبالطريق معاویة وقد علمت في شرح المختار الرابع والثلاثين والمائتين من باب الخطب وهو قوله عليه السلام: فجعلت أتبع ما أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله - إلخ (ص 126 ج 15) أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لما فجأه من الكفار ما أحوجه إلى الخروج من مكان استخلف علياً في ردّ الودائع إلى أربابها وقضاء ما كان عليه من دين لمستحقيه وجمع بناته ونساء أهله وأزواجه والهجرة بهم إليه فقام على علیه السلام به أحسن القيام وبات على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله ووقاه بنفسه ثمّ ردّ كلّ وديعة إلى أهلها وأعطى كلّ ذي

حقّ حَقٌّ وَ حَفْظُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ وَ حَرْمَهُ وَ هَاجِرُهُمْ مَاشِيَا عَلَى قَدْمِيهِ يَحْوِطُهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَ يَكْلِأُهُمْ مِنَ الْخَصْمَاءِ وَ يَرْفَقُهُمْ فِي الْمَسِيرِ حَتَّى أُورِدُهُمْ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللهِ الْمَدِينَةَ عَلَى أَتَمِّ صَيَانَةٍ وَحَرَاسَةٍ وَرَفْقٍ وَرَأْفَةٍ وَحَسْنِ تَدِيرٍ.

وَ كَانَ مَعَاوِيَةً وَأَبُوهُ فِي زَمَانِ مَهَاجِرَةِ الرَّسُولِ وَالْوَصِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُشَرِّكِينَ وَقَدْ أَسْلَمَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً وَلَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللهِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ لَهُمْ:

فَإِذْهُبُوا وَأَتُمُ الْطَّلَقَاءَ فَمَعَاوِيَةً طَلِيقَ بْنَ طَلِيقَ، وَسَيَأْتِي ذَكْرُ فَتْحِهَا عَنْ قَرِيبٍ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ» يَعْنِي بِالصَّرِيحِ نَفْسُهُ وَبِاللَّصِيقِ مَعَاوِيَةً وَقَدْ عُلِمَ فِي بَيَانِ لُغَةِ الْكِتَابِ أَنَّ الصَّرِيحَ بِمَعْنَى خَالِصِ النَّسْبِ، وَاللَّصِيقَ بِمَعْنَى الدُّعَى فِي قَوْمٍ، الْمَلْصُقُ بِهِمْ وَلَا يَنْتَهُمْ.

قَالَ الْفَاضِلُ الشَّارِحُ الْمُعْتَرِلِ: إِنْ قَلْتَ: مَا مَعْنِي قَوْلِهِ: وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَهُلْ كَانَ فِي نَسْبِ مَعَاوِيَةَ شَبَهَةً لِيَقُولَ لَهُ هَذَا؟ قَلْتَ: كَلَّا إِنَّهُ لَمْ يَقْصُدْ ذَلِكَ وَإِمَّا أَرَادَ الصَّرِيحَ بِالإِسْلَامِ وَاللَّصِيقَ فِي الإِسْلَامِ فَالصَّرِيحُ فِيهِ هُوَ مِنْ أَسْلَمِ اعْتِقَادِهِ وَإِلْحَاصِهِ، وَاللَّصِيقُ فِيهِ مِنْ أَسْلَمِ تَحْتِ السَّيفِ أَوْ رَغْبَةِ فِي الدِّينِ وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ قَالَ: كُنْتُمْ مَمْنُونِ دُخُلَ فِي هَذَا الَّذِينَ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً. اِنْتَهَى.

أَقُولُ: لَوْ كَانَ شَرْحُ عَبَارَةِ مَبْنِيَا عَلَى الرَّأْيِ مِنْ دُوْنِ دَلَالَةِ سُبَكَّهَا وَاسْلُوبَهَا عَلَيْهِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ خَارِجِ لِجَازٍ أَنْ تَقْسِّرَ عَلَى آرَاءِ كَثِيرَةٍ قَائِلَةٍ خَارِجَةٍ عَنْ حَيْطَةِ الْمَرَادِ قَطْعًا.

ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: مَا اقْتَضَى عَدُوكَ عَنْ ظَاهِرِ الْلَّفْظِ وَارْتِكَابِكَ عَلَى هَذَا التَّكْلِفِ؟ وَلَمْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعَاوِيَةَ مَلْصُقاً بِقَرِيشٍ وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ مَمْنُونِ دُخُلَ فِي الَّذِينَ إِمَّا رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً، حَتَّى لَا تَحْمِلَ الْعَبَارَاتَانِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ؟ فَإِنْ قَلْتَ: إِذَا كَانَ اللَّصِيقُ بِهِذَا الْمَعْنَى أَى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَرِيشٍ فَلَمْ قَالَ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ» وَلَمْ يَرْدَدْهُ فِي ادْعَائِهِ هَذَا بَأْنَهُ لَيْسَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، بَلْ أَمْضَاهُ وَأَثْبَتَهُ بِقَوْلِهِ فَكَذَلِكَ نَحْنُ؟ قَلْتَ: أَوْلَا إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَسْخَةِ نَصْرٍ لَمْ يَمْضِهِ وَلَمْ يَعْتَرِفْ بِأَنَّ مَعَاوِيَةَ مِنْ

بني عبد مناف بل قال: وأمّا قولك: «إِنَّا بْنُو عَبْدِ مَنَافٍ لَيْسَ لِبَعْضِنَا عَلَى بَعْضِ فَضْلٍ» «فَلَعْمَرِي إِنَّا بْنُو أَبٍ وَاحِدٍ» ولا يخفى عليك أنَّ الكافر والمسلم من أب واحد آدم عليه السلام.

و ثانياً هب أَنَّه قال: فكذلك نحن، ولكن لا ضير في أن يكون كلامه هذا مبنياً على المماشة وفرض التسليم أَي سلمنا أنَّ نسبك ينتهي إلى عبد مناف ولكنَّ بين آبائنا وآبائك إلى عبد مناف في الشرافة والجلالة فرقاً فاحشاً ثمَّ نفي نسبه إليه بقوله: و ليس الصرير كالصريح، وهذا الدَّأْبُ في المحاورات ليس بعزيز.

وقال سينَا عماد الدين الحسن بن عليٍّ بن محمد بن الحسن الطبرى في الفصل الأول من الباب الخامس والعشرين من كتابه كامل السقيفة المشتهر بالكامل البهائى (ص 161 ج 2 طبع دار العلم قم) وكذا قال صاحب إلزم النواصب: إنَّ بنى أمية ليسوا بصححى النسب إلى عبد مناف، ونقل قولهما المجلسى في المجلد الثامن من البحار (ص 383 منطبع الكمبانى) قال:

قال صاحب الكامل البهائى: إنَّ أمية كان غلاماً رومياً لعبد الشمس فلماً أله كيساً فطناً أعتقه وتبناه فقيل أمية بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية: زيد بن محمد، ولذا روى عن الصادقين عليهم السلام في قوله تعالى: «الَّمَّا غُلِبَتِ الرُّومُ» أَنَّهم بنو أمية، ومن هنا يظهر نسب عثمان و معاوية و حسبهما و أئمتهما لا يصلحان للخلافة لقوله صلى الله عليه وآله: الأئمة من قريش.

وقال مؤلف كتاب إلزم النواصب: أمية لم يكن من صلب عبد الشمس وإنما هو من الروم فاستلحقه عبد الشمس فنسب إليه فبنو أمية ليسوا من صميم قريش وإنما هم يلحقون بهم ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام إنَّ بنى أمية لصاق وليسوا بصححى النسب إلى عبد مناف و لم يستطع معاوية انكار ذلك. انتهى.

أقول: قوله قبل نزول الآية اشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب:

«فَلَمَّا قَضَى رَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَأَ رَوَّجْنَاكَهَا» - إلى قوله عز وجل: «مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ»

ورواية الصادقين قد رواها الشيخ الجليل أبو الفتح الكراجكي معاصر الشريف الرّضي في كنز الفوائد، وقد روی عن غيرهما من أئمّتنا عليهم السّلام أيضاً أتى بها المجلسي في ثامن البحار (ص 379) روى الكراجكي قدس سرّه عن محمد بن العباس، عن ابن عقدة، عن الحسن بن القاسم، عن علي بن إبراهيم بن المعلى، عن فضيل بن إسحاق، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميشم، عن عبياية، عن علي عليه السّلام قال:

قوله عزّ و جلّ: «المُغْلَبَةِ الرُّومُ» هى فينا و فى بني امية.

وروى عن محمد بن العباس، عن الحسن بن جمهور العمّي، عن أبيه، عن جعفر بن بشير، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سأله عن تفسير «المُغْلَبَةِ الرُّومُ» قال: هم بنو امية وإنما أنزلها الله الم غلت الرّوم بنو امية في أدنى الأرض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله عند قيام القائم.

واعلم أنّ الرّوايتين تشيران إلى بطن من بطون الاية و ليس المراد من قوله إنّما أنزلها الم غلت الرّوم بنو امية و قوله يفرح المؤمنون بنصر الله عند قيام القائم أنّ الاية نزلت هكذا أولاً ثم حرفت و صحفت؛ و ذلك لما علمنا من شرحنا على المختار الأول من باب الكتب والرسائل أنّ القرآن الذي في أيدي الناس اليوم هو جميع ما أنزله الله تعالى على رسوله و ما تطرق إليه زيادة و نقصان فراجع إلى ص 295-249 من المجلد السادس عشر.

قال عليه السّلام: «و لا المحق كالبطل» أى ليس ذاك كهذا، و يعني بالمحق نفسه وبالبطل معاوية، و كذا قوله عليه السّلام: «و لا المؤمن بالمدغل» إنما يعني بالمؤمن نفسه وبالمدغل معاوية.

فالإمیر عليه السّلام بدأ بذكر فضائله و ردائل خصميه من آباءهما أولاً و أدرج الخصم في سلك قريش على سبيل المماشاة، ثمّ أتى بأوصاف أربعة كمالية كانت له عليه السّلام، و ذكر مع كلّ واحدة منها ضدّها الذي كان لخصمه معاوية.

وأفاد الشارح البحرياني بأنه عليه السّلام ذكر الفرق بينهما من وجوه خمسة بدأ

فيها بالامور الخارجـة أولاً من كمالـاته وفضائلـه ورذائلـ خصمـه متدرـجاً منها إلى الأقرب فالأقرب فالأول شرفـه من جهة الاباء المـتـفـرـعـين على عبد مناف بعد أن سـلم الاشتراك بينهما في كونـهما من بنـى عبد مناف.

الثـانـي شـرفـه من جهة هـجرـته مع الرـسـول صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـالـهـ وـخـسـنةـ خـصمـه من جـهـةـ كـوـنـهـ طـليـقاـ وـابـنـ طـليـقـ وـهـذـهـ فـضـيـلـةـ وـإـنـ كـانـ خـارـجـيةـ إـلـاـ إـنـهـاـ تـسـتـلـزـمـ فـضـيـلـةـ نـفـسـانـيـةـ وـهـىـ حـسـنـ الإـسـلامـ وـالـنـيـةـ الصـادـقـةـ الـحـقـةـ وـكـذـلـكـ ماـ ذـكـرـ مـاـ ذـكـرـ مـنـ رـذـيـلـةـ خـصمـهـ بـدـيـنـةـ عـرـضـتـ لـهـ إـلـاـ إـنـ هـذـهـ فـضـيـلـةـ وـرـذـيـلـةـ أـقـرـبـ مـنـ الـاعـتـبارـيـنـ الـأـوـلـيـنـ لـكـوـنـهـماـ حـقـيقـيـتـيـنـ بـالـأـبـاءـ وـهـمـيـتـيـنـ بـالـأـبـنـاءـ دـوـنـ هـاتـيـنـ.

الـثـالـثـ شـرفـهـ منـ جـهـةـ صـرـاحـةـ النـسـبـ وـخـسـنةـ خـصمـهـ منـ جـهـةـ كـوـنـهـ دـعـيـاـ وـهـذـانـ الـاعـتـبارـاـنـ أـقـرـبـ مـمـاـ قـبـلـهـماـ لـكـوـنـهـماـ اـعـتـبـارـيـنـ لـازـمـيـنـ لـهـمـاـ دـوـنـ الـأـوـلـيـنـ.

الـرـابـعـ شـرفـهـ منـ جـهـةـ كـوـنـهـ مـحـقـقاـ فـيمـاـ يـقـولـهـ وـيـعـتـقـدـهـ وـرـذـيـلـةـ خـصمـهـ منـ جـهـةـ كـوـنـهـ مـبـطـلاـ وـهـذـانـ الـاعـتـبارـاـنـ أـقـرـبـ لـكـوـنـهـماـ مـنـ الـكـمـالـاتـ وـرـذـائـلـ الذـاتـيـةـ دـوـنـ مـاـ قـبـلـهـاـ.

الـخـامـسـ شـرفـهـ منـ جـهـةـ كـوـنـهـ مـؤـمنـاـ، وـمـؤـمـنـ مـنـ الـحـقـ وـالـمـؤـمـنـ مـنـ الـحـقـ هوـ مـسـتـكـمـلـ لـلـكـمـالـاتـ الـدـيـنـيـةـ الـنـفـسـانـيـةـ وـخـسـنةـ خـصمـهـ منـ جـهـةـ كـوـنـهـ مـدـغـلـاـ أـىـ خـيـثـ الـبـاطـنـ مـشـتـمـلاـ عـلـىـ النـفـاقـ وـرـذـائـلـ الـمـوـبـقـةـ وـظـاهـرـ أـنـ هـذـيـنـ الـاعـتـبارـيـنـ أـقـرـبـ الـكـمـالـاتـ وـرـذـائـلـ إـلـىـ الـعـبـدـ، وـإـنـمـاـ بـدـأـ بـذـكـرـ الـكـمـالـاتـ وـرـذـائـلـ الـخـارـجـيـةـ لـكـوـنـهـماـ مـشـتـمـلـةـ عـنـدـ الـخـصـمـ وـأـظـهـرـ لـهـ وـلـلـخـلـقـ مـنـ الـأـمـورـ الدـاخـلـيـةـ.

قالـ عـلـيـهـ السـلـامـ: «وـلـبـئـسـ الـخـلـفـ خـلـفـ يـتـبعـ سـلـفـاـ هـوـىـ فـىـ نـارـ جـهـنـمـ» اـسـلـوبـ الـكـلـامـ يـنـادـىـ بـأـعـلـىـ صـوـتـهـ أـنـ جـمـلةـ يـتـبعـ صـفـةـ لـلـخـلـفـ، وـهـوـ فـىـ نـارـ جـهـنـمـ لـلـسـلـفـ وـالـإـيـانـ بـالـفـعـلـ الـمـضـارـعـ فـىـ الـأـوـلـىـ، وـالـمـاضـىـ فـىـ الـثـانـيـةـ أـصـدـقـ شـاـهـدـ لـمـاـ قـلـنـاـ فـأـخـبـرـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـأـنـ سـلـفـ مـعـاوـيـةـ وـمـنـهـمـ أـبـوـ سـفـيـانـ هـوـىـ بـكـفـرـهـ وـشـرـكـهـ فـىـ نـارـ جـهـنـمـ.

عـلـىـ أـنـ اللـهـ لـمـ لـفـ إـذـاـ كـانـ عـلـىـ سـوـىـ الصـدـرـاطـ فـنـعـمـ الـخـلـفـ خـلـفـ يـتـبـعـهـ فـلـاـ يـعـابـ عـلـىـ خـلـفـ بـهـذـاـ الـاتـبـاعـ وـلـاـ يـذـمـ بـهـ بـلـ يـمـدـحـ فـقـىـ هـذـاـ الـكـلـامـ ذـمـ لـلـخـلـفـ وـالـسـلـفـ مـعـاـ.

فبما حَقَّقْنَا دريت و هن ما جنح إلَيْهِ الفاضل أَحْمَد زَكِي صفوٰت فِي جَمِيْهَرَةِ رسائلِ الْعَرَبِ (ص 480 ج 1) مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُعِيبُ عَلَى معاوِيَةَ بَأْنَ سَلْفَهُ كَانُوا كَفَّاراً بَلْ بِكُونِهِ مُتَّبِعاً لَهُمْ فَقَدْ نَهَجَ فِي مَعَادَةِ عَلَيِّ نَهَجَ أَجْدَادُهُ فِي مَعَادَةِ أَجْدَادِ عَلَيِّ.

قال عليه السلام: «وَفِي أَيْدِينَا بَعْدَ فَضْلِ النَّبِيِّ الَّتِي أَذْلَلَنَا بِهَا الْعَزِيزُ وَنَعْشَنَا بِهَا الدَّلِيلُ» هذا ردّ على قول معاوِيَةَ: «لَيْسَ لِبَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَضْلٌ إِلَّا فَضْلٌ لَهُ عَزِيزٌ وَلَا يُسْتَرِقُ بِهِ حَرّ» معناه: وَالحَالُ أَنَّ لَنَا فَضْلًا آخَرَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْفَضَائِلِ الْمُتَقْدِمَةِ وَهُوَ فَضْلُ النَّبِيِّ الَّتِي أَذْلَلَنَا بِهَا الْعَزِيزُ اسْتَشْنَى معاوِيَةَ بِقَوْلِهِ إِلَّا فَضْلٌ لَهُ عَزِيزٌ وَلَا يُسْتَرِقُ بِهِ حَرّ - إِلَخْ أَجَابَهُ الْأَمِيرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبَكِّيَتْ لَهُ وَإِفْحَامًا وَرَدًا لَادْعَائِهِ الْبَاطِلِ بِقَوْلِهِ: الَّتِي أَذْلَلَنَا بِهَا الْعَزِيزُ كَلْبِي سَفِيَانُ وَأَبْيَ لَهُبَّ وَأَضْرَابَهُمَا، وَرَفَعْنَا بِهَا الدَّلِيلَ كَأَكْثَرِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ كَانُوا خَامِلِيَ الْذَّكْرِ وَلَمَّا آمَنُوا رَفَعَ اللَّهُ لَهُمْ ذَكْرَهُمْ.

بلْ كَانَ لَابَاهُ أَعْنَى بْنَى هَاشِمَ فَضْلٌ وَشَرْفٌ وَمَجْدٌ كَانُوا أَعْوَانًا لِلْمُظْلُومِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا ذَلِيلًا، وَخَصْمَاءَ لِلظَّالِمِ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا نَبِيَّهَا، وَكَانُوا يُؤَدِّونَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَيُذَلِّلُونَ الْعَزِيزَ الظَّالِمَ وَيُنَعْشِنُونَ الْمُظْلُومَ الذَّلِيلَ.

وَفِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَفِي أَيْدِينَا بَعْدَ فَضْلِ النَّبِيِّ اشْتَارَةً إِلَى أَنَّهُ رَبِّي فِي بَيْتِ النَّبِيِّ وَأَنَّ نُورَ النَّبِيِّ كَانَ فِي بَنِي هَاشِمَ يَنْتَقِلُ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى انتَقَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ وَالدَّرْسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنْبَى هَاشِمَ كَانُوا بِبَرَكَةِ هَذَا التَّوْرِ يُذَلِّلُونَ الْعَزِيزَ وَيَرْفَعُونَ الدَّلِيلَ، وَكَانَ لَهُمْ بِهِ شَرْفٌ وَفَضْلٌ لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِمْ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ مِنْ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِهِ إِنَّمَا كَانَ شَأْنَهُ اعْنَانَ الْمُظْلُومِ وَإِغْاثَتِهِ، وَقَمَعَ الظَّلْمَ وَدَفَعَ الظَّالِمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ حِيثُ يَجْعَلُ رَسَالَتَهُ، وَلَا يَخْفِي عَلَيْكَ أَنَّ هَذَا الْفَضْلُ لَا يَعْدُلُهُ شَيْءٌ.

قوله عليه السلام «وَلَمَّا دَخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ - إِلَخْ» بَعْدَ مَا عَرَّفَ عَلَيْهِ السَّلَامَ نَفْسَهُ وَآبَاهُهُ بَأْنَهُمْ مِنْ بَيْتِ النَّبِيِّ وَلَهُمْ فَضْلُ النَّبِيِّ وَكَانُوا حَمَةَ النَّاسِ وَرَعَاتِهِمْ عَقْبَهُ بِذَكْرِ رَذِيلَةِ الْخَصْمِ بَأْنَهُ وَأَبَاهُ وَأَتَبَاعُهُمَا - كَمَا أَنَّمِي بِلِفْظَةِ الْجَمْعِ حِيثُ قَالَ كُنْتُمْ - مَمْنُونُ دَخْلَوْ فِي دِينِ اللَّهِ لَا عَنِ الْخَلْصَةِ بَلْ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عَاصِينَ كَارِهِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا

رأوا أنَّ دين الله استولى على الناس وأظهره الله تعالى على الدين كله لم يجدوا مخلصاً ومحি�صاً إلاً أن يستسلموا إما رغبة إلى زخارف الدنيا، وإما رهبة من سيف المسلمين وقد مضى في ذلك كلام عمار وابن الحنفية في المختار السابق عند قوله عليه السلام:

«وَالَّذِي فَلَقَ الْحَجَةَ وَبَرِئَ النَّسْمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَلَكُنْ اسْتَسْلَمُوا وَأَسْرَوْا الْكُفَّارَ فَلَمَّا وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَانًا أَظْهَرُوهُ» فراجع.

على أنَّهم إنما أسلموا ظاهراً بعد ما فاز أهل السبق بسباقهم وذهب المهاجرون الأوَّلون بفضلهم، وإنما الفضل للمتقدم لأنَّه إمام في فعله وداع إلى الخير وللسابق إلى الإسلام ودعوة الناس إلى الله فضيلة على غيره لا تذكر.

وقوله عليه السلام: «وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَربَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا» اشارة إلى سورة النصر.

وقوله عليه السلام: «عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبِيقِ بِسَبَقِهِمْ وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَ اللَّهُمْ جَنَّاتٍ تَبَرِّى تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفُورُ الْعَظِيمُ» (التوبه 100).

قوله عليه السلام: فلا تجعل للشيطان - إلخ معناه كما أفاده الفاضل الشارح المعتزلي: لا تستلزم من أفعالك ما يدوم به كون الشيطان ضاراً فيك بنصيب لأنَّه ما كتب إليه هذه الرسالة إلاً بعد أن صار للشيطان فيه أوفر نصيب وإنما المراد نهيء عن دوام ذلك واستمراره.

في صفين لنصر بن مزاحم (ص 110 من الطبع الناصري) أنَّ عماراً جعل يقول (يعني يوم صفين): يا أهل الإسلام أتريدون أن تنتظروا إلى من عادى الله ورسوله وجادهما وبغي على المسلمين وظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ اللَّهُ فِيمَا يَرِي رَاهِبًا غَيْرَ رَاغِبٍ وَقَبْضَ اللَّهِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّا لَنَعْرَفُهُ بِعَدَوَةِ الْمُسْلِمِ وَمُوَدَّةِ الْمُجْرِمِ، إِلَّا وَإِنَّهُ مَعَاوِيَةً فَالْعَنُوْهُ لَعْنَهُ اللَّهُ، وَقَاتَلُوهُ فَإِنَّهُ مَمْنُ يَطْفَأُ نُورَ اللَّهِ وَيَظَاهِرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ.

لما صالح رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً عام الحديبية كان في أشراطهم أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله دخل فيه فدخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وكتانة في عقد قريش فأعانت قريش كنانة فأرسلوا مواليهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم فجاءت خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوا إليه ذلك وكان ذلك مما هاج فتح مكة فأحل اللهنبيه قطع المدة التي بينه وبينهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة وسيلقى بديل بن ورقاه فلقوه أبا سفيان بعسفان وقد بعثته قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله ليشد العقد ويزيد في المدة فلما لقى أبو سفيان بديلا قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه أتي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال: ما أتيت محمداً؟ قال: لا؛ فلما راح بديل إلى مكة فقال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينة لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته وأخذ من بعرها ففتحه فرأى فيه النوى فقال: أخلف بالله تعالى لقد جاء بديل مهماً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله طوته عنه؛ فقال: يا بنتي ما أدرى أرغيت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عنّي؟ قالت أم حبيبة: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: و الله لقد أصابك يا بنتي بعدى شر.

ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فكلمه فقال: يا محمد احقن دم قومك وأجر بين قريش وزدنا في المدة.

فقال صلى الله عليه وآله: أغدرتم يا أبا سفيان؟ قال: لا، قال: فنحن على ما كنّا عليه.

فخرج أبو سفيان فلقى أبا بكر فقال: أجر بين قريش.

قال: ويحك وأحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ما أنا بفاعلاً.

ثم لقى عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك.

فقال عمر: أنا أشفع لكم إلى رسول الله فوالله لو لم أجده إلا الذر لجاهدتكم به.

ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعنه فاطمة بنت رسول الله سلام الله عليها وعندها حسن بن عليّ غلام يدبّ بين يديها، فقال: يا عليّ إنك أمسّ القوم بي رحماً، وإلى قد جئت في حاجة فلا أرجع عنّ كما جئت خائباً فأشفع لى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة عليها السلام فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمرني بذلّك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدّهر؟ قالت: والله ما بلغبني ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفى مجمع الطبرسى: دخل أبو سفيان بعد ما خرج من عند ابنته أم حبيبة على فاطمة عليها السلام فقال: يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش وتزيدتين فى المدّة ف تكونين أكرم سيدة فى الناس؟ قالت: جوارى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله.

أتأمررين (فقال: أتأمررين - ظ) ابنيك أن يجيرا بين الناس؟ قالت: والله ما بلغ ابني أني أجيئا بين الناس وما يجير على رسول الله صلى الله عليه وآله أحد.

فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد استدلت على فانصحنى.

قال: والله ما أعلم شيئاً يعنى عنك شيئاً ولكنك سيد بنى كانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك.

قال: أو ترى ذلك معنياً عتّي شيئاً؟

قال: لا والله ما أظنه و لكنني لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيه فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمدا فكلمته فو الله ما رد على شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجده أدنى العدو، ثم جئت عليا فوجده ألين القوم وقد أشار على بشيء صنعته فو الله ما أدرى هل يعني ذلك شيئا أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس فعلت؛ قالوا: فهل أجار ذلك محمد؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك! أما والله إن زاد على بن أبي طالب على أن لعب بك فيما يعني عنك ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

ثم عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على غزو مكة وقال: اللهم أعم الأخبار عنهم - يعني قريشا - فكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش بخبر رسول الله صلى الله عليه وآله و ما اعترض عليه فنزل جبريل فأخبره بما فعل حاطب فوجهه على بن أبي طالب والزبير وقال خذ الكتاب منها فلحقاه وقد كانت تنكب الطريق فوجد الكتاب في مشعرها، وقيل في فرجها فأتاها به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسر إلى كل رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سماء وأن يكتتم ما قال له فأسر إلى خزاعي بن عبد نهم أن يلقاه بمزينة بالروحاء، وإلى عبد الله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا، وإلى قدامة بن ثمامه أن يلقاه بيني سليم بقديد، وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه بيني - ليث بالكديد.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة حين صلى صلاة العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان، وقيل لعشرين مصين من رمضان، واستخلف على المدينة أبي لبابة ابن عبد المنذر ولقيته القبائل في المواقع التي سماها لهم وأمر الناس فأفطروا، وسمى الذين لم يفطروا العصابة ودعا بماء فشربه وتلقاه العباس بن عبد المطلب في بعض

الطريق فلما صار بمّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسس الأخبار و معه حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء و هو يقول لحكيم ما هذه النيران؟ فقال خزانة أحمسنها الحرب، فقال خزانة: أقل و أذل و سمع صوته العباس فناداه يا أبو حنظلة (يعنى به أبو سفيان) فأجابه فقال له: يا أبو الفضل ما هذا الجمع؟ قال: هذا رسول الله صلى الله عليه و واله فأردفه على بغلته و لحقه عمر بن الخطاب وقال: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد و لا عقد فسبقه العباس إلى رسول الله صلى الله عليه و واله فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً فقال له رسول الله صلى الله عليه و واله: قل أشهد أن لا إله إلا الله و أني محمد رسول الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، و جعل يمتنع من أن يقول وأنك رسول الله فصاح به العباس فقال.

وفى نقل آخر أنّ رسول الله صلى الله عليه و واله قال له: يا أبو سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي أنت و أمي ما أوصلك وأكرمك وأرحمك وأحلمك و الله لقد ظننت أن لو كان معه الله لاغنى يوم بدر و يوم أحد فقال: ويحك يا أبو سفيان ألم يأن لك أن تعلم أتى رسول الله؟ فقال: بأبي أنت و أمي أتى هذه فإنّ في النفس منها شيئاً، قال العباس: فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحق قبل أن يضر布 عنقك فتشهد كما في السيرة لابن هشام (ص 403 ج 2).

ثم سأّل العباس رسول الله صلى الله عليه و واله أن يجعل له شرفاً و قال: إنّه يحب الشرف فقال رسول الله صلى الله عليه و واله: من دخل دارك يا أبو سفيان فهو آمن.

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه و واله: يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمرّ به جنود الله فيراها، قال عباس: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه و واله أن أحبسه و مرت القبائل على راياتها، كلّما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي و لسليم، ثم تمرّ القبيلة فيقول: يا عباس من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي و لمزينة، حتى نفذت القبائل ما تمرّ به قبيلة إلا يسألني عنها فإذا أخبرته بهم قال: مالي و لبني فلان حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه و واله في كتيبته الخضراء من المهاجرين و الأنصار في الحديد

لا- يرى منهم إلاـ الحدق فقال: سبـحان الله من هؤـلاء يا أبا الفضل - يعني به العباس -؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وـالـهـ فيـ المـهاـجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ، قال: ما لأـحدـ بهـؤـلـاءـ قـبـلـ وـلاـ طـاقـةـ، وـالـلـهـ ياـ أـبـاـ الفـضـلـ لـقـدـ أـصـبـحـ مـلـكـ اـبـنـ أـخـيـكـ الـغـدـاـ عـظـيـماـ، قال: قـلـتـ: وـيـحـكـ ياـ أـبـاـ سـفـيـانـ إـنـهـ لـيـسـ بـمـلـكـ إـنـمـاـ هـىـ النـبـوـةـ، قال: فـنـعـمـ إـذـنـ.

ومضى أبو سفيان مسرعاً حتّى دخل مكّة فأخبرهم الخبر وقال هو اصطسلام إن لم تسلموا وقد جعل أنّ من دخل دارى فهو آمن، فوثبوا عليه وقالوا: ما يسع دارك؟ فقال: و من أغلى بابه فهو آمن، و من دخل المسجد فهو آمن.

وفتح الله على نبيه وكفاه القتال ودخل مكّة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وأحلّها الله له ساعة من نهار.

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وـالـهـ فـخـطـبـ فـحـرـمـهـ، وـأـجـارـتـ أـمـ هـانـيـ بـنـ هـشـامـ، وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ أـبـيـ رـبـيعـةـ فـأـرـادـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـَّلـامـ قـتـلـهـماـ؛ فـقـالـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـهـ: يـاـ عـلـيـ عـلـيـ قـدـ أـجـرـنـاـ مـنـ أـجـارـتـ أـمـ هـانـيـ، وـآـمـنـهـمـ جـمـيـعـاـ إـلـاـ خـمـسـةـ نـفـرـ أـمـرـ بـقـتـالـهـمـ وـلـوـ كـانـوـ مـتـعـلـقـينـ بـأـسـتـارـ الـكـعـبـةـ، وـأـرـبـعـ نـسـوـةـ.

وـهـمـ: عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـبـدـ العـزـىـ بـنـ خـطـلـ مـنـ بـنـىـ تـيمـ الـأـكـرمـ بـنـ غالـبـ، وـكـانـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـهـ وـجـهـهـ مـعـ رـجـلـ مـنـ الـأـنـصـارـ فـشـدـ عـلـىـ الـأـنـصـارـ قـتـلـهـ وـقـالـ: لـاـ طـاعـةـ لـكـ وـلـاـ لـمـحـمـدـ.

وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ سـرـحـ الـعـامـرـىـ وـكـانـ يـكـتـبـ لـرـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـهـ فـصـارـ إـلـىـ مـكـةـ فـقـالـ: أـنـ أـقـولـ كـمـاـ يـقـولـ مـحـمـدـ وـالـلـهـ مـاـ مـحـمـدـ نـبـىـ وـلـقـدـ كـانـ يـقـولـ لـىـ اـكـتـبـ «ـعـزـيزـ حـكـيمـ»ـ فـأـكـتـبـ «ـلـطـيفـ خـبـيرـ»ـ وـلـوـ كـانـ نـبـىـاـ لـعـلـمـ فـاوـاهـ عـثـمـانـ وـكـانـ أـخـاهـ مـنـ الرـضـاعـ وـأـتـىـ بـهـ إـلـىـ رـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـهـ فـجـعـلـ يـكـلـمـهـ فـيـهـ وـرـسـولـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـالـهـ سـاـكـتـ ثـمـ قـالـ: هـلـاـ قـتـلـتـمـوـهـ؟ـ فـقـالـوـاـ: اـنـظـرـنـاـ أـنـ تـوـمـئـ؟ـ فـقـالـ: إـنـ الـأـنـبـيـاءـ لـاـ تـقـتـلـ بـالـإـيـمـاءـ.

وـمـقـيـسـ بـنـ صـبـاـبـةـ أـحـدـ بـنـ لـيـثـ بـنـ كـنـانـةـ وـكـانـ أـخـوهـ قـتـلـ فـأـخـذـ الدـيـةـ مـنـ قـاتـلـهـ ثـمـ شـدـ عـلـيـهـ قـتـلـهـ.

والحويرث بن تقيذ بن وهب بن عبد قصى كان ممّن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة ويتناوله بالقول القبيح.

والنسوة: سارة مولاة بنى عبد المطلب وكانت تذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بالقبيح.

وهند بنت عتبة، وقريبة وفرا (كذا) جاريتا ابن خطل كانتا تغنىان في هجاء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله مفتاح البيت من عثمان ابن أبي طلحة وفتح الباب بيده وستره ثم دخل البيت فصلّى فيه ركعتين ثم خرج فأخذ بعضاً من الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنسٌ وعده ونصر عده وغلب الأحزاب وحده فللهم الحمد والملك لا شريك له.

ثم قال: ما تظنون وما أنتم قائلون؟ قال سهيل: نظن خيراً ونقول خيراً أخ كريم وابن عمّ كريم وقد ظفرت، قال: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف «لا تشرب عليكم اليوم».

ثم قال: ألا كل دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنّهما مردودان إلى أهليهما، إلا وإنّ مكّة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلى ولا تحل لأحد من بعدى وإنّما حلّت لى ساعة ثم أغلقت فهى محرمة إلى يوم القيمة لا يختلى خلاها، ولا يعوض شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد، ألا إنّ فى القتل شبه العمد الديّة مغالطة، والولد للفراش وللعاهر الحجر.

ثم قال: ألا لبيس جيران النبي كنتم لقد كذبتم وطردتكم وأخرجتم وآذيتم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكانوا انشروا من القبور.

ودخل مكّة بغیر احرام وامر بلا لا أن يصعد على الكعبة فإذا ذكر ذلك على قريش وقال عكرمه بن أبي جهل و خالد بن أسيد: إنّ ابن رباح ينهق على الكعبة. وتكلّم قوم معهم فارسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: قد قلنا فنستغفر الله

قال: ما أدرى ما أقول لكم ولكن تحضر الصلاة فمن صلّى فسييل ذلك وإن قدّمه فضررت عنقه.

وأمر بكل ما في الكعبة من صورة فمحيت وغسلت بالماء، ونادي مناد رسول الله صلى الله عليه وآله من كان في بيته صنم فليكسره فكسروا الأصنام.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالنساء فبأيده ونزلت عليه سورة إذا جاء نصر الله وفتح فقال: نعيت إلى نفسي.

واعلم أنه قد مضى بحثنا الكلامي عن عمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطرح بعض روایات وردت فيه فراجع إلى شرح المختار الأول من باب الكتب والرسائل (ص 210-213 ج 16).

وكذا قد تقدم وجه دلالة سورة النصر على رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله في شرح المختار 233 من باب الخطب (ص 79 ج 15).

وقيل لأهل مكة الطلاقه لقوله صلى الله عليه وآله لهم: فاذهبوا وأنتم الطلاقه، ولذا قالت عقيلة بنت هاشم الصديقة الصغرى زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في احتجاجها على يزيد بن معاوية: أمن العدل يا ابن الطلاقه تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا؟ وعن ابن مسعود قال: دخل النبي صلى الله عليه وآله يوم الفتح وحول البيت ثلاثة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعید، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهقا.

وعن ابن عباس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الالهة فأمر بها فاخترت صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأرلام؛ فقال صلى الله عليه وآله: قاتلهم الله أبا وأبا فقد علموا أنهم لم يستقسموا بها قط، وجاء ابن الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلم وقال:

يا رسول الملك إن لسانى رائق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أبارى الشيطان في سنن الغي و من مال ميله مثير

آمن اللحم والمعظام لربّي ثم قلبي الشهيد أنت النذير

إتنى عنك زاجر ثم حيّا من لؤى وكلّهم مغور

وابن الرّبعري هذا هو الّذى تقدّم الكلام فيه فى شرح المختار الخامس عشر من باب الكتب والرسائل.

### طائفة من احتجاجات ومحاضرات وقعت بين معاوية وغيره يناسب نقلها

المقام وتقيد زيادة تبصر فى آل أبي سفيان.

لما استتمّت البيعة لمعاوية من أهل الكوفة صعد المنبر فخطب النّاس، وذكر أمير المؤمنين علياً عليه السّلام، ونال منه ونال من الحسن عليه السّلام ما نال؛ وكان الحسن والحسين عليهما السّلام حاضرين فقام الحسين عليه السّلام ليردّ عليه فأخذ بيده الحسن عليه السّلام وأجلسه ثم قام فقال: أيّها الذاكر علينا أنا الحسن وأباى علىّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّى فاطمة وأمّك هند، وجدّى رسول الله وجدّى حرب، وجدّى خديجة وجدّتك فتيلة فعلن الله أحملنا ذكرًا والأمنا حسبا وشرّنا قدما وأقدمنا كفرا ونفاقا. فقالت طوائف من أهل المسجد: أمين أمين.

وكذلك يقول مؤلف الكتاب نجم الدين الحسن الطبرى الاملى: أمين أمين، ويرحم الله عبدا قال أمينا، ونقل القصة الشيخ الأجل المفيد رحمه الله في الإرشاد (ص 173 طبع طهران 1377هـ) ومن ذلك أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعقبة ابن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين أبعث لنا إلى الحسن ابن علىّ، فقال لهم: فيم؟ فقالوا: كى نوبّخه وتعريفه أنّ إباه قتل عثمان، فقال لهم: إنكم لا تتصرفون منه ولا تقولون شيئا إلا كذبكم الناس، ولا يقول لكم شيئا ببلاغته إلا صدقة الناس، فقالوا: أرسل إليه فإنّا سنكفيك أمره، فأرسل إليه معاوية، فلما حضر قال: يا حسن إتنى لم أرسل إليك ولكن هؤلاء أرسلوا إليك فاسمع

مقالاتم وأجب ولا تحرمني فقال الحسن عليه السلام فليتكلّموا ونسمع.

فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: هل تعلم يا حسن أن أباك أول من أثار الفتنة، وطلب الملك؟ فكيف رأيت صنع الله به؟

ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا بني هاشم كنتم أصحاب عثمان بن عفان فنعم الصّهر كان يفضلكم ويقربكم؛ ثم بغيتم عليه فقتلتموه؛ ولقد أردنا يا حسن قتل أبيك فأنقذنا الله منه، ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب.

ثم قام عقبة فقال: تعلم يا حسن أن أباك بغي على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبها؟ ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى.

ثم قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كله سبّا لعلّي و تعظيمًا لعثمان.

فقام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: بك أبدأ يا معاوية لم يستمني هؤلاء ولكن أنت تستمني بغضنا وعداؤنا وخلافاً لجدى صلى الله عليه وآله ثم التفت إلى الناس وقال: انشدكم الله، أتعلمون أنّ الرجل الذي شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله، وصلّى للقبيلتين، وأنت يا معاوية يومئذ كافر تشرك بالله، وكان معه لواء النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر و مع معاوية وأبيه لواء المشركين؟ ثم قال: انشدكم الله والإسلام أتعلمون أنّ معاوية كان يكتب الرسائل لجدى صلى الله عليه وآله فأرسل إليه يوم فرجع الرّسول وقال: هو يأكل فرد الرّسول إليه ثلاثة مرات كل ذلك وهو يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا أشبع الله بطنه؛ أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية؟ ثم قال: و انشدكم الله أتعلمون أنّ معاوية كان يقود أبيه على جمل وأنخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لعن الله الجمل و قائده و راكبه و سائقه؟ هذا كله لك يا معاوية.

و أمّا أنت يا عمرو: فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك لأهمهم حسبا و شرّهم منصبا، ثم قمت وسط قريش فقلت: إنّي شاني محمد فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه و آله

«إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» ثُمَّ هجوت محمداً صلّى الله عليه وآله بثلاثين بيتاً من الشعر فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله:

إِنِّي لَا أَحْسِنُ الشِّعْرَ وَلَكِنَّ الْعَنْ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ بِكُلِّ بَيْتٍ لَعْنَةً ثُمَّ انطَلَقَ إِلَى النِّجاشِيِّ بِمَا عَلِمْتُ وَعَمِلْتُ فَأَكَذَبَ اللَّهَ وَرَدَّكَ خَائِبًا فَأَنْتَ عَدُوّ بْنِ هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فَلَمْ نَلِمْكَ عَلَى بُغْضِكَ.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا ابْنَ أَبِي مَعِيطٍ فَكَيْفَ أَلَوْمُكَ عَلَى سَبِّكَ لِعَلَىٰ وَقْدَ جَلَّ ظَهُورَكَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ سَوْطَا، وَقُتِلَ أَبَاكَ صَبَرَا بِأَمْرِ جَدِّي وَقُتِلَ جَدِّي بِأَمْرِ رَبِّيِّ، وَلَمَّا قَدِّمْتَهُ لِلْقَتْلِ قَالَ: مَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَا مُحَمَّد؟ قَالَ: لَهُمُ النَّارُ، فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلهِ إِلَّا النَّارُ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَنِ الْعَلَىٰ غَيْرُ السَّيْفِ وَالسَّوْطِ.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَاقِبَةَ فَكَيْفَ تَعْدُ أَحَدَا بِالْقَتْلِ؟ لَمْ لَاقْتُلَتِ الَّذِي وَجَدْتَهُ فِي فَرَاشِكَ مُضَاجِعاً لِزَوْجِتِكَ ثُمَّ أَمْسَكْتَهَا بَعْدَ أَنْ بَغْتَ.

وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَعُورَ ثَقِيفَ فَقِيَ أَيِّ ثَلَاثَ تَسْبِّ عَلَيْاً: أَفِي بَعْدِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلهِ؟ أَمْ فِي حُكْمِ جَاهِرٍ؟ أَمْ فِي رَغْبَةِ الدُّنْيَا؟ فَانْ قَلْتَ شَيْئَاً مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبْتَ اكْذِبَكَ النَّاسُ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ عَلَيْاً قَتْلَ عُثْمَانَ فَقَدْ كَذَبْتَ وَأَكَذَبَكَ النَّاسُ، وَأَمَّا وَعِيدَكَ فَإِنَّمَا مُثْلِكَ كَمِثْلِ بَعْوَضَةِ وَقَفْتَ عَلَى نَخْلَةٍ قَوَّالْتَ لَهَا: اسْتَمْسِكِي فَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَطْيِر؛ فَقَوَّالْتَ لَهَا النَّخْلَةُ: مَا عَلِمْتُ بِوَقْوفِكَ فَكَيْفَ يَشْقَّ عَلَىٰ طِيرَانِكَ؟ وَأَنْتَ فَمَا شَعْرُنَا بِعَدَاوَتِكَ فَكَيْفَ يَشْقَّ عَلَيْنَا سَبِّكَ؟ ثُمَّ نَفَضَ ثِيَابَهُ وَقَامَ.

فَقَالَ لَهُمْ مَعَاوِيَةً: أَلَمْ أَقْلِ لَكُمْ إِنْكُمْ لَا تَنْتَصِفُونَ مِنْهُ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ أَظْلَمْتُمْ لَكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ خَيْرٍ. وَقَدْ نَقَلَهَا أَبُو بَكْرُ بْنُ عَلَىٰ الْقَادِرِيِّ الْحَنْفِيِّ فِي ثَمَرَاتِ الْأَوْرَاقِ فِي الْمَحَاضِرَاتِ (هَامِشُ الْمُسْتَطْرِفِ صِ 55 جِ 1 طَبْعُ مَصْرَ).

وَالمرادُ مِنَ الْأَلَامِ الشَّانِيءِ الْأَبْتَرِ هُوَ الْعَاصِ بْنُ وَائِلَ السَّهْمِيُّ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُهُ عَلَى النَّحوِ الَّذِي يَبْيَنُهُ الْمُجَتَبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَرَوْيَةً «لَا أَشْبَعُ اللَّهَ بِطْنَهُ» مِنْقَبَةُ جَلِيلَةٍ لِمَعَاوِيَةِ قَدْ اصْطَلَحَتْ نَقْلَةُ الْأَثَارِ بِنَقْلِهَا مِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْأَسْتِيعَابِ، وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي اسْدِ الْغَابَةِ عَنْ مَسْنَدِ أَبِي دَاوُدِ الطِّيَالِسِيِّ وَغَيْرِهِ، وَمَا أَنْكَرُوا ثَبَوتَهَا لَهُ.

وقد روى الصّدّيق رحْمَهُ اللّٰهُ فِي بَابِ السَّبْعَةِ مِنْ كِتَابِ الْخَصَالِ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَاءٍ وَاحِدَةٍ وَالْكَافِرُ  
يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، وَرَوَى السِّيُوطِيُّ فِي الجَامِعِ الصَّغِيرِ عَنْهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ يَشْرُبُ فِي مَعِيٍّ وَاحِدًا وَالْكَافِرُ يَشْرُبُ فِي سَبْعَةِ  
أَمْعَاءٍ.

«المعنى» يذكر و يؤنث فالعبارة في الروايتين صحيحة، وسيأتي كلام صعصعة له:

اتسع بطن من لا يشبّع، و دعا عليه من لا يجمع.

والكلام في حديث اللعن كالرواية المتقدمة في المنقبة المذكورة، وقد مضى نقل روایات أخرى في سائر مناقبه أيضاً عن كتاب صفّين  
نصر بن مزاحم في شرح المختار 236 (ص 370-374 ج 15) منها عن البراء بن عاذب قال: أقبل أبو سفيان و معه معاوية، فقال رسول  
الله صلّى الله عليه و آله: اللهم العن التابع والمتبع.

وروى الصّدّيق رحْمَهُ اللّٰهُ فِي بَابِ السَّبْعِ مِنْ الْخَصَالِ عَنْ أَبِي الطَّفْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةِ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَعِنَ أَبَا سَفِيَّانَ فِي  
سَبْعَةِ مَوَاطِنٍ. فراجع.

ومن ذلك أن شريك بن الأعور دخل على معاوية وهو يختال في مشيته، فقال له معاوية: والله إنك لشريك وليس لله من شريك، وإنك  
ابن الأعور والصحيح خير من الأعور، وإنك لدميم والوسيم خير من الدميم؛ فبم سودك [سدت] قومك؟ فقال له شريك: والله إنك  
لمعاوية و ما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية، وإنك ابن حرب والسلام خير من الحرب، وإنك ابن صخر و السهل خير من  
الصخر، وإنك ابن أمية و ما أمية إلا أمة صغرت فسميت أمية فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فقال له معاوية: أقسمت عليك إلا ما خرجت  
عنه.

نقلها في ثمرات الأوراق أيضاً (هامش المستطرف ص 59 ج 1) و نقلها الأ بشيه في المستطرف (ص 57 ج 1).

وفى تاريخ الخلفاء (ص 199) للسيوطى وفي المستطرف للأ بشيه (ص 58 ج 1):

أخرج عن الفضل بن سويد قال: وفد جارية بن قدامة السعدى على معاوية فقال

له معاوية: أنت الساعي مع علىّ بن أبي طالب، والموقد النار في شعلك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم؟ قال جارية: يا معاوية دع عنك علينا فما أبغضنا عليّاً منذ أحبناه، ولا غشتناه منذ صحبناه.

قال: ويحك يا جارية! ما كان أهونك على أهلك إذا سموك جارية! قال:

أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سموك معاوية وهي الانشى من الكلاب، قال: اسكت لا أم لك، قال: أم لى ولدتنى؛ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، وقوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا، قال: إنك لتهددنى؟ قال: إنك لم تملكونا قسرة ولم تفتحنا عنوة، ولكن أعطينا عهوداً ومواثيق فان وفينا وإن ترغبت إلى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً، وأدرعاً شداداً، وأسناناً حداداً، فإن بسطت إلينا فترا من غدر زلفنا إليك بيع من ختر؛ قال معاوية: لا أكثر الله في الناس أمثالك يا جارية؛ فقال له: قل معروفاً فإن شر الدّعاء محيط أهله.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الملك بن عمير قال: قدم جارية بن قدامة السعدي على معاوية فقال: من أنت؟ قال: جارية بن قدامة، قال: وما عسيت أن تكون؟ هل أنت إلا نحلة؟ قال: لا نقل، فقد شبّهتني بها حامية اللّسعة حلوة البصاق؛ والله ما معاوية إلا كلبة تعاوی الكلاب، وما أمية إلا تصغير أمة، (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 199).

ودخل عديّ بن حاتم الطائى على معاوية فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات - يعني أولاده -؟ قال: قتلوا مع علىّ، قال: ما أنصفك على قتل أولادك وبقاء أولاده، فقال عديّ: ما أنصفك على [ما أنصفت علينا] إذ قتل وبقيت بعده؛ فقال معاوية:

أما إنّه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن.

فقال عديّ: والله إنّ قلوبنا التي أبغضناك بها لففي صدورنا، وإنّ أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر فترا لندننّ إليك من

الشّرّ شبراً وإنّ حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في على فسلم السيف لباعث السيف.

فقال معاوية: هذه كلمات حكم فاكتبوها وأقبل على عدى محادثا له كأنه ما خاطبه بشيء، ذكره المسعودي في مروج الذهب (ص 54 ج 2).

وخطب معاوية يوما فقال: إن الله تعالى يقول: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزَلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» فعلام تلومونني إذا قصرت في عطياتكم؟ فقال له الأحنف: وإنما الله لا نلومك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله من خزائنه فجعلته في خزائنك حللت بيننا وبينه، نقله في المستطرف (ص 58 ج 1).

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم قال له:

أنتم عشر بنى هاشم تصابون في أبصاركم، فقال له عقيل: وأنتم عشر بنى أمية تصابون في بصائركم. أتي به في المستطرف (ص 58 ج 1).

وقال معاوية يوما: أيها الناس إن الله حبا قريشا بثلاث: فقال لنبيه: «وأندر عشيرتك الأقربين» ونحن عشيرته الأقربون، وقال تعالى: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ» ونحن قومه، وقال تعالى: «إِلَيْلَافِ قُرْيَشٍ إِلَيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ» ونحن قريش.

فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية فإن الله تعالى يقول:

«وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ» وأنتم قومه، وقال تعالى: «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَئَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» وأنتم قومه، وقال تعالى: «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة. ذكره في المستطرف (ص 58 ج 1).

ومن ذلك أن معاوية حجّ سنة 44 ولما صار إلى المدينة أتاه جماعة من بنى هاشم وكلّمه في أمرهم فقال: أ ما ترضون يا بنى هاشم أن تقرّ عليكم دماءكم وقد قتلتتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون فهو الله لأنتم أحلى دما من كذا وكذا وأعظم في القول.

فقال له ابن عباس: كلّما قلت لنا يا معاوية من شرّ بين دقيك وأنت والله أولى بذلك منّا، أنت قتلت عثمان ثم قمت تغمض على الناس أنك تطلب بدمه

فانكسر معاوية، فقال ابن عباس و الله ما رأيتك صدقت إلا فزعت و انكسرت، قال فصححك معاوية، وقال: و الله ما احب أنكم لم تكونوا كلاموني.

ثم كلامه الأنصار فأغلظ لهم في القول وقال لهم: ما فعلت نواضحك؟ قالوا أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك و جدك و خالك، و لكننا نفعل ما أوصانا به رسول الله صلى الله عليه و آله؛ قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر؛ قال: فاصبروا ثم ادخلج معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة.

ذكره العقوبي في التاريخ (ص 198 ج 2) ثم قال العقوبي: وأخرج معاوية المنابر إلى المصلى في العيددين و خطب الخطبة قبل الصلاة و ذلك أن الناس كانوا إذا صلوا انصرفوا لثلا يسمعوا لعن على عليه السلام فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة و وهب فدكا لمروان بن الحكم ليغطي بذلك آل رسول الله صلى الله عليه و آله.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص 201): و ابن عبد البر في الاستيعاب عن عبد الله بن محمد بن عقيل: قدم معاوية المدينة فلقى أبو قتادة الأنباري، فقال معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم يا عشر الأنصار، قال: لم يكن لنا دواب فقال: فأين التواضع؟ قال: عقرناها في طلبك و طلب أيك يوم بدر، قال: نعم يا أبو قتادة! ثم قال أبو قتادة: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال لنا: انكم سترون بعدي أثرة، فقال معاوية: فما أمركم عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر، قال: فاصبروا حتى تلقوه، بلغ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ذلك فقال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمير المؤمنين نبا كلامي

فإنما صابرون و منظرونكم إلى يوم التخابن والخصام

وفي نسخة الاستيعاب: ثنا كلامي، وفي بعضها عنى كلامي.

و من ذلك أنه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقاه من أبي الطفيلي عامر ابن واثلة الصحابي الكنانى و كان فارس أهل صفين و شاعرهم، و كان من أخص الناس بعلى عليه السلام، فقدم أبو الطفيلي الشام يزور ابن أخي له من رجال معاوية فأخبر معاوية

بقدومه، فأرسل إليه، فأتاه و هو شيخ كبير، فلما دخل عليه، قال له معاوية: أنت أبو الطفيلي عامر بن والثة؟ قال: نعم، قال معاوية: أكنت ممن قتل عثمان؟ قال:

لَا؛ ولكن مَنْ شَهِدَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: لَمْ يَنْصُرْهُ الْمَهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَقَالَ مَعَاوِيَةً: أَمَا وَاللَّهِ إِنْ نَصْرَتْهُ كَانَتْ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْكَ حَقّاً وَاجِبًا، وَفَرِضًا لَازِمًا فَقَالَ أَبُو الطَّفْلِ: فَمَا مَنَعَكَ إِذْ تَرَبَّصْتَ بِهِ رِيبَ الْمُنْوَنَ أَنْ لَا تَنْصُرْهُ وَمَعَكَ أَهْلُ الشَّامِ؟ فَقَالَ مَعَاوِيَةً: أَمَا طَلَبَيْ  
بِدْمِهِ نَصْرَةً لَهُ؟ فَضَحَّكَ أَبُو الطَّفْلِ وَقَالَ: بَلِي وَلَكِنَّكَ وَعْثَمَانَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ الْأَبْرَصِ.

لا أفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادا

فدخل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر إليهم معاوية، ثم قال: أتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا؛ فقال معاوية:

هذا خليل علىّ بن أبي طالب، وفارس صفين، وشاعر أهل العراق، هذا أبو الطفيلي، قال سعيد بن العاص: قد عرفناه فما يمنعك منه؟ وشتمه القوم - فزجرهم معاوية، قال: مهلا فرب يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعا، ثم قال: أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيلي؟ قال: ما أنكرهم من سوء، ولا أعرفهم بخير، وأنشد:

فإن تكن العداوة قد أكنت فشل عداوة الماء السبب

فقال معاوية: يا أبا الطفيلي ما أبقي لك الدهر من حبّ على؟ قال: حبّ أمّ موسى وأشكوا إلى الله التقصير. (وفي مروج الذهب: قال معاوية له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أمّ موسى على موسى وأشكوا إلى الله التقصير) فضحك معاوية، قال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سألوا عنّي ما قالوا هذا فقال مروان: أجل والله لا تقول الباطل، (الإمامية والسياسة للدينوريّ ص 192 ج 1، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 200، مروج الذهب للمسعوديّ ص 62 ج 2) وذكره أبو الفرج في الأغانى على التفصيل فراجع (ص 159 ج 13 من طبع ساسي).

و دخا عليه معاوية ضرار بن الخطّاب فقال له: كف حزنك عليه ألمي الحسن؟

قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها، نقله المسعودي في مروج الذهب (ص 62 ج 2).

وأخرج العسكري في كتاب الأولئ عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال:

قدم معاوية مكة أو المدينة فأتى المسجد فقعد في حلقة فيها ابن عمرو ابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر فأقبلوا عليه وأعرضوا عنه ابن عباس فقال معاوية: وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمّه، فقال ابن عباس: ولم؟ أنت قد قدم في الإسلام، أم سابقة مع رسول الله صلى الله عليه واله، أو قربة منه؟ قال: لا ولكنّي ابن عم المقتول، قال: فهذا أحق به - يريد ابن أبي بكر - قال: إنّ أباه مات موتاً، قال: فهذا أحق به - يريد ابن عمر - قال: إنّ أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحض لحجتك إن كان المسلمين عتبوا على ابن عمك فقتلواه (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 201).

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: دخل خريم بن فاتك على معاوية ومتزره مشمر - وكان حسن الساقين - فقال معاوية: لو كانت هاتان الساقان لإمرة! فقال خريم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين (تاريخ الخلفاء ص 204).

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد، عن أبيه أن عقيلا دخل على معاوية فقال معاوية: وهذا عقيل وعمّه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاوية وعمته حمالة الحطب (تاريخ الخلفاء ص 204).

وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أن عقيل بن أبي طالب سأله عليه السلام فقال: إني محتاج وإني فقير فأعطني، فقال: اصبر حتى يخرج عطائني مع المسلمين فأعطيك منهم فألح عليه، فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقال: دق هذه الأفقال، وخذ ما في هذه الحوانيت، قال: تريد أن تخذلني سارقاً؟ قال: وأنت تريد أن تخذلني سارقاً؟ أن أخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم، قال: لاتين معاوية، قال: أنت وذاك؛ فأتي معاوية فسألها وأعطيه مائة ألف، ثم قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به على وما أوليتك فصعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنّي أخبركم إنّي أردت عليّاً على دينه فاختار دينه، وإنّي أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه. (تاريخ الخلفاء للسيوطى ص 204)

ومن ذلك أنه وفدى على معاوية عقيل بن أبي طالب متوجعا وزائرا، فرحب به معاوية وسر بوروده لاختياره إياه على أخيه - يعني أمير المؤمنين عليا عليه السلام - وأوسعه حلما واحتمالا؛ فقال له: يا أبا يزيد - يعني عقيلا - كيف تركت عليا؟ فقال: تركته على ما يحب الله ورسوله، والأفيتك على ما يكره الله ورسوله، فقال له معاوية: لو لا إنك زائر متوجع جنابنا لرددت عليك أبا يزيد جوابا تالم منه.

ثم أحّب معاوية أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخضنه، فوثب عن مجلسه وأمر له أن ينزل وحمل إليه مالا عظيما، فلما كان من غد جلس وأرسل إليه فأتاها فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت عليا أخاك؟ قال: تركته خيرا ل نفسه منك وأنك خير لي منه، فقال له معاوية: أنت والله كما قال الشاعر:

وإذا عدلت فخار آل محرق فالمسجد منهم فيبني عتاب

فمحل المجد من بنى هاشم منوط فيك يا أبا يزيد ما تغيرك الأيام والليالي، فقال عقيل:

اصبر لحرب أنت جانها لا بد أن تصلى بحاميها

وأنت والله يا ابن أبي سفيان كما قال الآخر:

وإذا هوازن أقبلت بفخارها يوما فخرتهم بالمجاشع

بالحاملين على الموالى عزمهم والضاربين الهام يوم القارع

ولكن أنت يا معاوية إذا افتخرت بنو أمية فبمن تفخر؟ فقال معاوية: عزمت عليك أبا يزيد لما أمسكت فاني لم أجلس لهذا وإنما أردت أن أسألك عن أصحاب على فانك ذو معرفة بهم، فقال عقيل: سل عما بدا لك، فقال: ميّز لى أصحاب على وابدا بالصوان فانهم مخاريق الكلام، قال: أما صعصعة فعظيم الشأن، عصب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران، يرتق ما فتق، ويفتق ما رتق، قليل النظير.

وأَمَّا زِيدُ وَعَبْدُ اللَّهِ فَانْهَمَا نَهْرَانِ جَارِيَانٍ يَصْبِبُ فِيهِمَا الْخَلْجَانِ، وَيَغْاثُ بِهِمَا الْبَلْدَانِ، رِجْلًا جَدًّا لَا لَعْبَ مَعَهُ، وَأَمَّا بَنُو صَوْحَانَ فَكَمَا قَالَ الشاعر:

إذا نزل العدوّ فانّ عندي اسودا تخلس الأسد النفوسا

فإنّصل كلام عقيل بتصعصعة فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، ذكر الله أكبر وبه يستفتح المستفتحون، وأنتم مفاتيح الدنيا والآخرة، أمّا بعد فقد بلغ مولاكم كلامك لعدو الله وعدوه فحمدت الله على ذلك وسألته أن يغفر لك إلى الدرجة العليا، والقضيب الأحمر، والعمود الأسود، فإنّه عمود من فارقه فارق الدين الأزهر، ولئن نزعت بك نفسك إلى معاوية طلباً لماله إنك لذو علم بجميع خصاله فاحذر أن تعلق بك ناره فيفضلك عن الحجّة فإن الله قد رفع عنكم أهل البيت ما وضعه في غيركم، مما كان من فضل أو احسان فبكم وصل إلينا، فأجلّ الله أقداركم وأخطاركم، وكتب آثاركم، فإنّ أقداركم مرضية، وأخطاركم محمية وآثاركم بدريّة، وأنتم سلم الله إلى خلقه، ووسيلته إلى طرقه، أيد علية، ووجوه جلية، وأنتم كما قال الشاعر:

فما كان من خبر أتوه فإذا توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتعرس إلا في منابتها النخل؟

نقله المسعودي في مروج الذهب (ص 75 ج 2).

وحدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، عن محمد بن حميد الرazi، عن أبي مجاهد عن محمد بن إسحاق بن أبي نجيح قال: لما حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ووقع معاوية في على وشرع في سبه فزحف سعد ثم قال: أجلسستني معك على سريرك ثم شرعت في سب على! والله لأن تكون في خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحّب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

والله لأن أكون صهر الرّسول صلّى الله عليه وآله لى من الولد ما لعلّي أحّب إلى من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

وَاللَّهُ لَا يَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالَّهُ قَالَ لِي مَا قَالَهُ يَوْمَ خَيْرٍ: «لَا تُعْطِنَ الرَايَةَ غَدًا رَجُلًا يَحْبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَحْبَبُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ لَيْسَ بِفَرَّارٍ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدِيهِ» أَحَبَّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ يَكُونَ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

وَاللَّهُ لَا يَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالَّهُ قَالَ لِي مَا قَالَ لَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» أَحَبَّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ يَكُونَ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَأَيْمَانُ اللَّهِ لَا دَخَلَتْ لَكَ دَارًا مَا بَقِيَتْ وَنَهَضَ.

نقله المسعودي في مروج الذهب (ص 61 ج 2) ثم قال المسعودي: و وجدت في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب على بن محمد بن سليمان النوفلي في الأخبار عن ابن عائشة وغيره أن سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت ما كنت عندى قط ألم منك الا ان فهلا نصرته ولم قعدت عن بيته؟ فإني لو سمعت من النبي مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعلى ما عشت، فقال سعد: و الله إنني لأحق بموضعك منك، فقال معاوية: يأتي عليك بنو عذرة - و كان سعد فيما يقال لرجل من بنى عذرة - قال النوفلي: وفي ذلك يقول السيد الحميري:

سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه من كان أثبها في الدين أو تادا

من كان أقدمها سلما وأكثرها علما وأظهرها أهلا وأولا دا

من وحد الله إذ كانت مكذبة تدعوا مع الله أو ثانا وأندادا

من كان يقدم في الهيجاء ان نكلوا عنها وإن بخلوا في أزمة جادا

من كان أعدلها حكمها وأقسطها حلمها وأصدقها وعدا وإبعادا

إن يصدقوك فلم يدعوا أبا حسن إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

إن أنت لم تلق من تيم أخا صلف ومن عدى لحق الله جحادا

أو من بنى عامر أو من بنى أسد رهط العبيد ذوى جهل وأوغادا

أورهط سعد و سعد كان قد علموا عن مستقيم صراط الله صدادا

قوم تدعوا زنيما ثم سادهم لو لا خمول بنى زهر لما سادا

وقال معاوية لعقيل: إنّ فيكم شبقا يا بنى هاشم، فقال له عقيل: متّ فى الرجال و منكم فى النساء، نقله القاضى نور الله الشهيد فى المجلس الثالث من مجالس المؤمنين.

و من ذلك ما جرى بين معاوية وبين قيس بن سعد بن عبادة حين كان عاملا على مصر فكتب إليه معاوية: أمّا بعد فأنك يهودي ابن يهودي وإن ظفر أحبّ الفريقيين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفر بغضهما إليك نكل بك وقتلوك؛ وقد كان أبوك أو ترقوسه ورمي غرضه فأكثر الجدّ وأخطأ القصد فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات بحوران طريدا.

فكتب إليه قيس بن سعد: أمّا بعد فإنّما أنت وثني ابن وثني دخلت فى الإسلام كرها، وخرجت منه طوعا لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبي أو ترقوسه ورمي غرضه فشغب به من لم يبلغ عقبه ولا شق غباره، ونحن أنصار الدين الذى منه خرجت وأعداء الدين الذى فيه دخلت، نقله المسعودي فى مروج الذهب (ص 62 ج 2).

و دخل قيس بن سعد بعد وفاة علىٰ و وقوع الصلح فى جماعة من الأنصار علىٰ معاوية فقال لهم معاوية: يا معاشر الأنصار بم تطلبون ما قبلى؟ فوالله لقد كنت قليلا معى، كثيرا علىٰ، ولفللتكم حدى يوم صفين حتى رأيت المنايا تلظى فى أستكم و هجوتمنى فى أسلافى باشدّ من وقع الأسنة حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله قلتم ارع وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته يأبى الحقير الغدرة.

فقال قيس: نطلب ما قبلك بالاسلام الكافى به الله لا بما نمت به إليك الأحزاب وأمّا عداوتنا لك فلو شئت كفتها عنك، وأمّا هجاونا إياك فقول يزول باطله ويثبت حقّه، وأمّا استقامة الأمر فعلى كره كان متن، وأمّا فلنا حدى يوم صفين فانا كننا مع رجل نرى طاعته لله طاعة، وأمّا وصيّة رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده، وأمّا قولك يأبى الحقير الغدرة فليس دون الله يد تحجزك متن يا معاوية، فقال

نقله المسعودي في مروج الذهب (ص 63 ج 2) ثم قال: وقد كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل إلى على بالوضع العظيم.

لما قدم معاوية الكوفة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد ذلكم فإنه لم تختلف أمة بعد نبيها إلاّ غلب باطلها حقها إلاّ ما كان من هذه الأمة فإنّ حقها غالب باطلها. ثم نزل وأحضر الناس لبيعته وكان الرجل يحضره يقول: و الله يا معاوية إنّي لا بائعك وإنّي لكاره لك فيقول: بائع فان الله قد جعل في المكروره خيرا كثيرا؛ وأتني الآخر فيقول: أعود بالله من نفسك، وأتاه قيس بن سعد بن عبادة فقال: بائع قيس، قال: إن كنت لأكره مثل هذا اليوم يا معاوية؟ فقال له: مه رحمك الله، فقال: لقد حرست أن افرق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبلي الله يا ابن أبي سفيان إلاّ ما أحبّ، قال: فلا يردد أمر الله، فأقبل قيس على الناس بوجهه فقال: «يا معاشر الناس لقد اعتصتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاده أمير المؤمنين وسيد المسلمين وابن عم رسول رب العالمين، وقدوليكم الطلاق ابن الطلاق، يسونكم الخسف، ويسيرونكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون» فجثنا معاوية على ركبته ثم أخذ بيده وقال: أقسمت عليك ثم صفق على كفه ونادي الناس: بائع قيس؛ فقال: كذبتم والله ما بایعت ولم يبایع لمعاوية أحد إلاّ أخذ عليه الإيمان فكان أول من استخلف على بيعته.

ودخل إليه سعد بن مالك فقال: السلام عليك أيها الملك. فغضب معاوية فقال: ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إن كنّا أمّناك، إنّما أنت منتز، (نقلهما العقوبي في التاريخ ص 192 ج 2).

حدث أبو الهيثم قال: حدثني أبو البشر محمد بن بشر الفزارى عن إبراهيم بن عقيل البصري قال: قال معاوية يوماً وعنه صعصعة وكان قد عليه بكتاب علىٰ وعنه

ص: 301

---

1- (1) كان الأصل: يموه، وإنما صحيحته على القياس. منه.

وجوه الناس: الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذ من مال الله فهو لي و ما تركته منه كان جائزًا لي، فقال صعصعة:

تميّك نفسك ما لا يكون جهلاً معاوی لا تأثم

فقال معاویة: يا صعصعة تعلمت الكلام قال: العلم بالتعلّم ومن لا يعلم يجهل، قال معاویة: ما أحوجك إلى أن أذيقك وبالأمر! قال: ليس ذلك بيديك ذلك لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها، قال معاویة: و من يحول بيني وبينك؟ قال:

الذى يحول بين المرء وقلبه، قال معاویة: اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير للشعيّر: قال: اتسع بطن من لا يشبع ودعا عليه من لا يجمع، نقله المسعودي في مروج الذهب (ص 79 ج 2).

ودخل صعصعة بن صوحان على معاویة فقال له: يا ابن صوحان أنت ذو معرفة بالعرب وبحالها فأخبرني عن أهل البصرة وإياك والحمل على قوم لقوم فأجابه وأخبره عنهم، ثم قال: فأخبرني عن أهل الكوفة؛ قال: قبة الإسلام وذروة الكلام - إلى أن قال: غير أن لهم ثباتاً في الدين وتمسّكاً بعروة اليقين يتبعون الأئمة الأبرار ويخلعون الفسقة الفجّار؛ فقال معاویة من البررة والفسقة؟ قال: يا ابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع، علىّ وأصحابه من الأئمة الأبرار وأنت وأصحابك من أولئك، ثم أحّبّ معاویة أن يمضى صعصعة في كلامه بعد أن باز فيه الغضب فقال:

أخبرني عن القبة الحمراء في ديار مصر فأخبره عنها ثم استخبره عن ديار ربيعة، وعن مصر فأخبره عنهما ثم أمسك معاویة فقال له صعصعة: سل يا معاویة والإّ أخبرتك بما تحيد عنه؛ قال: وما ذاك يا ابن صوحان؟ قال: فأخبرني عنهم قال: أطوع الناس لمخلوق، وأعصاهم للخالق، عصاة الجبار، وخلفة الأشرار، فعليهم الدمار، ولهم سوء الدار، فقال معاویة: والله يا ابن صوحان إنك لحامل مدحٍ من ذمٍ وإن حلم أبا سفيان يردد عنك، فقال صعصعة: بل أمر الله وقدرته إن أمر الله كان قدرًا مقدورًا.

نقله المسعودي في مروج الذهب مفصلاً و ما أتينا به ههنا ملتفظ منه.

ومن ذلك أنّ معاوية حبس صعصعة بن صوحان العبدى، وعبد الله بن الكواه اليشكري ورجالاً من أصحاب على عليه السلام مع رجال من قريش فدخل عليهم معاوية يوماً فقال: نشدتكم بالله إلا ما قلتم حقاً وصدقأى الخلفاء رأيتمونى؟ فبعد ما تكلّم ابن الكواه في مساوى معاوية قال صعصعة: تكلّمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت ولم تصر عمّا أردت وليس الأمر على ما ذكرت أى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً و مكراً؟ أما والله مالك في يوم بدر مضرب ولا مرمى وما كنت فيه إلا كما قال القائل «لا حلّ ولا سيرى» ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممّن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما كنت طليق ابن طليق أطلقكم رسول الله صلى الله عليه وآله فأنّى تصلح الخلافة لطليق؟ فقال معاوية: لو لا أى أرجع إلى قول أبي طلبي حيث يقول:

قابلت جهلهم حلماً و مغفرة و العفو عن قدرة ضرب من الكرم

لقتلتكم. (مروج الذهب ج 2 ص 78).

دخل صعصعة على معاوية أول ما دخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه فسأله عن نسبة فيين له نسبة، ثم قال له معاوية: أما والله لقد كان يسوعني أن أراك أسيئاً! قال: وأنا والله لقد كان يسوعني أن أراك أميراً، نقلهما القالى فى الأمالى و القصّة طويلة عذبة غير مملة (ص 227 ج 2) و قريب منها ما نقله المسعودى فى مروج الذهب (ص 76 ج 2) ولصعصعة بن صوحان أخبار حسان و كلام فى نهاية البلاغة و الفصاحة والإيضاح عن المعانى على إيجاز و اختصار وقد جرى بينه وبين معاوية كلام كثير فى غير موطن تكلّم فيها بقبائح أعمال معاوية و خبث سريرته و سوء روّيته وقد أتى الشيخ الأجل الطبرسى فى كتاب الاحتجاج طائفه من احتجاجات الإمامين سيّدى شباب أهل الجنة و ريحانتى الرّسول الحسن و الحسين عليهما السّلام، وغيرهما من كبار الصحابة و التابعين على معاوية بن أبي سفيان، و ما تكلّم القوم بها معاوية من مساوى أفعاله أكثر من أن تحصى وإنما نقلنا نبذلة منها فإن القليل ينبيء عن الكثير.

وفيمما نقلناها موقع للتدبر والاستبصر في أمر معاوية و أشياعه و أتباعه كيف

ص: 303

لعيوا بالقرآن، ورفعوا راية البغى و الطغيان فاتّخذوا دين الله دغلا، و مال الله دولا، و عباده خولا و الصالحين حربا، و الفاسقين حزبا، وقد قال السيوطي في تاريخ الخلفاء إله أخرج السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:

سألت عن عليٍ عليه السلام و معاوية، فقال: اعلم أنَّ علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا فجاءوا إلى رجل قد حاربه و قاتله فأطروه كيادة منهم له.

فما لھؤلاء القوم لا يکادون يفقهون حدیثا و يذرون طیبا من القول و يأخذون خبیثا فبعدا للمفترین و سحقا للممترین رب نعوذ بك من أمانی الأنفس و شرورها.

اشارة: قد احتاج صعصعة على معاوية بأنَّ الطلاق لا يصلح للخلافة، وهذا حق و صعصعة رضوان الله عليه قد استثار من ضياء القرآن، و اقبس من مشكاة النبوة والولاية و ذلك لأنَّ الطلاقاء كانوا مشركين قبل الإسلام و عبدوا الأصنام وقد قال عز من قائل: «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان - 14) وقال الله تعالى: «لَا يَنْأِلُ عَهْدَيِ الظَّالِمِينَ» (البقرة - 119) و الخلافة عهد الله تعالى فلا يناله الطلاقاء، و تقدَّم بحثنا عن ذلك في شرح المختار 237 من باب الخطب فراجع (ص 49-59 ج 16).

### الترجمة

نصر بن مزاحم منقري کوفی در کتاب صفين و ديگر ارباب تاریخ آورده اند که أمیر المؤمنین علیٰ علیه السلام روزی در صفين اظهار داشت که فردا بأنبوه لشکرم فرمان کارزار دهم و به مقاتلته اقدام نمایم تا کار را یکسره کرده مردم را از جنگ و جوش رهائی داده أمر را بختامت رسانم چون این خبر بمعاوية رسید و در شامیان که پیروان او بودند پراکنده شد همگی سخت مضطرب شدند و فزعی تمام در آنها در گرفت.

واز آن سوی معاویه بن ضحاک نیز آیاتی چند بسرود که بر فرعشان افزود

ص: 304

معاویه در این خیال افتاد و در خاطر نهاد که نامه ای بامیر علیه اللّه لام نویسد و از حضرتش بحیلت و خدیعت و مکر درخواست کند که ایالت شام را - که پیش از اینهم از وی خواسته بود - بدو واگذار کند و وی را از بیعت معاف بدارد، باشد که از این درخواست دو دلی در علی روی دهد و رقتی بی اساس بوی دست دهد که در دام فریب معاویه افتاده، دست از کارزار بردارد.

سپس مکنون خاطرش را به عمر و عاص مکشوف داشت عمرو از بلاهت وی بر عقلش بخندید و گفت: ای معاویه تو کجا توانی علی را فریب دهی؟ معاویه گفت: مگر من و او هر دو از دودمان عبد مناف نیستیم؟ گفت: آری ولی ایشان را ربیت و فضیلت نبوّت است و تورا نیست - یعنی امیر علیه اللّه از مشکاهه نبوّت اقتباس معارف حقه‌الله کرده است و هیچگاه اهل نبوّت و وحی گول مردم نخورند، چه در تمام صفات انسانیت از دیگران بهتر و برترند و در هوش و زیرکی سرور و سر آمد و بالاتر از همه هستند - و با این همه اگر خواهی نامه ای بنویسی بنویس (تا صدق گفتارم بر تو روشن آید).

معاویه نامه ای نوشت و عبد اللّه بن عقبة را که از قبیله سکاسک بود با نامه بسوی امیر علیه اللّه لام گسیل داشت مضمون نامه اش این که: آماً بعد اگر ما و شما می دانستیم که جنگ کار را بدین غایت و خونریزی را بدین نهایت می رساند هیچگاه با اقدام نمی کردیم و لکن نفوس هر دو ما بر عقول ما غلبه کرد - یعنی بخواهش نفسانی و از روی هوا و هوس آتش جنگ بر افروختیم و بفرمان خرد ساز جنگ نکردیم - و اکنون وقت آن هست که از گذشته پشیمان شویم و در پی اصلاح آینده برآیم.

و پیش از این از شما خواستیم که ایالت شام را بمن واگذار و از بیعت و طاعت معافم دار ولی شما از خواسته من سرباز زدید و نپذیرفتید و آنچه را که از من باز داشتید خداوند بمن عطا فرمود، و اکنون نیز همان خواسته پیش را خواهانم که تو از بقا خواهی مگر آنچه را که من خواهم، و از فنا نمی ترسی مگر آنچه که من می ترسم سوگند بخدا که لشکریان نایود شدند و مردان جنگی از بین رفتند، و عرب طعمه

جنگ گردید و نیم جانی بیش نمانده، و ما و شما در جنگ و مردان جنگی برابریم و هر دواز دودمان عبد مناف و یکی از ما بر دیگری برتری ندارد و اگر هم دارد باید بدان ارجمندی را خوار و آزادی را بندۀ گرداند. و السلام.

چون عبد الله بن عقبة نامه را بامیر علیه السّلام رسانید و حضرت آن را بگشود و قرائت فرمود بخندید و گفت: شگفتم می‌آید از معاویه و نامه‌ او و خدیعت و مکری که خواهد با من بکار برد، پس کاتب‌ش عبید الله بن أبي رافع را پیش خواند و فرمود پاسخ نامه اش بنویس:

أَمّا بعْد «این که گفته‌ای اگر می‌دانستیم کار جنگ بدین حدّ خواهد رسید هیچیک با نتن در نمی‌دادیم» همانا که این جنگ را نهایت و سرانجامی است که هنوز بدان نرسیده ایم، و اگر من در راه ذات حق هفتاد بار کشته وزنده شوم از سخت‌گیری و کوشش در راه خدا و جهاد با دشمنان خدا بر نخواهم گشت.

و أَمّا آنکه گفته‌ای «هوای ما بر خرد ما چیره شد و اینک وقت آنست که از کرده‌پیش نادم و در راه اصلاح آینده باشیم» همانا که من از دائرة فرمان خرد پای بدر ننهادم و از کرده‌خود پشیمان نیستم.

أَمّا این که «شام را از من طلب کرده‌ای» همانا که من کسی نیستم که امروز بدhem بتتو آنچه را که دیروز تورا از آن بازداشتم - چه در دیروز استحقاق آن نداشت و امروز هم بر آن حال باقی است -

أَمّا این که گفته‌ای «جنگ عرب را خورده و در چنگش نیم جانی بیش نمانده» آگاه باش هر که را حق در ربود و خورده و سترده است رخت بدوزخ کشد.

أَمّا آنکه گفته‌ای «در جنگ و سپاه جنگی یکسانیم» درست نیست چه تو به شک و تردید در کار خود استوارتر و گذرانده تر از من که به علم و یقین نیستی، و مردم شام در اکتساب دنیا حریص تر از مردم عراق در کسب آخرت نیستند.

أَمّا این که گفتی «ما فرزندان عبد منافیم» آری همه ما فرزندان یک پدریم ولی امية پدر جدّ تو بمنزلت هاشم پدر جدّ من نیست، و حرب جدّ تو به مرتبت

عبد المطلب جد من نیست، و أبو سفیان پدر توبه پایه أبو طالب پدر من نیست - چه بنی هاشم خانواده ای نجیب و دلسوز و مهریان و یکتاپرست بودند و در شرافت و اصالت سر آمد عرب و همواره ملجاً و مامن مردم، علاوه این که حاملین نور نبوّت و صدفهای درّ ولایت بودند، اما بنی امیّة جز خونخواری و بیدادگری و نخوت و حبّ شهوت و دنیا پرستی نمی دانستند -.

و مهاجر مانند طلیق نیست - مهاجر أمیر علیه السّلام که از مکّه بمدینه هجرت فرمود چنانکه شرح آن بطور اجمال در شرح خطبه 234 گفته شد ص 126-167 ج 15، و طلیق یعنی آزاد شده و رها شده از قید اسارت چون معاویه و پدرش و از این روی معاویه را طلیق ابن طلیق گویند -.

ونه خالص پاکیزه نسب مانند بسته و چسبیده بقومی است - چون بنی امیّة از قریش نیستند چون امیّة رومی بود و آزاد شده عبد شمس بن عبد مناف و عرب او را بقاعده نسبت و محاورت ابن عبد الشّمس گفتند، این ابن یعنی پسر خوانده نه پسر حقیقی لذا حضرت أمیر علیه السلام ا مضاء نکرده که معاویه از عبد مناف است بلکه در جوابش فرمود: إِنّا بْنُ أَبٍ وَاحِدٍ چنانکه نصر در کتاب صفین روایت کرده بود.

ونه صاحب حق مانند طرف دار باطل است، و نه مؤمن مثل منافق مفسد ناپاک است، و چه بد فرزندی است فرزندی که گذشتگانش را که اهل جهنّمند تقلید و پیروی کند و راه آنان را پیش بگیرد - یعنی معاویه که گذشتگانش از کفر و شرک و نفاق در آتش دوزخند و او راه آنان را پیش گرفت -.

و حال آنکه بعد از این همه فضائل، در دست ما فضل نبوّت است - که هیچ فضیلتی با آن برابری نمی کند - که بدان گردنکشان را خوار، و بیچارگان را بلند گردانیدیم.

و چون خداوند عرب را دسته دسته بدینش در آورد و این امّت برخی برضاء و رغبت و برخی به بی میلی و کراحت اسلام آوردنند، شما از کسانی بودید که یا بجهت طمع بدنیا و یا از ترس شمشیر داخل در دین شدید؛ علاوه آنهم در وقتی که سابقان

به سبقتشان در دین رستگار شدند، و هجرت کنندگانی که پیش از این بودند فضل و بزرگی را برده بودند پس برای شیطان در خود بهره ای و بر خویشتن راهی قرار مده. و السّلام.

## و من كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصرة

### اشارة

و هو المختار الثامن عشر من باب كتبه و رسائله عليه السلام اعلم أن البصرة مهبط إبليس، و مغرس الفتنة؛ فحادث أهلها بالإحسان إليهم، و احلل عقدة الخوف عن قلوبهم؛ وقد بلغنى تنمرك لبني تميم، و غلاظتك عليهم، و إنّ بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، و إنّهم لم يسبقوا بوعم في جاهلية ولا إسلام، و إنّ لهم بنا رحمة ماسّة و قرابة خاصة، نحن مأجورون على صلتها، و مأذورون على قطيعتها، فاربع أبا العباس - رحمك الله - فيما جرى على يدك ولسانك من خير و شرّ، فإنّ شريكك في ذلك، و كن عند صالح ظنّي بك، و لا يفعلنّرأيي فيك، و السلام.

### المصدر

روى أنّ ابن عباس كان قد أضرّ ببني تميم حين ولى البصرة من قبل

ص: 308

على عليه السّلام لما عرّفهم به من العداوة يوم الجمل لأنّهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة فتتّكّر عليهم وسمّاهم شيعة الجمل وأنصار عسكر (1) وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة على عليه السّلام من بنى تميم منهم جارية بن قدامة (2) فكتب بذلك إلى عليه عليه السّلام يشكّو ابن عباس فكتب عليه السّلام إلى ابن عباس: «أمّا بعد فإنّ خير الناس عند الله أعملهم بطاعته فيما له وعليه، وأقول لهم بالحقّ وإن كان مراً إلا - وإنّه بالحقّ قامت السماوات والأرض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلاً، ول يكن حملك واحداً، وطريقتك مستقيمة واعلم أنّ البصرة مهبط إبليس - إلخ.

أقول: هكذا قال العالم الشارح البحرياني قدس سره في شرحه على النهج، ونقل عنه المحدث الجليل المجلسي رضوان الله عليه في ثامن البحار (ص 634 من الطبع الكمباني) وأتي به الفاضل الهاجري كاشف الغطا رحمة الله عليه في مستدرك نهج البلاغة، ومداركه، ولكن روى أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي المتوفى (212 هـ) في كتابه صفين (ص 57 من الطبع الناصري) أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى عبد الله بن عامر:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عامر أمّا بعد فإنّ خير الناس عند الله عزّ وجلّ أقوامهم لله بالطاعة فيما له وعليه، وأقول لهم بالحقّ ولو كان مراً، فإنّ الحقّ به قامت السماوات والأرض ولتكن سريرتك

ص: 309

- 
- 1 (1) كان عسكر اسم جمل عائشة.
  - 2 (2) قد حرف في شروح نهج البلاغة وترجمه العربية وفارسية جارية بن قدامة بخارثة بن قدامة، فراجع إلى التقريب والاصابة لابن حجر، والطبقات الكبرى لابن سعد (ص 56 ج 7 من طبع بيروت)، وروى الكشي في رجاله أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وجهه إلى أهل نجران عند ارتدادهم عن الاسلام، وقال أبو على في منتهى المقال: وجد على كتاب الشيخ رحمة الله هكذا: قال محمد بن ادريس هذا (يعنى حارثة بن قدامة بالحاء و الثاء) اغفال واقع في التصنيف وإنما هو جارية بالجيم وهو جارية بن قدامة السعدي التميمي أحد خواص على عليه السّلام صاحب السرايا والالوية والميل يوم صفين وكان ينبغي أن يكون في باب الجيم بغير شك - منه.

كعاليتك، ول يكن حكمك واحداً، و طريقتك مستقيمة، فإنّ البصرة مهبط الشيطان فلا تفتحن على يد أحد منهم باباً لا نطيق سده نحن و لا أنت والسلام.

اللغة

(مهبط) بكسر الباء كمجلس: موضع الهبوط: يقال: هبط هبوطا من باب ضرب أى انحدر ونزل؛ قال عز من قائل: «وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضَ كُمْ لِيَعْضِ عَدُوٌ» (البقرة - 36)، (ومغرس) كمجلس أيضاً موضع الغرس، يقال: غرس الشجر غرسا من ذلك الباب أيضاً أثبته في الأرض، وبيني اسماء الزمان والمكان من الثلاثي الصحيح المجرد على وزن مفعل بكسر العين إذا كانت عين مضارعه مكسورة، وعلى مفعل بفتح العين إذا كانت عين مضارع مضمومة أو مفتوحة إلا أحدي عشرة لفظة أتت بكسر العين مع أنّ مضارعها مضموم؛ فالضابطة قائمة بأنّ المهبط والمغرس على وزن مفعل بالكسر، ففتح العين فيهما كما اختاره الشيخ محمد عبده ليس ب صحيح، ونسختنا التي قوبلت على نسخة الرضي مشكولة بالكسر فيهما.

(حدث أهلها بالاحسان إليهم) أى تعااهدهم تعدهم به، قال ابن الأثير في النهاية في حديث الحسن: حادثوا هذه القلوب بذكر الله [فإنها سريعة الدثور] أى اجلوها به واغسلوا الدرن عنها وتعااهدوها بذلك كما يحادث السيف بالصقال، ففي المقام أمره الأمير عليه السلام أن يجعلو قلوب أهلها ويغسل درن الأحقان والضدّ غائن ورین الوساوس المودية عنها بصال الاحسان وماء البر. (تنمرك) النمر سبع معروف أصغر من الأسد وأخبت وأجرا منه وهو منقط الجلد نقطا سودا وبهضا سمّي به للنمر التي فيه ومنه النمرة بفتح النون وكسر الميم وهي كساء فيه خطوط بيض وسود تلبسه الأعراب؛ وفي البيان والتبيين (ص 68 ج 2) أن عمر بن الخطاب سأله عمرو بن معدىكرب عن سعد، قال: كيف أميركم؟ قال: خير أمير، نبطي في حبوته، عربى في نمرته، أسد في تامورته، يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، وينفر في السرية، وينقل إلينا حقنا كما تنقل الذرة؛ فقال عمر: لشد ما تقارضتما الثناء.

310:

والتتّمّر: التّشّبّه بالنّمر إِمَّا فِي لِبْسِ ثُوبٍ مِنَ النَّمَرَةِ وَنَحْوِهَا يُشَبِّهُ جَلْدَهُ، وَإِمَّا فِي التَّخْلُقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَيُفَيِّدُ كَلَّا الْوَجَهَيْنِ قَوْلُ عُمَرِ بْنِ مُعَاذِكَرِبِ:

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَلْقاً وَقَدَّا

(1) [و هذا البيت من أبيات له مذكورة في الحماسة \(الحماسة 34\)](#) يريد بالحديد حلقا الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين، وبالحديد قدّا اليّل وهو شبه درع كان يتّخذ من القدّ أى إنّهم إذا لبسوا الحديد الدروع واليّل تشبّهوا بالنّمر في الحرب فيكون حلقاً وقدّا كل واحد منهما بدلا عن الحديد ويجوز أن يريـد بتتّمـرـوا أـنـهـمـ تـلـوـنـواـ بـأـلـوانـ النـمـرـ لـطـولـ ثـابـتـهـمـ وـمـلـازـمـتـهـمـ الـحـدـيدـ، وـعـلـىـ هـذـاـ الـوـجـهـ يـصـحـ أن يكون انتصار حلقاً وقدّا على التّميز، ويروى حلقاً وقدّا أى انـهـمـ تـشـبـهـواـ بـالـنـمـرـ فـيـ أـخـلـاقـهـمـ وـخـلـقـهـمـ فيـكـونـ اـنـتـصـارـهـمـاـ عـلـىـ التـمـيـزـ أيـضاـ، هـذـاـ مـاـ ذـكـرـهـ الـمـرـزـوقـيـ فـيـ شـرـحـ الـحـمـاسـةـ؛ وـقـالـ الـجـوـهـرـيـ فـيـ الصـاحـاحـ فـيـ مـعـنـىـ الـبـيـتـ

أى تشبّهوا بالنّمر لاختلاف ألوان القدّ والحديد ولم يذكر الرواية الثانية.

ص: 311

---

- (1) صدر القصيدة على ما في الحماسة: ليس الجمال بمترف اعلم و ان رديت برداان الجمال معادنو مناقب اورثن مجداعددت للحدثانسابغة وعداء علندي وقال الشعالبي في يتيمة الدهر (ص 233 ج 3): لما حصل الصاحب بن عباد في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر خراسان أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معيكرب: اعددت للحدثان، البيت فأتى بثلاث قصائد حسان معروفة بالفيليات لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك، وأبي الحسن الجوهرى، وأبى محمد الخازن، وبعض أبيات الجوهرى مذكور في باب البلاور والراهمة من كتاب كليلة و دمنة المترجم بالفارسى لنصر الله المنشى، كما قد اشرنا اليه من تعليقنا عليه (ص 473 طبع طهران 1382 هـ).

ونقل الجوهرى عن الاصمعى قال: تتمرّل له أى تنكر له و تغيير وأوعده لأنّ التمر لا تلقاه أبداً إلاّ غضبان.

وفى كنز اللّغة: تتمرّ - مانند پلنگ خشمناک شدن، ولبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب وقيل: كانت ملوك العرب إذا جلسوا لقتل انسان لبست جلود النمور ثم أمرت بقتل من تريده قتله، ونقل الجاحظ فى البيان والتبيين عن أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراسانى صاحب التفسير قال: سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسطه فقال: «يا أهل العراق، يا أهل السبق والسباق، ومكارم الأخلاق، إنّ أهل الشام فى أفواههم لقمة دسمة، زبّيت لها الأشداق، وقاموا لها على ساق، وهم غير تاركها لكم بالمراء والجدال؛ فالبسوا لهم جلود النمور».

(وغم) الوجه بالفتح فالسكون: الحرب والقتال والترة والذحل الثقيل والحداد الثابت فى الصدر، قال ابن الأثير المتوفى «606هـ» فى وغم من النهاية: وفي حديث على عليه السلام: «إنّ بنى تميم لم يسبقوا بوجم فى جاهلية ولا إسلام» الوجه: الترة وجمعها أوغام، ووغم عليه بالكسر أى حقد و توغم إذا اغتاظ. انتهى.

(رحمما) قال الراغب فى المفردات: الرّحم رحم المرأة و منه استعير الرّحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة يقال: رحم ورحم، قال تعالى:

«وَأَقْرَبَ رُحْمًا»، انتهى، وفي الأساس للزمخشري: وقعت النطفة فى الرّحم «هو الذي يصوّركم في الأرحام» وهى منبت الولد ووعاؤه فى البطن وبينهما رحم ورحم قال الهذلى:

ولم يك فظاً قاطعاً ل القرابة ولكن وصولاً للقرابة ذا رحم

«وَأَقْرَبَ رِحْمًا» وهى علاقة القرابة وسبتها.

(مأزورون) من الوزر فأصله موزوروون بالواو إلاّ أنه عليه السلام قال:

مأزورون طلباً للمطابقة بين مأجورين و مأزورين، و نحوه قوله عليه السلام لأشعث بن قيس إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور وسيأتي في الحكمة 291.

(اربع) بالباء الموحدة قال الجوهرى: ربع الرجل يربع - من باب منع -

إذا وقف وتحبس ومنه قولهم اربع على نفسك واربع على ظلوك أى ارفق بنفسك وكف، وفي نسخة مخطوطة من النهج جاءت الكلمة بالباء المثلثة (ارتع) و كأنها مصححة.

(لا يفعلن) فالرأي يفعلن فيالة وفيولة من باب ضرب أخطأ وضعف، وفيل رأيه تقيليا: قبجه و ضعّفه و خطّاه، ورجل فائل الرأى و فيل الرأى أى ضعيفة، قال أبو الفرج محمد بن الحسين الكاتب:

وأعلم أنى فائل الرأى مخطئ ولكن قضاء لا اطيق غلابه<sup>(1)</sup>

## الاعراب

«فحادث» الفاء فصيحة.

«وَإِنَّ بْنِ تَمِيمٍ» الواو هنا او الحال ولذا يجب أن تكسر ان في المقام لأن وقوع ان بعد الواو الحال من المواقع التسعة التي يجب كسرها كما تقرر في النحو فراجع إلى شرح صدر الدين السيد على خان الكبير على الصمدية في النحو للشيخ البهائي العاملى قدس سرهما، وهذا نحو قوله تعالى: «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» (الأناشيد - 6) وقال أبو البقاء يعيش ابن على في تفسيره التبيان في إعراب القرآن: الواو هنا - يعني في قوله تعالى وإن فريقا: للحال، وفي تفسير الجلالين، والنسيابوري، والبيضاوي قوله تعالى:

«وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» في موضع الحال أى كما أخرجك في حال كراحتهم.

«وَإِنَّهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ» معطوفان على قوله وإن بنى تميم، «لم يسبقوا» على صيغة المجهول «ماسته» صفة لقوله رحمة لأنها مؤنثة، «فاربع» الفاء فصيحة والتقدير إذا كان حال البصرة و شأن بنى تميم كذا فاربع، «أبا العباس» منصوب بالنداء وهو كنية لابن عباس، «رحمك الله» جملة معتبرضة، «فيما جرى» متعلق بقوله اربع «من خير و شر» بيان لما، «فانا شريكان» تعليل لقوله اربع «وكن» عطف على

ص: 313

---

1- (1) صححنا البيت في باب الأسد والثور من كتاب كلية ودمنة (ص 154 طبع طهران 1382 هـ).

اربع، «و السلام» خبره محذوف أى و السلام عليك، أو و السلام على من اتبع الهدى، و نحوهما.

## المعنى

كان ابن عباس عامل البصرة و خليفة أمير المؤمنين على عليه السلام فاًتَّه عليه السلام لما أراد الخروج من البصرة بعد أن وضع الحرب أوزارها استعمله و استخلفه عليها، وقد مضى تفصيل ذلك في شرحنا على المختار الثاني من كتبه عليه السلام (ص 95 ج 17)، و كان عامله عليها قبله عثمان بن حنيف.

والبصرة أحدثها المسلمون و مصرّوها أيام عمر بن الخطاب، تفصيل ذلك مذكور في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المعروف بالبشاري (ص 117 طبع ليدن)، و أتى بأكثر منه تفصيلاً و شرحاً البلاذرى في كتابه فتوح البلدان (ص 341-370 طبع مصر 1350 هـ).

و هذا الكتاب بعض ما كتبه عليه السلام إلى ابن عباس و سياتي نقله على صورته الكاملة.

قوله عليه السلام: (اعلم أنَّ البصرة مهبط إيليس، و مغرس الفتنة) قد ذُمَّ عليه السَّلام البصرة و أهلها من قبل هذا الكتاب أيضاً حين أراد الخروج من البصرة بعد الجمل و قد أشرنا إلى الروايات الواردة فيه في شرحنا على المختار الثاني من كتبه (ص 86 - 89 ج 17)، و قوله عليه السلام أنَّها مهبط إيليس يتحمل وجوهاً:

منها أن تكون فيه اشارة إلى قوله تعالى لإيليس: «فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» (الأعراف - 14) و قوله تعالى:

«قَالَ اهْبِطُوا بَعْضَكُمْ لِيَعْضُ عَدُوًّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسَّةٌ تَقْرُرُ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» (الأعراف - 25)، بأنَّ إيليس لمَّا أخرج من الجنة و هبط إلى الأرض كانت أرض البصرة مهبطه و لكنَّ الإنصال أنَّ الكلام يأبى عن هذا الوجه، و كلمة هبط لا تدلُّ عليه لأنَّها أعمَّ من ذلك و قد قال تعالى لقوم موسى عليه السلام: «إِهْبِطُوا مِصَّرًا» (البقرة - 60) و في الأساس للرمخسرى: هبط من بلد إلى بلد، فالمهبط يأتي بمعنى موضع الورود و النزول و لا يعتبر فيه الانحدار من عال إلى سافل مطلقاً، نعم إنَّ الهبوط إذا استعمل

فِي الْإِنْسَانِ وَإِبْلِيسِ فِيهِ نُوعٌ اسْتِخْفَافٌ بِخَلَافِ الْإِنْزالِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ الْإِنْزالَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَبَهُ عَلَى شَرْفَهَا كَانَ زَالَ الْمَلَائِكَةُ وَالْقُرْآنُ وَالْمَطَرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَالْهَبْطُ ذَكَرُ حِيثُ تَبَهُ عَلَى الْغَصْنِ حَوْلًا: «وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضَهُ كُمْ لِيَعْضُ عَدُوٌّ»، «فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا»، «إِهْبِطُوا مِصْرًا»؛ أَفَادَهُ الرَّاغِبُ فِي الْمَفَرَدَاتِ.

وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ فِيهِ اشْارةً إِلَى أَنَّ الْبَصْرَةَ قَرِيَّةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الْعُلَمَاءِ وَالْقُرَاءِ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةٌ فَاضِلَّةٌ وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ مَهْبِطُهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ حَصُونَ كَحْصُونَ سُورَ الْمَدِينَةِ لَهَا.

وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ فِيهِ اشْارةً إِلَى أَنَّ الْبَصْرَةَ مَوْطِنٌ وَمَحْلٌ لَهُ أَنْ تَكُونَ لَهَا خَواصٌ أُوجِبَتْ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَهَا مَوْطِنًا لَهُ، وَقَدْ مَضِيَ فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ الثَّانِي مِنْ بَابِ الْكِتَبِ قَوْلُ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَنِي مِنْ أَخْبَثِ الْبَلَادِ وَأَخْشَنَهَا تَرَابًا، وَأَسْرَعَهَا خَرَابًا، وَأَقْرَبَهَا مِنَ الْمَاءِ، وَأَبْعَدَهَا مِنَ السَّمَاءِ، بِهَا مَغَيْضُ الْمَاءِ وَبِهَا تَسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ، وَهِيَ مَسْكُنُ الْجَنِّ - إِلَخُ» (ص 88 ج 17) وَكَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْجَنِّ كَمَا مَضِيَ الْبَحْثُ عَنْ ذَلِكَ فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ الثَّامِنِ مِنْ بَابِ الْكِتَبِ (ص 286 - 295 ج 17) وَلَمَّا كَانَ إِبْلِيسُ وَقَبْيلُهُ وَجَنُودُهُ اتَّخَذُوهَا مَوْطِنًا لَهُمْ فَهُمْ مَهْبِطُهُمْ وَمَغْرِسُ الْفَتْنَ.

وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ فِيهِ اشْارةً إِلَى أَنَّهَا مَهْبِطُ قَوْمٍ تَعْلَقُ إِبْلِيسُ بِهِمْ فَغَرَسُوا أَصْوَلَ الْفَتْنَ فِي أَرْضِي قَلْوَبِهِمْ، وَبَذَرُوا حَبْوبَ آرَاءِ رَدِيَّةٍ فِيهَا حَتَّى أَثْمَرَتْ مَا أَثْمَرَتْ فِيهِ إِشَارةً إِلَى هَبُوطِ جَنْدِ الْمَرَأَةِ وَأَتْبَاعِ الْبَهِيمَةِ فِيهَا، وَإِذَا تَأْمَلَتْ فِيمَا جَرِيَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلِيِّ عَلِيِّ السَّلَامِ مِنْ خَلْفَتِهِ الظَّاهِرِيَّةِ إِلَى شَهَادَتِهِ كُلَّهَا مُولَّدَةٌ مِنْ هَبُوطِ الْقَوْمِ فِي الْبَصْرَةِ فَإِنَّهُ أَثَارَ فَتْنَةَ الْجَمْلِ، وَهِيَ وَلَدَتْ وَقْعَةَ صَفَّيْنِ، وَهِيَ وَلَدَتْ وَقْعَةَ نَهْرَوَانِ، وَهِيَ وَلَدَتْ أَمْرَ شَهَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَهُمْ غَرَسُوا بِهَبُوطِهِمْ فِيهَا شَجَرَةَ خَبِيثَةٍ أَثْمَرَتْ هَذِهِ الشَّمَارِ السَّوْءِ فَكَانَتِ الْبَصْرَةُ لِذَلِكَ مَهْبِطُ إِبْلِيسِ وَمَغْرِسُ الْفَتْنَ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (فَحَادَثَ أَهْلَهَا - إِلَى قَوْلِهِ: عَنْ قَلْوَبِهِمْ) الْفَاءُ فَصِيَحَّةٌ كَمَا مَرَّ أَيْ إِذَا كَانَتِ الْبَصْرَةُ حَالَهَا كَذَا فَحَادَثَ أَهْلَهَا - إِلَخُ وَمِنَ الْفَاءِ هَذِهِ، وَمِنْ قَوْلِهِ

واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم يستفاد أنّ أهل البصرة لم يكونوا بعد آمنين، بل كانوا خائفين، وكانوا يتربّصون بهم ريب المنون، بل يستفاد من قوله اتها مهبط إبليس و مغرس الفتنة، ومن تفريح حادث أهلها عليه ذلك أيضاً فاسلوب الكلام يدلّ على اضطراب أوضاعها و احتمال اثاره فتنة فيها، و اقبال وقائع هائلة على أهلها ولذلك أمر الأمير عليه السّلام ابن عباس بالإحسان إليهم وإزالة الخوف عنهم لئلاً تحدث فتنة.

ثم إنّ قوله هذا في البصرة ذمٌ على أهلها أيضاً فأنه يدلّ على اتباعهم إبليس بخروجهم عن حكومة سلطان العقل، وعلى أنّهم أهل شفاق و نفاق، وعلى أنّ فيهم أهل التفتين و حزب الشيطان.

قوله عليه السّلام (وإنّ بنى تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر) النجم كثيراً ما يراد به في لغة العرب سيد القوم و مقتداهم و المشهور من الناس من حيث إنّهم يقتدون و يهتدون به وقال حسان بن ثابت في قصيدة يذكر فيها عدّة أصحاب اللواء يوم أحد:

تسعة تحمل اللواء و طارت في رعاع من القنا مخزوم

إلى أن قال:

لم تطق حمله العوائق منهم إنّما يحمل اللواء التّجوم

أي إنّما يحمله الأشراف المشاهير من الناس، والقصيدة مذكورة في السيرة النبوية لابن هشام (ص 149 ج 2 طبع مصر 1375هـ)، وأتى الجاحظ في البيان والتبيين أبياتاً منها (ص 325 ج 2 طبع مصر 1380هـ)، وفي ديوان الحسان، ولما استعار كلمة النجم لهذا المعنى رشح بمناسبة ظاهر اللّفظ بقوله لم يغب و طلع، والمعنى كيف يجوز لنا التتمر لهم والغلظة عليهم والحال أنّ لهم هذه الخصال الثلاث:

أحدها أنه لم يمت منهم سيد إلا قام لهم آخر منهم مقامه، وكأنّما يريد عليه السّلام أنّ لهم سيداً مطاعاً وأميراً خيراً مدبراً يجمع شمل أمورهم ويلمّ شعث آرائهم وأهوائهم، وينفذهم من المهالك، وينزعهم عن الهوى فيما يوجب شينهم، وهذا

ص: 316

التدبر والاتحاد والاقتداء بقدوة كذا كان لهم في كل دورة فلا ينبغي التنمر على قوم هذا شأنهم.

والثاني أنّهم لم يسبقوا بوجم في جاهلية ولا إسلام يعني بهذه الجملة أنّهم كانوا أهل بأس وقّة وشجاعة وحمية في الجاهلية والإسلام ويناسبه معنى التميم لغة فإنّه بمعنى الشديد كما في نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندى، فلا ينبغي التنمر والغلطة على طائفة بلغوا في البأس والقوّة هذه المرتبة أمّا معناها المطابق فالأولى أن يحمل الوجم على الحقد والغيظ لأنّه يناسب المقام واسلوب الكلام وذلـك لأنّ ابن عباس - كما دريت - إنما تنـكر عليهم باتباعهم الناكثين ويسمـيـهم حزب الشـيطـان وشـيعةـ الجـمـلـ وـأنـصارـ عـسـكـرـ لـذـلـكـ وـأـوـجـبـ عـمـلـهـمـ هـذـاـ حـقـدـاـ فـيـ صـدـرـ اـبـنـ عـبـاسـ وـكـانـ يـسـمـيـهـمـ بـهـاـ تـشـفـيـاـ مـنـ غـيـظـهـ،ـ وـيـتـنـكـرـ عـلـيـهـمـ اـنـتـقاـمـاـ مـنـهـمـ بـفـعـلـهـمـ الـمـنـكـرـ فـنـهـاـ الـأـمـيرـ عـلـيـهـ السـلـامـ عـنـ ذـلـكـ وـعـرـفـ لـهـ بـنـىـ تـمـيمـ بـأـنـهـمـ لـمـ يـسـبـقـوـ بـوـجـمـ فـيـ جـاهـلـيـةـ وـلـاـ إـسـلـامـ،ـ أـىـ لـمـ يـسـبـقـهـمـ أـحـدـ كـانـ لـهـ حـقـدـ وـغـيـظـ عـلـيـهـمـ فـيـتـنـكـرـ وـيـغـلـظـ عـلـيـهـمـ تـشـفـيـاـ مـنـهـمـ وـنـكـاـيـةـ فـيـهـمـ لـقـوـتـهـمـ وـقـهـرـهـمـ،ـ هـذـاـ هـوـ الـوـجـهـ الـذـيـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـخـتـارـ فـيـ مـعـنـاـ هـذـهـ الـجـمـلـةـ فـيـ الـمـقـامـ.

وأمـكنـ أنـ يـفـسـرـ بـوجـوهـ اـخـرىـ:ـ منـهـاـ أـنـ يـقـالـ:ـ لـمـ يـسـبـقـهـمـ أـحـدـ بـحـقـدـ لـهـمـ عـلـيـهـ لـأـنـهـمـ لـعـلـوـ هـمـّـهـمـ وـشـرـافـةـ نـفـوسـهـمـ لـاـ يـهـتـمـمـونـ بـأـذـىـ غـيرـهـمـ وـإـسـائـةـهـ عـلـيـهـمـ وـلـذـلـكـ لـمـ يـكـنـ فـيـ قـلـوبـهـمـ ضـغـنـ وـعـدـاـوـةـ عـلـىـ أـحـدـ.

وـمـنـهـاـ أـنـ يـفـسـرـ الـوـجـمـ بـالـتـرـةـ فـقـالـ الـجـوـهـرـيـ فـيـ الصـحـاحـ:ـ الـمـوـتـورـ الـذـيـ قـتـلـ لـهـ قـتـيلـ فـلـمـ يـدـرـكـ بـدـمـهـ تـقـولـ مـنـهـ وـتـرـهـ يـتـرـهـ وـتـرـاـ وـتـرـةـ،ـ وـكـذـلـكـ وـتـرـهـ حـقـهـ أـىـ نـقـصـهـ وـقـولـهـ تـعـالـىـ:ـ «وـلـنـ يـتـرـكـُمـ أـعـمـالـكـمـ»ـ أـىـ لـنـ يـتـنـقـصـكـمـ فـيـ أـعـمـالـكـمـ كـمـاـ تـقـولـ دـخـلـتـ الـبـيـتـ وـأـنـتـ تـرـيـدـ دـخـلـتـ فـيـ الـبـيـتـ،ـ اـنـتـهـيـ؛ـ فـالـمـعـنـىـ أـنـ بـنـىـ تـمـيمـ لـمـ يـهـدـرـ لـهـمـ دـمـ،ـ وـلـمـ يـنـقـصـ أـحـدـ حـقـهـمـ.

وـمـنـهـاـ أـنـ يـفـسـرـ الـوـجـمـ بـالـحـرـبـ وـالـقـتـالـ كـقـوـلـ شـقـيقـ بـنـ سـلـيـكـ الـأـسـدـيـ يـقـولـ مـعـذـرـاـ إـلـىـ أـبـيـ أـنـسـ الصـحـاـكـ بـنـ قـيـسـ بـنـ خـالـدـ الشـيـبـانـيـ الفـهـرـيـ (الـحـمـاسـةـ 261):

أتاني عن أبي أنس وعید فسلّ لغیظة الضھاک جسمی

ولم أعص الأمیر ولم اریه ولم أسبق أباً أنس بوغم

وقول شقيق يشابه قول أبي دلامة زند بن الجون شهد مع روح بن حاتم المھلبي الحرب فقال له روح: تقدم وقاتل فقال أبو دلامة:

إني أعوذ بروح أن يقدّمني إلى البراز (1) فتخزى بي بنو أسد

إن البراز إلى الأقران أعلم مما يفرق بين الروح والجسد

إلى آخر الأبيات المذكورة في الأغانى (ص 119 ج 9 طبع ساسى في أخبار أبي دلامة) وفي عيون الأخبار (ص 164 ج 1) وفي شرح المرزوقي على الحماسة (ص 778 ج 2).

الثالث أن لهم بنا - أى بنى هاشم - رحمة ماسة وقربة خاصة لأن نسب كل واحد من بنى هاشم وبنى تميم ينتهي إلى إلياس بن مضر: لأن هاشما هو ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، كما في السيرة النبوية لابن هشام؛ وتمima هو ابن مرّ بن ادّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كما في نهاية الأربع في معرفة العرب للقلقشندي.

ويمكن أن تكون فيه إشارة إلى مصاہرة كانت بين الأمیر عليه السلام وبين بنى تميم فإن إحدى زوجاته كانت ليلى بنت مسعود الحنظلية من بنى تميم ولدت له عبید الله وأبا بكر كما في تاريخ اليعقوبى (ص 189 ج 2).

ثم إنّه عليه السلام أكد مراجعة حق الرحمن بقوله: نحن مأجورون على صلاتها ومؤذرون على قطعيتها، وقد قال عز من قائل: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء - 2)، وقال تعالى: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ» (محمد - 25).

قوله عليه السلام: (فاربع-إلخ) قد تقدم في الإعراب أن الفاء فصيحة متفرعة على جميع ما تقدم من هذا الكتاب أى إذا كانت البصرة مهبط إبليس و مغرس الفتنة

ص: 318

---

(1) (القتال-خ ل)

و كانت منزلة بنى تميم كذا فقف و تبَّتْ و ارفق فيما يجري على لسانك و يدك من خير و شرّ و نافع و ضارّ، و لا تعجل به، أمره أن يداري مع الرّعية في أقواله و أفعاله فانّ ما يجري على اللّسان و اليد كنایة عنهمما، و سمي ابن عباس بكنیته أبي العباس تكريما له و العرب يقصد بها التعظيم وبعض النفوس تائف أن تخاطب باسمها.

قوله عليه السّلام: (فإنا شريكان في ذلك) علّ التّبَّتْ بقوله هذا، أى اربع و تبَّتْ فيما يجري على يدك و لسانك لأنّا شريkan في ذلك أى أنا وأنت شريkan في ما جرى على يدك و لسانك، وإنّما كان الأمّير عليه السّلام شريكه فيه لأنّه كان سببا بعيدا فيما جرى على يد ابن عباس و لسانه و هو كان نائبا عنه و سببا قريبا في أفعاله و أقواله و كلّ ما مصنوع بالرّعية فإنّما هو باتّکائه عليه عليه السلام و إلاّ لما كان له مكنته و قدرة على ذلك.

ثم إنّ قوله هذا يهدينا إلى حقيقة أخرى وهي أنّ الفرد الانساني لما كان بمنزلة عضو من هيكل اجتماعه ولم يكن تعيشه مرتبطا لشخصه خاصة بل يؤثّر أثرا من سخن فعله و قوله في الاجتماع فكلّ ما صدر عن يده و لسانه و له بقاء في الاجتماع و يعمل به غيره ولو بعد مماته فهو شريك العامل في ذلك الأثر الصادر منه قال عزّ من قائل: «وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَرَاءُ الْأَوْفَى» (النجم 41-43).

وقال تعالى: «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» (الصفات 78-79).

وفي البخار (ص 181 من الجزء الثاني من ج 15) نقلاب عن ثواب الأعمال للصادق رحمه الله بإسناده عن ميمون القدّاح عن أبي جعفر عليه السّلام قال: أيّما عبد من عباد الله سنّ ستة هدى كان له أجر مثل ذلك من عمل بذلك من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيّما عبد من عباد الله سنّ ستة ضلاله كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

وقد عقد المجلسى ببابا فى ذلك روى فيه عدّة روایات عن أهل بيته رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين قريبة بهذا المضمون كلها تشير إلى هذه الحقيقة.

وقد روى في المجلد السابع عشر (ص 188) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

لا يتكلّم أحد بكلمة هدى فيؤخذ بها إلاّ كان له مثل أجر من أخذ بها، ولا يتكلّم بكلمة ضلاله فيؤخذ بها إلاّ كان عليه مثل وزر من أخذ بها.

قوله عليه السلام (وكن عند صالح ظنّي بك) أي كن مراقباً لنفسك في ما يجري على يدك ولسانك بحيث إنك ترى نفسك حاضرة عند صالح ظنّي بك فانتظر فيما تفعل وتقول هل هو مرضي عندي أم لا فإذا رأيت رضاي فيه فافعل.

قوله عليه السلام: (ولا يفيلي رأيي فيك) لما استعمله الأمير عليه السلام على البصرة، واستصلحه لذلك وكان ابن عباس ممن يثق بالأمير عليه السلام به وإنما كان يستخلقه على البصرة تباهه على أن لا يergus ما يوجب سلب وثوقة به وضعف رأيه فيه.

### الترجمة

این نامه ایست که ولی الله الأعظم امیر المؤمنین علی علیه السلام به عبد الله بن عباس که عامل و حاکم آن حضرت بر اهل بصره بود فرستاد.

در روایت آمده که ابن عباس در بصره بر بنی تمیم درشتی و بدخوئی میکرد و آنان را پیروان جمل و یاران عسکر - که نام شتر عائشه بود - و حزب شیطان می نامید از آن روى که بنی تمیم در جنگ جمل از طرفداران و أتباع طلحه و زبیر و عائشه بودند.

این رفتار ابن عباس برگرهی از بنی تمیم که از شیعیان امیر علیه السلام بودند و از جمله آنان جاریه بن قدامه بود گران آمد نامه ای بأمیر نوشته و از دست ابن عباس شکایت کردند، امیر علیه السلام این نامه را به ابن عباس نوشت:

آمّا بعد بهترین مردم در نزد خدا آن کسی است که بطاعت او - خواه در آنچه آنکه به سود او است و خواه در آنچه که بزیان او است - عمل کننده تر باشد، و به گفتار حق اگر چه برای او ناگوار و تلخ باشد گویاتر؛ آگاه باش که آسمانها و زمین بحق و عدل برای بندگان برپا است، پس مطابق اندیشه ات کردار داشته باش، و با همه یکسان باش، و راه راست پیش گیر، و بدانکه بصره فرودگاه شیطان و جای نشانیدن درخت فتنه است پس أهل آن را وعده باحسان و نیکی ده - یعنی با آنان احسان و نیکی کن و به بخشش و دستگیری آنانرا دلشاد دار - و گره بیم از دلshan بگشا.

بمن خبر رسید که با بنی تمیم پلنگ خوئی و درشتی روا می داری با این که بنی تمیم کسانی هستند که ستاره ای از ایشان غروب نکرد مگر این که دیگری از ایشان طلوع کرد - یعنی آنان همیشه دارای بزرگی پیشوای اهل شرف و کرامت بودند - و کسی بر ایشان چه در زمان جاهلیت و چه در زمان اسلام سبقت نگرفته که به کینه توzi و خشم گرفتن و دشمنی بر آنان سخت گیرد و درشتی کند (یعنی آنان مردم شجاعت و حمیّت و قوت و نبرد بودند)، و ایشان را با ما رحامتی پیوسته و خویشی خاصی است (جدّ اعلای بنی هاشم و بنی تمیم الیاس بن مضر است - و دیگر این که أمیر علیه اللّام با بنی تمیم رحامت بمصادرت داشت) که به صله رحم پاداش خوب یابیم و به قطع آن کفیر بد؛ پس ای أبو العباس - خدا رحمت کند - در نیک و بدی که از دست وزبانت جاری می شود آهستگی کن و تائی و رفق پیشه گیر و هموار باش و با رعیت مدارا کن که من و تو در نیک و بد تو شریکیم (زیرا ابن عباس عامل آن حضرت بود و آنچه میکرد با تکاء و اعتماد و پشت گرمی باو بود، و أمیر علیه اللّام سبب بعيد در کارهای او است چنانکه ابن عباس سبب قریب و هر دو در آنها شریک) و باش در نزد گمان شایسته من بتو، و باید رأی من در باره تو سست نگردد، و السلام.

## اشرة

و هو المختار التاسع عشر من باب كتبه و رسائله أَمّا بعد فِإِنْ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلْدَكَ شَكُوا مِنْكَ قَسْوَةً وَ غَلَظَةً وَ احْتِقَارًا وَ جُفْوَةً؛ فَنَظَرَتْ فِلْمَ أَرْهَمَ أَهْلَا لَأَنْ يَدْنُوا لِشَرِكَتِهِمْ، وَ لَا أَنْ يَقْصُوا وَ يَجْفُوا لِعَهْدِهِمْ؛ فَالْبَسَ لَهُمْ جَلْبَابًا مِنَ الَّذِينَ تَشَوَّبُهُ بِطَرْفِ مِنَ الشَّدَّةِ، وَ دَأَوْلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَ الرَّأْفَةِ، وَ امْزَحَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَ الْأَدْنَاءِ، وَ الْأَبْعَادِ وَ الْأَقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

## المصدر

قال العيقوبي في تاريخه (ص 179 ج 2 طبع النجف): كتب على عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة الأرجبي: أَمّا بعد فِإِنْ دَهَاقِينَ عَمَلَكَ شَكُوا غَلَظَةً وَ نَظَرَتْ فِي أَمْرِهِمْ فَمَا رَأَيْتَ خَيْرًا فَلَتَكُنْ مَنْزَلَتِكَ بَيْنَ مَنْزَلَتِيْنِ جَلْبَابَ لَيْنَ بِطَرْفِ مِنَ الشَّدَّةِ فِي غَيْرِ ظَلْمٍ وَ لَا نَقصَ، فَإِنْ هُمْ أَجْبَوْنَا صَاغِرِينَ فَخَذَ مَالِكَ عَنْهُمْ وَ هُمْ صَاغِرُونَ، وَ لَا تَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ»، وَ قَالَ تَبَارُكَ وَ تَعَالَى: «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» وَ فَرَّعُهُمْ بِخَرَاجِهِمْ وَ قَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَ إِيَّاكَ وَ دَمَاءِهِمْ وَ السَّلَامُ. انتهى.

الظاهر أنَّهما كتاب واحد نقل الرَّضي طائفته منه في النهج على ما هو أَبَهُ من النقاط الفصيح من كلامه عليه السلام و رفض ما عاده، و نقل العيقوبي طائفته أخرى منه في تاريخه، إِلَّا أَنَّ صدره روى بروايتين مختلفتين في الجملة، و يؤيده ما في

شرح الفاضل البحرياني من أنّ المنسوق أنّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوساً فإنّ الأمير عليه السّلام أمره على فارس وعلى البحرين كما في الاستيعاب واسد الغابة فهذا الكتاب إنّما كتبه إليه لما كان عامله على فارس لأنّهم كانوا مجوساً يعبدون التّار، وهذا القول لا ينافي قول الأمير عليه السّلام: وقال جلّ وعزّ في أهل الكتاب - إلخ؛ لأنّهم كانوا أهل كتاب لما مرّ في ذلك خبر مرويٌّ عنه عليه السّلام من كتاب التوحيد للصادق قدس سرّه حيث قال الأشعث بن قيس للأمير عليه السّلام: يا أمير المؤمنين كيف يؤخذ من المجرم الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبيٌّ؟ قال: بلّى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم رسولاً - إلخ؛ فراجع إلى شرحنا على المختار الثامن من باب الكتب والرسائل (ص 312 ج 17).

ثم إنّ العامل المذكور قد عُرف في الكتب الرجالية بأبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ربيب رسول الله صلّى الله عليه وآله وآله وآله ام سلمة هند المخزومية زوج النبي صلّى الله عليه وآله وآله وآله وشهد مع على عليه السّلام الجمل واستعمله على البحرين وعلى فارس وتوفي بالمدينة أيام عبد الملك ابن مروان سنة ثلاثة وثلاثين وثمانين كما في الاستيعاب والإصابة واسد الغابة، وقد يأتى كتاب آخر من أمير المؤمنين على عليه السّلام إليه المعون بقول الرضى ومن كتاب له عليه السّلام إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين - إلخ، وهو الكتاب الثاني والأربعون، ولا تناهى ظاهراً بين قولهم بكونه مخزومياً وبين قول اليعقوبي بكونه أرجبياً لأنّه يمكن أن يكون من المخزومي ثم أحد أرباب بن دعام من همدان، ولم يذكر في الكتب الرجالية عمر بن أبي سلمة غيره إلا عمر بن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى قاضى المدينة ولكن لم يقل أحد بأنّ الأمير عليه السّلام أمره على بلد أو قرية أو طائفة؛ على أنه قتل بالشام سنة اثنين وثلاثين مع بنى امية كما في التقريب لابن حجر وقد كانت أمارة أمير المؤمنين على عليه السّلام من سنة خمس وثلاثين.

وقد ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى (ص 171 ج 6 طبع بيروت) عمرو بن سلمة بن عميرة الهمданى الأرجي وقال: إنّه روى عن على عليه السّلام وعبد الله و كان شريفاً، ولكنّ الأمير عليه السّلام لم يستعمله، ثمّ اين هو و عمر بن أبي سلمة فالظاهر القوي المتاخم بالعلم بالفحص والطلب حاصل لنا بأنّ عمر بن أبي سلمة الأرجي هو عمر بن أبي سلمة المخزومي والكتابان واحد. والله هو العالم.

ثمّ قد عثينا في هذه الأيام والأوان على كتابين أحدهما مترجم بمستدرك نهج البلاغة ومداركه لمؤلفه العالم المتضلع: الهادى كاشف الغطاء، والثانى بجمهرة رسائل العرب لجامعها الفاضل المتسبّع: أحمد ركى صفوتوت، أمّا الأول فقد خصّص للنهج خاصة وقد أتى بمدارك كثير من خطب النهج ورسائله وحكمه، وأمّا الثانى فموضوعه عامٌ إلاّ أنه ذكر فيه كتاباً ورسائل كثيرة لأمير المؤمنين على عليه السّلام مع الإشارة إلى مأخذته و مصادره غالباً من غير النهج أيضاً؛ ولعمري إنّهما قد بذلا الجهد في تأليفهما وأجادوا وأفادا، إنّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولكن مصدر هذا الكتاب لأمير المؤمنين عليه السّلام إلى بعض عماله، والآن قبله إلى عبد الله بن عباس ليس بمذكور فيهما.

وليعلم أتنا - لله الحمد - قد وفقنا بالعثور على كثير من مصادر ما في النهج، وخطب ورسائل وحكم للأمير عليه السّلام بطرق عديدة وأسانيد كثيرة من الجواجم الروائية التي ألفها قبل الرّضى علماً علينا الأقدمون، وهي تزيد على ما في الكتابين المذكورين بأضعاف مضاعفة.

## اللغة

(دهاقين) بفتح الدال جمع دهقان بكسرها، فارسي معرّب أصله دهگان مخفّف ديهيگان ففي برهان قاطع: دهگان با كاف پارسي بر وزن و معنى دهقان است كه زراعت كننده و مزارع باشد و دهقان معرّب آنست، و مردم تاریخي و تاریخ دان رانیز گفته اند. انتهى. وكثيراً ما يستعمل في الفارسية على صورتها

المعرّبة قال الشاعر:

دهقان سالخورده چه خوش گفت با پسر کای نور چشم من بجز از کشته ندروی

وفي البيان والتبيين للجاحظ (ص 345 ج 3) قال فتى طيب من ولد يقطين:

رب عقار باذرنجيّة اصطدتها من بيت دهقان

قال ابن الأثير في النهاية: في حديث حذيفة انه استسقى ماء فأتاهم دهقان بماء في إناء من فضة، الدهقان بكسر الدال وضمّها: رئيس القرية، وقدم النساء، وأصحاب الزراعة؛ وهو معرّب ونونه أصلية كقولهم تدهقن الرجل وله دهقنة موضع كذا؛ وقيل: النون زائدة وهو من الدهقان الامتلاء ومنه حديث على عليه السلام أهداها إلى دهقان. انتهى.

أقول: قوله الدهقان بكسر الدال وضمّها مبنيّ على أصلهم في التعرّيف: عجمي فالعب به ما شئت، وإنما أصله بكسر الدال، وتقسيمه برئيس القرية مبنيّ على أصل الكلمة فانها مركبة من ده و كان وأحد معانٍ كان في الفارسية: الأمير والرئيس والملك وقد تطلق على الملك الظالم.

وقال الفيومي في المصباح: الدهقان معرب: يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر وعلى من له مال وعقار، وداله مكسورة؛ وفي لغة تضمّ والجمع دهاقين ودهقون الرجل وتدهقون كثراً ماله. انتهى.

(قصوة) قسا قلبه يقسون من باب نصر قصوة: صلب وغلظ فهو قاس وقسّ فالقصوة: غلط القلب، قال الراغب في المفردات: أصله من حجر قاس، والمقاساة معالجة ذلك، قال تعالى: «ثُمَّ قَسْتُ قُلُوبُكُمْ» - ... «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» وقال تعالى: «وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» - ... «وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً» وقرئ قسيّة أى ليست قلوبهم بخالصة من قولهم درهم قسيّ وهو جنس من الفضة المغشوشه فيه قساوة أى صلابة، قال الشاعر: صاح القسيّات في أيدي الصيّاريف.

(الغلوظة) بتثليث الغين: الخشونة ضدّ الرقة، قال الراغب: أصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعنى كالكبير والكثير، قال تعالى: «وَلَيَحْدُوا»

«فِيْكُمْ غِلْظَةً» وَقَالَ: «ثُمَّ نَصْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيلٍ» وَقَالَ: «فَإِسْتَغْلَظْ فَاسْتَوْى عَلَى سُوقِهِ».

(جفوة) تقول: جفونه أجهوه جفوة و جفاء أى فعلت به ما ساءه ويقال على المجاز: أصابته جفوة الزّمان و جفاوته كما في الأساس والجفاء خلاف البرّ كما في الصحاح، والجفوة: ضدّ المواصلة والمؤانسة كما في الأقرب.

(يدنوا) من الإدناء، يقال: أدنى الشيء إذا قرّبه إليه كثيراً، ومنه قولهم: دخلت على الأمير فرّحّب بي وأدنى مجلسى.

(يقصوا) من الإقصاء خلاف الإدناء أى الإبعاد، يقال: أقصاه عنه إقصاء أى أبعده عنه كثيراً.

(يحفوا) من قولك جفوت الرجل أجهوه جفاء أى أعرضت عنه أو طرده فهو محفوظ.

(جلباب) قال في فتن البحار (ص 633 ج 8): الجلباب: الإزار، والرداء أو الملحفة، أو المقنعة. انتهى، وقال الفيومي في المصباح: الجلباب ثوب أوسع من الخمار و دون الرداء، وقال ابن الأعرابي: الجلباب إزار، وقال ابن فارس:

الجلباب ما يغطي به من ثوب وغيره، والجمع جلبيب، وتجلببت المرأة لبست الجلباب، انتهى ما في المصباح، قال الجوهرى في الصحاح: الجلباب: الملحفة، قالت امرأة من هذيل ترثى قتيلها:

تمشى التّسور إليه وهي لا هية مشى العذاري عليهنّ الجلبيب

والمصدر الجليلة ولم تدعهم لأنّها ملحقة، وفي منتهى الأرب في لغة العرب:

جلباب كسرداب و سنمّار: پیراهن و چادر زنان، ومعجر يا چادری که زنان لباس خود را بدان از بالا پوشند جلبيب جمع.

(تشوبه) أى تخلطه، يقال: شاب الشيء يشوبه شوبا و شيئاً من باب نصر أى خلطه، وفي المثل هو يشوب و يروب يضرّب لمن يخلط في القول والعمل.

(طرف) بالتحريك طائفة من الشيء وقطعة منه، قال تعالى: «لِيُقْطَعَ طَرْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتِبُهُمْ فَيُقْلِبُوا خَائِبِينَ» (آل عمران - 124)  
قال في الكشاف:

ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم.

(داول) امر من المداولة، في القرآن الكريم: «وَتِلْكَ الْأَيَامُ ذِدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ» (آل عمران - 124) قال البيضاوي أى نصرها بينهم ندليل لهؤلاء تارة ولهمؤلاء أخرى كقوله:

في يوم علينا و يوم لنا و يوم نساء و يوم نسر

والالمداولة كالمعاورة يقال: داولت الشيء بينهم فتداولوه، انتهى، دالت الأيام أى دارت، والله يداولها بين الناس أى يديلها، والإدالة الإدارية، الماشي يداول أى يراوح بينهما، وفي البحار: المداولة: المناوية.

(الرأفة): الرحمة، قال تعالى: «لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ» (النور - 3) (امزج) امر من مزج الشيء بالشيء مزجا و مزاجا إذا خلطه به، والادنان أشد قربا من التقريب، والإقصاء أكثر بعده من الإبعاد.

## الاعراب

(فلم أرهم) أر، فعل للمتكلّم وحده مجزوم بلم أصله أرأى من رأى يرأى لكنّ الهمزة هذه لا- تستعمل في غير الماضي ويقال: يرى فالمتكلّم وحده أرى وإذا اسقطت لامه بالجازمة صار أر، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» والأمر منه: ر، ريا، روا، رى، ريا، رين؛ وقد يستعمل غير الماضي على الأصل، والماضي على غير الأصل للضرورة كقوله: و من يتملى العيش يرأى و يسمع، و قول آخر: صاح هل ريت أو سمعت برابع.

(أهل) مفعول ثان لقوله لم أر، (لأن) الجار متعلق بالأهل، (لشركهم) اللام للتعليق، وكذا لعهدهم، والأفعال الثلاثة منصوبة بحذف النون بأن، (فالبس)

الفاء فصيحة أى إذا كان أمرهم على هذا المنوال من الشرك والعهد فالبس - إلخ جملة (تشوبه...) صفة لقوله جلباب، (داول) معطوف على البس وكذلك امزج.

(إن شاء الله) متعلق بكل واحد من أفعال الأمر الثلاثة.

## المعنى

تقديم في المصدر أنّ عمر بن أبي سلمة كان أميراً على فارس من قبل أمير المؤمنين عليه السّلام و كان أهل فارس يومئذ مشركين؛ و شكا أكبابهم وأرباب أملاكهم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام غلظته و خشونته عليهم و احتقاره واستصغراه إياهم فكتب عليه السّلام إليه أن يسلك معهم مسلكاً متوسطاً بأن تكون منزلته معهم بين منزلتين جلباب لين بطرف من الشدّة فلا يدنّيهم كلّ الدنّ لأنّهم ليسوا بذلك أهلاً لكونهم مشركين ولا يبعدهم كلّ الإبعاد ولا يجفوهם لكونهم معاهددين، فإنّ معاملتهم بذلك النهج يمنعهم عن التمرّد والطغيان عن المعاهدة والذمة، ويحفظ عظمته الدين وصوّلته وقوّته في أعينهم، ويوجب تأليف قلوبهم و مراعاة شرائط المعاهدة في حقّهم وعدم خلل في انتظام امورهم.

و جعل عليه السّلام الاتّصاف بهذا النهج الوسط جلباباً على التجسيم والتّشبّه تصوّيراً له كقوله تعالى: «فَإِذَا قَعَدَهَا اللّٰهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ» (النحل - 114).

و كلامه هذا وزان ما قاله لمعقل بن قيس في الكتاب الثاني عشر: فقف من أصحابك وسطاً ولا تدن من القوم دنّ من يريد أن ينشب الحرب ولا تبعد منهم من يهاب البأس، وزان قوله: الفقيه كلّ الفقيه من لم يقتنط الناس من رحمة الله ولم يؤيّسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله.

ثمّ قيّد أوامره بالمشيّة إمّا تحريضاً له إلى العمل المطابق لأوامره، كأنّه قال أرجو منك أن تفعل بما أشرنا عليك؛ و إمّا تبيّها له على أنّ ما أشرنا عليك من المماشة معهم ومعاملتهم بذلك النحو إمّا يجب أن يكون على وجه يرضاه الله ويشاءه، كأنّه عليه السلام يقوله: إني وإن كنت أمرتك بها ولكنك تعاشرهم وتعيش

فيهم و ترى أحوالهم وأفعالهم فعليك بعمل معهم يحبه الله ويرضاه وإنما طلبا من الله تعالى المدد والتوفيق له بعمل ما أمره بها.

## الترجمة

این نامه ایست که امیر المؤمنین علی علیه السلام به عمر بن ابی سلمة که از جانب آن حضرت حاکم فارس بود نوشته است - و آن کتاب نوزدهم از باب کتب و رسائل نهج البلاغه است:

أَمّا بعد دهقانان شهر تو از درشتی و سنگ دلی و خوار داشتن و بدی تو شکایت کرده اند پس در باره شان نگریستم و اندیشه کردم نه آنانرا شایسته نزدیک گردانیدن دیدم زیرا که مشرکند. و نه سزاوار دور گردانیدن و طرد کردن از آن روی که با ایشان عهد بستیم و در ذمه ما هستند و چون امرشان بدین منوال است پس بپوش برایشان جامه نرمی که پود آن پاره ای از درشتی باشد و روزگار را برایشان میان سخت دلی و مهربانی بگردان، و بیامیز با ایشان میان نزدیک گردانیدن و بنهایت نزدیکی رساندن، و میان دور ساختن و بغایت دور ساختن اگر خدا بخواهد (یعنی با این همه چون تو نزدیکی و با آنها حشر داری و کارشان را از نزدیک می نگری آن چنان با آنها رفتار کن که خدا بخواهد و مرضی او باشد).

ص: 329

### اشرارة

و هو خليفة عامله عبد الله بن العباس على البصرة (و عبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومنذ عليها و على كور الاهواز و فارس و كرمان - نسخة).

و هو المختار العشرون من باب الكتب والرسائل:

و إنّي أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغنى أنك خنت من فييء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظّهر، ضئيل الأمر، و السلام.

### المصدر

أتى بالكتاب ابن واضح الأخباري الكاتب المعروف باليعقوبي في تاريخه (ص 180 ج 2 طبع النجف 1358 هـ)، قال: كتب - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - إلى زياد و كان عامله على فارس: أما بعد فإن رسولى أخبرنى بعجب، زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه إن الأكراد حاجت بك فكسرت عليك كثيرا من الخراج و قلت له: لا - تعلم بذلك أمير المؤمنين؛ يا زياد و اقسم بالله إنك لكاذب و لئن لم تبعث بخارجك لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظّهر؛ إلا أن تكون لما كسرت من الخراج محتملا، انتهى.

والظاهر أنهما كتاب واحد روى على نسختين، وإن أمكن أن يكون كل واحد منهما كتابا على حياله.

ص: 330

(خنت) مشتق من الخيانة بمعنى نقيض الأمانة، يقال: خانه في كذا يخونه خونا و خيانة و خانة و مخانة من باب نصر: إذا اوتمن فلم ينصح، قال الراغب في المفردات: **الخيانة والنفاق واحد إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارا بالدين ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر، ونقض الخيانة: الأمانة**، يقال: خنت فلانا و خنت أمانة فلان وعلى ذلك قوله: «لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم».

(فيبيء) وقد تقدم معناه و الفرق بينه وبين الغنية و الأنفال على التفصيل في شرح المختار 230 من باب الخطب (ج 15 ص 23).

(لأشدّن عليك) شدّ على العدو شدّا و شدّة و شدوا من بابي نصر و ضرب أى حمل عليه؛ يقال: شدوا عليهم شدّة صادقة. (تدعك) أى تتركك.

(الوفر) بالفتح فالسكون: المال الكثير الواسع، و الغنى، و اليسار؛ قال مالك بن الحارث الاستر النخعى رضوان الله عليه (الحمامة 25):

بقيت وفري و انحرفت عن العلا و لقيت أضيافى بوجه عبوس

وقال آخر (البيان والتبيين ص 359 ج 2):

رأيت الناس لمّا قلّ مالي وأكثرت الغرامة ودّعني

فلما أن غنيت و ثاب وفري إذاهم - لا أبا لك - راجعونى

(الظهر) خلاف البطن، وهو من الحيوان اعلاه و من الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز، و من الأرض ظاهرها يجمع على أظهر و ظهور و ظهران.

(ضئيل) في النهاية لابن الأثير: في حديث إسراطيل<sup>(1)</sup> وإنه ليتضاءل من خشية الله، وفي رواية لعزمة الله أى يتضاءل تواضعا له، ويقال: تضاءل الشيء إذا

ص: 331

-1- (1) قال الطريحي في المجمع: في حديث جبرائيل - إلخ، منه.

تقبض و انضم بعضه إلى بعض فهو ضئيل أى نحيف دقيق حقير، وقال الطريحي في مجمع البحرين: و مثله حديث وصفه تعالى: هو إله يتضاءل له المتكبرون<sup>(1)</sup>، وضؤل الشيء بالهمز وزان قرب فهو ضئيل ك قريب: صغير الجسم قليل اللحم، انتهى.

قال جوّاس الكلبي (الحماسة 632):

و كنت إذا أشرفت في رأس رامة تضاءلت إنَّ الخائف المتضاءل

يقول: إنك حينئذ متى أشرفت في رأس هذه الهضبة تخافت و تذللت لاستشعارك الخوف الشديد واستظهارك بالإنتقاء من أعدائك البعيغ؛ والخائف هذا دأبه وعادته قاله المزروقى فى الشرح.

## الاعراب

(إن) اللام للإيذان و تسمى اللام المؤذنة و الموطئة أيضا و هي تؤذن من أول الأمر بأنَّ الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط سواء كان ذلك القسم مذكورا كما نحن فيه أو مقدرا ك قوله تعالى: «وَإِنْ لَمْ يَتَهَوْا عَمَّا يُقُولُونَ لَيَمْسِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (المائدة - 78) فقوله تعالى «ليمسن» جواب قسم ممحظ و سد مسد جواب الشرط الذي هو «و إن لم ينتهوا».

وك قوله تعالى: «أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نَفَقُوا يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيْكُمْ أَحَدًا أَبْدًا وَإِنْ قُوَّتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوكُمْ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوَّتُوكُمْ لَيُرِلَّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَدَرُونَ» (الحشر - 14) فاللام في لعن الأربعه للقسم وفي ليولن جواب القسم واستغنى به عن جواب الشرط في المواضع الخامسة.

ص: 332

---

-1) في خطبة العيددين لامير المؤمنين على عليه السلام كما رواه الصدوق في الفقيه وأتي به الفيض في الواقى (ص 196 ج 5): وهو الله لها وقارن يذل له المتعززون ويتضاءل له المتكبرون - إلخ، منه.

(الأشدّ) اللام لام جواب القسم نحو قوله تعالى في سورة يوسف:

«تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا»، وفي سورة الأنبياء: «وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَ أَصْنَامَكُمْ» و كلامه عليه السَّلام كان وزان قوله تعالى: «لَئِنْ لَمْ تَتَهْوِي لَتَرْجُحَنَّكُمْ وَلَيَمْسَسَنَّكُمْ مِنْا عَذَابٌ أَلِيمٌ» (يس - 19) وهذا الجواب للقسم سدّ مسد جواب الشرط الذي هو: لئن بلغنى فاستغني به عن جواب الشرط.

و حرف إن في لأن من أداة الشرط، و جملة بلغنى فعل الشرط، أنك خنت - إلخ - مأول بالمصدر فاعل بلغنى، شيئاً مفعول به لقوله خنت، صغيراً وكبيراً صفتان له، جملة (تدعك) صفة للمصدر ويرجع ضمير الفعل إليه وكل واحد من قليل الوفر وأخويه حال للضمير المنصوب في تدعك، خبر السلام محنوف أي و السلام على من اتبع الهدى، أو السلام لأهله ككتبه الالاتية.

## المعني

زياد بن أبيه هو زياد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن امية، ويقال زياد بن امه و زياد بن سمیة، و امه سمیة هي جارية الحارت بن كلدة وكان يطؤها بملك اليمين كما في الاستيعاب لابن عبد البر، و اسد الغابة لابن الأثير، و الاصادبة لابن حجر.

كان يكنى أبو المغيرة ليست له صحبة ولا رواية وكان رجلاً عاقلاً في دنياه، داهية خطيباً له قدر و جلاله عند أهل الدنيا، كما في الاستيعاب وروى ياسناده عن أبي صالح عن ابن عباس قال: بعث عمر بن الخطاب زياداً في اصلاح فساد وقع باليمين فرجع من وجهه، و خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاصي: أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه؛ فقال أبو سفيان: والله إنّي لا أعرف الذي وضعه في رحم امه، فقال له على بن أبي طالب: ومن هو يا أبو سفيان؟ قال:

أنا إلخ -.

ص: 333

وقال: قال الشاعر:

زياد لست أدرى من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

وقال ابن النديم في أول الفن الأول من المقالة الثالثة من الفهرست (ص 131 طبع مصر): قال محمد بن إسحاق: قرأت بخط أبي الحسن ابن الكوفي أول من ألف في المثالب كتاباً زياذاً بن أبيه فإنه لما ظفر عليه وعلى نسبه عمل ذلك ودفعه إلى ولده وقال: استظهروا به على العرب فإنهم يكفون عنكم انتهاه.

وقد روى أنّ أول من دعاه ابن أبيه عائشة حين سئلت لمن يدعى وسيأتي إن شاء الله تعالى تمام الكلام في ذلك في شرح المختار 44 من باب الكتب المعنون بقول الرّضي ومن كتاب له عليه السلام إلى زياذاً بن أبيه وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه يريد خديعه باستلحاقه.

ثم إنّ ما جعلناه بين الھلالين في عنوان الكتاب ليس بمذكور في نسخة الرّضي و كانه هامشة الحق في المتن.

وقال أبو جعفر الطبرى في التاريخ: أمّر علىٰ عليه السّلام ابن عبّاس علىٰ البصرة وولىٰ زياداً الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع منه - إلى آخر ما تقدّم في شرح المختار الثاني من باب الكتب والرسائل (ص 96 ج 17).

وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة (ص 85 ج 1): ذكروا أنّ علياً لما صار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عباس - وقال له: اوصيك بتقوى الله - إلى أن قال: فلم يلبث علىٰ عليه السّلام حين فدم الكوفة وأراد المسير إلى الشام أن انضمّ إليه ابن عباس، واستعمل علىٰ البصرة زياد بن أبي سفيان.

وحصل الفصل أنّ الامير عليه السّلام لما اطلع على أنّ زياداً خان بيت المال وفيه المسلمين كما في تاريخ اليعقوبي هدّده ورعبه بأنه إن لم يبعث إليه ما خان ليحملنّ عليه حملة صادقة تدفعه قليل المال بطرده عن المناصب، أو بأخذذه ماله من يده تقاصاً، وتدفعه ثقيل الظهر بأعمال شاقة وامور مزمنة مفضحة لا يقدر بها على

القيام والارتفاع إلى معالي الأمور وكأنّ من هذا القبيل قول سعد بن أبي وقاص في جواب معاوية:

فإن الشّرّ أصغره كثير وإنّ الظّهر تنقله الدّماء

أو يفقره على حدّ يصعب عليه مؤنة عياله فإنّ كون ثقل الظّهر كنایة عن نحو هذا المعنى غير عزيز في محاوراتهم، ومنه حديث أمير المؤمنين عليه السّلام: من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء، وليجود الحذاء، وليخفف الرّداء، وليلقلّ من مجامعة النساء؛ قيل: وما خفة الرّداء؟ قال: قلة الدين، ولكن إرادة هذا الوجه من كلامه هذا لا يخلو من بعد فتأمل.

أو تدعه ثقيل الظّهر بأوزاره وآثامه أى على أنه لا مال له ينتفع به، كانت عليه تبعاته وذنبه فهو في الدنيا والآخرة من الخاسرين.

وتدعه ضئيل الأمر أى حقيراً خامل الذّكر، دني المرتبة، لا منزلة ولا قدر له عند النّاس؛ لأنّه إنما كان له شأن ونباهة بتولّيه معالي الأمور من قبل الأمير عليه السّلام فإذا عزله عن منصبه مع كونه قليل المال و معروفاً بالخيانة فلا قدر له عندهم، بل لا يساوي فرداً خامل الذّكر لاشتهاره بالخيانة وعزله عن منصبه بخيانته.

### الترجمة

این نامه ایست که امیر المؤمنین علیؑ علیه السّلام به زیاد بن أبيه نوشته در حالی که از طرف عبد الله بن عباس عامل امیر المؤمنین علیه السّلام بر بصره حکومت داشت:

و من سوگند راست بخدا یاد میکنم که اگر بمن خبر رسید تو از غنیمت مسلمانان چیزی خرد یا بزرگ خیانت کرده ای چنان بر تو سخت بگیرم که کم مال و گران پشت و ناچیز بمانی، و السلام.

### اشرارة

و هو المختار الحادى والعشرون من باب الكتب والرسائل فدع الاسراف مقتضدا، و اذكر فى اليوم غدا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، و قدم الفضل ليوم حاجتك. أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين؟ و تطمع وأنت متمنّغ في التّعيم تمنعه الضعيف والأرمّلة أن يوجب لك ثواب المتصلّقين؟ و إنما المراً مجرّى بما أسلف، وقادم على ما قدّم. و السلام.

### المصدر

هذا الكتاب بعض ما كتبه الأمير عليه السلام إلى زياد بن أبيه و نقله كاملا الفاضل الشارح المعتزلى في شرح المختار 44 من باب الكتب والرسائل من الجزء السادس عشر من شرحه وهو المختار المعنون بقول الرّضي: و من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه ي يريد خديعه باستلحاقه.

قال: كان علىٰ عليه السلام أخرج إليه - يعني إلى زياد - سعدا مولاً يحثّه على حمل مال البصرة إلى الكوفة، و كان بين سعد و زياد ملاحقة و منازعة؛ و عاد سعد و شakah إلى علىٰ عليه السلام و عابه فكتب علىٰ عليه السلام إليه:

ص: 336

أما بعد فان سعدا ذكر أنك شتمته ظلما، و هددته و جبئته تجبرا و تكبرا، فما دعاك إلى التكبّر؟ وقد قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «الكبّر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه»، وقد أخبرني أنك تكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد و تذهب كل يوم، فيما عليك لوصمّت لله أياما، و تصدقّت ببعض ما عندك محتسبا، و أكلت طعامك مرارا فقارا؟ فإن ذلك شعار الصالحين؛ أفترطع و أنت متمنّغ في النّعيم تستأثر به على الجار، و المسكين، و الضعيف، و الفقير، و الأرمّلة و اليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين؟ وأخبرني أنك تتكلّم بكلام الأبرار و تعمل عمل الخاطئين فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، و عملك أحبطت فتب إلى ربّك يصلح لك عملك؛ و اقتصر في أمرك و قدم إلى ربك (1) الفضل ليوم حاجتك و اذهبن غبائّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «ادهنو غبّا و لا تذهبوا رقمما».

فكّر إلى زيد: أمّا بعد يا أمير المؤمنين فإنّ سعداً قدّم علىٰ فأساء القول والعمل فانتهره وزجرته وكان أهلاً لأكثر من ذلك، وأمّا ما ذكرت من الإسراف واتّخاذ الألوان من الطعام والنعيم، فإنّ كان صادقاً فأنّه ثواب الصالحين، وإنّ كان كاذباً فوّقه الله أشدّ عقوبة الكاذبين، وأمّا قوله: إنّي أصف العدل وآخاله إلى غيره، فإني إذن من الأخسرین؛ فخذ يا أمير المؤمنين بمقابل قلته<sup>(2)</sup> في مقام قمته: «الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل» فإنّ أتاك بشاهدی عدل، وإلاًّ تبيّن لك كذبه وظلمه.

أقول: قد تعرض الفاضل الشارح بأنّ ما في النهج بعض هذا الكتاب، ولا يخفى عليك أنه لا يتضمن ما في النهج على صورته وألفاظه، وأنّ بين النسختين تفاوتاً ظاهراً ونحن لم نظرف به في المأخذ الذي حضرتنا، والظاهر أنّهما كتاب واحد، بل ما في النهج بعض ذلك الكتاب إلا أنّهما رويَا على روایتين كما أنّ الرضي نقل في غير موضع في النهج كلاماً له عليه السلام على روایتين.

337: ص

- 1) في الطبع الرحلى: وقدم ربك.
  - 2) في الطبع المذكور: بمقالة قلته.

(الإسراف) السرف: ضد القصد، وقال الراغب: السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، قال تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَعْتَرُوا» ... - «وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا»، ويقال: تارة اعتبارا بالقدر، وتارة بالكيفية؛ ولهذا قال سفيان: ما أنفق في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلاً. قال الله تعالى: «وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» ... - «وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» أي المتجاوزين الحد في أمورهم، وسمى قوم لوطن مسربين من حيث إنهم تعدوا في وضع البذر في الحرش المخصوص له المعنى بقوله تعالى: «نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ»، و قوله في القصاص «فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ» فسره أن يقتل غير قاتله إنما بالعدول عنه إلى من هو أشرف منه أو بتجاوز قتل القاتل إلى غيره حسبما كانت الجاهلية تفعله.

قال السيد نعمة الله الجزائري في فروق اللغات: الإسراف والتبذير: قيل التبذير إنفاق المال فيما لا ينبغي، والإسراف صرفه زيادة على ما ينبغي، وبعبارة أخرى الإسراف تجاوز الحد في صرف المال والتبذير اتلافه في غير موضعه فهو أعظم من الإسراف ولذا قال تعالى: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» قيل: وليس الإسراف متعلقاً بالمال فقط بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترى أن الله وصف قوم لوطن بـالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث فقال: «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ» ووصف فرعون بالإسراف بقوله: «إِنَّهُ كَانَ عَالِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ» أقول: ويفهم من بعض الأخبار أن الإسراف على ضربين: حرام و مكروه فالأول مثل اتلاف مال و نحوه فيما هو فوق المتعارف، والثاني اتلاف شيء ذي نفع بلا غرض و منه إهراق ما بقي من شرب ماء الفرات و نحوها خارج الماء وقد روى ذلك عن علي عليه السلام. انتهى قوله.

فتتحقق أن الإسراف تجاوز الحد في كل ما يفعلها الإنسان من أفعاله سواء

كان متعلقه مالاً- أو غير مال، والتبذير إتلافه و تضييعه في غير موضعه وإذا لم يكن على سبيل الإتلاف والإفساد بأن يكون صرفه على الإصلاح لا يسمى تبذيراً.

(مقتصدا) القصد والاقتصاد واسطة الامور، قال سالم بن وابصة (الحماسة 244):

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق

قال المرزوقي في الشرح: القصد: واسطة الامور، فما تعداه سرف و ما انحط عنه قصور، ولذلك قيل لمن ليس بجسيم ولا ضئيل، وليس بقصير ولا طويل:

هو قصد و مقتصد، وقال في شرح الحماسة 9: القصد ما لا سرف فيه، ولذلك قيل: اقتصد في كذا، وطريق قاصد إذا كان على حد الإستواء، و من كلامهم: ضل عن قصد الطريق، كما قيل: ضل عن سوء السبيل قال الراجز الحصين بكير الربعي:

إني إذا حار الجبان الهدره ركبت من قصد الطريق منجره

قال ابن الأثير في النهاية: في الحديث ما عال مقتصد ولا يعيل أى ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يفتر، انتهى و قال الأمير عليه السلام لهمام في الخطبة 191 من النهج في وصف المتقين: منطقهم الصواب، و ملبسهم الاقتصاد.

(متمرغ) في الصحاح: مرغته في التراب تمريغا فتمرغ أى معكته و تمعك، قال ابن الأثير في النهاية: التمرغ: التقلب في التراب، و منه حديث عمّار: «أجنبنا في سفر و ليس عندنا ماء فتمرّغنا في التراب» ظن أن الجنب يحتاج أن يصل التراب إلى جميع جسده كالماء.

قال الرمخشري في الأساس: مرغ دابتة فتمرغ وهذا مراغ الدواب و مراجعتها و متمرغها، و مرغته تمريغا إذا أشبعت رأسه و جسده دهنا، و تمرغ بالدهن و من المجاز فلان يتمرغ في النعيم؛ يتقلب فيه.

(الأرملي) قال الجوهرى في الصحاح: الأرملي: الرجل الذي لا امرأة والأرملي: المرأة التي لا زوج لها، وقد أرمليت المرأة إذا مات عنها زوجها قال الشاعر - وهو جرير :-

هذى الأرامل قد قضيّت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمل الذّكر

قال ابن السكّيت: الأرامل: المساكين من نساء ورجال، قال ويقال لهم وإن لم يكن فيهم نساء، ويقال: قد جاءت أرملة من نساء ورجال محتاجين، قال ويقال للرجال المحتاجين الضعفاء: أرملة وإن لم يكن فيهم نساء، انتهى ما في الصحاح.

وقال المرزوقي في شرح الحماسة (577) عند قول زياد بن حمل:

ترى الأرامل والهلاك تتبعه يستن منه عليهم وابل رذم

الأرامل: جمع الأرمل والأرملة لأنّه يقع على الذّكر والأنثى وهم الذّين قد انقطع زادهم وضاقت الأحوال بهم.

وقال عند قول كعب بن زهير (الحماسة 348):

ألا لهف الأرامل واليتامى ولهف الباكيات على أبي

الأرامل: جمع أرمل، وهذه الصفة يشترك فيها المؤنث والمذكر، وانتفاقه من أرمل القوم إذا نفت نفاتهم، وحقيقة صاروا من الفقر في الرّمل، كما يقال أترب الرجل، والشهادة في اشتراك الرجل والمرأة في هذه الصفة قول جرير: هذى الأرامل - البيت.

وقال الزمخشرى في الأساس: أرمل: افتقر وفني زاده وهو من الرمل كادفع من الدّقوع، و منه الأرملة والأرامل، قال: وفي كتاب العين: ولا يقال شيخ أرمل إلا أن يشاء شاعر في ت مليح كلامه كقول جرير: هذى الأرامل - البيت. وأرملت المرأة ورملت من زوجها ولا يكون إلا مع الحاجة.

ثم في نسخ خطية عندنا قد ضبط قوله عليه السّلام هكذا: (أترجو أن يؤتيك الله) و: (جزي بما سلف) ولكن ما اختناه في المتن مطابق لنسخة الرضي رضوان الله عليه.

(مقتضاها) حال لضمير دع، (غدا) مفعول لقوله اذكر، قوله أن يعطيك مأول منصوب مفعول لقوله ترجو، (وأنت) الواو حالية والجملة حال لضمير ترجو، (وتطبع) عطف على قوله ترجو، والجملة استفهامية على سبيل الانكار كالمعطوف عليها (وأنت) الواو حالية والجملة حال لضمير تطبع، قوله (أن يوجب) مأول منصوب مفعول لقوله تطبع اخر عن الحال بعكس الاولى، وضمير الفعل يرجع إلى الله.

### المعنى

لما أخبر سعد أمير المؤمنين عليه السلام بأن زياد بن أبي يكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد وتدهن كل يوم - إلى آخر ما رواه العقوبي كما مر آنفا - أمره أن يترك رذيلة الإسراف، ويتصف بفضيلة الاقتصاد الذي هو واسطة الأمور.

وأقول: إن لكل شيء حدا هو بمنزلة قاعدته فإذا كان على قاعدته فله ثبات وقرار، وإذا جاوز عن حده إما إلى الإفراط وإما إلى التفريط فلا بد له من أن يسقط منكوسا ومنكوبا وقد قال الأمير عليه السلام: اليمين والشمال مضلة والوسطى هي الحادة.

وكما أن الله الحكيم خلق كل واحد من قاطبة الأشياء على قدر لائق به لوعده عنه لا ختل نظام العالم كذلك جعل لكل ما يتعلق بأفعال بني آدم وامور صالح الإنسانية حداً لو خرج الاجتماع الإنساني عنه لاختل نظامه وهو من الهالكيين وذلك الحد المتعلق بهذا النوع هو ما يحتويه الذكر الحكيم وقد قال عز من قائل:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَفْقُومُ»، وذلك الحد هو الوسط والقسط والعدل والحق كما قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (آل عمران - 139) وقال: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ»

«وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بالعدل قامت السماوات والأرض، وقال أمير المؤمنين على عليه السلام: بالحق قامت السماوات والأرض.

ومن تفحص في ما أتى به خاتم الأنبياء درى أن الله تعالى كتب على الناس الاقتصاد في مطلق الأمور حتى في العبادات ففي القرآن الكريم: «لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (الأسراء - 32).

وقد روى الصديق قدس سره في الفقيه (ص 12 ج 13 من الواقي):

ياسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليه السلام: الحيف في الوصية من الكبائر.

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام: أن رجالا من الأنصار توفى وله صبية صغار وله ستة من الرقيق فأعتقهم عند موته وليس له مال غيرهم فأتى النبي صلى الله عليه وآله فأخبر فقال: ما صنعتم ب أصحابكم؟ قالوا دفتناه، قال: لو علمت ما دفتاه مع أهل الإسلام ترك ولده يتکفرون الناس؟ وفي باب الاقتصاد في العبادة من الواقي (ص 69 ج 3) نقلًا عن الكافي بساندته عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن هذا الدين متين فأوغلو فيه برقة، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفرا قطع ولا ظهر أبقى.

ثم إن عليه السلام أتى بالحال أعني مقتضيا إشارة إلى أن زيادا كما يجب عليه الإعراض عن الإسراف الذي هو إفراط كذلك يجب عليه أيضا الإمساك الذي هو تفريط، بل يجب عليه بعد ترك الإسراف الاقتصاد الذي هو وسط الإفراط والتفريط.

قوله عليه السلام: (وذكر في اليوم غدا) تبّهه بأن لا تلهيه الامال ولا تشغله المشاغل في الدنيا عن التأهب والتزوّد لغدوة وكني بالغدوة عن بعد حياته في هذه الدار من البرزخ ويوم البعث، كما أراد باليوم هذه الدنيا.

قوله عليه السّلام: (و امسك - إلى قوله: ليوم حاجتك) روى العقوبى فى تاريخه (ص 202 ج 2): أنّ رجلاً قال للحسن بن علىٰ علیهمما السلام: إنّى أخاف الموت؛ قال. ذاك أنت أخرت مالك ولو قدّمته لسرّك أن تلحق به.

قوله عليه السّلام: (أترجو - إلخ) استفهم علىٰ سبيل الإنكار أى كيف ترجو أن يعطيك الله ذلك الأجر و الحال أنت عنده كذلك، وكيف تطمع أن يوجب الله لك ذلك الثواب و الحال أنت تتقلب و تتمعّك فى النعيم تمنعه الضعف والأرمدة، وهذا تحريض له على التّواضع و شركة الضعف والأرمدة فى عيشه و تنعمه.

قوله عليه السّلام: (و إنّما المرء - إلخ) بين الإنسان و عمله خيراً كان أو شرّاً ارتباط خاص لا يرجع إلاّ إليه ولا يقدم إلاّ إليه ونعم ما قيل بالفارسية:

نيک و بد هر چه کنی بهر تو خوانی سازند جز توبر خوان بد و نیک تو مهمانی نیست

قال الشارح المعتزلى فى المقام: قلت قيسح الله زياداً كافاً إنعام علىٰ عليه السّلام و إحسانه إليه و اصطناعه له بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته و محبيه والإسراف فى لعنه، و تهجين أفعاله، و المبالغة فى ذلك بما قد كان معاویة يرضى باليسير منه و لم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاویة كلاً بل يفعله بطمعه و يعاديه بباطنه و ظاهره وأبى الله إلاّ أن يرجع إلى أمة و يصحّح نسبة وكل إناه ينضح بما فيه، ثم جاء ابنه بعده فختم تلك الأعمال السيئة بما ختم و إلى الله ترجع الأمور. انتهى.

وسيائى كلامنا أيضاً فى قاتلى حجاج الله و معانديهم فى شرح المختار 44 من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

## الترجمة

این نیز نامه ایست که أمیر علیه السلام به زیاد بن أبيه نوشته:

پس ترک إسراف گوی و میانه رو باش، و در امروز یاد فردا کن و از مال بقدر ضرورت زندگی نگه دار و زیادی را برای روز نیازت پیش فرست آیا،

امید داری که خدا بتوپاداش فروتنان دهد با این که نزد او از خود بینانی، و آیا آزمندی که برایت ثواب صدقه دهنده‌گان واجب گرداند با این که در نعمت غلطیده ای و آنرا از ناتوان و بیچارگان و بیوه زنان باز می‌داری، و همانا که مرد به آن چه کرده است پاداش یابد، و بسوی آنچه پیش فرستاده است روی آورد. و السّلام.

## و من كتاب له عليه السلام الى ابن عباس

### اشاره

و كان يقول عبد الله:

ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاصي بهذا الكلام.

وهذا هو المختار الثاني والعشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله:

أمّا بعد فإنَّ المرأة، يسرُّه درك ما لم يكن ليقوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه؛ فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، ولتكن أسفك على ما فاتك منها. وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزاً، ولتكن همك فيما بعد الموت.

### المصدر

رواه مسندا أبو الفضل نصر بن مزاحم المنقري المتوفى 212هـ في كتاب صفين (ص 58 من الطبع الناصري) قال: وفي حديث عمر بن سعد قال: وكتب على عليه السلام

ص: 344

إلى عَمَالَه فَكَتَبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسِّرَهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفْوَتَهُ وَيَسُوئَهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَدْرِكَهُ وَإِنْ جَهَدَ؛ فَلَيْكَنْ سَرُورُكَ فِيمَا قَدَّمْتَ مِنْ حُكْمٍ أَوْ مَنْطَقَ أَوْ سِيرَةً، وَلَيْكَنْ أَسْفَكَ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتَ لِلَّهِ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَدَعْ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَكْثُرْ بِهِ حُزْنًا، وَمَا أَصَابَكَ فِيهَا فَلَا تَبْغِ بِهِ سَرُورًا؛ وَلَيْكَنْ هَمَّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالسَّلَامُ.

وَنَقْلَهُ الْيَعْقُوبِيُّ الْمُتَوَفِّيُّ حَدَّودُ 300 مِنَ الْهِجْرَةِ فِي تَارِيْخِهِ (ص 181 ج 2) وَقَالَ:

كَتَبَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّجَلِيُّ - وَكَانَ خَلِيفَةً عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ بِالْبَصَرَةِ - إِلَى عَامِلِهِ عَلَىٰ عَلِيهِ السَّلَامِ يَعْلَمُهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَخْذَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ عَشَرَآفَ دَرَهَمَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِرَدَّهَا فَامْتَنَعَ فَكَتَبَ يَقْسِمُ لَهُ بِاللَّهِ لَتَرْدِنَّهَا فَلَمَّا رَدَّهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَوْرَدَ أَكْثَرَهَا كَتَبَ إِلَيْهِ عَلَىٰ عَلِيهِ السَّلَامَ: أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ يَسِّرَهُ دَرَكَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفْوَتَهُ، وَيَسُوئَهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَدْرِكَهُ فَمَا أَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَكْثُرْ بِهِ فَرْحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَكْثُرْ عَلَيْهِ جَزْعًا وَاجْعَلْ هَمَّكَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالسَّلَامُ.

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ: فَكَانَ أَبْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: مَا اتَّعَظَتْ بِكَلَامِ قَطْ اتَّعَاظَتْ بِكَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ. انتهى.

وَرَوَاهُ ثَقَةُ الْإِسْلَامِ الْكَلِينِيُّ الْمُتَوَفِّيُّ 329 هـ فِي الرُّوْضَةِ مِنَ الْكَافِيِّ (ص 219 الطَّبَعُ الْحَجَرِيُّ 1301 هـ) وَهُوَ حَدِيثُ 327 مِنْهَا، قَالَ: عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلَىٰ بْنِ أَسْبَاطٍ رَفِعَهُ قَالَ: كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ إِلَى أَبْنِ عَبَّاسٍ أَمَا بَعْدَ فَقَدْ يَسَّرَ الْمَرْأَةَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفْوَتَهُ، وَيَحْزَنَهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِيَهُ أَبْدًا وَإِنْ جَهَدَ؛ فَلَيْكَنْ سَرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ حُكْمٍ أَوْ قَوْلٍ، وَلَيْكَنْ أَسْفَكَ فِيمَا فَرَّطْتَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ وَدَعْ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَكْثُرْ عَلَيْهِ حُزْنًا وَمَا أَصَابَكَ مِنْهَا فَلَا تَتَعَمَّ بِهِ سَرُورًا وَلَيْكَنْ هَمَّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالسَّلَامُ.

وَأَتَى الفَيْضُ بِرَوَايَةِ الْكَلِينِيِّ فِي الْوَافِيِّ (ص 63 ج 14) فِي بَابِ مَوَاعِظِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمَجْلِسِيُّ فِي مَرَآةِ الْعُقُولِ (ص 354 ج 4 مِنَ الْمُطَبَّعِ عَلَى الْحَجَرِ).

ص: 345

ورواه على بن شعبة المתוّي 332 هـ في تحف العقول (ص 46 طبع الحجري 1297 هـ وص 197 منطبع المترجم بالفارسی في طهران 1384 هـ) وما رواه قريب من النهج ويحالفه قوله: فليكن سرورك بما نلتـه من آخرتك ولـيـكـنـ أـسـفـكـ عـلـىـ ماـ فـاتـهـ مـنـهـ، وـماـ نـلـتـهـ مـنـ الدـنـيـاـ وـلاـ تـكـثـرـ بـهـ فـرـحاـ، وـماـ فـاتـكـ مـنـهـ وـلاـ تـأـسـفـ عـلـيـهـ حـزـنـاـ، وـلـيـكـنـ هـمـكـ فـيـمـاـ بـعـدـ الـمـوـتـ، اـنـتـهـيـ.

ورواه أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى المتوفى 356 هـ في الأمالى (ص 94 ج 2 طبع مصر) المعنون بقوله: كتاب على بن أبي طالب إلى ابن عباس رضى الله عنهما بموعظة من أحسن الموعظ، وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدّثنا العكلى عن أبيه قال: بلغنى عن ابن عباس أنه قال: كتب إلى على بن أبي طالب رضى الله عنه بموعظة ما سرت بموعظة سروري بها! أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليدركه، ويسؤله فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحا، وما فاتك منها فلا تتبعه أسفًا، فليكن سرورك بما قدّمت، وأسفك على ما خلقت، وهـمـكـ فـيـمـاـ بـعـدـ الـمـوـتـ.

ونقله القاضى أبو بكر الباقلانى المتوفى 403 هـ فى كتاب اعجاز القرآن (هامش الاتقان للسيوطى ج 1 ص 195 طبع مصر 1318 هـ) قال: كتب على إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة: أما بعد فإن المرء يسر بدرك ما لم يكن ليحرمه ويسؤله فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدّمت من أجر أو منطق، ولـيـكـنـ أـسـفـكـ فـيـمـاـ فـرـطـتـ فـيـهـ مـنـ ذـلـكـ وـانـظـرـ مـاـ فـاتـكـ مـنـ الدـنـيـاـ فـلاـ تـكـثـرـ عـلـيـهـ جـزـعـاـ، وـماـ نـلـتـهـ فـلاـ تـنـعـمـ بـهـ فـرـحاـ وـلـيـكـنـ هـمـكـ لـمـاـ بـعـدـ الـمـوـتـ.

ونقله العلامـةـ الشـيخـ بهـاءـ الدـينـ العـامـلـىـ فـيـ المـجـلـدـ الثـالـثـ مـنـ الـكـشـكـولـ (صـ 284 طـبعـ نـجـمـ الدـوـلـةـ، وـصـ 562 مـنـ طـبعـ قـمـ) قال: قال ابن عباس ما اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمثل كتاب كتبه إلى على بن أبي طالب عليه السلام: أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسؤله فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا، ولا بما فاتك منها ترحا؛ ولا تكن ممن يرجو الآخرة

بغير عمل، ويرجو التّوبة بطول الأمل، فكان وقد، والسلام.

ورواه سبط ابن الجوزي في التذكرة (ص 89 من الطبع الرّحلي الناصري 1285هـ) قال: «فصل» في ذكر قصة جرت له عليه السلام مع عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أخبرنا أبو الحسن بن النجاشي المقرئ قال: حدثنا محمد بن أبي منصور قال:

حدثنا أحمد بن علي بن سوار قال: حدثنا أحمد بن عبد الواحد بن محمد الحريري قال: حدثنا أحمد بن محمد الجندي قال: حدثنا أبو حامد محمد بن هارون الخضرمي قال: حدثنا إبراهيم بن سعد الجوهري قال: حدثنا المأمون عبد الله بن هارون عن أبيه هارون، عن أبيه محمد المهدى، عن أبيه أبي جعفر المنصور، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بكلام كتب به أمير المؤمنين كتب إلى:

سلام عليك أماً بعد فإن المرء يسُوءه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك ولتكن أسفك على ماتلك منها وما فاتك من الدّنيا فلا تأسفنّ عليه ول يكن همك فيما بعد الموت، والسلام.

قال السبط: وقد روى السديّ هذا عن أشياخه وقال عقيبه: كان الشيطان قد نزع بين ابن عباس وبين علي عليه السلام مدة ثم عاد إلى موالاته - إلخ. انتهي.

وقد نقله الرضيّ رضوان الله عليه في أواخر هذا الباب برواية أخرى وهو المختار السادس والستون منه، قال: و من كتاب كتبه عليه السلام إلى عبد الله بن عباس رحمة الله وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية: أما بعد فإن العبد يفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصييه، فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيط ولكن إطفاء باطل أو إحياء حقّ، ول يكن سرورك بما قدمت، وأسفك على ما خللت و همك فيما بعد الموت.

وقد نقل المجلسي رحمة الله روایتی النہج فی المجلد الثامن من البحار

(ص 633 و 634 من الطبع الكمبانى)، وسيأتي ذكر القصة التي أشار إليها اليعقوبى و سبط ابن الجوزى فى شرح المختارين 40 و 41 من هذا الباب، الأول منها معنون بقول الرّضى و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله: أمّا بعد فقد بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته فقد أنسخطت ربّك - إلخ، والثانى و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله:

أمّا بعد فإنّى كنت أشركتك - إلخ، وإنّما نقلت النسخ التي وجدتها بحذافيرها لما رأيت من الاختلاف فيها، و من أمّا ذكر موقع الاختلاف كان أطول من نقلها.

## اللغة

(درك) بالتحريك ويسكن أيضاً: اللحاق والوصول إلى الشيء بعد طلبه، قال الزمخشري في الأساس: و «اللهمّ أعنّى على درك الحاجة» أى على إدراكه و قال ابن الأثير في التهایة: في الحديث «أعوذ بك من درك الشقاء» الدرك:

اللحاق والوصول إلى الشيء وأدركته إدراكاً و دركاً، و منه الحديث: لو قال إن شاء الله لم يحيث و كان دركاً له في حاجته.

وقال الفيومي في المصباح: الدرك بفتحتين و سكون الراء لغة من أدركت الشيء وأدركته إذا طلبه فلمحنته.

(نلت) من النيل يقال: نال من عدوه ينال و ينيل من باب ضرب و علم نيلاً و نالاً و نالة بلغ منه مقصوده و منه قيل: نال من أمراته ما أراد و نال من مطلوبه المراد و يتعدّى بالهمزة إلى اثنين فيقال: أنلته مطلوبه فناله و المطلوب منيل، والرجل نائل.

(فلا تأس عليه) أى لا تحزن، يقال: أسى عليه أسى من باب علم أى حزن فهو آس و أسيان و هى آسية وأسيانة، وأسى لفلان أى حزن له.

(ترحا) على رواية الشيخ في الكشكوك، بفتحتين: ضدّ الفرح.

الضمير في لم يكن في الموضعين يرجع إلى ما و كذا ضمير الفعلين يفوت و يدرك، و الضمير المنصوب فيهما يرجع إلى المرء بقرينة قوله ما فاتك، وأمكن أن يرجع ضمير الأفعال إلى المرء، و الضميران المنصوبان إلى ما.

## المعنى

قد شرحه العالم الجليل المولى محمد صالح المازندراني في شرحه على روضة الكافى بقوله: يعني أنّ المرأة يكون من هذه الحالة وهى أنه تسرّه إصابة ما ينفعه، ويحزنه فواته، و ما ينفع على قسمين: أحدهما ما ينفع في الآخرة، و ثانية ما ينفع في الدنيا؛ و العاقل الليّب ينبغي أن يسرّ بإصابة الأول، و يحزن بفواته وإليه أشار بقوله: فليكن سرورك بما قدّمت من عمل صالح أو حكم بالعدل أو قول بالحق و ليكن أسفك و حزنك فيما فرّطت فيه من ذلك فانّ هذا السرور أبدى و هذا الحزن مع كونه ندامة و عبادة موجب للزيادة والتدارك، و أن لا يحزن بفوائط الثاني ولا يسرّ بآصابته وإليه أشار بقوله: و دع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه حزنا و ما أصابك منها فلا تتعزم به سرورا كما يسرّ و ينعم أهل الدنيا يقال: نعم العود كفرح إذا أخضر و نصر، ثم أمر بما هو كالسبب بجميع ذلك بقوله: و ليكن همك فيما بعد الموت والسلام لأنّ التذكير بهادم الذّذات والتخييف بذلكه تنفير عن محبّة الدنيا و الحزن بفوائطها و ترغيب في محبّة الآخرة و العمل لها و الحزن بفوائطها. انتهى.

و أقول: هذا الكتاب مقتبس من قول الله عزّ و جلّ: «ما أَصَابَ مِنْ مُصِيَّبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» (التغابن - 12)، و قوله تعالى: «ما أَصَابَ مِنْ مُصِيَّبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبَرَّأُوهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكُلِّمَا تَأْسَوْتُمْ وَ لَا تَفْرُحُوا بِمَا آتَكُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» (المجادل - 24)، نعم

كلّ ما أفاده رسول الله وأهل بيته إنّما هو مقتبس من القرآن الكريم وما روى عنهم عليهم السلام فإنّما هو بيان بطن الآيات وحقائقها المستورة عن غيرهم، وأصل الجميع القرآن ولا بدّ من أن يرجع المروي عنهم إليه، إنّ الله تعالى يقول: «وَنَرَأْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَانِ لِكُلِّ شَيْءٍ» (النحل - 92) وفي الكافي بإسناده عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال، (الوافي ص 61 ج 1).

وفيه بإسناده عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام إذا حدّثكم بشيء فاسألوني من كتاب الله، ثمّ قال في بعض حديثه إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال فقيل له: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إنّ الله تعالى يقول: «لا- حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا- مَنْ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» وقال: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً»، وقال: «لَا تَسْئُلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ سُؤُوكُمْ» (الوافي ص 61 ج 1).

وحاصل الفصل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أشار فيه إلى حقيقة وفرع عليها أمرين، والحقيقة: أنّ ما يناله الإنسان أو يفوته فاتّما كان بقضاء الله المحتوم المقطوع أن يناله أو يحرمه فلا يصحّ الفرح والجزع بما كان حصوله وفواته كذلك، وقد قال عليه السلام كما يأتي في الحكمة 439: الزّهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: «لِكَيْلًا- تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَكُمْ» ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالاتي فقد أخذ الزّهد بطرفيه.

ونحوه ما رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي بإسناده، عن زراة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: لا يجد أحدكم (أحد - خ) طعم الإيمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، (الوافي ص 54 ج 3).

ويإسناده عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن

ليخطئه وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصييه وأنّ الصارّ النافع هو الله تعالى (الوافي ص 54 ج 3).

وروى بإسناده عن الثمالي، عن سعيد بن قيس الهمданى قال: نظرت يوماً فى الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسى فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت:

يا أمير المؤمنين فى مثل هذا الموضوع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنّه ليس من عبد إلاّ وله من الله تعالى واقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع فى بئر فإذا نزل القضاء خلّياً بينه وبين كلّ شيء (الوافي ص 54 ج 3).

وروى نصر بن مزاحم المنقري فى كتاب صفين (ص 128 من الطبع الناصرى) عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي إسحاق قال: خرج على يوم صفين وفي يده عنزة فمرّ على سعيد بن قيس فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنْ قرب عدوك؟ فقال له على عليه السلام: إنّه ليس من أحد إلاّ عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتربّى فى قليب أو يخترّ عليه حائط أو تصيبه آفة فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه.

وقال ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة (ص 162 ج 1) في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام جاء رجل من مراد إلى على عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين احترس فإنّ هنا قوماً يريدون قتلك، فقال: إنّ لكلّ إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خلّياً.

و هذه الأخبار في الحفظة مأكولة من قول الله عزّ و جلّ: «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (الرعد - 13) و قوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَعْلَمُونَ» (الأنفال 11-13)، و قوله عزّ من قائل: «وَ هُوَ الْفَاعِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» (الأنعام - 62).

والمرجو أيضاً عن الباقر عليه السلام في قوله: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله: من أمر الله يقول بأمر الله من أن يقع في ركي، أو يقع عليه

حائط أو يصييه شيء حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينه إلى المقادير و هما ملكان يحفظانه بالليل و ملكان بالنهار ينعقانه.

والمؤمن العارف بسر القدر لا يفرح بما ناله ولا يحزن على ما فاته لعلمه بأن قضاء الله وقدره في نظام العالم أوجباً وقوع الأول وفوت الثاني فلم يكن الأول ليفوته ولا الثاني ليدركه وقد قال صلى الله عليه وآله: جف القلم بما هو كائن إلى يوم الدين فالحزن على فوات شيء محظوم عليه أن يفوته، والفرح بحصول شيء مقطوع الحصول لما ذا؟ وللعارف قلب مطمئن لا يرى إلا الله ولا يرجو إلا إيمانه ولا يخاف إلا منه، ولا يحسد ولا يعادي أحداً ولا يحزن ولا يبطر، وقد ورد في الخبر كما في تفسير النيسابوري في سورة الحديد: من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب، ونعم ما في تفسير المجمع من آية في قوله تعالى: «لِكَيْلَا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا آتَكُمْ» إشارة إلى أربعة أشياء: الأول حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يشاح فـإن هذه من أسباب سوء الخلق وهي من نتائج حب الدنيا، وثانيها استحقار الدنيا وأهلها إذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها، وثالثها تعظيم الآخرة لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب، رابعها الافتخار بالله دون أسباب الدنيا.

قال: ويروى أن علي بن الحسين عليهما السلام جاءه رجل فقال له: ما الزهد؟ قال:

الزهد عشرة أجزاء: فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا؛ وأن الزهد كله في آية من كتاب الله: «لِكَيْلَا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا آتَكُمْ» قال: وقيل لبزر جمهر: مالك أيها الحكيم لا تأسف على ما فاتك ولا تفرح بما هو آت؟ فقال: إن الفائت لا يتلافى بالعبرة، والآتي لا يستدام بالحبرة.

وعن عبد الله بن مسعود قال: لئن الحسن جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقيت ما أحبب

إلى من أن أقول لشئ كان ليته لم يكن، أو لشئ لم يكن ليته كان. انتهى.

ونعم ما قيل:

لا تطل الحزن على فائت فقلما يجدى عليك الحزن

سيان محزون على ما مضى و مظهر حزنا لما لم يكن

والمروى عن الإمام الصادق عليه السلام: يا ابن آدم ما لك تأسو على مفقود لا يرده إليك الفوت، و مالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت.

والترحيم الأول أنّ ما ينبغي أن يسرّ المرء به هو ما ناله من الحقائق التي تقيده في ما بعد موته و ينبغي له أن يأسف على فوتها، و الثاني أنّ ما ناله من الدنيا و ما فاته منها هو ما لا قدر له أن يفرح به أو يرجع عليه، ثمّ أكد الأول بقوله و ليكن همّك فيما بعد الموت.

قال الفاضل الشارح المعتزل في المقام: ولسائل أن يقول: هب أنّ الامور كلّها بقضاء وقدر فلم لا ينبغي للإنسان أن يفرح بالنفع وإن وقع بالقدر، ويساء بفوته أو بالضرر وإن وقعا بقدر؟ أليس العريان يساء بقدوم الشقاء وإن كان لا بدّ من قدومه، و المحموم غالباً يساء بتجدد نوبة الحمى وإن كان لا بدّ من تجددها؟ فليس سبب الإختيار في الأفعال مما يوجب أن يسرّ الإنسان ولا يساء بشيء منها.

قال: والجواب ينبغي أن يحمل هذا الكلام على أنّ الإنسان ينبغي أن لا يعتقد في الرزق أنّه أتاها بسعيه و حركته فيفرح معجباً بنفسه معتقداً أنّ ذلك الرزق ثمرة حركته واجتهاده، وكذلك ينبغي أن لا يساء بفوائد ما يفوته من المنافع لأنّما نفسه في ذلك ناسباً لها إلى التقصير و فساد الحيلة و الاجتهاد لأنّ الرزق هو من الله تعالى لا أثر للحركة فيه وإن وقع عندها وعلى هذا التأويل ينبغي أن يحمل قوله تعالى: ما أصاب من مصيبة - إلخ، انتهى كلامه.

وأقول: الظاهر أنّ المراد من الأسى و الفرح المنهيّن ما بلغ حدّ الجزع والبطر و الاختيال المنسية عن ذكر الله بقرينة قوله تعالى في ذيل الآية: «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ». لا ما لا يملك ردّه و لا يستطيع دفعه من الأسى و الفرح

لَا يخلو مِنْهُمَا شَرٌ عَلَى الْغَرِيْزَةِ وَالْفَطْرَةِ تَكُونُ بِنَا، نَظِيرٌ مَا رَوَاهُ الْكَلِيْنِيُّ فِي الْكَافِيِّ وَالصَّدَوْقُ فِي الْفَقِيْهِ: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَمَّتْ عَيْنُ رَسُولِ اللَّهِ بِالدَّمْوعِ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: تَدْمِعُ الْعَيْنَ وَيَحْزُنُ الْقَلْبُ (يَحْزُنُ الْقَلْبُ وَتَدْمِعُ الْعَيْنَ) - كَمَا فِي الْفَقِيْهِ) وَلَا تَقُولُ مَا يَسْخَطُ الرَّبَّ (ص 88 ج 13 مِنَ الْوَافِيِّ).

شَمَّ إِنَّ الْأَسْىَ وَالْفَرَحَ فِي كُلِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ يَعْمَلُ حَصْولَ الرِّزْقِ وَفُوْتِهِ وَغَيْرِهِ مَمَّا لَمْ يَكُنْ بِرِزْقٍ فَلَا... وجَهَ لَا خَصَاصَهُمَا بِالرِّزْقِ فَقَطُّ، اللَّهُمَّ إِنْ يُقالُ: إِنَّ الشَّارِحَ الْمَذْكُورَ أَرَادَ مِنَ الرِّزْقِ أَعْمَمَ مَمَّا تَرَبَّىَ بِهِ الْحَيْوَانُ مِنَ الْأَغْذِيَةِ وَالْأَشْرَبَةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْاعْتِزَالِ وَالشَّارِحِ مِنْهُمْ فَإِنَّ الرِّزْقَ عِنْدَ الْمَعْتَزِلَةِ هُوَ كُلُّمَا صَحَّ اِنْتِفَاعُ الْحَيْوَانِ بِهِ بِالْتَّغْذِيَّ أوَّلَمْ يَرَهُ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْعَالَمُ الشَّيْخُ الْبَهَائِيُّ فِي شَرِحِ الْحَدِيثِ الْثَالِثِ عَشَرَ مِنْ كِتَابِهِ الْأَرْبَعِينِ.

وليعلم أنّ ما مضى من القول بأنّ قضاء الله وقدره أوجباً وأنّ ما أصاب المرأة يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصييه ونظائرها لا تناهى ما ورد في القرآن والأخبار من الحث على الدعاء والطلب إلى الله تعالى وإلاّ لما أمرنا الله تعالى ورسوله وأهل البيت بالسؤال والدّعاء وقد قال عزّ من قائل: «ما يَعْبُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاوْكُمْ» (آخر الفرقان)، وقال: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْمَةَ تَحِبُّ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ» (المؤمن، الغافر - 60) وقال تعالى: «أَدْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْنَدِينَ وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمْعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ» (الأعراف - 55 و 56)، وقال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِبُّ دُعَوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيُسْتَجِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ» (البقرة - 184).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرك رزاقكم؟ قالوا: بل يا رسول الله، قال: تدعون ربكم بالليل و النهار فإن سلاح المؤمن الدعاء.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الدّعاء ترس المؤمن و متى تكثر قرع الباب يفتح لك.

وقال الصادق عليه السلام: الدّعاء أندذ من السنان الحديدي.

وقال الكاظم عليه السلام: إن الدّعاء يرد ما قدر و ما لم يقدر، قلت (أي قال الراوى) ما قدر فقد عرفته فما لم يقدر؟ قال عليه السلام حتى لا يكون.

وقال عليه السلام: عليكم بالدّعاء فإن الدّعاء و الطلب إلى الله. تعالى يرد البلاء وقد قدر و قضى فلم يبق إلا مضاؤه فإذا دعى الله و سهل صرفة صرفه.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ألا أدلّكم على شيء لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: بلّى، قال: الدّعاء يرد القضاء وقد أبرم إبراما وضمّ أصابعه.

وعن سيد العابدين عليه السلام: إن الدّعاء و البلاء ليتوافقان إلى يوم القيمة إن الدّعاء ليرد البلاء وقد أبرم إبراما.

وعنه عليه السلام: الدّعاء يدفع البلاء النازل و ما لم ينزل.

وقد أتى بهذه الروايات الفقيه الحبر المحقق أحمد بن فهد الحلّي قدس سره في أول كتاب عدّة الداعي ونجاح الساعي والروايات في ذلك كثيرة جداً والكتب المؤلفة فيه غير عزيزة، نعم إن القضاء ينقسم إلى قضاء ثابت محتوم لا يتغير وقضاء متغير و ما نحن فيه من الثاني فايّاك أن تظنّ أن الدّعاء ينافي القول بالقضاء فإنه «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (الرعد - 41)، وفي ضمن هذه الآية روايات دقيقة و مطالب أنيقة لعلنا نبحث عنها في شروحنا الاتية في فصل نعدد في ذلك إن شاء الله تعالى. وقد قدمنا نبذة من البحث عن استجابة الدّعاء في شرحنا على المختار 236 من باب الخطب (ص 359-362 ج 15) فراجع.

## الترجمة

این نامه ایست که أمیر علیه السلام به عبد الله عباس نوشته و او می گفت که من بعد از گفتار رسول خدا به هیچ گفتاری چون این کلام  
امیر بهره نبردم:

أَمَّا بَعْدُ بِرَأْسِتِي مَرْدٌ رَّسِيدٌنْ چِيزِی بَاوِ كَه نَمِي بِايِسْتِي از او فَوْت شُود شَاد مِيَكِنَد، وَفَوْت چِيزِی كَه نَمِي بِايِسْتِي آن رَابِدِسْت آورَد اندوهگین می سازد، پس باید شادی توبه آن چه باشد که برای آخرت اندوختی، و اندوه تو بفوتو چنان چِيزِی، و آنچه که از دنیا عاید شده بسیار بان شادمانی مکن، و آنچه که از آن از توفوت شد بی تابی مکن، و باید همّت برای بعد از مرگت مصروف باشد.

### وَ مِنْ كَلَامِ لِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ قَبْلِ مَوْتِهِ لِمَا ضَرَبَهُ

#### اشاره

ابن ملجم لعنه الله على سبيل الوصية

و هو المختار الثالث والعشرون من باب كتب أمير المؤمنين عليه السلام و رسائله:

وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئاً، و محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَقِيمُوا هذين العמודين. و خلاكم ذم - أنا بالأمس أصحابكم، واليوم عبرة لكم، وغدا مفارقكم، إنْ أبْقَ فَأَنَا وَلِيَ دَمِي، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيَعادِي، وَإِنْ أَعْفَ فَالْعَفْوُ لِي قَرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حِسْبٌ فَاعْفُوا «أَلَا - تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ». وَاللَّهُ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارَدَ كَرْهَتِهِ، وَلَا طَالَعَ أَنْكَرَتِهِ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَفَارَبَ وَرَدَ، وَطَالِبَ وَجْدَ، «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ».

ص: 356

قال الرّضي رضوان الله عليه: أقول: وقد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب إلا أنّ فيه ههنا زيادة أوجبت تكريره، انتهى.

أقول: والعبرة في بعض نسخ النهج في المقام هكذا: «أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين» كما أنها في نسخة الكافي كذلك، وفي بعض نسخ النهج: «و هو لكم حسنة» كما أنها مطابق لنسخ الكافي أيضاً، ولكن ما في المتن في كلا الموضعين مطابق لنسخة الرضي.

## المصدر

كلامه هذا قد روی في الجوامع الروائية وغيرها على صور مختلفة ووجوه كثيرة وقد مضى بعضه فيما تقدّم من الخطبة 147 أولها: أيها الناس كلّ امرئ لا يفرّ منه في فراره، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته - إلخ، وهي في شرح الخوئي رحمه الله تعالى منهاج البراعة جعلت الخطبة 149 فراجع إلى ص 111 من المجلد التاسع منه، وهذه الخطبة مروية في الجامع الكافي لثقة الإسلام الكليني قدس سرّه، ونقلها الفيض رضوان الله عليه في باب الإشارة والنصل على الحسن بن علي عليهما السلام (ص 80 ج 2)، وتجدها في مرآة العقول في ص 222 من المجلد الأول منه، وقد أتى بها الشارح الخوئي في شرح الخطبة المتقدمة من النهج ص 127 ج 9 من منهاج فلا حاجة إلى تكريرها.

وقال المسعودي في مروج الذهب (ص 48 ج 2): وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام أنّ علينا عليه السلام قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم بعد حمد الله و الثناء عليه والصلاحة على رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ امرئ ملقيه ما يفرّ منه والأجل تساق النفس إليه، والهرب منه موافاته، وكم اطردت الأيام أتحينها<sup>(1)</sup>

ص: 357

---

1- (1) كذا في مروج الذهب، وفي الكافي والخطبة 147 من النهج الماضية: كم اطردت الأيام أتحينها عن مكنون هذا الامر. منه.

عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عز وجل إلا إخفاءه هيئات علم مكنون، أما وصيتي فلا تشركوا به شيئا، و محمد لا تضيّعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، حمل كل امرئ منكم مجهوده، و خف عن الحمّلة<sup>(1)</sup> رب رحيم و دين قويم و إمام عليم؛ كنّا في أعصار ودى رياح تحت ظل غمامه اضمحل راقداها فحطها من الأرض<sup>(2)</sup> حيا وبقى من بعدي خيرها واستكنه بعد حركة كاظمة بعد نطق لبعضكم هدوئي و خفوت أطرافي إنّه أوعظ لكم من نطق البلّيع، و دعّتكم وداع امرئ مرصد للتلاّق و غدا ترون و يكشف عن ساق عليكم السلام إلى يوم المرام كنت بالأمس صاحبكم، و اليوم عظة لكم، غدا أفارقكم إن افق فأنا ولّي دمي، و إن أمت فالقيامة ميعادي و العفو أقرب للتقوى «ألا تُجِّبونَ أَنْ يَعْفُرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»، انتهى ما في المروج.

وسنأتي بطائفة من وصاياه عليه السلام مع بيان مصادرها و مأخذها، و بيان ما فيها من غريب الحديث إن شاء الله تعالى في شرح المختار السابع والسبعين المعنون بقول الرّضي: و من وصيته عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله:

أوصيكما بتقوى الله و أن لا تغيا الدنيا و إن بعثتكما - إلخ، و لم نظر بعد في جامع روائي على رواية شاملة على قوله عليه السلام: و الله ما فجاني من الموت - إلخ، و إن كان الرّضي في نقله ثقة ثبتنا و كفى بالنهج سنداً أن مثل الرّضي أسنده إلى أمير المؤمنين عليه السلام و لا إحال أنّ من كان عارفاً بمقامه الشامخ و جلاله قدره علما و عملاً أن يتقوه بنسبة الوضع و الاختلاف إليه.

ولا يخفى أن المأخذ التي كانت للرّضي لم يصل إلينا إلاّ نبذة منها، و بعد نقول إنّا لم نظر عليه و عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود و لعلّ الله يحدث

ص: 358

- 
- 1) كذا في مروج الذهب، وفي الكافي و الخطبة المتقدمة، و خف عن الجهلة. منه  
-2) كذا في مروج وفي الكافي و الخطبة المذكورة؛ فانا كنا في أفياء أغصان و ذري رياح و تحت ظل غمامه اضمحل في الجو متلفقها، و عفى في الأرض مخطها، وبين ما في سخة المسعودي و ما في النهج و الكافي يوجد اختلاف كثير، منه.

بعد ذلك أمراً و يوْقَنَا بالظُّفَرِ عَلَيْهِ فَنَذَكِرُهُ فِي شَرْحِ وصِّيَّتِهِ الْأَتِيةِ لِابْنِيهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

على أنَّ ابنَ الْأَثِيرَ فِي لُغَةِ قُرْبٍ مِنِ النَّهَايَةِ قَالَ: الْقَارِبُ: الَّذِي يَطْلُبُ الْمَاءَ وَمِنْهُ حَدِيثٌ عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَا كُنْتُ إِلَّا قَارِبٌ وَرَدٌ، وَ طَالِبٌ وَجْدٌ.

## المعنى

قوله عليه السلام: (و هو لكم حسبة) و من كلامه عليه السلام كما أتى به أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين (ص 74 ج 4 طبع مصر) و سنذكره إن شاء الله تعالى بتمامه في شرح المختار 191 في باب المختار من حكمه عليه السلام: إنما المرء في الدنيا غرض تتضمن فيه المنايا، وهو قوله عليه السلام: فاستقبل المصيبة بالحسنة تستخلف بها نعمى، والحسنة بكسر الحاء إذا كانت عند المكرورات هي البدار إلى طلب الأجر و تحصيله بالتسليم والصبر، اسم من الاحتساب، قال الجوهرى في الصلاح:

احتسب بعدها أجرًا عند الله و الاسم الحسبة بالكسر و هي الأجر و الجمع الحسب، انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية: وفيه (يعنى في الحديث) من صام رمضان إيماناً و احتساباً أى طلباً لوجه الله و ثوابه، و الاحتساب من الحسبة كالاعتداد من العدد؛ وإنما قيل لمن ينرى بعمله وجه الله أحتسبه لأنَّ له حينئذ أن يعتد عمله فجعل في حال مباشرة الفعل كأنَّه معتمد به، و الحسبة اسم من الاحتساب كالعدد من الاعتداد، و الاحتساب في الأعمال الصالحة و عند المكرورات هو البدار إلى طلب الأجر و تحصيله بالتسليم والصبر أو باستماع أنواع البر و القيام بها على الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها، و منه حديث عمر: أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإنَّ من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسنته، و منه الحديث من مات له ولد فاحتسبه أى احتسب الأجر بصيرته على مصيبته يقال: احتسب فلان ابن الله إذا مات كبيراً و افترطه إذا مات صغيراً و معناه اعتد مصيبته في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها.

ولا يخفى على البصیر بأساليب الكلام، والعارف بموقع اللّغة أنّ لكلمة الحسبة بالباء في المقام شأنًا ليس للحسنـة بالنون، والتـشابه بين الكلمتـين أوجـب تصحـيف الأولى بالثـانية، ولم يتعـرض أحد من شـراح النـهج و الكـافـي لهـذه الدـقيقة وإنـما كانت نـسخـهم حـسنـة بالنـون.

قوله عليه السـلام: (إن أـبقـ فـأـنـا ولـيـ دـمـيـ) كانت العـبـارـة عـلـى نـسـخـة الـمـسـعـودـيـ فـي مـرـوـجـ الـذـهـبـ: (إن أـفقـ فـأـنـا ولـيـ دـمـيـ) وـكلـمـة أـفقـ مشـتـقةـ منـ الإـفـاقـةـ أـصـلـهـ منـ فـ وـقـ، قالـ ابنـ الـأـثـيرـ فـي الـنـهاـيـةـ: أـفـاقـ إـذـا رـجـعـ إـلـى ماـ كـانـ قـدـ شـغـلـ عـنـهـ وـعـادـ إـلـى نـفـسـهـ وـمـنـهـ إـفـاقـةـ الـمـرـيـضـ وـالـمـجـنـونـ وـالـمـغـشـىـ عـلـيـهـ وـالـنـائـمـ.

قوله عليه السـلام: (وـإـنـ أـفـنـ فـالـفـنـاءـ مـيـعـادـيـ) وـذـلـكـ لـأـنـ كـلـ نـفـسـ ذـائـقـةـ الـمـوـتـ، وـكـلـ مـنـ عـلـيـهـاـ فـانـ وـلـاـ يـبـقـيـ إـلـاـ وـجـهـ رـيـكـ ذـوـ الـجـلـالـ وـالـإـكـرامـ، وـأـنـ الـمـوـتـ ضـرـورـيـ أـمـرـهـ وـالـوـجـهـ فـيـهـ هـوـ كـمـاـ أـفـادـهـ الـمـحـقـقـ الطـوـسـيـ قـدـسـ سـرـهـ قـالـ: إـنـ السـبـبـ الـمـوـجـبـ لـلـمـوـتـ فـيـ جـمـيعـ الـحـيـوـانـاتـ هـوـ أـنـ الـبـدـلـ الـذـيـ تـورـدـهـ الـغـاذـيـةـ وـإـنـ كـانـ كـافـيـاـ فـيـ قـيـامـهـ بـدـلاـ عـمـاـ يـتـحـلـلـ فـاضـلـاـ عـنـ الـكـفـاـيـةـ بـحـسـبـ الـكـمـيـةـ لـكـنـهـ غـيرـ كـافـ بـحـسـبـ الـكـيـفـيـةـ، وـبـيـانـ ذـلـكـ أـنـ الـرـطـوبـةـ الـغـرـيـزـيـةـ الـأـصـلـيـةـ إـنـمـاـ تـخـمـرـ وـنـضـجـتـ فـيـ أـوـعـيـةـ الـغـذـاءـ أـوـلـاـ، ثـمـ فـيـ أـوـعـيـةـ الـمنـىـ ثـانـيـاـ، ثـمـ فـيـ الـأـرـاحـمـ ثـالـثـاـ؛ وـالـذـيـ تـورـدـهـ الـغـاذـيـةـ لـمـ يـتـخـمـرـ وـلـمـ يـنـضـجـ إـلـاـ فـيـ الـأـوـلـ دونـ الـأـخـيـرـيـنـ فـلـمـ يـكـمـلـ اـمـتـازـجـهـاـ، وـلـمـ يـصـلـ إـلـىـ مـرـتـبـ الـمـبـدـلـ عـنـهـاـ فـلـمـ يـقـمـ مـقـامـهـاـ كـمـاـ يـجـبـ بـلـ صـارـتـ قـوـتهاـ أـنـقـصـ مـنـ قـوـةـ الـأـوـلـيـ وـكـانـ كـمـنـ يـفـقـدـ زـيـتـ سـرـاجـ فـأـورـدـ بـدـلـهـ مـاءـ فـمـاـ دـامـتـ الـكـيـفـيـةـ الـأـوـلـيـ الـأـصـلـيـةـ غـالـبـةـ فـيـ الـمـمـتـرـجـ عـلـىـ الـثـانـيـةـ الـمـكـتـسـبـةـ كـانـتـ الـحـرـارـةـ الـغـرـيـزـيـةـ آخـذـةـ فـيـ زـيـادـةـ الـاشـتـغالـ مـوـرـدـةـ عـلـىـ الـمـمـتـرـجـ أـكـثـرـ مـمـاـ يـتـحـلـلـ فـيـنـمـوـ الـمـمـتـرـجـ، ثـمـ إـذـاـ صـارـتـ مـكـسـوـرـةـ السـوـرـةـ بـظـهـورـ الـكـيـفـيـةـ الـثـانـيـةـ وـقـفـتـ الـحـرـارـةـ الـغـرـيـزـيـةـ وـمـاـ قـدـرـتـ عـلـىـ أـنـ يـوـرـدـ أـكـثـرـ مـمـاـ يـتـحـلـلـ وـإـذـاـ غـلـبـتـ الـثـانـيـةـ اـنـحـطـ الـمـمـتـرـجـ وـهـرـمـ وـضـعـفـتـ الـحـرـارـةـ إـلـىـ أـنـ يـبـقـيـ لـهـ أـثـرـ صـالـحـ الـكـيـفـيـةـ الـأـوـلـيـ فـيـقـعـ الـمـوـتـ ضـرـورـةـ، وـظـهـرـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ الـرـطـوبـةـ الـغـرـيـزـيـةـ الـأـصـلـيـةـ مـنـ أـوـلـ تـكـوـنـهـاـ

آخذه فى النصان بحسب الكيفية، و ذلك هو السبب الموجب لفساد الممترج لا غير فحصل المرام و ذلك ما أردنا بيانه. انتهى.

وقيل بالفارسية:

جان قصد رحيل کرد و گفتمن که مرو گفتا چه کنم خانه فرو می آید

و قال الشيخ العارف السعدي:

چار طبع مخالف سرکش چند روزی بوند با هم خوش

چون یکی زین چهار شد غالب جان شیرین بر آید از قالب

قوله عليه السلام:(وَاللَّهُ مَا فِي جَنَاحِي مِنَ الْمَوْتِ - إِلَخ) و ذلك لأنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وإنّما يكره الموت من تعلق بالدنيا و نسى حظه الأوفر في العقبى وأمّا أولياء الله فهم في الدنيا كمن ليس منها كما قاله عليه السلام في بعض الخطب الماضية؛ ولو لا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب و خوفاً عن العقاب كما ألقاه عليه السلام على همام، وقد أخذ من مأدبه الشيخ الرئيس في قوله في النمط التاسع من الإشارات في مقامات العارفين فكان لهم وهم في جلايب من أبدانهم قد نضوها و تجردوا عنها إلى عالم القدس.

و قال الشيخ العارف السعدي:

از هر چه می رود سخن دوست خوشتراست پیغام آشنا سخن روح پرور است

هرگز وجود حاضر و غائب شنیده ای من در میان جمع و دلم جای دیگر است

ابنای روزگار بصحرا روند و باع صحراء باع زنده دلان کوی دلبر است

ثم عقب عليه السلام كلامه بقوله:«وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» و كأنه بيان العلة في عدم خوفه من الموت وهذا اقتباس من قول الله عز و جل «لِكِنَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تُرْلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» (آل عمران- 199) فقد أشار عليه السلام إلى أنه من الأبرار وأن الآية شاملة عليه، وقد وصف الله الأبرار في عدد مواضع من القرآن الكريم:

«رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفُّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» (آل عمران - 193) «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَسْرُبُونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مِزاجُهَا كافُورًا» (هل أتي - 6)، «إِنَّ

«الْأَبْرَارُ لَفِي نَعِيمٍ» (الأنططار - 14)، «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْيَيْنَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْيَيْنَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشَهَدُهُ الْمُتَرَبُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَصْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنَاً يَشْرَبُ بِهَا» (المطففين).

فمن كان من الأبرار بل قدوتهم وإمامهم وكانت له بعد ارتحاله من سجن الدّنيا تلك المقامات المنيعة الخالدة والدرجات الرفيعة الدائمة فكيف لا يكون مع الموت كقارب ورد و طالب وجد، و حق له أن يقول:

مرگ اگر مرد است گونزد من آی تا در آغوشش بگیرم تنگ تنگ

من از او ملکی ستانم جاودان او ز من دلقی بگیرد رنگ رنگ

ونعم ما نظمه العارف الرّومی فی المثنوی:

چون بلال از ضعف شد همچون هلال رنگ مرگ افتاد بر روی بلال

جفت او دیدش بگفتا وا حرب پس بلالش گفت نی نی وا طرب

تا کنون اندر حرب بودم ز زیست تو چه دانی مرگ چه عیشت و چیست

این همی گفت و رخش در عین گفت نرگس و گلبرگ و لاله می شکفت

تاب رو و چشم پر انوار او می گواهی داد بر گفتار او

گفت جفتش الفراق ای خوش خصال گفت نی نی الوصالست الوصال

گفت جفت امشب غریبی می روی از تبار و خویش غائب می شوی

گفت نی نی بلکه امشب جان من می رسد خوش از غریبی در وطن

گفت ای جان و دلم وا حسرتا گفت نی نی جان من یا دولتا

گفت آن رویت کجا بینیم ما گفت اندر حلقة خاص خدا

گفت ویران گشت این خانه دریغ گفت اندر مه نگر منگر بمیغ

کرد ویران تا کند معمورتر قوم آنبه بود و خانه مختصر

انیا را تنگ آمد این جهان چون شهان رفتند اندر لا مکان

مردگان را این جهان بنمود فرّ ظاهرش رفت و بمعنى تنگتر

روح از ظلم طبیعت باز رست مرد زندانی ز فکر حبس جست

و قد مضى بيان باقى كلامه هذا فى شرح الخطبة المقدّم ذكرها من الشارح الخوئي رحمه الله، وسيأتي فى شرح المختار 77 من هذا الباب  
مباحث متعلقة بالمقام إن شاء الله تعالى.

### الترجمة

از سخنان أمير المؤمنین علیه السّلام که پیشتر از بدرود زندگانی، زمانی که از ضربت پسر ملجم در بستر بیماری افتاده بود بر سیل  
وصیت فرموده است:

وصیتیم بشما این است که چیز را همتای خدا ندانید (شرک بخدا نیاورید) و سنت پیمبر را تباہ نکنید، و این دو ستون دین را که توحید و  
حفظ سنت پیمبر است بر پا بدارید، از شما نکوهش دور باد - من دیروز یار شما بودم و امروز مایه پند برای شما و فردا از شما جدا میشوم،  
اگر از بیماری نجات یافتم و در این جهان باقی ماندم من خود ولی خونم می باشم و اگر نماندم مرگ میعاد من است، اگر قاتلم را عفو کنم  
پس عفو برای من موجب قربت است و برای شما موجب پیشگیری بطلب أجر و تحصیل آن بتسلیم و صبر است<sup>(1)</sup> پس عفو کنید آیا  
دوست ندارید که خدا شما را بیامرزد؟ بخدا قسم از پیش آمد مرگ واردی که آنرا ناخوش داشته باشم بمن روی نیاورد، و چیزی که آنرا بد  
داشته باشم بر من ظاهر نشد، و نیستم من مگر چون جویای آب که باب برسد، و چون طالبی که مطلوبش را یافته است و آنچه که نزد خدا  
است بهتر است برای نیکوکاران.

ص:363

-1) شرح و مترجمین نهج البلاغة همه عبارت نهج را چنین نقل کرده اند: و هو لكم حسنة، و این گونه ترجمه کرده اند که: آن برای  
شما نیکوکاری و مثبت است ولی نسخه رضی همان است که در متن اختیار کردیم که حسبة بود و ترجمة ما مطابق نسخه رضی است و  
همین با مقام مناسب است.

سیّد رضی گوید: که پاره از این گفتار در باب خطب گذشت، جز این که در اینجا کلامی بیشتر بود که در پیش نیاوردیم از این روی تکرار آن واجب شد.

## و من وصیة له عليه الصلاة والسلام بما يعمل في

### اشارة

أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين.

وكلامه هذا هو المختار الرابع والعشرون من باب كتبه عليه السلام و رسائله:

هذا ما أمر به عبد الله على بن أبي طالب في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة، ويعطيه به الأمانة. منها: و إلهي يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف، فإن حدث بحسن حدث وحسين حتى قام بالأمر بعده وأصدره مصدره.

وإنّ لابني فاطمة من صدقة على مثل الذي لبني على.

وإنّما إنّما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة إلى رسول الله، وتكريماً لحرمنته، وتشرييفاً لوصلته. ويشرط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله وينفق من ثمره حيث أمر به، وهدى له؛ وأن لا يبيع من أولاد نخيل

هذه القرى وديّة حتّى تشكل أرضها غراساً. ومن كان من إمائى اللّاتى أطوف عليهم لها ولد أو هى حامل فتمسّك على ولدها وهى من حظّه فإن مات ولدها وهى حيّة فهى عتقة قد أفرج عنها الرّق، وحررها العتق. قال الرّضي رضوان الله عليه: قوله عليه السّلام فى هذه الوصيّة: «وَالْأَبْيَعُ مِنْ نَخْلِهَا وَدِيَّة» فإنّ الوديّة الفسيلة وجمعها ودى. وقوله عليه السّلام: «حتّى تشكل أرضها غراساً» هو من أفصح الكلام والمراد به أنّ الأرض يكثر فيها غراس النخل حتّى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها به فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها. انتهى.

### المصدر و نقل الوصيّة على صورتها الكاملة

رواهما ثقة الاسلام الكليني قدس سره في كتاب الوصايا من الجامع الكافي (ص 247 من الطبع الحجري، باب 35 من كتاب الوصايا) عن أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرحمن بن الحجاج.

وشيخ الطائفة الطوسي قدس سره في كتاب الوقوف من التهذيب (ص 319 من الطبع على الحجر) عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن عبد الرحمن بن الحجاج وبينهما اختلاف في الجملة ودونك الوصيّة على نسخة الكافي قال عبد الرحمن ابن الحجاج: بعث إلى أبو الحسن عليه السلام بوصيّة أمير المؤمنين عليه السلام وهي:

ص: 365

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به في ماله عبد الله على ابتغاء وجه الله ليدخلني [\(1\)](#) به الجنة و يصرفني به عن النار، ويصرف النار عنّي «يَوْمَ تَبَيَّنُ صُرُوحَةٌ وَجُوهٌ وَتَسْوِدُّ وُجُوهٌ».

انه ما كان لى من مال بينبع يعرف لى فيها و ما حولها صدقة، و رقيقها غير أن رباحا، و أبا نيزر، و جبيرا عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل فهم موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم و رزقهم وأرزاق أهاليهم. ومع ذلك ما كان لى بوادي القرى كله من مال لبني فاطمة و رقيقها صدقة، و ما كان لى بديمة و أهلها صدقة غير أن زريقا له مثل ما كتبت لاصحابه، و ما كان لى بادنية و أهلها صدقة، و الفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله.

وان الذي كتبت من موالي هذه صدقة واجبة بتلة حيا أنا أو مينا ينفق في كل نفقة يبتغي بها وجه الله في سبيل الله، ووجهه وذوى الرحم من بنى هاشم وبنى المطلب و القريب و البعيد فإنه يقوم على ذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف وينفقه حيث يراه الله عز وجل في حل محل لا حرج عليه فيه فإن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضى به الدين فليفعل إن شاء ولا حرج عليه فيه، وإن شاء جعله سرى الملك.

وان ولد على ومواليهم وأموالهم إلى الحسن بن علي بن وإن كانت دار الحسن ابن على غير دار الصدقة فبداله أن يبيعها فليبيع إن شاء لا حرج عليه فيه، وإن باع فإنه يقسم ثمنها ثلاثة أثلاث: فيجعل ثلثها في سبيل الله، و يجعل ثلثا في بنى هاشم وبنى المطلب، و يجعل الثلث في آل أبي طالب، وانه يضعه فيهم حيث يراه الله، وإن حدث بحسن حدث وحسين حتى فإنه إلى حسين بن علي.

وان حسينا يفعل فيه مثل الذي أمرت به حسنا له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن.

ص: 366

---

-1-(1) ليولجنى كما فى التهذيب.

وَانَّ لِبْنَى ابْنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلَىٰ مُثْلَ الَّذِي لِبْنَى عَلَىٰ وَإِنَّمَا جَعَلَتِ الَّذِي جَعَلَتِ لِبْنَى فَاطِمَةَ ابْتِغَاءً وَاللَّهُ أَعْزَ وَجْلٌ وَتَكْرِيمٌ حَرَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَعْظِيمَهَا وَتَشْرِيفَهَا وَرَضَاهَا، وَإِنْ حَدَثَ بِحَسْنٍ وَحَسْنَيْنِ حَدَثَ فَإِنَّ الْآخَرَ مِنْهُمَا يُنْظَرُ فِي بَنْيِ عَلَىٰ فَانْ وَجَدَ فِيهِمْ مَنْ يَرْضِي بِهِدَاهُ وَإِسْلَامَهُ وَأَمَانَتَهُ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ، وَإِنْ لَمْ يَرْفِيَهُمْ بَعْضُ الَّذِي يَرِيدُهُ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِيهِ طَالِبٍ يَرْضِي بِهِ، فَإِنْ وَجَدَ آلَ أَبِيهِ طَالِبًا قَدْ ذَهَبَ كِبَرَاؤُهُمْ وَذُورَأُهُمْ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ إِلَى رَجُلٍ يَرْضِيَهُ مِنْ بَنْيِ هَاشِمٍ.

وَانَّهُ يُشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَرَكَ الْمَالَ عَلَى أَصْوَلِهِ وَيَنْفَقْ ثُمَرَهُ حِيثُ أَمْرَتَهُ بِهِ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَوَجْهِهِ وَذُو الرِّحْمَةِ مِنْ بَنْيِ هَاشِمٍ وَبَنْيِ الْمَطَّلِبِ وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، لَا يَبْاعُ مِنْهُ شَيْءٍ وَلَا يَوْهَبُ وَلَا يَوْرُثُ.

وَانَّ مَالَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَىٰ عَلَىٰ نَاحِيَةٍ وَهُوَ إِلَى بَنِي فَاطِمَةَ.

وَانَّ رَقِيقَى الَّذِينَ فِي صَحِيفَةِ صَغِيرَةِ الَّتِي كَتَبَتْ لِي عَنْقَاءَ.

هَذَا مَا قُضِيَّ بِهِ عَلَىٰ بْنِ أَبِيهِ طَالِبٍ فِي أَمْوَالِهِ هَذِهِ الْغَدَرِ مِنْ يَوْمِ قَدْمِ مَسْكِنِ ابْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَنُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ وَلَا يَجِدُ لَأْمَرِيْءَ مُسْلِمًا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَقُولُ فِي شَيْءٍ قُضِيَّتِهِ مِنْ مَالِيْهِ وَلَا يَخَالِفُ فِيهِ أَمْرِيْهِ مِنْ قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ وَلَائِدَى الْلَّاتِى أَطْوَفَ عَلَيْهِنَّ السَّبْعَةَ عَشَرَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتُ أُولَادِ مَعْهِنَّ أُولَادَ دَهْنَ، وَمِنْهُنَّ حَبَالِيُّ، وَمِنْهُنَّ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ فَقَضَائِيَ فِيهِنَّ إِنْ حَدَثَ بِى حَدَثَ أَنَّهُ مِنْ كَانَ مِنْهُنَّ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ وَلَيْسَ بِحَبْلِي فَهُى عَتِيقٌ لَوْجَهِ اللَّهِ أَعْزَ وَجْلٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِنَّ سَبِيلٌ، وَمِنْ كَانَ مِنْهُنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ حَبْلِي فَتَمْسِكٌ عَلَى وَلَدَهَا وَهِى مِنْ حَظَّهِ (حَصَّةٌ تِهٌ - خَلٌ) فَإِنْ مَاتَ وَلَدَهَا وَهِى حَيَّةٌ فَهُى عَتِيقٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَيْهَا سَبِيلٌ، هَذَا مَا قُضِيَّ بِهِ عَلَىٰ فِي مَالِهِ الْغَدَرِ مِنْ يَوْمِ قَدْمِ مَسْكِنِ شَهَدِ أَبُو سَمْرَةَ بْنِ أَبْرَهَةِ وَصَعْصَعَةَ بْنِ صَوْحَانَ وَيَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ وَهَيَّاجَ بْنِ أَبِيهِ هَيَّاجٍ وَكَتَبَ عَلَىٰ بْنِ أَبِيهِ طَالِبٍ بِيَدِهِ لِعَشْرِ خَلُونَ مِنْ جَمَادِيِّ الْأَوَّلِ سَنَةَ سِبْعَ (تَسْعَ - خَلٌ) وَثَلَاثِينَ.

(ليولجه) أى ليدخله، و منه الولجة بالتحريك موضع أو كهف تستر فيه الماء من مطر وغيره.

(الابغاء): الطلب، قال الجوهرى فى الصحاح: اباغيت الشيء و تبغيته إذا طلبته وبغيته (حدث) بالتحريك (حدث): الحادث.

(أصدره مصدره) يصح المصدر بفتح الميم و ضمه معا، و الفتح أصح و اختاره الرضي رضوان الله عليه، كما في النسخة التي قوبلت على نسخته، ففي الصحاح: أصدرته فصدر أى رجعته فرجع، والموضع مصدر و منه مصادر الأفعال.

(الوصلة) بالضم: الصلة و القرابة.

وفيه (الودى) على فعال صغار الفسائل، الواحدة و دية، و الفسيلة و الفسيل على فعيلة و فعال صغار النخل و الجمع الفسلان، انتهى، و في العبارة كنایة حسنة عن النخيلات التي تبنت من النوى تحت أشجار النخل، أو تبنت من أصولها، و كان حملها على ما تبنت من أصولها أولى و أنساب.

(تشكل) قال ابن الأثير في النهاية: وفي وصيّة على عليه السلام: «وأن لا يبيع من أولاد نخل هذه القرى وديّة حتى تشكل أرضها غراسا» أى حتى يكثر غراس النخل فيها فيراها الناظر على غير الصفة التي عرفها به فيشكل عليه أمرها. انتهى.

وقال الكسائي: أشكال النخل طاب رطبه وأشكال العنبر أينع بعضه.

(الغراس) بالكسر: فصيل النخل، ويقال للنخلة أول ما ينبع غريسة، ويقال: للجلدة الرقيقة التي تخرج مع الولد إذا خرج من بطن امه غرس بالكسر.

(قد أفرج عنها الرق) كلمة أفرج مشكولة في أكثر النسخ المطبوعة و شروحها بضم الهمزة و كسر الراء و لكنها في نسخة الرضي بفتحهما و لذا اختناه في المتن و هذا هو الصحيح ففي الصحاح للجوهرى: أفرج الناس عن طريقه أى انكشفوا.

(ابتغاء) منصوب في كلا الموصعين لأنّه مفعول له للفعلين: أمر و جعلت و كلّ واحد من قربة و تكريما و تشريفا منصوب معطوف على الابتغاء الثاني مفعول له.

(ليوجه) منصوب بأن الناصبة المقدرة، و يعطيه منصوب معطوف على يوج، و ضمير الفعلين يرجع إليه عليه السلام، و في بعض النسخ من المخطوطة وغيرها ليوجهني و يعطيني فيه التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلّم و ما في المتن مطابق لنسخة الرضى و مختاره، و ضمير به في كلا الموصعين الآخرين يصح أن يرجع إلى ما كالاول أو إلى الابتغاء.

(يأكل منه بالمعروف) حال للحسن عليه السلام فان الجملة الفعلية إذا كانت مبدوءة بمضارع مثبت بدون قد فلا بد من ضمير رابط وحده أو معها فمع الواو، والواو كما نحن فيه، و الثانية كقوله تعالى: «لَمْ تُؤْذِنَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ».

(ويتفق) معطوف على يأكل.

(و حسين حى) جملة اسمية حالية و الرابط هو الواو، (قام) جواب إن، (أصدر) عطف على قام، و الضميران في أصدره و مصدره يرجعان إلى الأمر، (مثل) منصوب اسم لأن (لابنى) ظرف مستقر خبر لها.

الظاهر أن ضمير (يشترط) يرجع إلى الأمير عليه السلام غاية الأمر لأنّ في الكلام التفاتا من التكلّم إلى الغيبة، أو عطف على أمر به فلا يلزم التفات و يؤيّده ما في النسخة التي نقلها من الآيات بالفعل الماضي: و آنه شرط، و جاز أن يرجع إلى الإمام الحسن عليه السلام بقرينة يقوم و يأكل أو إلى الإمام الحسين عليه السلام فاته أقرب المراجع أو آنه راجع إلى من يتفرض الأمور إليه خلفا بعد سلف، ولكن الصواب هو الأول كما يدل عليه اسلوب الكلام و صورة الوصيّة.

جملة (أن يترك) مفعول يشترط، وينقى عطف على يترك، وأن لا يبع عطف على أن يترك.

(تشكل) منصوب بأن الناصبة المقدّرة وجوباً، (أرضها) مرفوعة على الفاعلية لتشكل، (غراساً) منصوب على التميز، من موصول اسمى يستوى فيه المذكر والمؤنث من جارة بيانية لمن، (لها ولد) حال للإماء وكذلك جملة هي حامل، ولم يقل حاملة لكونها صفة خاصة للاشيء، فتمسك خبر الموصول الاسمي وقد دريت في المباحث السابقة أنّ الفاء يدخل في خبر الموصول الاسمي في عدة مواضع وهذا منها وهي من حظّه حالياً لضمير تمسك، وهي حيّة أيضاً حال لها، فهي عتيقة جواب إن، وادخل الفاء لكون الجملة اسمية، (قد أفرج صفة للعتيقة لكونها نكرة وكذلك التالية.

## المعنى

هذه الوصيّة قد رويت في الجواجم الروائية بصورة مختلفة في الجملة ولعلنا نأتي بها ونبينها مع ذكر مصادرها وأسانيدها في شرح وصيّته الآتية للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم، كما وعدناه في شرح المختار المقدّم وما أتى بها الرضي رضوان الله عليه ملقط منها كما هو دأبه وعناته في كلام الأمير عليه السلام.

واعلم أنّ جميع وصاياه عليه السلام لأولاده وبما يعمل في أمواله على ما استقصيناها إنّما هي كانت بعد منصرفه من صفين، وذلك لما كان يعلم من دتوّ شهادته، ولعلّك تقول إن كان علم الإمام في زعمك على هذا المنوال فلم قال عليه السلام: «إإن حدث بحسن حدث وحسين حيّ» ولم يجزم بما هو آت وجار في مستقبل الزمان؟ قلت:

إنّه عليه السلام تكلّم بما هو متعارف الناس في محاوراتهم وقد مضى بحثنا عن طور علم الإمام في المجلد الخامس عشر في شرح قوله عليه السلام: «فجعلت أتبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فأطأ ذكره حتى انتهيت إلى العرج» على أنه يأتي البحث عن

ذلك في شرح الوصية الآتية زيادة إيضاح في ذلك إن شاء الله تعالى.

قوله عليه السلام: (يأكل منه بالمعروف - إلخ) لعل كلامه هذا الدفع ما عسى يتوهّم من أن هذه الصدقة حرام على الحسن بن علي عليهما السلام كالزكاة فقال عليه السلام:

أنه يأكل منها بالمعروف وينفق منها بالمعروف فإنها مال أبيه وقف عليه قوله عليه السلام:

«فان حديث بحسن حدث» أى إن أدركه الموت بقرينة قوله: وحسين حى.

قوله: (وإن لابنی فاطمة من صدقة - اه) يعني أنهم فيها شرع واحد، لا تختص بعض دون بعض ولا مزية لابنی فاطمة في منافعها على غيرهما؛ نعم إنما جعلت القيام بذلك أى من يتولى أمرها ويتصدّى عليها إلىهما بتلك الوجوه الأربع من ابتغاء وجه الله - إلخ، أو المراد منه دفع التوهّم المتقدّم.

قال الشارح المعتزلی: ثم بين لما ذا خصّ بهما بالولاية؟ فقال: إنما فعلت ذلك بشرفهمما برسول الله صلى الله عليه وآله فتقرّبت إلى رسول الله بأن جعلت لسبطيه هذه الرئاسة وفي هذا رمز وإزاء بمن صرف الأمر عن أهل بيته رسول الله صلى الله عليه وآله مع وجود من يصلح للأمر أى كان الألين بال المسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهله قرابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكريماً لحرمه وطاعة له وأنفة لقدره صلى الله عليه وآله أن تكون ورثته سوقة يليهم الأجانب ومن ليس من شجرته وأصله، ألا ترى أن هيبة الرسالة والنبوة في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النبوة، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال في نفوس الناس للنبيّة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدّعوة عليه السلام، انتهى، ونعم ما قال.

وكان لأمير المؤمنين عليه السلام فيهما شأن خاص وقدّر تامّ وزيد اهتمام وزياحة عناية يخصّهما بها دون سائر بناته تشريفاً لوصلة رسول الله صلى الله عليه وآله وتبنيها وأعلاماً بمقامهما الشامخ ومتزلّتهما السامية حتى أنه عليه السلام كان يضيّن بهما على الحرب والقتال لئلا ينقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة فإنّ نسله من الحسن والحسين وتسعة من أولاد الحسين بعد أبيهم أبي الأئمة على عليه السلام هم حجّاج الله تعالى واحداً بعد واحداً على عباده ولم تخل الأرض من حجّة لله على عباده قطّ ولا يخرج

الحجّة من بيت النبّوة قطّ، وقد روى نصر بن مزاحم في أواخر صفين عن عبد الرحمن بن جنبد قال: لما أقبل على عليه السلام من صفين أقبلنا معه فأخذ طريقة غير طريقنا الذي أقبلنا فيه، ثمّ أخذ بنا طريق البر على شاطئ الفرات حتّى انتهينا إلى هيـت وأخذنا على صندوـدا فبات بها ثمّ غدا وأقبلنا معه حتّى جزنا النــخلية ورأينا بيـوت الكوفـة - إلى أن قال: ثمّ مضى غير بعيد فلقيـه عبد الله بن وديـعة الأنــصارـي فــدنــى منه وسأــله فقال: ما سمعــت النــاســ يقولــون في أمرــنا هــذا؟ قال:

منهم المعجب به، ومنهم الكاره له؛ والنّاس كما قال الله تعالى: «وَ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» فقال له: فما يقول ذوو الرأي؟ قال: يقولون: إنّ علياً كان له جمع عظيم ففرقه، و حصن حصين فهدمه و حتّى متى يبني مثل ما قد هدم، و حتّى متى يجمع مثل ما قد فرق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتّى يظهره الله أو يهلك إذا كان ذلك هو الحزم.

قال عليه السلام: أنا هدمت أم هم هدموا؟ أم أنا فرقت أم هم فرقوا؟ وأما قولهم: لو أنه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان هو الحزن، فهو الله ما غفلت عن ذلك الرأي وإن كنت سخن النفس بالدنيا طيب النفس بالموت وقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدماني فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا ولو علمت أن هؤلاء مكاني لم يستقدر ما - يعني بذلك أبنيه الحسن والحسين - وأيم الله لئن لقيتهم بعد يوم لقيتهم وليس هما معى في عسكر ولا دار.

قوله عليه السّلام: (و يشترط - إلخ) شرط عليه السلام على من يفوّض الأمر إليه و يتولّ أمور أموال الصدقة شرطين: الأول أن لا يبيعها و لا يوهبها و لا يتصرف فيها تصرفات أخرى تخرجها عن أصلها بل يتركها على أصلها و ينفق ثمنها حيث أمره الله من سبيل الله و وجوهه و ذوى الرحم من بنى هاشم و بنى المطلب و القریب و البعيد فان الوقف تحبيس الأصل و تسبييل الشمرة.

والثاني أن لا يبيع من صغار النخيل ما لم يكثر غراسها و ذلك لأن الحاجة ربما تسوق إليها بحدوث آفة في النخيل فتغرس الفسيلة مكانها أو لأن قلع الفسلان مالم تكثرن النخيل ولم تكامل بعد يضرها بخلاف ما إذا بلغت إلى حد تشكيل أرضها غراسا، سيما إذا قلنا أن المراد من أولاد النخيل وفصيلتها وغراسها نخيلات تنبت من أصولها كما هو الظاهر من العبارة، لا ما تنبت من النوع، أو لأن النخيل قبل أن تشكل أرضها غراسا مظنة للفساد من حيث قلتها وعدم التفافها، وإذا كثرت وكثفت والتفت لا سلط عليها آفات من البرد والحر وجدب ونحوها ولا تضرها عندئذ قلع الفسلان.

قوله عليه السلام: (و من كان من إمائى -إلخ) الطواف عليهم كنایة عن غشيانهنّ أي نکاحهنّ يعني أن الأمة التي لها ولد منيّ كسائر الإماماء من التركية فمن كان من إمائى الالاتيلها ولد منيّ، أو هي حامل منيّ فهي تتعلق بولدها لا يجوز لسائر الورثة التصرف فيها مطلقا كما تدل عليه قوله عليه السّـلام لامفتمسـك على ولدهـا، فإذا صارت من ميراث ولدهـا من تركـتـي تقوـم و تبـاع على الـولد فـتحرـرـ قـهـراـ لأنـ الـولدـ لاـ يـملـكـ العمودـينـ وـ متـىـ مـلكـهـماـ عـنـقـاـ وـ لاـ يـحـتـاجـ فـيـ ذـلـكـ إـلـىـ عـتـقـ الـولـدـ كـمـاـ تـحـكـمـ بـهـ الرـوـاـيـاتـ الـوارـدـةـ عـنـهـمـ عـلـيـهـمـ الســلاـمـ فـيـ الـبـابـنـقلـهـاـ وـ الـبـحـثـ عـنـهـاـ يـجـرـنـاـ إـلـىـ الـأـطـنـابـ وـ الـخـرـوجـ عـنـ مـوـضـعـ الـكـتـابـ وـ كـلـامـهـ هـذـاـ صـرـيـعـ فـيـ أـنـ اـمـ الـولـدـ لـاـ تـحـرـرـ بـمـجـرـدـ مـوـتـ مـوـلـاـهـاـ الـمـسـتـوـلـدـ بـلـ تـنـعـقـ مـنـ نـصـيـبـ وـلـدـهـاـ مـنـ تـرـكـةـ أـيـهـ،ـ وـ هـذـاـ مـنـ مـذـهـبـنـاـ إـلـيـمـامـيـةـ،ـ وـ لـلـعـامـةـ فـيـهـاـ اـخـتـلـافـ.

قوله عليه الســلامـ: (فـانـ مـاتـ وـلـدـهـاـ -ـإـلـخـ) وـ اـعـلـمـ أـنـ اـمـ الـولـدـ قـبـلـ مـوـتـ مـوـلـاـهـاـ الـمـسـتـوـلـدـ مـمـلـوـكـةـ لـهـ لـاـ تـخـرـجـ بـمـجـرـدـ صـيـرـورـتـهـاـ اـمـ الـولـدـ عـنـ الرـقـيـةـ وـ يـجـوزـ لـهـ التـصـرـفـ فـيـهـ بـمـاـ شـاءـ مـنـ وـطـيـهـاـ وـ اـسـتـخـدـامـهـاـ وـ عـنـقـهـاـ فـيـ كـفـارـةـ وـ غـيـرـهـاـ سـوـىـ التـصـرـفـ الـذـيـ يـخـرـجـهـاـ عـنـ مـلـكـهـ بـغـيـرـ العـقـ فلا يـجـوزـ لـهـ بـيـعـهـاـ وـ لـاـ هـبـتـهـاـ وـ لـاـ نـحـوـهـمـ مـنـ النـاقـلـاتـ،ـ ثـمـ إـنـ مـاتـ وـلـدـهـاـ قـبـلـ مـوـتـ مـوـلـاـهـاـ رـجـعـتـ طـلـقاـ فـتـعـودـ إـلـىـ حـكـمـهـاـ

الأول الذي كان لغير أم ولد فيجوز لモلاها التصرف فيها مطلقاً، وإن مات ولدها بعد موتها ولو كانت حياتها برهة قليلة من الزمان كما أنها كانت حاملاً به ووضعته حياً ومات بعد ساعة فحكمها حكم أم الولد التي قد دريت أنها أنها تجعل من حظه من تركة أبيه وتعنق عليه لا أنها ترجع بموته حيث إن طلقا كالصورة المتقدمة حتى تعود مملوكة إلى الورثة نعم إن ولدته ميتاً بعد موتها سقطاً كان أو غير سقط فلا يصدق به أنها أم ولد وأن ولدها مات.

فنقول: إنه عليه السلام أراد بقوله فإن مات ولدها وهي حية فهو يتوجه بأن أم الولد إذا مات ولدها بعد موتها مولاها سيما إذا كانت حاملاً به ووضعته بعد موتها مولاها ثم مات ترجع طلقاً كما إذا مات في حياته فقال عليه السلام: ليس حكمها في هذه الحالة كالصورة المتقدمة بل إنها عتيقة قد أفرج عنها الرّق وحررها العتق وذكر الفعلين على هيئة الماضي إشارة لطيفة إلى أنها كانت عتيقة منذ موتها فتأمل (١)، وفي ما أشرنا إليها أحكام أخرى خاصة ومباحث فقهية تطلب في الكتب الفقهية.

ثم إن في أصل الوصيّة موقع للبحث عن مسائل فقهية وغيرها أعرضنا عنه خوفاً للإطالة ولعلنا نأتي بطاقة منها في شروحوصايا الآية ونكتفي الان ببيان بعض اللغات والعبارات:

(ينبع): قال في القاموس: ينبع كينصر حصن له عيون ونخيل وزرع بطريق حاج مصر، وقال ياقوت في معجم البلدان: ينبع بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضبوطة وعين مهملة بلفظ ينبع الماء قال عرّام بن الأصبغ السلمي هي عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على

ص: 374

---

- (١) وجه التأمل أن هذه الاشارة تقيد إذا كانت هي ذات ولد عند موتها وأما إذا كانت حاملاً عندئذ فلا وان لم تكن رقا محضاً. نعم ان حمل الفعلين على تأكيد الحكم وتشديده فالإشارة تشملهما. منه.

ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل وهى لبني حسن بن على و كان يسكنها الأنصار و جهينه و ليث و فيها عيون عذاب غزيرة و واديهما يليل وبها منبر و هى قرية غناء و واديها يصب فى غيقة، وقال غيره: ينبع حصن به نخيل و ماء و زرع وبها وقوف لعلى بن أبي طالب عليه السّلام يتولاها ولده، وقال ابن دريد: ينبع بين مكّة والمدينة، وقال غيره: ينبع من أرض تهامة غزاها النبي صلّى الله عليه وآله فلم يلق كيدا و هى قرية من طريق الحاج الشامي أخذ اسمه من الفعل المضارع لكثرة ينبعها، وقال الشريف بن سلمة بن عيّاش الينبعى: عدلت بها مائة و سبعين عينا، وعن جعفر ابن محمد عليهما السّلام قال: أقطع النبي صلّى الله عليه وآله علّيّا عليه السّلام أربع أرضين الفقيران و بيرقيس والشجرة وأقطع عمر ينبع وأضاف إليها غيرها انتهى ما في المعجم.

(حجج) أى سنوات جمع الحجّة أى السنة، (بديمة) وفي التهذيب: بدعة و هى بالعين المهمّلة عين قريب المدينة، (غير أن زريقا له مثل ما كتبت لأصحابه) وفي التهذيب: غير أن رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم، وفي أول كتاب الوقوف من التهذيب بإسناده عن ربيعى بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: تصدق أمير المؤمنين عليه السّلام بدار له بالمدينة فى بنى زريق فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به على بن أبي طالب وهو حى سوى تصدق بداره الآتى فى بنى زريق صدقة لاتباع ولا توہب حتى يرثها الله الذى يرث السموات والأرض، وأسكن هذه الصدقة حالاته ما عشن وعاش عقبهن فإذا انقرضوا فهي لذوى الحاجة من المسلمين، انتهى، وبنى زريق بالتصغير بطن من الأنصار (بادئي) وفي التهذيب:

بأدئنة.

(والفقيرين كما قد علمتم) وفي التهذيب: القصيرة كما قد علمتم، وقال المجلسى رحمة الله في كتاب الوصايا من مرآة العقول (ص 135 ج 4 من الطبع الحجرى) قوله عليه السّلام: العفترتين، وفي بعض النسخ الفقيرتين، وفي بعضها الفقرتين قال في تاريخ المدينة: موضعان بالمدينة يقال لهما الفقران، عن جعفر الصادق عليه السّلام

ص: 375

أقطع النبيّ صلّى الله عليه وَآلِهِ عَلِيهِ السَّلَامُ أربع أرضين الفقرين وبئر قيس والشجرة، وقال:

الفقير اسم حديقة بالعالية قرب بنى قريطة من صدقة علىّ بن أبي طالب عليه السّلام، قال ابن شبه في كتاب علىّ عليه السّلام: الفقير لى كما قد علمتم صدقة في سبيل الله؛ وأهل المدينة ينطرون مفرداً مصغراً. انتهى ما في المرأة.

(واجبة بتلة) بتقديم الباء، قال في القاموس: صدقة بتلة منقطعة عن صاحبها (سرى الملك) السرى، النفيس والشريف، وفي نسخة التهذيب: شراء الملك (ولد علىّ) جمع الولد كاسد وأسد.

قوله عليه السّلام: (فلبيع إن شاء لا - حرج عليه) قال في مرآة العقول: ظاهره جواز اشتراط بيع الوقف متى شاء الموقوف عليه وهو خلاف ما هو المقطوع به في كلام الأصحاب إلا أن يحمل على أنه عليه السّلام إنما وهبها لهما وكتب الوقف لنوع من المصلحة قال: قال في الدروس: لو شرط بيده متى شاء أو هبته أو نقله بوجه من وجوه التملّك بطل.

قوله عليه السّلام (وإن حدث بحسن وحسين حدث - إلى قوله: يرضي به) وفي التهذيب: وإن حدث بحسن وحسين حدث فإن الآخر منهما ينظر في بنى علىّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه (بهداه - خ ل) وإسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إن شاء وإن لم يرض فيهم بعض الذي يريد فاته في بنى فاطمة فإن وجد فيهم من يرضى بهديه وإسلامه وأمانته فاته يجعله إليه إن شاء وإن لم يرض فيهم بعض الذي يريد فاته يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضي به.

قوله عليه السّلام: (وإن مال محمد بن علىّ على ناحية) قال بعض شراح الحديث:

يمكن أن يقرأ أن مشددة ويكون المراد أن مال محمد ابن الحنفية ليس داخلاً فيما سبق من أن ولد علىّ وأموالهم إلى الحسن، ولعله عليه السّلام علم أنه لم يتابع الحسن كباقي أولاده، أو أنه لا يحتاج إلى معاونة الحسن لرشده وكمال عقله، ويمكن أن يقرأ إن المخففة ويكون المراد أن الأمر إلى الحسن وحسين عليهم السلام في جميع ما سبق وإن مال محمد ابن الحنفية إلى جانب ولم يرض بذلك. قوله: وهو إلى ابني

فاطمة أى النظر فى الامور المذكورة إليهما و هو تأكيد لما سبق و الله اعلم، انتهى كلامه.

قوله عليه السلام: (كتبت لى عتقاء) وفى التهذيب: كتبت عتقاء، بدون كلمة لى (مسكن) بكسر الكاف موضع من أرض الكوفة، كما فى الصحاح، و قوله عليه السلام:

(هذا ما قضى به علىٰ فى ماله الغد من يوم قدم مسكن) يعني أن ذلك كان فى غد من يوم ورودنا وقدومنا الموضع الذى يقال له مسكن، أرخ الكتابة و ذكر الشهور و سائر الخصوصيات لأنها توجب زيادة الوثوق بها.

قوله عليه السلام: (أبو شمر) فى نسخة الكافى كان بالسين المهملة، وفى التهذيب بالمعجمة، وقال فى مرآة العقول: قال ابن حجر فى التقريب فى حرف الشين المعجمة: أبو شمر بكسر أوله و سكون الميم الضبعى المصرى.

وليعلم أنّ فى العتق فضلاً كثيراً و ثواباً جزيلاً، و الشارع تعالى جعل لعتق العبيد و الإمام أسباباً عديدة لكي يخرج عباد الله عن الرقية و يكونوا أحراراً، منها: التدبیر، و منها المكاتبة بقسميهما، و منها العتق في كفارة، و منها التحرير و هذه الأقسام تعمّهم، و منها ما يخصّ الإمام و هو صير و تهنّ أمّهات أولاد.

وقد قال الله تعالى: «فَلَا افْتَحْمَ الْعَقَبَةَ وَ مَا اَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُرَبَةٌ» - الآية، وقد روى شيخ الطائفة في أول كتاب العتق من التهذيب بإسناده عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام آن قال في الرجل: يعتق المملوك قال: يعتق الله بكلّ عضو منه عضواً من النار، وقال: يستحب للرجل أن يتقرب عشيّة عرفة و يوم عرفة بالعتق و صدقة.

و بإسناده عن زرار، عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

من أعتق مسلماً أعتق الله العزيز الجبار بكلّ عضو منه عضواً من النار.

و بإسناده عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

من أعتق مؤمناً أعتق الله العزيز الجبار بكلّ عضو له (منه - خ ل) عضواً من النار

فإن كانت انتى أعتقد الله العزيز الجبار بكلّ عضوين منها عضوا من النّار لأنّ المرأة نصف الرّجل، وغيرها من النصوص المرويّة في الجماعة الروائية من الفريقين.

## الترجمة

از جمله وصیت امیر المؤمنین - علیه الصلاة و السلام - است به آن چه که در اموال او عمل شود، و این وصیت را بعد از برگشتن از جنگ صفیین فرموده است:

این است آنچه که بنده خدا علی بن ابی طالب در مال خود برای طلب وجه الله فرموده و حکم کرده است تا خداوند وی را بدین کار ببهشت برد، و امن و آسایش بخشد.

از جمله آن وصیت این که: حسن بن علی باید متصدّی آن باشد وبمضمون وقف عمل نماید، از آن بوجه پسندیده و مطابق دستور شرع بخورد و ببخشد، پس اگر برای حسن پدیده مرگ پیش آمد و حسین زنده است باید حسین مانند او بانجام کار آن قیام کند و تولیت را در عهده بگیرد، و همانا که برای این دو فرزند فاطمه (حسن و حسین) از مال وقف علی مثل آن چیزیست که برای دیگران فرزندان علی است - یعنی باید همه از آن بهره ببرند نه این که چون صدقه و زکاة بر حسن و حسین حرام باشد و یا آن دورا بر دیگری مزیتی از این حیث باشد - و همانا که تولیت و تصدّی وقف را بدو فرزند فاطمه از جهت طلب وجه الله، و تقرّب برسول خدا، و گرامی داشتن حرمت او، و بزرگ داشت و تشریف به وصلت او قرار داده ام، و آنکه تولیت را عهده دار است باید که اصل مال را بهیچ وجه منتقل نسازد و آنرا بهمانطور باقی بگذارد و در آمد و ثمرة آنرا مطابق دستور مصرف کند، و باید که أولاد نخل را (نهالهای ریزی که از ریشه درختهای بزرگ یا از هسته خرما می روید) نفوشند تا این که درختها بزرگ و انبوه شوند بحدّی که کثرت اشجار سبب اشتباه و عدم معرفت

بحال سابق آن زمین شود.

و کنیزکانی که به آنها مبادرت کردم آنکه از من فرزنددار یا باردار است باید از مال فرزندش که از ترکه من ارث می‌برد محسوب شود و آزاد گردد، و اگر فرزندش مرد و خود زنده است آزاد است.

### و من وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

#### اشارة

وانما ذكرنا هنا جملة منها ليعلم بها أنه عليه الله ملام كان يقيم عmad الحق، ويشرع أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها، ودقائقها وجليلها:

انطلق على نقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلما، ولا تخترن عليه كارها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحج فانزل بمائتهم من غير أن تختلط أبيانهم، ثم امض إليهم بالسلامة والوقار حتى تقوم بينهم فتسالم عليهم. ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول: عباد الله أرسلني إليكم وللله و خليفته لاخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤذوه إلى ولية؟ فإن قال قائل: لا. فلا تراجعه، وإن أنعم

لَكَ مِنْعَمٌ فَانطَلَقَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْيِفَهُ أَوْ تَوْعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تَرْهِقُهُ؛ فَخَذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فَضَّةٍ؛ إِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ إِنَّا أَتَيْتُهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دَخْولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ. وَلَا تَنْفَرْنَ بِهِمْمَةٍ وَلَا تَغْرِّنَهَا (وَلَا تَغْرِّنَهَا - مَعًا) وَلَا تَسْوِعْنَ صَاحِبَهَا فِيهَا. وَاصْدَعَ الْمَالَ صَدَعِينَ ثُمَّ خَيْرَهُ، إِنَّا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضْنَ لَمَا اخْتَارَ، فَلَا تَرْزَالْ بِذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءً لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ؛ فَاقْبَضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ إِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقْلَهُ، ثُمَّ اخْلَطْهُمَا - نَسْخَةً) ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوْلًا حَتَّى تَأْخُذْ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذْنَ عَوْدًا، وَلَا هُرْمَةً، وَلَا مَكْسُورَةً، وَلَا مَهْلُوسَةً ذَاتَ عَوْارٍ، وَلَا تَأْمِنْ عَلَيْهَا إِلَّا مِنْ تَقْنَ بِهِ، رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَوَصَّلَ إِلَيْهِ (بِالْتَّاءِ وَالْيَاءِ - مَعًا) إِلَى وَلِيِّهِمْ فَتَقْسِمُهُ (بِالْيَاءِ نَسْخَةً) بَيْنَهُمْ، وَلَا تَوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيظًا غَيْرَ مَعْنَفٍ وَلَا مَجْحُوفٍ وَلَا مَلْغُوبٍ وَلَا مَتَعْبٍ. ثُمَّ احْدَرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عَنْدَكُمْ نَصِيرًا حِيثُ أَمْرَ اللَّهِ بِهِ إِنَّا

أخذها أمينك فأوزع إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمضر لبنيها فيضر ذلك بولدها، ولا يجعلها ركوبا، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفه على اللاغب، وليستأن بالنقب والظالع، وليرودها ما تمرّ به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق، وليروحها في الساعات، وليمهلها عند النطاف والأعشاب، حتى يأتيها بإذن الله بدننا منقيات، غير متعبات ولا مجهدات، لنقسمها على كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله.

(ولا تروعن) من الروع بالفتح بمعنى الفزع، والكلمة مشكولة في أكثر النسخ بضم التاء وفتح الراء وكسر الواو المشددة من التروع، وفي نسخة الرضى بفتح التاء وضم الراء من الروع كما اخترناها في المتن، و معناها على الوجهين واحد ففي الصحاح: رعت فلانا ورّوعته فارتاع أى أفرعاته فزع.

(ولا - تختارن) بالخاء المعجمة والراء المهملة من الاختيار على نسخة الرضى رضوان الله عليه، وفي نسخ (تجتازن) بالجيم والزاي المعجمة من الاجتياز بمعنى السلوك من قولك جزت الموضع أجوزه جوازا أى سلكته وسرت فيه.

(الحي) واحد أحiae العرب أصله من حى و.

(تخدج) بالخاء المعجمة والجيم، قال ابن الأثير في النهاية: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه وإن كان تام الخلق وأخذجته إذا ولدته ناقص الخلق

وإن كان لتمام الحمل؛ ومنه حديث سعد «إنه أتى النبي صلى الله عليه وآله بمخدج سقيم» أى ناقص الخلق، و منه حديث على عليه السلام: « وسلم عليهم ولا تخذج التحية لهم» أى لا تقصها، انتهى، وقال الجوهرى فى الصحاح: وفي الحديث كل صلاة لا يقرأ فيها بام الكتاب فهى خداج أى نقصان، وأخذجت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق وإن كانت أيامه تامة فهى مخدج والولد مخدج، و منه حديث على عليه السلام فى ذى الثديه مخدج اليد أى ناقص اليد. انتهى.

(تخيفه) من الإلخافة بمعنى التخويف وأصلها الخوف، يقال: وجع مخيف أى يخيف من رءاه.

(توعده) من الإيعاد يستعمل فى الشر، قال الجوهرى فى الصحاح: الوعد يستعمل فى الخير والشر، قال الفراء يقال: وعدته خيرا، وعدته شرًا، قال الشاعر:

ألا علّانى كل حى معلل ولا تعدانى الشر و الخير مقبل

فإذا أسلقوالخير و الشر قالوا فى الخير: الوعد و العدة و فى الشر: الإيعاد و الوعيد، قال الشاعر:

وإنى وإن وعدته أو وعدته لمخالف إيعادى و منجز موعدى

(تعسفة) من العسف بمعنى الأخذ على غير الطريق، كما في الصحاح، وقال ابن الأثير في النهاية: العسف: الجور، وفي الحديث: لا تبلغ شفاعتي إماماً عسفاً أى جائراً ظالماً، والعسف في الأصل أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم، وقيل: هو ركوب الأمر من غير رؤية فنقل إلى الظلم والجور، انتهى.

(ترهقه) من الإرهاق، يقال: أرهقه طغياناً أى أغشاه إيه، ويقال:

أرهقني فلا ن إنما حتى رهقته أى حملني إنما حتى حملته، قال أبو زيد: أرهقه عسراً أى كلفه إيه، يقال: لا ترهقني لا أرهقك الله أى لا تعسرني لا أفسرك الله، قاله في الصحاح.

(الماشية) جمعها المواشى و هى اسم يقع على الإبل والبقر والغنم وأكثر ما يستعمل فى الغنم، قاله فى النهاية.

(عنيف به) العنف بالضم فالسكون - ضد الرفق تقول: منه عنف عليه بالضم وعنف به أيضا، والعنيف الـذى ليس له رفق بركوب الخيل و الجمع عنف، قاله فى الصحاح.

وفى النهاية: فى الحديث إن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف هو بالضم: الشدّة والمشقة وكل ما فى الرفق من الخير ففى العنف من الشر مثله.

(تنفسن) نفرت الدابة من كذا نفورا وقارا من بابى نصر وضرب: جزعت وتابعدت فهى نافر وتثور ونفّره جعله نافرا.

(لا تنزع عنّها) أصلها من الفزع بمعنى الدّعّر، ورويت فى نسخة الرّضى على وجهين بضم التاء وكسر الزاء من الإفزع وبضم التاء وفتح الفاء وكسر الزاء المشدّدة من التنزيع، والإفزع بمعنى الإخافة والإغاثة من الأصداد وكذلك التنزيع، يقال: فزعه أى أخافه، وفزع عنه أى - كشف عنه الخوف، و منه قوله تعالى: «حتى إذا فزعَ عنْ قُلُوبِهِمْ » أى كشف عنها الفزع، قاله فى الصحاح.

(واصدع) الصدع: الشق، (استقالك) الاستقالة طلب الإقالة أصلها من قى ل، يقال: أقاله يقيله إقالة و تقايلا إذا فسخا البيع وعاد المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما.

(عودا) بفتح العين المهمّلة وسكون الواو، قال فى الصحاح: العود: المسن من الإبل وهو الذى جاوز فى السن البازل والمختلف، و جمعه عودة، وقد عوّد البعير، وفي المثل: إن جرجر العود فرده وقرأ، والناقة عودة، ويقال: راحم بعود أودع أى استعن على حربك بأهل السن و المعرفة فإن رأى الشيخ خير من مشهد الغلام، انتهى.

(هرمة) مؤنة هرم من الهرم بالتسكين بمعنى كبر السن.

(مهلوسة) الهلاس بالضم السّلّ وقد هلسه المرض يهلاسه هلسا أى أضعفه

ورجل مهلوس العقل أى مسلوبه، ويقال: السلام فى العقل والهلاس فى البدن.

(عوار) قال فى النهاية فى حديث الزكاة: «لا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عوار» العوار بالفتح: العيب وقد يضمّ.

(ملعب) فاعل من الإلگاب بمعنى الإتعاب والإعياء.

(أوز إلى) وعز إلى في كذا أن يفعل أو يترك يعز وعزا - من باب ضرب - تقدّم وأشار، وأوز إلى إيعازا بمعنى وعز إلى.

(الفصيل) ولد الناقة إذا فصل عن أمّه والجمع فصلان وفصال.

(ولا ينصر لبنيها) قال في الصحاح: مصر: حلب بأطراف الأصابع، قال ابن السّكري: المصر حلب كلّ ما في الضرع، والتّنصر حلب بقايا اللّبن في الضرع.

وقال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث علي عليه السلام «ولا ينصر لبنيها فيضر ذلك بولدهما» والمصر الحلب بثلاث أصابع يريد لا يكثر من أخذ لبنيها.

(لا يجهد نّها) من الجهد بالفتح أى المشقة يقال: جهد دابتة وأجهدتها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها.

(اللاغب) فاعل من اللّغوب بمعنى التعب والإعياء.

(ويستأن) من الآنة أصلها الونى يقال: أستأنيت بكم أى انتظرت وتربيست.

(النقب) يقال: نقب البعير بالكسر إذا رقت أخفافه، وقال ابن الأثير في النهاية: النقب: رقة الأخفاف و منه حديث علي عليه السلام «و يستأن بالنقب والضالع» أى يرفق بهما ويجوز أن يكون من الجرب.

أقول: يعني أن يكون النقب مشتقاً من النقبة بالضمّ وهي أول ما يbedo من الجرب

وقال في مادة ظلع منها: الظلع بالسكون العرج وقد ظلع يطلع ظلعا فهو ظالع، و منه حديث الأضاحى: ولا العرجاء البين ظلعمها، وفي حديث على عليه السلام: وليس أأن بذات النقب والظالع أى بذات الجرب والعرجاء، انتهى، وسيأتي البحث عن ذلك في المعنى.

(الغدر) بضمّتين جمع الغدير، وفي الصحاح الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعال في معنى مفاعل من غادره، أو مفعول من أغدره، ويقال:

هو فعال بمعنى فاعل لأنّه يغدر بأهله أن ينقطع عند شدة الحاجة إليه، قال الكميت:

و من غدره نبز الأولون إذ لقبوه الغدير الغدير

والجمع غدران وغدر.

(جواب) بتشديد الدال جمع الجادة بتشديدها أيضاً بمعنى معظم الطريق.

(النطاف) جمع النطفة بمعنى الماء الصافي قل أو كثراً، وأما النطفة بمعنى ماء الرجل فجمعها نطف.

(الأعشاب) جمع العشب بالضم فالسكون وهو الكلاء الرطب.

(بدنا) البدن كطلب جمع بادن كطالب، يقال: بدن بدننا و بدننا و بدوننا من باب نصر إذا عظم بدنـه بكثرة لحمـه فهو بادن للمذكـر و المؤنـث، و قد يقال في المؤنـث بادـنة، و الـبدن: السـمن، و الـبدنة بالـفتحات نـاقة أو بـقرة تـنحر بـمكـة سـميـت بذلك لأنـهم كانوا يـسمـنونـها.

## الاعراب

(على تقوى الله) متعلق بمقدار أي اذهب معتمدا على تقوى الله، مثلا، (وحده) حال لله أي موحدا، (امض إليهم) في بعض النسخ: امض عليهم (بالتحية) قرئت

بالوجهين بالباء و عدمها (صدعين) مفعول مطلق عددي (بذلك) في أكثر النسخ:

كذلك، وما في المتن مطابق لنسخة الرّضي، (ولا يمضر) منصوب بأن لا إله معطوف على قوله لا يحول أى أو عز إليه أن لا ينصر لبنيها و في سائر النسخ مجزومة وهي وهم (ركوبا) بضم الراء وفتحها تميز (منقيات) وأخواتها صفات للبدن لأنها تذكر وتؤثر.

هذا آخر المجلد الثامن عشر من هذه الطبعة النفيسة، وقد تم تصحيحه وتهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجي - عفى عنه وعن والديه في الرابع من ذى القعدة 1386 - ويليه إنشاء الله الجزء التاسع عشر وأوله في معنى المختار الخامس والعشرين.

والحمد لله رب العالمين.

ص: 386

بسمه تعالیٰ

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

با اموال و جان های خود، در راه خدا جهاد نمایید، این برای شما بهتر است اگر بدانید.

(توبه : 41)

چند سالی است که مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه موفق به تولید نرم‌افزارهای تلفن همراه، کتاب‌خانه‌های دیجیتالی و عرضه آن به صورت رایگان شده است. این مرکز کاملاً مردمی بوده و با هدایا و نذرورات و موقوفات و تخصیص سهم مبارک امام علیه السلام پشتیبانی می‌شود. برای خدمت رسانی بیشتر شما هم می‌توانید در هر کجا که هستید به جمع افراد خیراندیش مرکز پیوندید.

آیا می‌دانید هر پولی لایق خرج شدن در راه اهلیت علیهم السلام نیست؟

و هر شخصی این توفیق را نخواهد داشت؟

به شما تبریک می‌گوییم.

شماره کارت :

6104-3388-0008-7732

شماره حساب بانک ملت :

9586839652

شماره حساب شبا :

IR390120020000009586839652

به نام : (موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه)

مبالغه‌داری خود را واریز نمایید.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک 129/34 - طبقه اول

وب سایت: [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

ایمیل: [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

تلفن دفتر مرکزی: 03134490125

دفتر تهران: 021-88318722

بازرگانی و فروش: 09132000109

امور کاربران: 09132000109



برای داشتن کتابخانه های تخصصی  
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

مراجعة و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

**۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹**

